منبر الإسلام

مع العدد
- المنتخب من السنة النبوية الشريفة
- "الفردوس" مجلة الطفل المسلم

الثمن ١٠ قروش

العدد ١١ • السنة ٣١ • ذو القعدة ١٣٩٣ • نوفمبر ١٩٧٣

منبر الإسلام

يصدرها
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
في غرة
كل شهر عربي

رئيس التحرير
محمد توفيق عويضة

العدد ١١
السنة ٣١
ذو القعدة
١٣٩٣

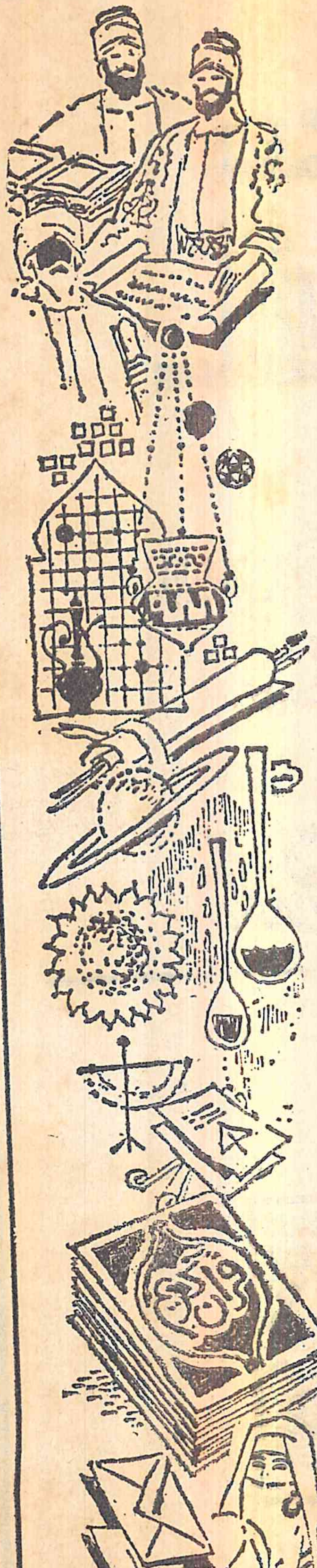

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد :

- الرئيس محمد أنور السادات حامل لواء الامة العربية . المستشار اسماعيل الخطيب
- هذا ما وعدنا الله ورسوله فضيلة الدكتور محمد حسن فايد
- العقيدة مصدر البطولة . فضيلة الدكتور ابراهيم محمد نجا
- الحرب النفسية فى الاسلام فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى
- العرب أمام المستقبل بعد ٦ أكتوبر المجيد . . الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف
- عمر بن الخطاب واهتمامه بالجند . . . . المستشار عبد الستار آدم
- تفسير سورة البقرة . الاستاذ أحمد حسين
- انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون . . . فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى
- اياك نعبد . . . الاستاذ فتحى رضوان
- القرآن آية النبى ومعجزته فضيلة الاستاذ أحمد حسن الباقورى
- أيهما الذبيح : اسماعيل أم اسحاق . . . الدكتور أحمد الحوفى
- من أحكام الشريعة الاسلامية وآدابها . . . فضيلة المفتى الشيخ محمد خاطر
- من معانى القراءات وأسرارها . . . فضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضى
- عندما نرى الله . . الاستاذ أحمد زين
- سنريهم آياتنا فى الافاق . الدكتور عبد العزيز شرف
- المرأة المسلمة والمعركة . الدكتورة ليلى صقر

العنوان : ٣ شارع الأمير قوادار المتفرع من شارع التحرير خلف عمارة بعرجب القاهرة ت ٢٨١٥٦

تلغرافيا : الإسلام - القاهرة

الاشتراكات ١٠٠ قرش فى جمهورية مصر العربية - ٨٠ قرشا للعمال والطلبة تدفع مقدماً ويضاف اليها قيمة البريد خارج جمهورية مصر العربية وما يساوى قيمة هذه العملة فى البلاد الأخرى - تقبل كوبونات البريد الدولى ذات الفرنسيه

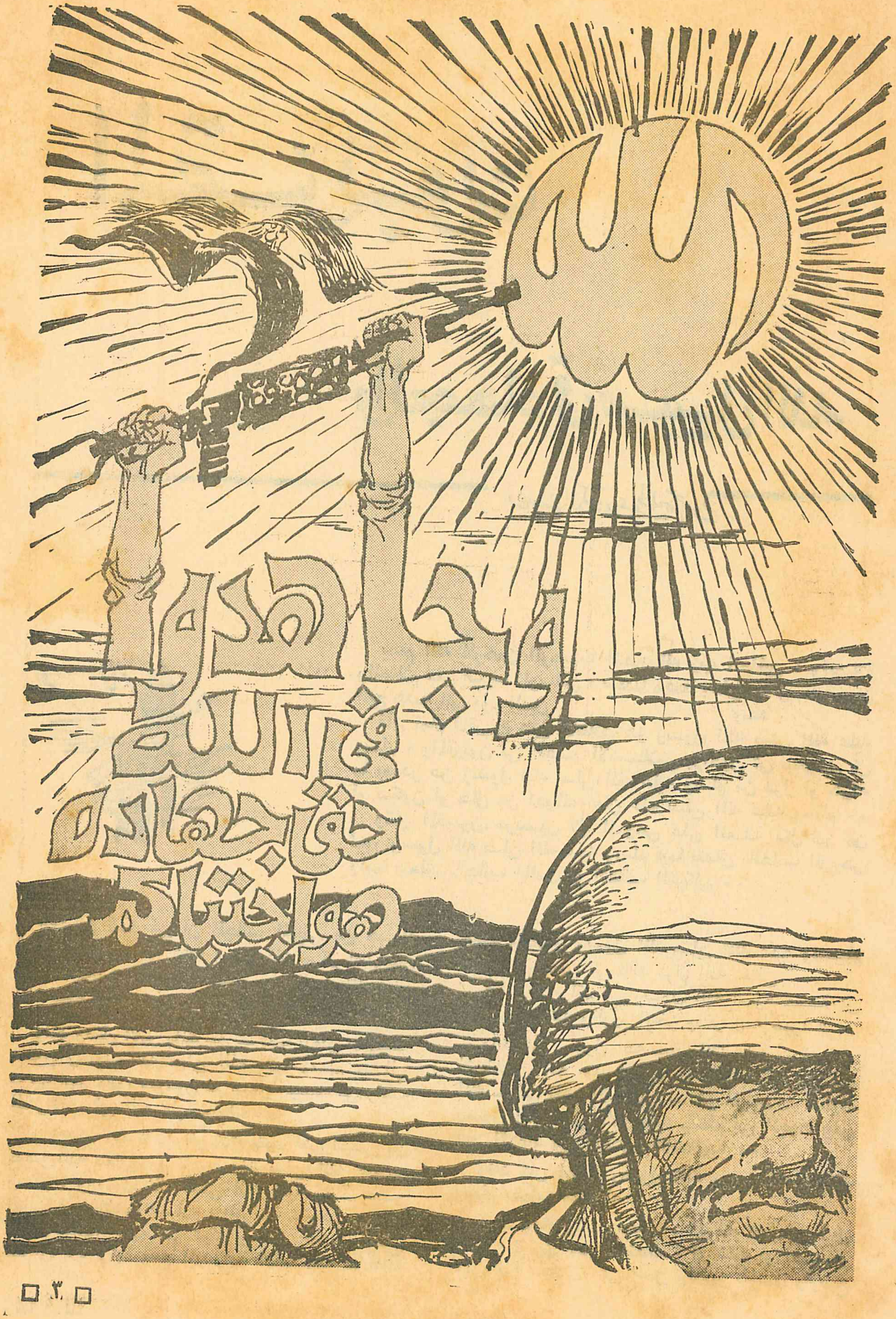
الله
وجاهدوا
في الله
حق جهاده
هو اجتباكم

المقرّبون

والجهاد فى سبيل الله

فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه الى يوم الدين وبعد :

فان امام المقربين على الاطلاق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمقربون فى الجـو الاسـلامى يراعون فى سلوكهم كل ما يصدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو حركة أو سكون أو حال من أحواله أعلن عنه صلى الله عليه وسلم ..

وكان المقربون حريصين كل الحرص على العناية بكل أمر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بالجانب الروحى وفيما يتعلق بالجانب المادى أو الجانب الشكلى ..

وما من شك فى أن الجانب الدينى من حيـاة الرسول صلى الله عليه وسلم كان مركز اهتمامهم ولكن الجانب المادى والشكلى من حيـاته صلى الله عليه وسلم نال من عنايتهم حظا كبيرا ..

ولقد وصل الامر بالمقربين — فيما يتعلق بملاحظة شئون رسول الله صلى الله عليه وسلم — الى درجة أنهم كانوا يعرفون كم شعرة بيضاء فى رأسه الشريف صلى الله عليه وسلم ..

والمجتمع الاسلامى الصادق يقوم على أسس من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليـه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم هـو الصورة التطبيقية للمبادىء القرآنية ، وهو صلوات الله وسلامه عليه فى قوله وحاله وفعـله شرح للقرآن .. **وكما يتبع الصوفية كتاب الله سبحانه** فانهم يتخذون رسول الله صلى الله عليه وسـلم أسوة ، متبعين فى ذلك قول الله تعالى :

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا » ..

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم امام المجاهدين لانه امام المقربين ، **وأقرب المقربين عند الله — فى الجو الاسلامى — هو أقربهم من سلوك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجهاد وفى غير الجهاد من المبادىء الاسلامية ..**

ولقد كان لجهاد رسول الله صلى الله عليـه وسلم سمات منها أنه :

١ — جهاد وليس بحرب ، أى أنه جهاد من أجل مبادىء لا من أجل استعلاء ، أو غلبة أو استعمار .. وهذه المبادىء هى الحق والخير بأشمل وأوسع

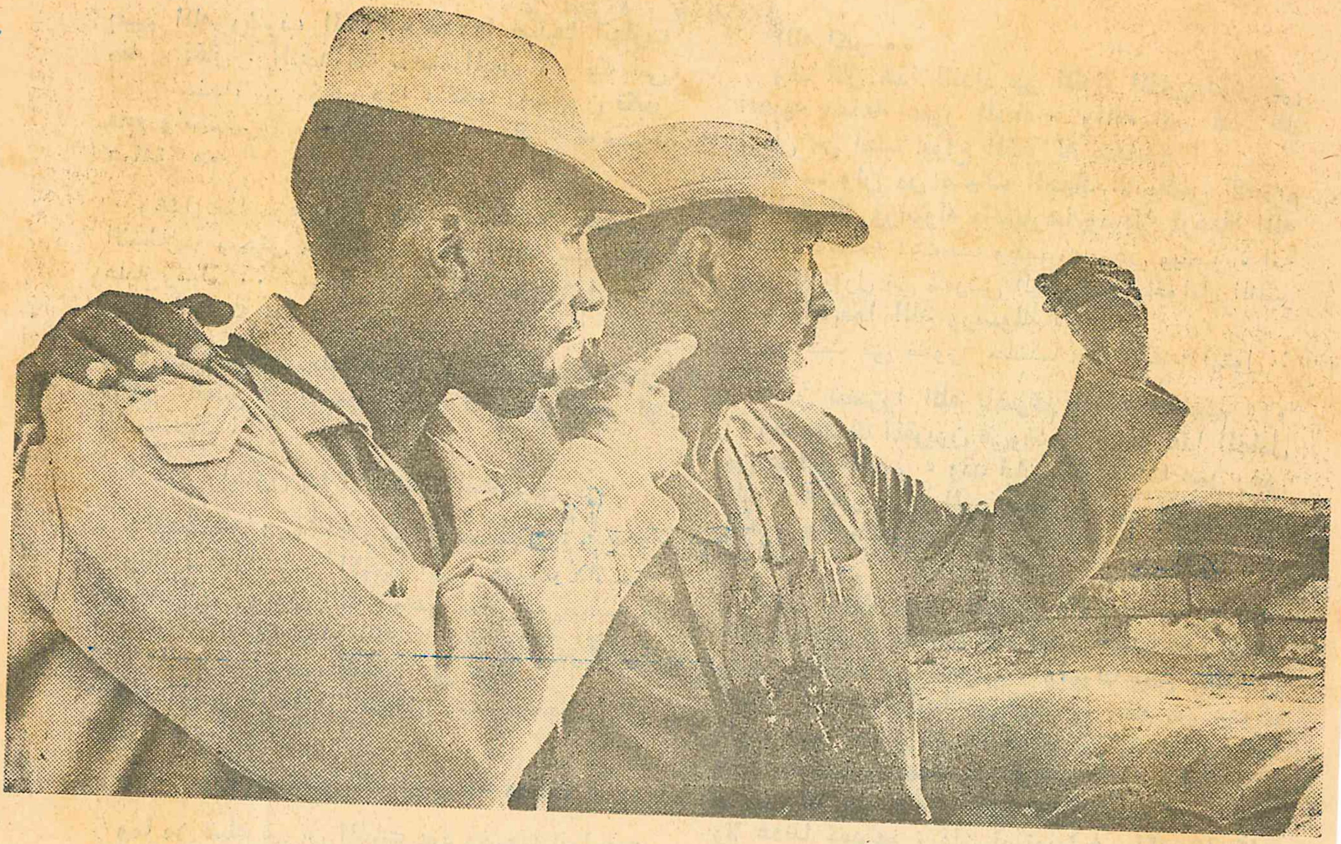

● لحظة خالدة تلك التى يلتقى فيها الرئيس القائد بالجنود فى ساحة المعركة ●

معانى الحق والخير ، **ومن اجل ذلك وصف هذا الجهاد بانه مقدس .**

ونحن فى حربنا الحالية نعلنها باسم الله وعلى بركة الله جهادا مقدسا ، اننا نعلنها باسم علماء الازهر وباسم علماء الاسلام عامة جهادا مقدسا .

ولانها جهاد مقدس فاننا نعلن — باسم علماء الاسلام عامة — أنها فرض على كل مسلم ومسلمة وعلى كل دولة وشعب ، وندعو الى المساهمة الواجبة فيها جميع المسلمين فى جميع أنحاء العالم

٢ — ومن سمات جهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جهاد متفائل ، انه متفائل مهما كانت الظروف ، وهل هناك ظروف أقسى من ظروف **معركة الاحزاب ..** لقد تجمعت جيوش المشركين بدعوة اليهود واشتراكهم ومؤامراتهم من أجل القضاء على الاسلام ، وكان الاسلام لا يكاد يعدو المدينة المنورة وكان فى المدينة منافقون ..

ومع كل الظروف التى أحاطت بالمسلمين فى هذه الغزوة التى يعرفها فى شدتها وقسوتها كل من قرأ السيرة **فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان متفائلا** ، وقد حدث ما يلى مما يدل على مدى تفاؤل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر :

يقول ابن اسحاق : وقد كان في حفر الخندق أحاديث بلغتنى ، من الله فيها عبرة ، فى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسلمون . وهذا الذى قاله ابن اسحاق حق كله ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم الحفر بين المسلمين وجعل لكل عشرة أربعين ذراعا يحفرونها **ومن طريف ما حدث أن المهاجرين والانصار تنازعوا سلمان الفارسى** رضى الله عنه فكان كل منهم يقول : سلمان منا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« **سلمان منا أهل البيت** »

ولقد كان سلمان وعمرو بن عوف وحذيفة والنعمان بن مقرن وستة من الانصار فى أربعين ذراعا ، فحفروا حتى اذا بلغوا الندى [الارض الطيبة] ظهرت لهم صخرة بيضاء مروة [براقة تقدح منها النار] فكسرت حديدهم ، وشقت عليهم

فذهب سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره عنها ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ المعول من سلمان وقال : بسم الله ، وضرب الصخرة ضربة صدعها ، وبرقت منها برقة أضاءت ، **فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله ، فتحت فارس ، والله انى لارى المدائن وقصرها الابيض من مكانى هذا ، ثم قال : بسم الله وضرب الثانية فصدعها مرة أخرى وبرقت منها برقة أضاءت** ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **الحمد لله ، فتحت الشام** ، والله انى لارى قصورها الحمر من مكانى هذا ، ثم قال :

بعنم الله وضرب الثالثة فصدعها صدعا انهارت منه ، فقال : الحمد لله فتحت اليمن ، والله انى لارى صنعاء من مكانى هذا ، فكبر المسلمون تكبير فتح واستبشروا ، وقالوا : الحمد لله ، موعود صادق ..

وهذا حقا موعود صادق ، فقد فتحت كل هذه الاقطار ، وتحقق ما بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم .. انها بشرى ، وانها معجزة ، وهى تفاؤل لا مرية فيه ..

٣ — ومن السمات البارزة فى الجهاد الاسلامى توطين النفس فى تصميم لا شك فيه على النصر أو الاستشهاد :

« هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين » ؟

والحسنيان هما النصر أو الاستشهاد ..
والاستشهاد من الامور التى يحبها دائما المجاهدون فى سبيل الله ، وهو أبغض شيء بالنسبة الى اليهود الذين يصفهم الله سبحانه وتعالى فيقول « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة »
أما المؤمن الصادق الايمان فانه يستجيب الى قول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا » ..

وما من شك في أن الثبات قوة وضعفا انما يتبع الايمان قوة وضعفا ومن هنا كان من واجب الدول الاسلامية العناية كل العناية بتقوية الايمان فى النفوس ، ان من واجبهم ذلك دينا ، ومن واجبهم ذلك وطنية ، ومن واجبهم ذلك عزة وكرامة ، فاذا قصروا كانوا آثمين دينا ووطنية وعزة وكرامة

٤ — ومن سمات الجهاد الاسلامى ذكر الله فى كل لحظات الجهاد ، وقد وجه الله المسلمين الى ذلك فى معرض الحديث عن عوامل النصر فى الجهاد ، فقال سبحانه :

« واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » ..
ويتحدث سبحانه عن موقف المؤمنين الصادقين فى الجهاد فيقول :

« وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين • وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا أغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين »

ويعقب الله سبحانه وتعالى على موقفهم هذا وما منحهم من جزاء عليه فيقول :

« فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين » ..

ولقد أسعدنى أننى حينما زرت الجبهة يوم الاحد عشرة من شوال مع اخوة كرام من علماء الازهر كان النداء الذى يستقبلنا ويصاحبنا اينما سرنا هو :

الله أكبر ..
وقد كان هذا النداء هو النداء الذى يدوى فى الجبهة ساعة عبور القناة ، والله أكبر ذكر لله تعالى من أحب أنواع الذكر له سبحانه .

٥ — وان من سمات الجهاد الاسلامى الالتزام بالطاعة لله ورسوله باعتبارها وسيلة لمرضاة الله ولحبه سبحانه فيتعطف ويلطف ويرعى وينصر ، انه سبحانه يقول فى معرض الحديث عن عوامل النصر « وأطيعوا الله ورسوله »
ويتحدث فى صورة حاسمة عن النصر فيقول :

« ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » •
ولقد أدرك المقربون فى وضوح سافر هذا العامل من عوامل النصر ، وقد أبان عنه سيدنا عمر رضى الله عنه فى كتابه الى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما حيث قال :
أما بعد :
فانى آمرك ومن معك من الاجناد بتقوى الله على كل حال فان تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك ان تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة • لان عددنا ليس كعددهم • ولا عدتنا كعدتهم ، فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ، والا ننصر عليهم بفضلنا لم تغلبهم قوتنا •

واعلموا أن عليكم فى سيركم حفظه من الله يعلمون ما تفعلون • فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصى الله وانتم فى سبيل الله • ولا تقولوا ان عدونا شر منا فلن يسلط علينا • فرب قوم سلط عليهم شر منهم • كما سلط على بنى اسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفار المجوس ، فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ، واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم ، أسأل الله ذلك لنا ولكم •

٦ — ومن سمات الجهاد الاسلامى عدم النزاع والاختلاف ، والله سبحانه يقول فى ذلك :
« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » •
والواقع أن الامم العربية والاسلامية — جزاها الله خيرا — ظهرت فى هذه الحرب بالمظهر الرائع الذى يحبه الله ورسوله : مظهر الوحدة ضد العدو الذى دنس مقدسات الاسلام داخل بيت المقدس والمسجد الاقصى الذى باركه الله وبارك من حوله ، وكان أولى القبلتين ، ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثالث المسجدين ، وأحد المساجد التى تشد اليها الرجال .. وبارك الله فى جهدهم ، وشكر الله لهم اتحادهم وتعاونهم ..
انهم اظهروا عمليا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

البقية صفحة ١٠

الرئيس
محمد أنور السادات
حامل لواء الأمة العربية

المستشار
اسماعيل الخطيب

انه وان كانت الارض الطيبة الطاهرة قد اغتصبت في غمضة عين . وغفوة ضمير . وهجعة كرامة . ونومة شرف الا أنه أبى الذل والهوان . واحتمل في قلبه وضميره ووجدانه جراح الهزيمة. وحمل على عاتقه آلام وامال شعبه . ووضع على كاهله جراح أمة العرب . وتطلعاتهم والتزم بتوحيد الصفوف . مؤمنا بالله وبنصر الله . وصبر صبر الرجال .. واحتمل ما ينوء به أعظم الرجال . واستعان بربه .. وفكر . ودبر .وأمعن في التدبير وأعد العدة . وأيقن أن مصر خالدة على الزمن وصبر على المحن والشدائد في قوة وصلابة .. وكان أقوى من المحن . وأصلب من الشدائد ..

وكان يوم ٦ ـ ١٠ ـ ١٩٧٣ الموافق ١٠ من رمضان سنة ١٣٩٣ وأعلن الجهاد . وانطلقت الطلقة الاولى واحتشدت الامة العربية كلها مشحونة بما لاقت وما توارثته عبر الاجيال من طاقات واختزنته في ضميرها من قدرات .. وكان زحف شباب مصر وجنودها . الذى دك حصون الاعداء وتم عبور القناة ونسف خط بارليف ورفع العلم المصرى فوق سيناء . لقد كان الوفاء كله لدينه ووطنه وأمته انه حامل آلام وآمال شعبه . حامل لواء الامة العربية معقد آمالها .. وانتصاراتها فخر الامس . وبطل اليوم . ورجاء الغد . الرئيس المحبوب محمد أنور السادات .

استجابة وتلبية نداء

وما أن أعلن الرئيس الجهاد لرد العدوان ورد الارض المغتصبة حتى استجاب له أبناء الأمة العربية .. الملوك والرؤساء . والجنود . لبى نداءه شباب مصر . وقلبها النابض . وأملها الصادق . لم يقبلوا الظلم . ولم يستكينوا لاحتلال الارض وآمنوا بأن مصر التى استطاعت بصبرها وشجاعتها وعزيمتها أن تطرد الهكسوس ، وتهزم الفرس . وتقف فى وجه المغول والصليبيين . وتشتت الاتراك . وتطرد الفرنسيين . وتدوخ الانجليز . قادرة على أن تفعل باسرائيل ما فعلته بكل أجنبى دخيل .

وأيقنوا أن مصر باقية شامخة خالدة على الزمن .. فكم صبروا على الشدائد والاحزان فى قوة وصلابة .. وكانوا أقوى من المحن وأصلب من الشدائد .. وباسم الله . هللوا . وكبروا . وزحفوا . وضربوا . ودمروا وعبروا . ودكوا . ونسفوا . وطاروا وانقضوا وطاردوا وأبادوا أعداء البشر فى كل جيل . دكوهم دك الزلزال المدمر للسهل والجبل وأبادوهم ابادة البركان المتفجر بالحمم لا يبقى ولا يذر . ولم لا : وقد ضاق بهم أنبياء الله موسى وهارون ولعنهم الله لانهم قتلوا أنبياءه وتبرأ منهم عيسى المسيح وبرىء منهم سيدنا محمد والعرب عامة والمسلمون خاصة .. أنباء هزتنا من أعمق الاعماق هزا وملأت قلوبنا فخرا . ونشوة . وعزا . ومجدا . وسؤددا حقا انهم فتية آمنوا بربهم . آمنوا بشعبهم . آمنوا بوطنهم واستجابوا لقائدهم .. ونصروا الحق على الباطل وانتصروا فصدق فيهم قول الله سبحانه وتعالى :

« انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى »

استمرار الجهاد

وانه وان كان قد تقرر وقف اطلاق النار الا أنه أعلن استمرار الجهاد والاعداد .. حتى يتم الجلاء ويسود الامن والسلام .

الجهاد فى الشريعة الاسلامية

والجهاد فى الشرع الاسلامى هو بذل الجهد والمال والنفس دفاعا عن الدين والارض والعرض . وقد شرع القتال فى الاسلام من أجل هدفين أساسيين :

١ – الدفاع عن النفس عند العدوان عليها . والدفاع عن البلاد والارض التى يقيم فيها المسلمون

٢ – الدفاع عن الدين الاسلامى وتأمين طريقه ليصل الى الناس فى هدوء دون قسر . ونشر تعاليم الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة فى جو يسوده الامن والسلام .

ولم يشرع القتال فى الاسلام لتثبيت ملك أو توسيع سلطان وانما شرعه الله انتصارا للحق على الباطل ولم يشرع القتال فى الاسلام للاستعمار والقهر واستعباد الشعوب وانما شرع لنشر الامن والسلام دون تفرقة أو تعصب .

والجهاد كما قال النبى صلى الله عليه وسلم « عمود الاسلام وذروة سنامه » وأعظم الجهاد . ما كان فى سبيل الله وأصدقه وأحبه الى الله أن يقبل المقاتل على عدوه بقلب ثابت . وعزم صارم . لا يعرف الجبن الى قلبه سبيلا . ولا يجد الخور والوهن الى عزمه طريقا . يثبت فى ساحة الوغى كالجبل الاشم الراسخ لا ترهبه سيوف الاعداء .

اعداد المجاهدين

ولما كان الاسلام هو دين الانسانية القوية المتآخية . فقد دار كله حول الجهاد وكانت العبادات فيه من صلاة وصوم وزكاة وحج تعاليم للصبر والكفاح والنضال . وتهيئة للجهاد واعدادا للمجاهدين ..

الحض على الجهاد

وقد تناول القرآن الكريم الحض على الجهاد للرسول والمؤمنين وأوضح أجر الجهاد .

١ – فرض الحض على الجهاد والدعوة اليه .

يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة المائدة

« اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة . وجاهدوا فى سبيله »

٢ – الجهاد من المؤمنين .

يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة الانفال

« والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا . أولئك هم المؤمنون حقا »

وفى سورة الحجرات يقول

« انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم »

وفى سورة المائدة يقول .

« يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين . يجاهدون فى سبيل الله »

٣ – وفى دعوة الرسول الى تحريض المؤمنين

يقول فى سوة الانفال :

« يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال » .

٤ – الجهاد لمنفعة المجاهد .

يقول فى سورة العنكبوت

« ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه . أن الله لغنى عن العالمين »

٥ – شرع الله الجهاد للامتحان

وفى سورة محمد يقول

« ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين »

وفى سورة التوبة يقول

« أم حسبتم أن تتركوا . ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم » .

الجائزة

ولما كان الاقدام على الجهاد أمرا عظيما وشاقا على النفس التى تخاطر بوجودها وعيشها وملذاتها فى الحياة الدنيا ولما كان الجهاد الى جانب ذلك أمرا عظيما باعتباره عنصر البقاء والكرامة فى حياة الاسلام والمسلمين والدفاع عن النفس والارض

• الرئيس محمد انور السادات حامل لواء الامــة العربية •

والعرض . فان الله وعد وأكد وبشر المجـاهدين بالجنة .

وفى هذا الصدد يقول سبحانه وتعالى :

« فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

« والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله . أولئك يرجون رحمة الله » .

« الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله » .

« لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى . وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما » .

وفى تأكيد وعده بالجنة يقول :

« وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله » .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم :

« ليس لابدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعـوها الا بها » .

وهذا مثل للشباب نضربه من سيرة مصعب بن عمير ابن هاشم فيه سمو للروح . وتضحية وجهد وجهاد جاهد فى سبيل الاسلام . فاعزه الله ونصره . وجعله فى جنة الخلد مثوى العاملين .

كان مصعب فتى مكة شبابا وجمـالا وغنى وكـان أبواه يحبانه . وكانت أمه ترى فى شبابه وجماله قرة عين لها . فكانت تكسوه أحسن الثياب وتعطره أذكى ما يكون من العطر ، حتى ليبدو فى رواء وثراء تفتن كثيرا من الناس حتى ليقولون يا ليت لنا ما أوتى مصعب ولقد كان النبى يذكره ويقول « ما رأيت بمكة أحسن لمة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير » .

ولكن مصعب رفض هين العيش . وطرح لباس الحرير الى لباس التقـوى ـ الى لباس البطولة والجهاد . الى حمل لواء الاسلام . والاستشهاد فى سبيل الله . .

أسلم مصعب فى النفر الاول من المسلمين وأخفى اسلامه عن أمه وأهله لا حرصا على نعمة هو فيها . وانما برا بها . واحسانا اليها ورآه أحد أقاربه يصلى فأعلم أهله وأمه فراودوه . ليفتنوه عن دينه فأبى . ونازعوه ليبعدوه عن نبيه فتأبى عليهم ونأى . فقبضوا

عليه وحبسوه فصبر على الاذى ثم أفلت منهم وهاجر الى الحبشة فارا بدينه مع من هاجر من المسلمين تاركا لهم الحياة وزينتها مفضلا غربة الوطن والاهل على غربة النفس . محتملا فقر المال فى سبيل غنى الروح . ثم عاد الى مكة وبقى الى جوار نبيه محمد صلوات الله عليه وسلامه يتلقى تعاليمه . محتملا قسوة الاهل بعد رحمتهم . وضيق الحياة بعد رخاء العيش . حتى لقد أجهد فى سبيل دينه أيما اجهاد .

وبالاناة والصبر والموعظة الحسنة استطاع مصعب ابن عمير أن ينشر الاسلام فى يثرب وأن يمهد السبيل فى المدينة لدار يهاجر اليها المسلمون من مكة . ولتكون بعد قاعدة للدولة العربية الموحدة ثم للدولة الاسلامية التى امتد لواؤها فى مشارق الارض ومغاربها .وكان مصعب أول داعية أرسله رسول الله فكان نعم الداعية وخير من أرسل .

حامل لواء الاسلام فى بدر

والتقى المسلمون والمشركون فى بدر وكما كان مصعب رسول النبى الاول وداعيته كذلك كان فى بدر يحمل لواء المسلمين . وكما انتصر فى دعوته الى الاسلام فى المدينة بالحلم واللين . واستعمل عقله وضميره وتذرع بالصبر . فانه بسط يده بالقوة . وحمل اللواء فى يده فى بدر واعتز بالشجاعة والتضحية والسيف والنصر .

حامل لواء الإسلام فى أحد

وجاءت قريش فى العام الثالث الهجرى الى المدينة لتثار ليوم بدر وخرج النبى عليه الصلاة والسلام بالمسلمين الى أحد فى سبعمائة مقاتل ليلقى بهم ثلاثة آلاف من رجال قريش وحلفائها امتلات نفوسهم بالحقد والضغينة والتكالب على الثار وحمل لواء المشركين بنو طلحة .

ودعا النبى بمصعب فسلمه لواء الاسلام .

واندفع مصعب بلواء الرسول . صلى الله عليه وسلم يقاتل . واندفع المسلمون وراء اللواء وحوله فقتلوا كل من حمل لواء المشركين حتى قتل منهم تسعة ولم يجد اللواء من يحمله .

أما لواء الاسلام فقد أعزه مصعب وهو يهزه متغلغلا فى صفوف المشركين . وخالف بعض المسلمين أوامر الرسول عليه الصلاة والسلام . فامتحنهم الله بالهزيمة بعد النصر . وارتدت مقاتلة قريش تعمل فيهم السيف . وثبت مصعب فاحيط به وقطعت يداه فضم اللواء الى صدره فلما طعن وضرب خر الى الارض مركزا اللواء على صدره مكرما لواء الاسلام أن يقع على الارض حتى حمله عنه على بن أبى طالب .. وانتهت المعركة .

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب شهيدا فقال :

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر . وما بدلوا تبديلا » ان رسول الله يشهد عليكم أنكم شهداء عند الله يوم القيامة » .

● ● ●

يا جنود مصر . يا جنود الحق والعدل .

ان الله كتب عليكم الجهاد ووعدكم بالنصر وقد توج الله جهادكم بالنصر فى أول معركة وأكبر معركة أعدتم بها كرامة شعبكم وحملتم لواء مصر ورفعتموه عاليا فى سيناء فى أرض النور التى دنسها العدو . الى الامام . والله يرعاكم وقلوبنا معكم . ودعاؤنا لكم بالنصر .

والله ولى التوفيق .

بقية مقال « المقربون والجهاد فى سبيل الله »

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة »

٧ — ومن سمات جهاد المقربين : الصبر :

« واصبروا ان الله مع الصابرين » ..

وان من نتائج الصبر فى الجهاد أنه فى أدنى حالات الضعف يكون :

« فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين . وان يكن منكم ألف يغلبوا الفين »

ومن نتائج الصبر فى الجهاد المقدس امداد الله بالملائكة :

« بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ، وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله » .

ومن وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس فيما يتصل بهذا المقام : « واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » وبعد :

فان هذه من سمات جهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى من سمات جهاد المقربين فى كل عصر ، وقد تابع الصحابة — رضوان الله عليهم — توجيهات القرآن الكريم فى الجهاد ، واقتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى تطبيقه واقعيا لتوجيهات القرآن الكريم ..

ومواقف الصحابة فى الجهاد مشهورة معروفة ، ومن أجل ذلك سنتحدث فيما يلى عن بعض صور لمواقف طائفة من المقربين غير مشهورة .

فالى اللقاء فى أحاديث عن [المقربون والجهاد] ان شاء الله ..

هذا ما وعدنا الله ورسوله

فضيلة الدكتور محمد حسن فايد

رافقت صاحب الفضيلة الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر ، فى زيارة لمواقع جيشنا المؤمن الباسل الشجاع .

وما كدنا ننزل على الارض الطاهرة المقدسة ، ارض سيناء الحبيبة العزيزة التى دنسها العدو زمنا . وان كان قليلا لكنه عند من يعرف العزه والشرف والكرامة والحق طويل .

ما كدنا ننزل حتى ارتفعت الاصوات مدوية فى الفضاء من الضباط والجنود المظفرين الذين آمنوا بربهم وبعدالة قضيتهم . قضية الحق والعدل والسلام ، الذين يحاربون عدوا أغمض عينه عن النور ، وأغلق قلبه فلم يفقه الحق ، وأصم اذنيه فلم يسمع ما أراده الله لخير الناس جميعا . ولم يكن منه الا الغرور والغطرسة ، والتمادى فى العدوان والتحدى .

ارتفعت الاصوات بهذا النداء الكريم العزيز علينا ، الخالد فى نفوس المؤمنين المتقين ، الى يوم الدين .

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا اله الا الله ، صدق وعده ، ونصر عبده وأعز جنده ، وهزم الاحزاب وحده .

لقد أحسسنا آن ذاك أننا نعيش هذه اللحظة مع المقاتلين المجاهدين فى صدر الاسلام ، الذين اسلموا وجوههم للذى فطر السموات والارض ، وآمنوا بما نزل عليهم من الكتاب والحكمة ، ونظموا مسيرة حياتهم على طريق الهدى والرشاد ، فى عقائدهم وتشريعاتهم ، وسلوكهم وأخلاقهم وسائر العلاقات الانسانية الهادفة البناءة ، فكتب الله لهم النصر والعزة ، وأضحت كلمة الحق هى العليا ، وكلمة الباطل هى السفلى . « **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** » .

أحسسنا بهذا ورأينا بأعيننا وسمعنا بآذاننا مازادنا يقينا بأن الله معنا ، نصرنا ، وأعز جندنا ، وقهر عدوه وعدونا فى تلك المعركة الكبرى التى تحطمت فيها حصون العدو القوية المنيعة التى فاخر بها ، ورفع أنفه الى السماء مباهيا بها ، وتحدى بها العرب والمسلمين ، والعالم المسالم كله . وخدع الناس فأطلق على جيشه تلك الاسطورة التى ذهبت لا الى رجعة « **الجيش الذى لا يقهر** » .

سبحانك ربى انه الضلال المبين ، والافك العظيم ، أنك وحدك بيدك الامر كله لا شريك لك ، وبيدك وحدك تصير الامور : وانك على ما تشاء قدير .

سبحانك ربى لقد انتصرنا فى هذه المعركة لان الوهن والضعف والاستكانة ، واستعظام ملاقاة العدو

لم يعرف طريقه الى قلوب القادة والجنود ، والشعب القوي المناضل ، والشعوب العربية الاصيلة رغم ما كان من غدر العدو وخيانته ، ومساندة قوى الظلم والعدوان .

« وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » .

وما كان قولهم عند شدائد الحرب الا أن قالوا ، ربنا تجاوز عما يكون من صغائر الذنوب وكبائرها ، وثبتنا فى مواطن الحرب ، وانصرنا على أعداء دينك . الكافرين بك وبرسالة رسولك ، فأعطاهم الله النصر والتوفيق في الدنيا ، وضمن لهم الجزاء الحسن فى الاخرة ،والله يثبت الذين يحسنون أعمالهم .

انتصرنا لاننا خضنا المعركة فى سبيل الحق والعدل والسلام ، معتقدين أن الله معنا ، وأنه وعد المجاهدين بالنصر أو الشهادة ، ووعد الله لا يتخلف ، وان الموت والحياة بيد الله « وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا » ، « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ، ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون » .

انتصرنا لان الله ثبت قلوب المؤمنين ، وبعث فيهم القوة ، ومضاء العزيمة ، مؤمنين بأن النصر فى الحقيقة ليس بمجرد الاعداد والتجهيز ، ولكن بقوة من الله يهبها أولياءه ، ويملا بها قلوبهم ، ويشد بها عزائمهم ويشعر معها المجاهدون أنهم الغالبون مهما كانت قوة العدو وعتاده ، « وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم » ، « اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا » .

وبهذا الثبات يكون العدو جبانا متخاذلا يداخله الرعب والخوف والفزع « سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب » .

وبهذه القوة وهذا الثبات ، وذاك الرعب الذى يقذفه الله في قلوب الاعداء ينصر الله دائما المجاهدين الذين يحاربون فى سبيل العقيدة والحق والسلام ، ويهزم الاعداء الذين يحاربون فى سبيل السلطان والجاه ، وينقادون للشيطان الذى أغواهم وأضلهم وزين لهم غرورهم ، ثم يفر هاربا منهم حين يتحقق وعد الله ، ويصور لنا القرآن الكريم موقف الشيطان من انصاره فيقول « وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما انا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى .

انتصرنا لاننا نسلك الطريق الواضح المستقيم طريق السلام والاصلاح عاملين بقول الله عز وجل « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم ، وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين » .

واذا كنا قد انتصرنا ونحن على أول طريق النصر فيجب علينا أن نعد العدة ونسير دائما على طريقنا المستقيم ، ونقوى الروح الديني بالتزام ما شرع الله فى أفعالنا وأقوالنا وسلوكنا ، ولا نكون من الذين وصفهم الله بقوله « واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه » .

وعلينا أن نثبت دائما فى المعركة التى تدور رحاها فى كل لحظة بين الخير والشر فى نفوسنا ، وأن ننصر دائما قوى الخير على قوى الشر . وأن لا نستسلم للرذائل ، ولا ننقاد للشهوات ، لاننا اذا فعلنا ذلك فقد نصرنا الشيطان ، ومن ثم فلا نستحق النصر من الله .

والانسان لا ينتصر فى معركته النفسية الا اذا جردها من شهوات نفسه ، وراضها طويلا على الحرمان والصبر ، وصرع فى نفسه قوى الشر التى تصرخ فى اعماقه ، وتكاد تثور بركانا يزلزل الفضيلة .

ولما كان الجهاد النفسى هو الساحة التى ينهزم فيها كثير من الناس لكثرة الشهوات التى يحاربها المؤمن كان صلى الله عليه وسلم يسمى جهاد النفس الجهاد الاكبر يروى أنه قال بعد رجوعه من احدى غزواته « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر » وهو يريد بذلك لفت الانظار الى التأهب للجهاد النفسى واعداد كل أسلحة النصر فيه ، لتربية جيل اسلامى قوى ينتصر فى كل المعارك الحسية والنفسية .

وكان الرسول عليه السلام وأصحابه ينبهون المجاهدين عند كل غزوة الى أهمية الانتصار فى المعركة النفسية ، فيوصونهم بتقوى الله ، فانها السلاح القوى الفتاك الذى لا يملك مثله الاعداء .

ونحن على هدى رسول الله وأصحابه نوصى رجال جيشنا البواسل . وكل أبناء الوطن أن ينصروا الله دائما بالعمل بما أمر الله به . واجتناب ما نهى الله عنه ، ومن ثم يكون النصر من الله ، ونقول لابطالنا فى جبهة القتال ان الله وضعكم فى أعلى منزلة ، وتكفل لكم باحدى الحسنيين النصر أو الشهادة ، والشهيد له من وطنه كل التقدير ومن الله حسن الجزاء .

البقية ص ٢٤

العقيدة مصدر البطولة

فضيلة الدكتور ابراهيم محمد نجا

ان للعقيدة أثرا كبيرا فى توجيه الانسان الى التمسك بالمبدأ الذى تطمئن اليه نفسه ويركن اليه ضميره ولذلك كانت أول دعوة للاديان هى الدعوة الى العقيدة القوية ، فمتى أشرب الانسان أمرا لم يكن من السهل أن يتخلى عنه ولا أن يجانب العمل بمقتضاه ، ويبدو ذلك في سلوك المسلمين الاول فانهم رغم قلتهم وضعف مكانتهم ، لم يبالوا بالعنت الذى أنزله أعداء تلك الدعوة بهم ، ولم يزدهم ذلك العنت الا اصرارا على دينهم ، وقوة فى تمسكهم بعقيدتهم ، وان التاريخ وهو شاهد عدل يروى لنا ما لقيه أصحاب الرسول وهم فئة مستضعفة من سادة قريش ذوى الحول والطول من ألوان الايذاء وصنوف التعذيب مما يزلزل الرواسى ، ومع ذلك فلم يكن لهذا الايذاء من أثر سوى التمسك بالحق الذى اعتقدوه ، والدين الذى آمنوا به ، والرسول الذى أصبح الامل الذى يرجونه وهاك بلالا الحبشى الذى أوثقوه بالحبال والقوة فى وهج الشمس المحرقة ، وأنزلوا به عذاب الهون ، ومع ذلك فانه كان يستعذب العذاب الذى بهر الالباب ، ولم يزده ذلك الا ايمانا بدينه ووثوقا بعقيدته وينطق سبوح قدوس .

وان تلك العقيدة التى برزت فى نفوس المسلمين بصورة واضحة حملتهم على الفرار بدينهم والهجرة من مكة الى أماكن أخرى فرارا من هؤلاء المشركين الذين لم يرعوا فى الله الا ولا ذمة حتى تستقر أمورهم ويعدوا عدتهم لمواجهة أولئك المعتدين .

وان فى تلك الهجرة من أصحاب رسول الله ما يؤكد لنا صدق عقيدتهم وثبات يقينهم ، ولولا أن العقيدة راسخة ، والايمان ثابت ما احتملوا تلك الاخطار التى مرت بهم ولا صبروا على بعض المكاره التى وجهت اليهم ، ولذلك كان المؤمن القوى كريم المنزلة وعظيم المكانة لانه صمد للاحداث فلم تلن له قناة وصبر على لقاء النوازل فلم يهن له عزم .

وكان للعقيدة القوية أكبر الاثر فى الشجاعة التى برزت فى الحروب التى خاضها المسلمون ونالوا فيها النصر المؤزر مع قلة عددهم وضآلة عددهم أمام عدوهم القوى بعدته ، المتحصن بضخامة عدده ، وقد أبدى الصحابة فيها من ألوان الشجاعة ما بهر قلوب اعدائهم وزلزل كيانهم ، وانه ليجدر بنا ان نعرض لبعض تلك الصور التى نعرضها فى صور المجادة والبطولة .

ففى بدر جعل الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا يجلس فيه ويشرف على المعركة وارتأوا أن يقف أبو بكر لحراسته فوقف شاهرا سيفه لا يهوى اليه أحد الا أهوى اليه .

وان لعلى بن أبى طالب من المواقف البطولية ما يستحق أن نعرضه فى صورة مشرقة مشرفة فقد أبلى بلاءا حسنا فى موقعة أحد جعله يدخل على زوجه فاطمة الزهراء ويقول :

أفاطم هاك السيف غير ذميم
فلست برعديد ولا بلئيم
لعمرى لقد أبليت فى نصر أحمد
ومرضاة رب بالعباد عليم

وانه ليجدر ان نذكر ذلك الموقف الخالد فى غزوة الخندق ومطالبته عمرو بن ود للمبارزة التى انتهت

بالقضاء عليه ، فقد روى أن عمرو بن ود خرج معلما ليرى مشهده فلما وقف هو وخيله قال له على : يا عمرو أنك قد كنت تعاهد الله لقريش ألا يدعوك رجل الى خلتين الا اخترت أحداهما قال : أجل • قال : فانى أدعوك الى الله والى رسوله والى الاسلام ، قال لا حاجة لى فى ذلك • قال : فانى أدعوك للمبارزة ، قال لم يا ابن أخى فوالله ما أحب أن أقتلك ، قال على رضى الله عنه : ولكنى والله أحب أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك وأقبل الى على رضى الله عنه وكان على ينشد هذه الابيات :

لا تعجلن فقـــد أتـــاك
مجيب صــوتك غير عــاجز
فــى منيـــة وبصيــرة
والصــدق منجــى كـل فائز
انى لا ارجو ان أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربـة نجـــــلاء
يبقى ذكرها عند الهزاهز

وما أن بارزه الا وقد ضربه فى درقته فقدها وأهل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يتهلل فقال له عمر بن الخطاب : هلا استلبته درعه فانه ليس للعرب درع خير منها فقال : ضربته فاتقانى بسوأته فاستحييت ابن عمى أن أسلبه وان فى موقفه الرائع من قتل مرحب اليهودى حينما وفد وهو يخطر بسيفه ويقول :

قد علمت خيبر انـى مرحب
شاكى السلاح بطل مجرب
اذ الحروب أقبلت تلهب

فبرز له على رضى الله عنه وهو يقول :

أنا الـذى سمتنى أمـى حيدرة
كليث غـابات كريه المنظره
أو فيهم بالصاع كيل السندره

حينذاك أقبل على مرحب ففلق رأسه فقتله •

وان للزبير بن العوام من كريم المواقف ما يجعلنا نذكرها بالفخر والاعجاب بتلك البطولات التى رفعت راية الاسلام خفاقة عالية ، فانه وقد اشتد الامر فى غزوة أحد تقدم طلحة بن أبى طلحة العبدرى حامل لواء المشركين طالبا المبارزة فأحجم عنه الناس فبرز اليه الزبير بن العوام فوثب حتى صار معه على جمله ثم اقتحم به الارض فألقاه عنه وذبحه بسيفه فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ان لكل نبى حواريا وحوارى الزبير ، وفضلا عن ذلك فانه عندما أشيع نبأ مصرع الرسول خرج الزبير متجردا سيفه فلقيه النبى صلى الله عليه وسلم قائلا له مالك يا زبير فقال سمعت أنك قتلت قال : ما أردت أن تصنع ؟ قال : أردت والله استعرض أهل مكة فدعا له النبى صلى الله عليه وسلم بخير •

وان الحديث عن كثير من الصحابة كسعد بن أبى وقاص الذى وفقه الله الى قتل ثلاثة من المشركين بسهم واحد حتى كان ذلك موضع العجب من الصحابة ، وكالشجاعة النادرة التى تحدث بها التاريخ عن حمزة ابن عبد المطلب وغيره •

واننا باستعراضنا هذه الامثلة وهى غيض من فيض وكل من كثر يتضح لنا بجلاء أثر العقيدة فى رباطة جأش المسلمين وقوة يقينهم ووضوح موقفهم • وان السادس من أكتوبر ليعيد الى أذهاننا الموقف العظيم لشباب العرب الذين أبلوا بلاء حسنا فقضوا بثباتهم على تلك العصابة التى أوهمت العالم أنه لا قبل للعرب بلقائهم ، فكان وعد الله لجنده الذين استبسلوا فى تلك المعارك واضحا ، وان التقاء بأولئك الابطال يشعرك بأن العقيدة راسخة فى قلوبهم والايمان الذى توطن قلوبهم جعلهم يخوضون غمارها برباطة جأش وثبات يقين •

وان التاريخ الذى سجل لصحابة رسول الله مواقفهم البطولية وأصبحنا نذكرها بكل اكبار واجلال سيسجل لابناء العروبة تاريخهم الحافل بكل مجادة ، والذى نبع من العقيدة وقوة اليقين ، والذى تجلى فى القضاء على تلك الخرافة الصهيونية من استحالة عبور ذلك الممر المائى ، ولهذا أشادت صحافة العالم ببسالة جند الله ، وان جندنا لهم الغالبون ، لانهم قد استمدوا وقوفهم من القرآن الكريم والسنة المطهرة وهما مصدرا التشريع الذى يدعوا كل مؤمن لينال احدى الحسنيين اما النصر واما الشهادة وهما أملا كل مسلم عرف أثر الجهاد ومكانته عند الله وعند الناس وأنه ليجدر بنا وقد عرفتنا تلك المعركة أثر العقيدة فى النصر أن نربى ناشئتنا على تلك المبادىء القويمة ليتسنى للامة أن يبقى لها مجدها ويتسنم أبناؤها ذروة المجد الذى ينشدونه فى ظلال الشرف والكرامة •

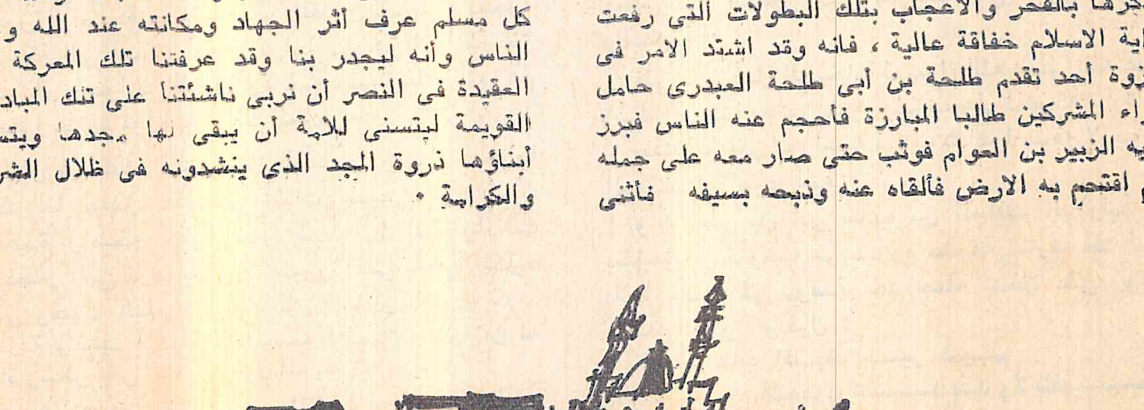

الحرب النفسية في الإسلام

لم تكن الحرب النفسية معروفة فى صدر الاسلام بهذا العنوان ، ولكنها كانت معروفة بمضمونها ومفهومها الذى نعرفه اليوم .ولقد مارسها المسلمون الاوائل مع أعدائهم ، ومارسها اعداؤهم معهم . وفى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة صور من أنواع الحرب النفسية التى كان يمارسها كل من الفريقين نحو الاخر .

ولقد قامت الحرب النفسية التى واجه بها المسلمون أعداءهم فى صدر الاسلام على ثلاث ركائز :

الركيزة الاولى : التعبئة الروحية أو النفسية .

الركيزة الثانية : الارهاق النفسى للعدو .

الركيزة الثالثة : المقاومة النفسية .

أما الركيزة الاولى : وهى التعبئة الروحية أو النفسية ، فكانت على أساليب شتى منها :

فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبي

اذكاء الروح القتالية فى قلوب المؤمنين ، بمثل قوله تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » (التوبة ١١١) . وقوله : « ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة ، أتخشونهم ؟ فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين . قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم » (التوبة ١٣ – ١٥) .

ومنها : ابراز شرف الشهادة فى سبيل الله : فقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرض جيش المسلمين فى غزوة بدر فقال ،

« والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة ، ومن قتل قتيلا فله سلبه » فقال عمير بن الحمام – وبيده تمرات يأكلها – : بخ بخ ، ما بينى وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلنى هؤلاء ، ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه وقاتل حتى قتل .

ومنها : التهوين من شأن العدو : كما قال تعالى : « اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور . واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور » (الانفال ٤٣ – ٤٤) .

وقوله : لن يضروكم الا أذى ، وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون » (آل عمران ١١١)

ومنها : شحن نفوس المؤمنين بالثقة فى النصر على عدوهم : كما فى قوله تعالى : « اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان » (الانفال ١٢) .

وقوله : « اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين . وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم . ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين » (آل عمران ١٢٤ – ١٢٧)

ومنها : حسن السياسة فى معاملة العدو : فان هذا مما يستميله الى الدخول فى الاسلام ، ففى غزوة بنى المصطلق أسر المسلمون الكثير من رجالهم ونسائهم ، وكان بين النساء برة بنت الحارث – سيد بنى المصطلق – فأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجعل المسلمين يمنون على النساء بالحرية من تلقاء انفسهم فتزوج برة بنت الحارث – التى سماها جويرية – فقال المسلمون : أصهار الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينبغى أسرهم فى أيدينا ، فمنوا عليهم بالعتق ، فكانت جويرية أيمن امرأة على قومها ، ونتج

عن هذه السياسة الحكيمة أن أسلم بنو المصطلق عن بكرة أبيهم ، وكانوا للمسلمين بعد أن كانوا عليهم .

وأما الركيزة الثانية : وهى الارهاق النفسى للعدو ، فقد أرشدنا القرآن الكريم الى الكثير من أساليبه فمن ذلك :

تخذيل العدو وتثبيطه عن القتال : فقد روى أن نعيم ابن مسعود الاشجعى - وكان صديقا لقريش واليهود - جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، انى قد أسلمت ، وان قومى لم يعلموا باسلامى ، فمرنى بما شئت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **انما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا أن استطعت ، فان الحرب خدعة** » فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة - وكان لهم نديما فى الجاهلية - فقال : يا بنى قريظة ، قد عرفتم ودى اياكم ، وخاصة ما بينى وبينكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم ، فقال لهم : ان قريشا وغطفان ليسوا كأنتم : البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فان رأوا نهزة أصابوها ، وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به ان خلا بكم ، فلا تقاتلوه مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم ، يكونوا بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه ، فقالوا له : لقد أشرت بالرأى .

ثم خرج نعيم حتى أتى قريشا ، فقال لابى سفيان ابن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمدا ، وانه قد بلغنى أمر قد رأيت على حقا أن أبلغكموه نصحا لكم ، فاكتموا عنى ، قالوا : نفعل ، قال : تعلموا ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه : انا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين : من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم فأرسل اليهم : أن نعم ، فان بعث اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا .

ثم خرج نعيم حتى أتى غطفان ، فقال : يا معشر غطفان ، انكم أصلى وعشيرتى ، وأحب الناس الى ، ولا أراكم تتهموننى ، قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم ، قال : فاكتموا عنى ، قالوا : نفعل ، فما أمرك ؟ ثم قال لهم مثل ما قال لقريش ، وحذرهم ما حذرهم .

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، وكان من صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورءوس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان ، فقالوا لهم : انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ فيما بيننا وبينه ، فأرسلوا اليهم : ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابه ما لم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا ، فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا بذلك منه ، فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان : والله ان الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحق ، فأرسلوا الى بنى قريظة : انا والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا ، فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل اليهم بهذا : ان الذى ذكر لكم نعيم بن ... لحق ، ما يريد القوم الا أن تقاتلوا ، فان رأوا فرصة انتهزوها ، وان كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم ، فأرسلوا الى قريش وغطفان : انا والله لا نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا ، فأبوا عليهم وخذل الله بينهم (سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٢٤٧ ـ ٢٥٠)

ومن ذلك أيضا بث الرعب والفزع فى قلوب الاعداء : وذلك يكون - مثلا - بضربة قاصمة لفريق منهم تنخلع لها قلوب من وراءهم خوفا وهلعا ، كما قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « **فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون** » الانفال - ومن هنا قال عليه الصلاة والسلام : « **نصرت بالرعب مسيرة شهر** »

وأما الركيزة الثالثة : وهى المقاومة النفسية : فمما لاشك فيه أن المسلمين واجهوا ألوانا من الحرب النفسية من قبل أعدائهم ، وقد ذكر لنا القرآن الكريم الكثير من ذلك ، وأرشد الى وسائل اتقاء هذه الحرب ومقاومتها :

فمثلا لما انتهت غزوة أحد قال أبو سفيان للمسلمين : موعدنا العام المقبل ، فلما حل الموعد لم يتمكن أبو سفيان من الخروج للحرب ، فأراد أن يخذل المسلمين عن الخروج ، فاستأجر نعيم بن مسعود الاشجعى - قبل اسلامه - ليأتى المدينة ويشيع بين المسلمين : أن أبا سفيان جمع لهم جموعا لا قبل لهم بها ليتخاذلوا عن الخروج للحرب ، فلم يأبه النبى ولا أصحابه بهذه الشائعة ، بل زادتهم يقينا بالله وثقة بنصره ، فخرجوا للحرب وكان النصر حليفهم ، وفى هذا يقول الله تعالى : « **الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . انما ذلكم**

الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين » (آل عمران ـ ۱۷۳ ـ ١٧٥)

وكثيرا ما يكشف القرآن الكريم عن حقيقة هؤلاء المخذلين ونواياهم الخبيثة ليحذر المؤمنون شرهم ولا يأبهوا بحملات التخذيل والتشكيك التى يقومون بها . فمن ذلك ـ مثلا ـ ان عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر نفاقا وخداعا ، ثم تراجع ومعه ثلاثمائة من أصحابه وهو يقول : « لو نعلم قتالا لا تبعناكم » يريد بذلك أن يربك المؤمنين ويوقع الخلل فى صفوفهم ، والهزيمة فى نفوسهم . فكشف الله أمره وفضح سره بقوله عنه وعن أصحابه : « **هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان ، يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ، والله أعلم بما يكتمون** » (آل عمران ـ ١٦٧) .

ولقد نجد القرآن الكريم يدعو المسلمين الى تطهير صفوفهم من دعاة الانهزام حتى لا تسرى سمومهم بين جماعة المسلمين :

فمن ذلك ـ مثلا ـ قوله تعالى : « **فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، وقالوا لا تنفروا فى الحر ، قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون . فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا . ولن تقاتلوا معى عدوا ، انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين** » (التوبة) .

ولقد كان أعداء الاسلام يطلقون الشائعات الخبيثة بين المسلمين لتشكيكهم فى نبيهم وتحطيم ثقتهم فيه ، كما حدث فى قصة الافك التى اختلقها وأشاعها عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين ، فقد قال حينما مر عليه صفوان بن المعطل وعائشة فى هودجها : « امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها ، والله ما نجت منه ولا نجا منها » وتلقى المرجفون فى المدينة هذه القالة المسمومة بألسنتهم ، وأشاعوها بسوء نية وخبث طوية ، فاذا بالقرآن الكريم يتصدى لهذه الشائعة الخبيثة فيبين زيفها وكذبها ، وينحى باللائمة على من اختلقها وأذاعها ، ويتوجه بالتوبيخ العنيف الى من سارع الى تصديقها من جماعة المسلمين ، وكان أولى بهم أن يسارعوا الى تكذيبها ويظنوا خيرا بزوجة نبيهم ، وفى هذا يقول الله تعالى : « **ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم ، لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم ، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم . لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين** » .. الى أن قال : « اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم . ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم . يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين » (النور ـ ١١ ـ ١٧) .

مما تقدم نستطيع أن نقول : ان القرآن الكريم قد أرشدنا الى خير الوسائل وأنجحها فى مقاومة الحرب النفسية التى يشنها علينا أعداؤنا ، وهى :

أولا : أن نثق فى الله ثم فى أنفسنا ، وأن نستشعر دائما أننا ندافع عن حقنا وأعداؤنا يدافعون عن باطلهم ، وأننا حزب الرحمن وهم حزب الشيطان ، وأن الله لن يتخلى عن أوليائه . كما قال عز من قائل : « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد » (غافر ـ ٥١) .

ثانيا : أن نقضى على حملات التشكيك التى تستهدف زعزعة ثقتنا فى أنفسنا وفى قادتنا وولاة الامر منا .

ثالثا : أن نصم آذاننا عن الشائعات ولا نلقى لها بالا ، وأن نقضى عليها فى مهدها ، وما شاع منها نكشف عن زيفه حتى لا ينطلى على من يسارعون الى تصديقها .

رابعا : أن نطهر صفوفنا من دعاة الانهزام والمخذلين ، فان هؤلاء شر علينا من أعدائنا .

ذلك هو واجبنا كأمة ، وهو بعينه واجبنا كأفراد ، ويوم يعرف كل منا واجبه نحو وطنه وأمته ويقوم به على الوجه الاكمل ... ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

الجهاد

قمة الايمان

الجهاد شرعة الله ، وطريق المجد والرفعة والخلود ، وسمة الرجـولة والاباء ، وقد اقتضت حكمة الحكيم الخبير أن يخلق الانسان والجـن لتقديسه وعبادته كما يقول جل شأنه : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » خلقهم وهـو الغنـى عنهم جميعـا ليخوضوا تجربة لابد منها حتى يتميز الخبيث من الطيب فيهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حى عن بينة ، يمرح فى رياض الرضوان من أقبل على العمل ، وأخلص فيه ، وعرف أن له ربا أغدق عليه نعما لا تعد فاستحق أن يطاع ويبذل فى سبيل مرضاته سبحانه كل ما يستطاع من الجهد ، وعلى الطـرف الاخر يتجرع كؤوس الحسرة والندامة ، ويصطلى بعذاب الله الاليم من اتبع نفسه هواها ، وأعرض عن ذكر الله ، فلم يقدم عملا يشفع له يوم الحساب والجزاء « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير • الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور » •

فضيلة الشيخ
فراج احمد درديـر

وطاعة الله التى هى مناط القرب والبعد من رحمة الله تتمثل فى العبادة ، والعبادة بذل الجهد فى كل ما يرضى رب العالمين ، وحبس النفس والهوى عن الميل مع الشهوات ، واقتراف الاثام ، ومن رحمة الله بعباده أن جعل طريق التقوى صنوفا حتى اذا عجزت قدرة العبد عن جانب كان له مأوى فى الجوانب الاخرى فمنها جانب بدنى يظهر فى تلك الحركات التى يقوم بها المصلى ويتقدمها طهارة قد تقتضى منـه احتمال برودة الماء فى ليالى الشتاء ، الى ما يتحمله الحاج من حل وترحال ، وسير فى مناسكه عند السعى والطواف والغبرة والشعث ، ومجافاة حياة الراحة والنعيم مع التعرض لتقلبات الجو بين الحر والقر احتسابا لوجه الله ، ومنها جانب مالى يبدو فى ايتاء الزكاة ، وتقديم الصدقات وغير ذلك من جوانب الانفاق • وهناك جانب آخر يتعلق بالنفس ، ومحاربة ميولها مع السـوء ، ووقـوعها فى الشـهوات ، وانغماسها فى الملـذات المحرمة بايقافهـا عنـد حدودها ، والحيلولة بينها وبين ما رغبها الشيطان فيه ، وزينه لها •

والكلمة لها مكان بين المال ، والبدن ، وتطهير النفس فى دعوة الى سبيل الله المستقيم ، أو كلمة حق بين يدى طاغية لا يعرف معنى الحق ، أو كلمة طيبة تصلح ذات البين ، على أن هذه الجوانب كلها لا تعدو التضحية والحرمان من طرف يسير فى محيط الحياة ، أما الجهاد فانه نزول عن الحياة نفسها وفرق بين تقديم قسط من الحياة ، وزهد فى جوهر الحياة •

واذا علمنا ان العدالة الالهية تكافئ على الذرة من الخير ، وتحاسب على الذرة من الشر بميزان لا يحس احساسه ميزان آخر ، وأن الجزاء وفاق لما قدم العامل ، أدركنا أن المجاهد الذى حمل روحه فى كفه ، وقدمها راضية نفسه ، وجاد بها فى سبيل الله ، والجود بالنفس أسمى درجات الجود ، فلا عجب أن يكون الجهاد فى أعلى درجات الايمان ، والجهاد مأخوذ من الجهد وهو بذل أقصى ما يصل اليه البذل من ارهاق وتعب ومشقة ، الجهاد يبدأ بتهيئة النفس وتخليصها من المعوقات ، ثم التوجه الى الميدان وما فيه من كفاح وجراحات ، وينتهى الى احدى الحسنيين عزة ونصر ، أو استشهاد فى سبيل الله ، مجد وسؤدد وسعادة فى الاولى ، او جنات عرضها السموات والارض فى الاخرة ، فيها من النعيم ما لا يستطيع رسم حدوده عقل أو خيال ، ومن أجل ذلك يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه كما جاء فى الصحيحين ومسند الامام أحمد : **لغدوة او روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها** • والغدوة خرجة ساعة الملاقاة العدو أول النهار ، فاذا كانت آخر النهار فهى الروحة ، وكأنه يقول : وقفة واحدة فى ساحة الجهاد فى وقت ما من ليل او نهار أفضل وأطيب من

الدنيا بحذافيرها ، وجميع ما فيها من مال وزينة ومتاع .

والحق أن هذه الوقفة جزاؤها عند الله نصيب غير عادى فى جنة الخلود ، وهذه الدنيا الزائلة لا تساوى شيئا ولو قل من نعيم الجنة ، فان الدنيا غرور ومتاع قليل ، أو هى لهو ولعب لا دوام له ولا غناء فيه ، بل أن الدنيا وما فيها ، ومثل ذلك معه لو حيزت لظالم يوم القيامه لقدمها فداء لما يلاقيه من العذاب ، غير طامع فى شىء من النعيم والثواب كما قال رب العزة : « **ولو أن للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب** » . وهذا التقدير الدقيق دعا المحققين من العلماء لفهم الحديث الشريف على جهة أن الدنيا وما فيها لو هيىء لامرىء أن يملكها فانفقها فى سبيل الله لرجحتها غدوة أو روحة لاعلاء كلمة الله ، ونال الغادى أو الرائح دورا أكبر من الجزاء .

فاذا جاوزنا جانب الانفاق الى جهة العبادات ، وجدنا الجهاد يحتفظ بمنزلته ، ويستمسك بمكانته ، وحسبنا أن نعقد مقارنة بينه وبين الصلاة وهى لب العبادات ، وفى طليعتها ، وقد دعت اليها الشريعة الاسلامية فى تصميم قوى ، وترغيب شديد حين جعلتها فيصلا بين الكفر والايمان ، وقد جاء أنها أول ما يحاسب عليه الانسان يوم الحساب ، فان وجدت كاملة قبلت وسائر عمله ، والا ردت وسائر عمله كذلك ، ورغم هذه العناية ، والشدة فى الطلب ، فانها تقف دون الجهاد ولا تنال مناله ، فقد روى ان رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بشعب فيه عين من ماء عذبة فأعجبته لطيبها ، فقال : لو اعتزلت الناس فأقمت فى هذا الشعب ، ولن أفعل حتى استأذن رسول الله عليه السلام ، فذكر ذلك لحبيب الله صلى الله عليه وسلم فقال : **لا تفعل فان مقام احدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما . ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ اغزوا فى سبيل الله ، من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة** ، كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جيشا فيهم عبد الله بن رواحة فتأخر قليلا ليشهد الصلاة مع رسول الله عليه السلام ، فقال له صلى الله عليه وسلم : **والذى نفسى بيده لو أنفقت ملء الارض ما أدركت فضل غدوتهم** ، وهذا دليل قوى على تسامى الجهاد على كل من الصلاة والانفاق ومهما بلغا من الفضل والزيادة ومما هو متصل بهذا ما رواه الامام احمد فى مسنده : ان عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : **سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : حرس ليلة فى سبيل الله أفضل من ألف ليلة بقيام ليلها ، وصيام نهارها** ، كل هذه أحاديث واضحة متضافرة تشيد بمكانة الجهاد فى أقرب صوره وأقلها ، ومنزلته من الصلاة وقد تجمعت لها عوامل الامتياز والكثرة مما يدل على أن منزلة الجهاد بين العبادات هى منزلته بين سائر الطاعات ، المنزلة العليا ، والمكان الرفيع ، وكلما جد الجادون فيه ، وتنافسوا فى تقديم التضحيات علا قدرهم ، وغلا جزاؤهم ، فاذا استوفى حقه ، وتكاملت أركانه ، وبلغ ما يحبه طلاب الحق ، والمتفانون فى الذود عن حياضه ، والمتسابقون فى الفداء كان لهم الذكر والاجر كفاء ما قدموا ، فالصف الاول فى الملحمة لا يدانيه الصف الثانى ، ولم يكن الترغيب فى الصف الاول فى الصلاة الا نموذجا ، وتدريبا ، وتمهيدا للقتال يوم الزحف ، وقد روى شيخ المحدثين الامام البخارى والامام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **ان الجنة تحت ظلال السيوف** ، والذى يفهم من تلك العبارة البليغة البارعة « تحت ظلال السيوف » أن يبادر الطامعون فى الجنة ونعيمها الى أدنى مكان من العدو ، وعلى قيد خطوة منه بحيث اذا رفع سيفه كان فى متناول ظله ، وهذه وقفة الصناديد من الرجال ، ومن ملئت قلوبهم ثقة وايمانا فهم يحرصون على الموت حتى توهب لهم الحياة .

من ذا الذى يسمع صيحة الاسلام عالية مدوية الى حمل السلاح دفاعا عن الحق ، ولا يدفعه ايمانه ورجولته الى اقتحام الاخطار وخوض المعامع حتى تكون له ثمرات البطولة ، من ذا الذى يعرف ما أعده الله من منازل التكريم للشهداء ، ولا يندفع كالسهم المارق ، والسيل المتدفق لتسديد الضربات القوية ، وتلقى الطعنات عسى أن ينال حظه الموفور ، وجزاءه العظيم ، ويتمم تلك الصفقة الرابحة مع الله ، التى تكفل سبحانه بالوفاء بها ، ووضحها فى كتبه المنزلة من أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فضلا منه وكرما ، ومن أوفى بعهده من الله ، لا تحسبن أيها الشهيد فى المعركة أنك فقدت الحياة ، وقد انتقلت من منغصاتها وأكدارها الى حياة دائمة كلها أمن ونعيم ، ورضا وسعادة كما يقول جل شأنه :

« **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين** » . ليست الغاية التى لا غاية غيرها من الجهاد الموت وما فيه من ذكر ودرجات ولكنها غاية من غايتين ، احداهما وأكثرهما تحققا الوصول الى حياة العزة والمنعة ، ليست ويلات الحروب وآلامها تخص فريقا دون آخر ، ولكنها تصيب كلا الفريقين وتنال شظاياها كلا من الجمعين ، بيد أن أقلهما خسرا ، وأيسرهما كلما ، وأكثرهما عزا ونصرا ذلك الفريق الذى أمن بقضيته ،

واعتصم بالصبر والاحتمال ، فاذا كان الايمان بالقضية مستمدا من الايمان بالله كان أصلب عودا ، وأقرب نصرا ، وأوفر أجرا ، ولنذكر قول أصدق القائلين : « ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون ، وكان الله عليما حكيما » .

قول يصدر عن العلم والحكمة ، وليس وراء العلم والحكمة ضمان لليقين والحق والصواب ، استمسك أسلافنا الاوائل بتعاليم دينهم ، وحرصوا على الجهاد فلزموا ظهور خيولهم ، وداوموا شرع أسلحتهم دفاعا عن الحق ، ودعوة اليه ، فلازمهم الفلاح والنجاح ، ودانت لهم الدنيا ، وانقادت لهم الامال ولما غفلوا عن ذلك طمع فيهم الطامعون ، وتداعت عليهم الاكلة فخف وزنهم واندكت معالمهم وتطامنت مكانتهم حتى شاء الله أن يعيد اليهم مجدهم ، ويبعث عزهم ، فتجمعوا حول كلمة الله ، وأحيوا فريضة الجهاد بعد أن رأوا بأعينهم ما تورطوا فيه من الميل الى الدعة ، وتفرق الكلمة ، فأيقظهم هذا الصلف لبعيد ، والغرور الاعمى ، من طغمة من البشر تجمعت من شتات الارض ، واستباحت الحرمات ، وداست المقدسات ، ونفرت من الحق نفورا شديدا حتى قال ممثلهم فى هيئة الامم المتحدة : لو أن تسع عشرة ومائة أمة من الامم العشرين والمائة أصدرت قرارا فان اسرائيل لا ترتضيه ما لم يتفق مع مصالحها . وهكذا استشرى عنادها البغيض ، ولم يردعها عن أشرها واستخفافها الا عزمة من عزمات الجهاد ، وصيحة من صيحات الحق فى معركة تجمعت فيها عوامل السداد والتوفيق ، وناصرتها عناية الله القوى العزيز ، فوفرت لها قيادة حكيمة ، وجندا مخلصين تزودوا بالبأس وقوة العزيمة ، قيادة فكرت فأطالت التفكير ، ودبرت فأحكمت التدبير حتى ظن بعض المتعجلين أنها نامت عن الثأر ، أو تهاونت فى الدفاع عن الحق ، فلم يقطع ذلك تفكيرها ، أو يشغلها عن الاعداد لمصيرها ، سارت فى طريقها ، فهيأت الرأى العالمى ، وجمعت الكلمة ، ودربت الجند ، وأعدت العتاد ، فى ايمان عميق بالله ، وفى صمت وكتمان عجيب ، حتى حانت الساعة ، وسنحت الفرصة عندما حاول العدو فى بغية وغشمة ان يحرز نصرا جديدا ، ويضم أرضا أخرى ، فصدر أمر القيادة المؤمنة الحازمة برد العدوان ، وتلقفه بشغف جند الله البواسل ، وأسوده الكواسر ، فانقضوا على أعدائهم انقضاض النسور ، يخوضون بحارا من الماء ، ويتسورون جدارا ترابيا عاليا اقامه الخصوم ، ليقتحموا بعد ذلك بحورا أخرى من الحديد والنار والدماء ، وينسفوا حصونا بالغ العدو فى اعدادها ، وانفق الكثير من أمواله - وهو الضنين بالمال - فى سبيل تدعيمها وتحصينها ، وانطلقت من حولها الاساطير تهتف أنها صروح من السعير والصواعق تصعق من حام حولها ، ولو بالغ فى مضاعفة الدروع والتروس ، ولكن جنود الله وقد عزموا « تحفهم رعاية الله » على محو هذه الاسطورة وتوجيه الروع الاليم لمن احتمى بها ، وبمهارة بارعة فى استخدام أحدث ما أبدعته البشرية من سلاح ، وبايمان خالص يملأ قلوبهم كما ملأ قلوب الذين سبقوهم بالايمان ، أحدثوا الاعاجيب . وغيروا أساليب الحروب ، فدكوا هذه المعاقل والعوائق المطبوع منها والمصنوع ، وضربوا ضربة اهتز لها اعجاب الدنيا ، وطارت من حولها شعاعا قلوب المتغطرسين والمتعجرفين من الصهاينة ومسانديهم ممن طمس الله قلوبهم فأعماهم وأصمهم عن كل عدل أو صواب ، فلما أدمى قلوبهم السهم وغشيتهم الذلة على ضفاف القنال ، وعلى مشارف الجولان أخذوا يتخبطون فى أقوالهم يبعثرونها يمينا وشمالا شرقا وغربا دون مبالاة بلياقة أو مراعاة لسلامة التقدير والتعبير ، حتى دفعت شدة الصدمة رئيس دولة عظمى ان يلمز حلفاءه واصدقاءه بجارح القول لانهم لم يندفعوا كما اندفع ، ولم يتورطوا كما تورط ، وينسى نفسه وما يعول فينزعه الحق الى تعليل موقف رفاقه عن غير قصد فيقول : ان أوربا التى تعتمد على الشرق الاوسط فى ٨٠ فى المائة من بترولها ستتجمد حتى الموت من شدة البرد هذا الشتاء اذا لم تتم تسوية أزمة الشرق الاوسط . سبحانك ربى تفجر المياه من الصخر ، وتبعث الشرر من الجليد ، وتهب الاحساس بشعور الاخرين عند من فقد الاحساس المميز بين النور والظلام ، والضلال والرشد وان المال مهما طال ، والسلاح مهما تجدد ، والعدد مهما كثر فلن يحول بين صاحبه وبين الذلة والهزيمة ، اذا لم يعرف معنى الصدق والشرف ، وينزه نفسه عن الخداع والمراوغة والكذب .

لقد خاضت جيوشنا فى مصر وسوريا معركة العزة والشرف ببطولة نادرة ، وببسالة ستكون حديث التاريخ ، وكانت حصيلة الايام العشرة الاولى تحطيم الكبرياء المزيف ، وانهيار بيت العنكبوت الذى نسج بأيدى الاستعمار وقواعده كما كانت هذه الايام بوتقة أظهرت معدن العربى الاصيل مما اجبر الامم على احترامه بما فى ذلك أئمة الضلال والطغيان ، وأكبر ما أحرزناه من كسب تلك الوحدة ، وذلك الترابط بين جوانب الامة العربية بشكل لم يسبق له مثيل من لدن فتنة قتل خليفة رسول الله عثمان بن عفان ، فلنحافظ على هذا الكسب بالصمود الذى لا يعرف التراخى ، والعزم الذى لا يلين ، واليقظة التى لا تفتر حتى نحقق لامتنا المجد الذى يتناسب مع تاريخها ومبادئها وشرائعها . وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين .

وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُه

قال الله : تبارك وتعالى : فى كتابه العزيز : (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز) .

والله : عز وجل ، الذى له : وحده ـ عاقبة الامور لا نصر الا منه : جل علاه : (ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ، (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) .

وقد وعد : تعالى ـ بنصرة ـ من ينصره : كما هو صريح القول الكريم : فى الذكر الحكيم ، ويتحقق نصره : جل شأنه ، ويكون ـ بنصر دينه :

ومن نصر دينه : سبحانه ـ اقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر : قال : جل شأنه : فى عقب وعده بنصر من ينصره : (الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور) .

فضيلة الشيخ محمود مصطفى أبو العلا

ومن نصر دين الله ـ تحرير أهل دينه الارض المغتصبة منهم ، واستردادها من أيدى المغتصبين الظالمين : فاول ما نزل : من القرآن الكريم : بالاذن بالقتال ـ قوله : سبحانه وتعالى : **(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله)** ، وقد كان أصحاب رسول الله : صلى الله عليه وسلم ـ قبل نزول ذلك القول الكريم ـ يؤذيهم المشركون ، فيأتونه : صلوات الله وسلامه عليه : يتظلمون اليه ، فيقول لهم : اصبروا ، فانى ـ لم أومر بالقتال ، حتى هاجر ، فانزل ذلك القول : **يعلن أن القتال ، الذى شرعه دين الاسلام ، وخاض معاركه رسوله : عليه الصلاة ، والسلام ، وصحابته الكرام ، ومن تبعهم ـ هو أشرف أنواع القتال ، فانه ـ يكون لحماية الحق ، ورد المظالم ، ودفع الجبابرة وكسرهم ، ورد العدوان وقمعه .**

وما أعظم عاقبة من يقاتل هذا القتال : بينها الله تبارك وتعالى ، فقال : **(قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون) .**

أى هل تنتظرون بنا الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب ، وهما النصرة والشهادة ، ونحن ـ معشر المؤمنين ـ ننتظر بكم احدى السوأيين ، وهما : **(ان يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بعذاب بأيدينا)** وهو القتل على الكفر ، فانتظروا ما هو عاقبتنا : انا معكم منتظرون ما هو عاقبتكم وبالنصرة ـ تتحقق عزة الامة ، وكرامتها ، وحريتها ، وارتفاع كلمتها وسماعها وعلو مكانتها فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة ، وطيب حياتيها : الاولى ، والاخرة ، والله تعالى يقول : **(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) .**

وأمة الايمان ، ذات العمل الحميد ، والمنهاج المجيد - حرية بكل تلك الثمار الطيبة ، التى يجنيها المنتصر ، وقد قال تعالى : (**انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد**) أى ويوم القيامة ، ويوم يقوم الذين يشهدون : من الملائكة ، والانبياء ، والمؤمنين - على الامم ، والافراد - بما كانوا يفعلون فى الدنيا .

فأمة الايمان ، الصالحة الاعمال - هم جند الله ، الجديرون بعنايته ، ورعايته ، ونصره ، وقد قال تعالى : (**وكان حقا علينا نصر المؤمنين**) ، وقال : جل شأنه : (**ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون**) .

ولا ريب أن النصرة ، والفوز بانهزام الاعداء - نعمة عظيمة ، وفيها - قال : تبارك وتعالى : (**وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين**) .

وكذلك الشهادة نعمة عظيمة ، بل مزاياها وعوائدها - أفخم ، وأضخم ، وفضلها أجل ، وأكرم . واذا كانت نعمة النصرة - محدودة بالدنيا ، وهى فانية - فنعمة الشهادة - تابعة للاخرة الباقية ، والله تعالى يقول : (**والاخرة خير وأبقى**) .

ولذلك - أحب الشهادة كملة المؤمنين ، وحرصوا عليها ، فجاهدوا فى سبيل الله مستبسلين ، بل سألوا الله تعالى أن يمن عليهم بها .

وفى الترغيب فى سؤال الشهادة فى سبيل الله تعالى - روى مسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة : عن سهل بن حنيف : رضى الله عنه - أن رسول الله : صلى الله عليه وسلم - قال : (**من سأل الله تعالى الشهادة بصدق - بلغه الله منازل الشهداء - وان مات على فراشه**) . وروى أبو داود ، والترمذى ، وقال : حديث حسن ، صحيح : عن **معاذ بن جبل : رضى الله عنه - أنه - سمع رسول الله : صلى الله عليه وسلم - يقول : (من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة - فقد وجبت له الجنة . ومن سأل الله القتل من نفسه صادقا ثم مات أو قتل - فان له أجر شهيد . ومن جرح جرحا فى سبيل الله ، أو نكب نكبة - فانها تجىء يوم القيامة كأغزر ما كانت : لونها - لون الزعفران ، وريحها - ريح المسك**) ، وفواق الناقة : بضم الفاء وتخفيف الواو - هو ما بين رفع يد الحالب عن الضرع حال الحلب ووضعها ، وقيل : هو ما بين الحلبتين . وكيف لا يرغب فى الشهادة المؤمن العاقل ، المتدبر لما رواه البخارى ، ومسلم والترمذى : عن أنس : رضى الله عنه - أن النبى : صلى الله عليه وسلم - قال : (**ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا - وان له ما على الارض : من شىء - الا الشهيد ، فانه يتمنى أن يرجع الى الدنيا ، فيقتل عشر مرات : لما يرى : من الكرامة**) : وفى رواية - (لما يرى : من فضل الشهادة) .

ولفضل الشهادة ، وعظم كرامة الشهيد - أعلن : صلوات الله . وسلامه عليه - أنه - يود الغزو فى سبيل الله مرات : مع قتله فيها : روى البخارى ، ومسلم : عن أبى هريرة : رضى الله عنه - أن رسول الله : صلى الله عليه وسلم - قال : (**والذى نفس محمد بيده - لوددت أن أغزو فى سبيل الله ، فأقتل ، ثم أغزو ، فأقتل ، ثم أغزو ، فأقتل**) . وروى الترمذى ، وحسنه ، وابن ماجه : باسناد حسن : أيضا ، والحاكم ، وقال : صحيح الاسناد : عن جابر ابن عبد الله : رضى الله عنهما : قال (**لما قتل عبد الله ابن عمرو بن حرام - يوم أحد - قال رسول الله** : صلى الله عليه وسلم : يا جابر : ألا أخبرك - ما قال الله لابيك : قلت : بلى : قال : ما كلم الله احدا الامن وراء حجاب . وكلم اباك كفاحا ، فقال : يا عبد الله : تمن على - أعطك . قال : يا رب تحيينى . فأقتل فيك ثانيه . قال : انه - سبق منى انهم اليها لا يرجعون . قال : يارب فابلغ من ورائى ، فانزل الله هذه الايات (**ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين**) ، ومعنى : ما كلم الله أحدا أى من الشهداء مطلقا ، أو من شهداء أحد ، وقوله : كفاحا : بكسر الكاف - أى مواجهة ليس بينهما حجاب ، ولا رسول . وروى الامام أحمد : باسناد حسن : عن عبادة بن الصامت : رضى الله عنه : قال : قال رسول الله : صلى الله عليه وسلم : (**أن للشهيد عند الله سبع خصال : أن يغفر له فى أول دفعه من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويحلى حلة الايمان ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الاكبر : ويوضع على رأسه تاج الوقار : الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنين وسبعين زوجة : من الحور العين ، ويشفع فى سبعين انسانا : من أقاربه**) .

ومن أسلافنا الابطال المؤمنين ، الذين أحبوا الشهادة ، وحرصوا عليها ، وهانت عليهم حياتهم فى سبيلها - النعمان بن مقرن : ولاه أمير المؤمنين ، عمر ابن الخطاب : رضى الله عنه - جمع الزكاة من أهل كسكر ، ورأى المال الكثير ، والدنيا العريضة تتزين له ، وترواده ، فاستعصم ، ونأى عنها بجانبه ، وكتب الى عمر : رضى الله عنه : يقول : يا أمير المؤمنين . ان مثلى ، ومثل كسكر - مثل رجل شاب - عنده مومس - مجاهرة بالفجور - تتلون له ، وتتعطر ، وانى أنشدك الله : أسألك به مقسما عليك : لما - الا - عزلتنى عن كسكر ، وبعثتنى فى جيش من جيوش المسلمين ، فأعجب عمر : رضى الله عنه : بهذا الضمير الحى ، الذى لا يريد لصاحبه أن يكسب حراما ، أو يقع فى فتنة المال ، ويغضب الكبير المتعال ، ورأى أن صاحب ذلك الضمير - جدير بنصر العلى الكبير ، **فكتب اليه - أن يسير الى نهاوند : من بلاد الفرس . وأن يكون أميرا لجيشها . ولما وصل اليها - قال لجنده : سأهز الراية ثلاثا : أما الاولى** -

فليقض الرجل حاجته ، وليجدد وضوءه ، وأما الثانية – فلينظر الرجل شسع نعله ، أى الخيط الذى تثبت به النعل فى الرجل ، ويرم – أى يصلح – سلاحه ، فاذا هززت الثالثة – فاحملوا ، ثم قال : ولا يلوين أحد على أحد – أى ولا يقفن أحد لاحد ، ولا ينتظره – وان قتل النعمان بن مقرن – يعنى نفسه – فلا يلوين أحد عليه ، وانى داع الله بدعوة ، فأقسمت على كل امرىء منكم لما – الا – أمن عليها – أى قال: آمين ، أى اللهم استجب ، ثم دعا ، فقال : (اللهم أرزق النعمان اليوم شهادة : فى نصر ، وفتح : على المسلمين) ، فتكهرب المعسكر بهذه الدعوة الرائعة ، وارتجت جوانب الجيش بالتأمين عليها ، فكان النعمان أول قتيل فى المعركة ، وفتح الله على المسلمين ، ونصرهمفى ذلك اليوم نصرا عزيزا مؤزرا قويا ، فقد بعثهم حال النعمان ، ومقاله على الاستبسال ، فاندفعوا يقاتلون غير مبالين بالحياة ، راغبين فى الشهادة ، والموت فى سبيل الله ، فكانت تلك العاقبة الحسنى .

وهكذا الحرص على الشهادة – يبعث على الثبات أمام العدو ، وقتاله باستبسال ، واستقتال ، فيضعف عزمه ، ويصاب بالرعب ، فينكسر ، ولذلك – قال الخليفة الاول ، أبو بكر الصديق : لخالد بن الوليد : (احرص على الموت توهب لك الحياة ، واذكر أن السلامة فى الاقدام ، والردى فى الاحجام) .

ومع مزايا الشهادة الكثيرة – مزية أن الموت على الشهادة هو أهون أنواع الموت ، فان الله : تبارك – وتعالى – يهون الموت على الشهيد ، حتى لا يجد له ألما الا كالم القرصة : روى الترمذى ، وقال : حديث حسن ، صحيح ، والنسائى ، وابن ماجه ، وابن حبان : فى صحيحه : عن أبى هريرة : رضى الله عنه: قال : قال رسول الله : صلى الله عليه وسلم : (ما يجد الشهيد من مس القتل الا كما يجد أحدكم من مس القرصة) .

وبعد : فالحرص على الشهادة – من الوسائل الجيدة ، والعدد المستطاعة ، التى بها يحقق الله تعالى – لناصريه – النصر على الاعداء .

ومن الوسائل أيضا : لتحقيق النصر على الاعداء – القاؤه : جل علاه – الرعب فى قلوبهم ، وتثبيته جل وعز : بالملائكة – للمؤمنين : قال تعالى : (اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان) أى جزوا رقابهم ، واقطعوا أطرافهم .

فكما يتوسل : للنصر على العدو – بكثرة الابطال ، وقوة العدد – يتوسل – لذلك – بالقوة المعنوية ، بل هى أساس جدوى القوة المادية ، فالسيف – لا يعمل فى يد الجبان ، وانما تفتك الاسلحة فى أيدى الشجعان ، وتبعد عار الهزيمة ، وتدفع ذل الخسران .

ولذلك – كلف الله المؤمنين المجاهدين فى سبيله – ما فيه قوة عزائمهم وأرواحهم : قال تعالى : (يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) أى يأيها الذين آمنوا : اذا لقيتم جماعة محاربة لكم – فاثبتوا للقائهم ، وأكثروا من ذكر الله : فى مواطن الحرب : داعين له تعالى ، ومستظهرين بذكره ، ومترقبين لنصره ، والتزموا طاعته تعالى ، وطاعة رسوله ، واجتنبوا التنازع : باختلاف الاراء : حتى لا تجبنوا ، ولا تذهب قوتكم ، وتدرعوا بالصبر : ان الله – يشمل الصابرين بعنايته . ونصره : (وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم) .

فمن نصره الله – انتصر : مهما قل عدده ، ولم تعظم عدته ، وان كان عدوه – كثير العدد ، عظيم الاستعداد : (ان الله على كل شىء قدير) ، وقد نصر : سبحانه – النبى وصحبه بغزوة بدر – وكانوا قلة – على قريش – وكانوا كثرة : قال تعالى : (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) ، وصدق الله العظيم : اذ قال : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) .

فلا عجب ان اقتحم جند الله : من مصر – القنال ، واقتحموا خط بارليف ، ورفعوا – بسينا – علم مصر – كما تقدم أولئك الجند : من سوريا : فى مرتفعات الجولان .

وأولئك الجند : بنصر الله – لنصرهم : فى معركتهم – العدل ، الذى أمر تعالى به ، ودفعهم الظلم ، الذى نهى عنه : جل شأنه : – يسيرون – الى النصر المبين : أقوياء العزائم ، كبار الهمم : بطاعة الله ورسوله ، ونصر الدين : باتباع تعاليمه ، وقوة القلوب : بالصبر على الجهاد فى سبيل الله ، والايمان بصدق وعده : سبحانه – بنصر من ينصره ، وهزيمة الظالمين . الكافرين ، الذين يبذلون اموالهم : فى قتال المسلمين ، وفى الصد عن الحق المبين ، فقد قال : تبارك وتعالى : (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) .

ومن نصر الله – الجهاد فى سبيله : تعالى : بالنفس ، واللسان ، والمال : لاحراز النصر على أعداء الله ، القائل فى كتابه المبين : (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) ، وروى أبو داود : باسناد صحيح : عن أنس : رضى الله عنه – أن النبى : صلى الله عليه وسلم – قال : (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم ، وألسنتكم) : ومن الجهاد بالالسنة – رد مفتريات أعداء الله ، وتضليلاتهم ، وأراجيفهم ، التى تبلبل الافكار ، وتزعج النفوس .

وقد تكفل الله تعالى باخلاف ما ينفق المسلم فى سبيل الله : من خير : من أجل معركة العدل .

والحرية . والشرف : قال تعالى : (**وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين**) : ولذلك — لا يتخلف مؤمن صادق الايمان قويه — عن البذل من ماله ، ودمه — وهو قادر على ذلك ، وقد قال تعالى : (**انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون**) .

ومن أسلحة القتال — الدعاء : روى الحاكم ، وقال : صحيح الاسناد : عن أبي هريرة : رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**الدعاء سلاح المؤمن**) : احكاما دقيقا — أن يأخذ هو والمقاتلون معه في الدعاء . والتضرع . واستنجاز الله تعالى وعده ، وقال : صلوات الله وسلامه عليه : (**اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش ، واقامة الصلاة ، ونزول الغيث**) ، والغيث : المطر : روى هذا الحديث الامام الشافعي : رضى الله عنه : قال : (كنا مع رسول الله : صلى الله عليه وسلم في غزوة ، فلقى العدو ، فسمعته يقول : (**يا مالك يوم الدين ، اياك نعبد واياك نستعين**) : فلقد رأيت الرجال تصرع : تضربها الملائكة : من بين أيديها . ومن خلفها) ، وروى أبو داود ، والنسائي : عن أبي موسى الاشعري : رضى الله عنه — أن النبي : صلى الله عليه وسلم — كان اذا خاف قوما — قال : (**اللهم انا نجعلك في نحورهم ، ونعوذ بك من شرورهم**) .

والله أسأل أن **يزيد الامة الاسلامية استمساكا بنصره : في جهادها في سبيله ، حتى يتحقق لها النصر المبين ، الذى وعد : سبحانه . وتعالى — به (ولن يخلف الله وعده) : قال : جل شأنه ، وعز سلطانه : (يأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .**

بقية مقال هذا ما وعدنا الله ورسوله

أخرج النسائي أنه « يؤتى بالرجل من أهل الجنة . فيقول الله . يا ابن آدم كيف وجدت منزلك ؟ فيقول يا رب خير منزل فيقول له سل وتمن ، فيقول أسألك أن تردني الى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرات لما يرى من فضل الشهادة ،

ولنقرأ ونتدبر جميعا قول الله تبارك وتعالى « **ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** » .

سبحانك ربي ما أعظمك وأكرمك في هذه الصفقة الرابحة المجزية للغاية بينك وبين عبادك ، تشترى فيها النفس التي خلقتها والاموال التي رزقتها وتدفع ثمنها الجنة ،

روى عن الحسن بن علي وابن عباس رضى الله عنهما انهما قالا تعليقا على هذه الاية « **سبحان الله انفس هو خالقها واموال هو رازقها ثم يمنحنا عليها الجنة ، حقا نعمت الصفقة الرابحة** » .

والمقاتل على خط النار متعاقد مع الله في هذه الصفقة الكريمة الرابحة ، والباذل ماله في سبيل المعركة ، وامداد الجيش بكل ما يحتاجه من تموين وسلاح ، وراحة لاسر المقاتلين وقضاء حوائجهم ، متعاقد مع الله يقول عليه السلام « **من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازيا في أهله بخير فقد غزا** » **والقائم على حراسة المنشآت العامة والمرافق الهامة متعاقد مع الله يقول عليه السلام « عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله »** .

والعامل في المصنع والقائم على امداد الجيش بالذخيرة وكل وسائل القتال والتموين متعاقد مع الله . يقول عليه السلام « ان الله ليجزى بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ، صانعه ، ومناوله ، والرامى به » .

وبالقياس على هذا فكل من يبذل جهدا في سبيل المعركة بالفكرة الناضجة ، أو التوعية السليمة ، أو محاربة الشائعات ، أو التبرع بالدم أو العمل في الانقاذ والتمريض ، متعاقد مع الله « فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

« **هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله** » .

يا أبناء وطننا العزيز ، ويا أبناء العرب جميعا ، ويا أيها المسلمون في مشارق الارض ومغاربها ، ان لكم اخوة يرابطون على خط النار ، ويراقبون تصرفات العدو بحذر وقوة وعزيمة مصرين على احراز النصر ، ورفع راية الاسلام والسلام

فعبئوا جهودكم وابذلوا كل ما تستطيعون ، وكونوا دائما الاوفياء المخلصين لمن يدفعون راحتهم وأرواحهم فداء لكم ولاوطانكم ولدينكم ، فكل ذلك يعجل بساعة النصر الحاسم والسلام .

وان يوم النصر لقريب ان شاء الله .

صلح الحديبية
ومقدرة الرسول السياسية

فضيلة الشيخ
محمد هلال عبد الرسول

من الساعة التى اخرج فيهـا الرسول واصحابه منمكة بغير حق ونفوسهم تهفو الى زيـارة البيت الحرام الـذى جعله الله مثابة للناس وآمنا والذى يرمز الىوحدة المسلمين وكثيرا ماكان يرى رسول الله فى وجوه اصحابه شدةتأثرهم من هذا الفراق الذى لا ذنب لهم فيه الا انهم دعاة حق وأولو مبادىء قويمة واصحاب مثل رفيعة وتلك طبيعة الرجل الحر الابى الكـريم فالوطن عديل النفس والروح والمال والولد وقديما قال شوقى :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه
نازعتنى اليه فى الخلد نفسى

ولقد اثر عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه انه قال يوم أن ترك مكة فرارا بدين الله (**أتركك يا مكة والله يعلم أنك أحب ارض الله الى ولولا ان قومك أخرجونى ما خرجت**] فقد استعاد الكثير منذكرياتها التى هزت الكثير من عواطفه فلا ينسى أنه ولد فيها وتنفس هواءها واتصلت روحه فيها بالملا الاعلى ولقى فيها أخاه جبريل وفيها بشر بنور النبوة وشاء الله له أن يحمل كلمة الاسلام الاخيرة الى الناس أجمعين مصداق قول الله (**وما أرسلناك الا رحمة للعالمين**) ظل الرسول وأصحابه بالمدينة ست سنوات وهم يدعون الله أن يحقق أملهم بزيارة وطن الاسلام الاول الذى شعر فيه بالغربة ولقد حقق الله أملهم فلقد بشر الرسول الصفوة المختارة من أصحابه أنه رأى فى منامه أنهم سوف يدخلون المسجد الحرام آمنيـن محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون هدأت نفوسهم واستروحت أفئدتهم وامتثالا لاخراج هذه الرؤيا الى حيز الوجود طلب الرسول من أصحابه أن يتجهزوا لزيارة البيت الحرام فلبى دعوته من شرح الله صدره للايمان ونكث من فى قلبه مرض وفى عقيدته وهن خشية أن يلتقى الرسول مع قريش فى حرب قد تأكلهم ولقد كشف الله سترهم وقص ذلك فى قرآنه المجيد بقوله (**سيقول لك المخلفون من الاعراب شـغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا وزين ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا**] خرج الرسول وصحبه فى شهر ذى القعدة **من السنة السادسة للهجرة واستخلف على المدينة عبد** الله بن أم مكتوم ووضعوا السيوف فى أغمادها وساقوا أمامهم سبعين بدنة وكان عددهم على أصح الاقوال ألفا وأربعمائة وتدل الهيئة التى كان عليها الرسول وأصحابه أنهم لا يقصدون حربا انما كان قصدهم زيارة البيت الحرام الذى صدوا عنه هذه السنين الطوال وما أن وصلوا الى عسفان حتى تطاير الخبر الى قريش فأجمعوا أمرهم بينهم على أن يصدوا رسول الله ومن معه عن زيارة البيت الحرام مضحين فى سبيل ذلك بكل غال ومرتخص استجابة منهم لخلق التعصب الاعمى وطواعية لداعى نفوسهم الشريرة التى مرنت على التمرد على كل فضيلة ولقد أكد الرسول سوء طويتهم بقوله (**يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب ماذا لو خلوا بينى وبين سائر الناس فاز**

أصابونى كان الذى أرادوا وان أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الاسلام وافرين) سلك الرسول باصحابه ذات اليمين على مقربة من الحديبية فبركت ناقته فقال الناس خلأت فقال الرسول ما خلأت ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ثم زجر ناقته مغيرا وجهة سيره فوثبت الناقة وسار حتى نزل باقصى الحديبية وفى أثناء ذلك أرسلت قريش سفراءها الى رسول الله يسالون سر قدوم الرسول ومن معه الى مكة والرسول يجيبهم بأنه ما أتى الا زائرا بيت الله الكريم ولا يقصد حربا وكان من سفراء قريش عروة بن مسعود الثقفى سيد أهل الطائف ولقد كان غليظ الطبع جاف الاسلوب خشن العبارة ولقد نال منه ابو بكر ووجهه الى الطيب من القول وحسن العبارة ورقة الطبع .

وحينما رأى عروة تقاتل أصحاب رسول الله على ماء وضوئه ليتبركوا به وحسن استماعهم الى رسول المسلمين كان على رؤوسهم الطير لا يحدقون النظر فيه من فرط حيائهم منه وتقديرهم له ولقد نقل عروة ما رأى الى قومه قائلا والله يا معشر قريش جئت كسرى فى ملكه وقيصر فى عظمته فما رأيت ملكا فى قومه مثل محمد فى أصحابه ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشىء أبدا فانظروا رأيكم فانه عرض عليكم رشدا فاقبلوا ما عرض عليكم وانى لكم ناصح مع انى أخاف الا تنصروا عليه فكان رد قريش لا تتكلم بهذا ولكن نرده عامنا هذا ويرجع فى العام القادم وحرصا من رسول الله على بيان الحقيقة واضحة لقريش ارسل اليهم خراش بن أمية ليبلغهم رسالة محمد فأرادوا البطش به ولكنه وجد المنعة من قومه فلم يصب بسوء ثم أرسل الرسول عثمان بن عفان ليقوم أيضا بدور المبلغ الامين والناصح الرشيد لقريش علهم يرجعون الى داعى الحق ولما أتم عثمان تبليغ الرسالة عرضوا عليه أن يطوف بالبيت فلم يشأ ان يطوف الا تبعا لرسول الله وفى جواره ولما طال مقام عثمان عند قريش أشيع أنه قتل فأمر الرسول أصحابه بالاستعداد لقتال هؤلاء القوم أخذا بمبدأ القصاص ولقد هرول أصحاب رسول الله الى مبايعته وسميت هذه البيعة بيعة الرضوان ولقد سئل أحد المبايعين على أى شىء بايعتم رسول الله فقال بايعناه على الموت ولقد أثنى الله على أصحاب هذه البيعة وسجل ذلك فى قرآنه بقوله **(لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا)** وبينما هم على أهبة الاستعداد أقبل عثمان وأخيرا عرض سهيل بن عمرو سفير قريش شروط الصلح وتنحصر فى أمور أربعة . **الشرط الاول :** تقرير هدنة بين المسلمين وقريش مدتها عشر سنين .

الشرط الثانى : اذا لجأ رجل من قريش الى المسلمين فعليهم رده واذا فر واحد من المسلمين الى قريش فلا ترده .

الشرط الثالث : أن يعود المسلمون هذا العام ويعودوا فى العام القادم زائرين البيت الحرام بعد أن تخلى قريش مكة ليمكث بها الرسول وصحبه ثلاثة أيام ولا يكون معهم من السلاح الا السيوف فى أغمادها .

الشرط الرابع : من أراد أن يدخل فى عهد محمد من قريش فله ذلك ومن أراد أن يدخل فى عهد قريش فله ما أراد .

وبعد أن وافق الرسول على قواعد الصلح طلب من على بن ابى طالب أن يقوم بدور الكاتب واملى عليه - بسم الله الرحمن الرحيم - **فاعترض على ذلك سهيل وقال ان قريشا لا تؤمن الا باسمك اللهم فامر الرسول عليا ان يكتب ذلك ثم قال له اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو كنا نعرف أنك رسول الله ما قاتلناك وما صددناك عن البيت ولكن اكتب باسمك واسم أبيك فطلب الرسول من على ان يمحو لفظ رسول الله ولكنه عز عليه ذلك فمحاها رسول الله بنفسه ثم كتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمير .**

ولقد عز على أصحاب رسول الله وهم العرب أباة الضيم الذين يحملون بين جنوبهم نفوسا عزيزة كريمة تأبى الذلة فهم اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ولقد كان حديثهم فى ذلك همسا ثم اجمعوا امرهم بينهم على أن يفرغوا ما فى جعبتهم ويلقونه الى رسول الله فحدثوه قائلين كيف نرد الى المشركين من جاءنا منهم مسلما ولا يردون الينا من فر اليهم مرتدا فكان الرد النبوى **(ان من ذهب منا اليهم أبعده الله ومن جاءنا منهم فرددناه اليهم فسيجعل الله له مخرجا)** ومن الذين بلغ بهم التأثر مبلغه عمر بن الخطاب فقد حدث أبا بكر عما يحس به من اللوعة والحزن تجاه هذه الشروط فقال أبو بكر انه رسول الله وليس يعصى ربه وهو ناصره ولما لم يشف قول أبى بكر ما فى نفسه ذهب الى رسول الله وحدثه بذلك فقال له الرسول **(أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعنى)** ولقد كان الرسول وفيا لهذا الصلح فما أخلف موعدا وما نكث عهدا بل كان يعتبر الكلمة من الرجل الحر كالقيد الذى يقيد به نفسه وتطبيقا لهذه الشروط رد الرسول أبا جندل وكان قد منع من الهجرة الى المدينة وقال له الرسول **(انا قد عقدنا مع القوم صلحا واعطونا عهدا فلا نغدر بهم فاصبر واحتسب فان الله جاعل لك والمستضعفين مخرجا)** طلب الرسول من أصحابه أن يتحللوا ويعودوا الى الوطن الثانى لدولة الاسلام عز عليهم ذلك ولم يمتثلوا على الفور وكان لذلك وقع على رسول الله ولقد أثر أن الرسول قال لام سلمة - هلك المسلمون أمرتهم فلم يمتثلوا فقالت له يا نبى الله أتحب ذلك أخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر وتدعو حالقك فيفعل

البقية ص ٣٧

الجهاد في سبيل الله

الدكتور عبد العزيز عزام

قال تعالى : « ومن جاهد فانه يجاهد لنفسه ان الله لغنى عن العالمين » ..

والجهاد أنواع :

جهاد تنتفع به نفس واحدة وجهاد ينتفع به أكثر من واحد وجهاد تنتفع به امة برمتها فجهاد المرء بالعبادة بالصلاه والصوم والذكر هو جهاد خاص بذات النفس يطهرها ويزكيها وينقيها

وقد سماه الرسول صلى الله عليه وسلم بالجهاد الاكبر لانه اصل الخير كله يصلح به الفرد . وهو الاساس الذى يقوم عليه المجتمع .. ولان النفس الزكية الطاهرة التى تصوم النهار وتقوم الليل فى ذكر الله هى نفس تتقى الله وتتقيه فلا تعمل الا ما يرضيه .. فلا تسرق ولا تزنى ولا تغتاب ولا تغش ولا تؤذى أحد وان سألت فانها تسأل الله .. فهى تستعين بالله وتتوكل عليه وتستغنى به عمن سواه .

وكم تكون الحياة هادئة مطمئنة هنيئة مرضية لو أن النفوس جميعا كانت من هذا الطراز ..

والجهاد الثانى : هو لطلب الرزق والسعى فيه .. وهذا يعود نفعه على العامل نفسه وعلى آخرين .. فالصانع والتاجر والذى له وظيفة فى البحر أو الجو يجاهد لنفسه ويجاهد لغيره .. ولذلك كانت مسئوليته مضاعفة . فهو مسئول عن نفسه ومسئول عن الامانة التى فى عنقه قبل من وظفه وانتظر منه انتاجا معينا فى ساعات معينة .

والرقيب عليه قد يغيب ، ولكن الله الذى يحاسب الناس لا يغيب ، وهو مطلع على كل صغيرة وكبيرة وما تخفى الصدور . وكلما زاد قدر الوظيفة زادت المسئولية .

فالزارع مسئول ، والصانع مسئول ، والتاجر مسئول ، والحاكم مسئول ، والمسئولية هى الامانة فى العمل ويقول صلى الله عليه وسلم « كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته » فاذا كانت الامانة شاملة فان الانتاج يبارك الله فيه ، يبارك الله فى محصول الزرع ، ومحصول التجارة ، ومحصول الصناعة ، ويبارك فى العمل السياسى وفى العمل الحربى وفى كل عمل يعمله الانسان .. فلا يعكره شىء من الافات او الامراض او العطب او الحريق او غير ذلك مما قد يحدث قضاء وقدرا .. فالله حفيظ عليهم ماحفظوه والله من وراء القصد يجزى كل عامل بعمله ، وهو متم الاعمال ، بل هو الفعال ..

« افرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون » (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم . وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) .

رمى النبى محمد صلى الله عليه وسلم العدو بحفنة من تراب فشاهت الوجوه بقدرة الله فالعبرة بالاخلاص فى العمل لله ، وليس الجزاء الفورى بشىء يذكر الى جانب الجزاء المؤجل المدخر فى الآخرة وكفى المرء حياة طيبة ان يعيش هادىء الضمير فى الدنيا . خالد النعيم فى الاخرة اذا هو جاهد فى الرزق باخلاص وامانة ..

والجهاد الثالث : هو الجهاد الذى تشترك فى نفعه أمه برمتها وهو الجهاد فى سبيل الله ، ويكون لاعلاء كلمة الله « **الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون** » .

ويسمى المجاهد فى سبيل الله اذا مات فى المعركة بالشهيد .

ولكن الله تعالى اعتبر الذى لم يصبه أجله فى المعركة كالشهيد فى الاجر ، لانه خاض المعركة وهو يطلب الموت فى سبيل الله . ويطلب أن تكون كلمة الله هى العليا ، ويطلب لاهله وقومه ووطنه العزة والكرامة وعنه صلى الله عليه وسلم « **من طلب الشهادة صادقا أعطيها ولو لم تصبه** » ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام المتقين وسيد المجاهدين أسوة حسنة .

فقد جاهد النفس يافعا وهو يتعبد فى غار حراء بعيدا عن الناس الذين يعبدون الاصنام ويشركون بالله . حتى جاءه جبريل فأوحى اليه ما أوحى . فتحول الجهاد الى جهاد الدعوة لله ، وأمره ان يبلغ الناس ويدعوهم للايمان بالله . « **وما على الرسول الا البلاغ المبين** » .

« **فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ** » وكانت كلمة الحق على أولئك الناس ثقيله فابوا ان يسمعوها ثم أخذوا يمنعونه النطق بها ويسبونه بسببها ، ويرمونه بالجنون وبالسحر وبالكذب ثم بالتراب .. والقاذورات . ثم اجتمعوا عليه ليحبسوه أو يقتلوه ..

« **واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** » ولقد صبر على الاذى والتعذيب والمنع من الجهر بالدعوة ثلاثة عشر عاما حتى اذن له ربه أن يهجر بلده وعشيرته واهله ليفر بدينه الى يثرب (المدينة المنورة) .

ولاحقته عيون أهل الشرك وعصبة أبليس يريدونه وأصحابه بالقتل .

ثم جمعوا الجموع لتكون على أيديهم الضربة القاضيه لهذه الفئة القليلة التى لجأت الى المدينة .

ولكن الجهاد لاعلاء كلمة الله لا تقهره كثرة السيوف ولا الخيل ولا الدبابات ولا المصفحات ولا طائرات الفانتوم ولا شىء من ذلك كله ، لان الايمان حصنه القلب ولن يستطيع أحد أن يتغلب عليه . وحى المجاهد نفس يتردد .

الا تذكرون قول (بلال) وهم يضعونه تحت الاثقال وعلى رمال احر من الجمر يقول (احد) (أحد) (احد (فلم ينالوا من ايمانه شيئا بعد كل هذا التعذيب وعن جابر قال - قال رجل اين انا يا رسول الله ان قتلت قال فى الجنه . فالقى تمرات كن فى يده ثم قاتل حتى قتل » وكم كان فرح هذا المؤمن لما سمع من الرسول صلى الله عليه وسلم الاجابه بنعم فالقى بما فى يده من تمر واستعجل طلب الشهاده واستبطأ اجله اذا هو مكث حتى يأكل ما فى يده من تمر .. وقاتل حتى قتل ليدخل جنة عرضها السموات والارض اعدت لامثال هؤلاء الذين يطلبون حياة الاخره « وان الدار الاخره لهى الحيوان » .

ولقد وسع الله نطاق الاجر فجعل من الجهاد فى سبيل الله تهيئه اسباب النصر بما يعده العامل من سلاح او تموين للمجاهدين « **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة** » فمن يعمل اى عمل يقوى به عضد المجاهد فى سبيل الله فهو مجاهد مثله يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (**من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا**) ويقول « **ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنه صانعه المحتسب فى صنعته الخير والرامى به ومدبه** » .

فكل عامل يخلص فى صناعته وكل عامل يجهز السلاح أو الذخيرة او المؤنة هم فى الجنة ما اخلصوا عملهم لله وكانوا قاصدين به وجه الله ..

والمسلمون جميعا مدعوون ليقفوا مؤازرين بكل ما أوتوا من قوة مع العرب فى مصر وسوريا وفلسطين وقد دهمهم العدو بليل لقتالهم .. فأصبح فرضا علينا جميعا الجهاد ضد أهل الشرك والالحاد والفساد : الذين سموا أنفسهم بالصهاينة .. أبناء قتلة الانبياء والمفسدين فى الارض .. وعلى كل فرد من أبناء المسلمين فى اى بقعة فى الارض ان يشارك المجاهدين فى الصف الاول بكل ما فى استطاعته من قوة أو مال او علم أو جهد . والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه (المؤمن) . وما أربحها تجارة لقوله تعالى :

« **ياايها الذين امنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبه فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم . واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين** » .

وهذا الجهاد هو لانبل غاية واشرف قصد .. هو لتحرير الارض المغصوبة ورد الحقوق الى أهلها ، وحماية الذين شردهم العدو فى الارض حيارى لا مأوى ولا مركز ولا وطن لهم .. ان الجهاد فى سبيل

المستضعفين وفى سبيل تحرير الارض هو عمل يرضاه الله ورسوله ، وقد أمرنا به ونهانا عن التخلف عنه ووعدنا عليه بالنصر ان فعلناه لوجهه (**قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم**] [**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين**) .

وحتى يظهر حقنا على باطلهم ويدمغه .. ان جهادنا اليوم هو جهاد حياة أو موت (**فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم**) . أى لن ينقص اعمالكم فى الجهاد بل يزيدها بالعون والتأييد . ولا مفر من المثابرة والمصابرة فى قتال العدو المتشبث بأرضنا والطامع فى نيل المزيد منها ، وهو يركن الى الباطل ، ودعواه الحاضرة انه لن يتخلى عما اكتسب بالقوة الا بالقوة وقد أخذ ارضنا عنوة بالقوة .. وعلينا الان ان نعمل بقوله تعالى :

« **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين**) معهم بالتأييد والنصر .

وللعدو ماض طويل مع « الامم المتحدة » وهو لا يعبأ بقراراتها ولا ينفذ شيئا ولا يتوقع عقابها أو يحسب له حسابا بل هو متأكد انها لن تجبره على التخلى عن شبر واحد مما يضع قدمه عليه .

فالى من نكل أمر خلاصنا ؟ وخلاص كرامتنا ؟ وخلاص أرضنا ؟

لقد فرض العدو قتاله فرضا علينا ولا حول ولا قوة الا بالله فليس لنا غيره ملجأ ومعينا ..

« **والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب** » وها قد خرجت جيوشنا الباسلة لتصد طغيان العدو وترد كيده فى نحره .. والله معنا فنعم المولى ونعم النصير ، وسنطهر ارضنا وسماءنا من الوزر المحدق فوق هاماتنا وانه لسحابة صيف عما قليل تنقشع .. وان طغيانه لظل زائل وسراب لا يلبث أن تظهر حقيقته للناس :

وسننتصر عليهم باذن الله مادامت القلوب خالصة له ومعتمدة عليه عامرة بالثقة به وبنصره للمؤمنين المجاهدين فى سبيله . فهبوا ايها الناس ولا تهنوا فى قتال القوم ، فانهم مهزومون بعون الله .. « **ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين** . « **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين**) « **وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم** » .

فأوفوا بحقوق المعركة وأدوا واجباتها من التضحية بالمال والنفس « **وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وابنائنا** » وكل عامل سيلقى أجره وجزاءه سواء كان فى خط القتال موقعه أو فى المصنع أو فى الحقل او فى أى مكان فى البحر أو الجو ـ مادام يعمل لتقوية الذين برزوا للصف الاول يقاتلون ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (**الجنة تحت ظلال السيوف**) اننا مظلومون فقد أخرجنا من أرضنا وديارنا ومقدسات كانت امانة فى عنقنا فى فجر التاريخ .. وقد أذن لنا فى القتال (**اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير**) ولسنا معتدين على أحد اذا رفضنا أن نعيش اذلاء كالسائمة او الاغنام ، نرضى بكل ذل او هوان .. وان الله معنا لاننا نريد أن نعيش احرارا فى أرضنا .. ولهذا الحق الالهى نخوض المعركة .. وهى معركة موت او حياة ولنا الحق فى النصر من الله القوى العزيز وهو يقول (**وكان حقا علينا نصر المؤمنين**) (**ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز** » « **ومن أصدق من الله حديثا** » « **يأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم** » وما كان لمؤمن بالله ان يولى ظهره لعدوه .. فانه بذلك يستحق نار جهنم كما يقول الذكر الحكيم (**يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار . ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير**) .

فالمؤمن لا يعرف الخوف لانه مع الله ويعلم انه لا شىء ينقص من أجله أو يؤخره .

[**فاذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**) فكل الاجال محدودة لا يزيدها الفرار من الموت ولا ينقصها الاقدام ، وعاقبة الفرار النار ، وعاقبة الاقدام الجنة والنصر من الله .. والذين يخوضون معارك التحرير يجاهدون فى سبيل الله وسيدخلهم الجنة عرفها لهم .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « **والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل** » وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال « **ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا وله ما على الارض من شىء الا الشهيد يتمنى ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامه** » والمعركة تحتاج الى الصبر . وان الظفر مع الصبر ، ان الله مع الصابرين [**يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**) .

وسننتصر بفضل الله ، وسيكون عاقبة النصر خير للمؤمنين جميعا .

(**الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور**) .

القتال في الإسلام

الحمد لله الذى أنزل القرآن نورا وهدى للعالمين فقامت به أمة استحقت أن توصف بأنها خير أمة أخرجت للناس ، وقد شهد لها بذلك الكتاب المبين بآياته الكريمة ، والتاريخ بحقائقه وأحداثه الخالدة .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد صفوة البارى الذى بعثه الله بالحق رحمة للعالمين ، صلاة وسلاما الى يوم الدين .

المستشار الدكتور محمود عثمان الهشري

وبعد فان الاسلام يقوم أساسا على العدل ويدعو الى السلام ، ويحرص على أن تكون العلاقه بين المسلمين وغيرهم علاقة سلم ، فيقول الحق تبارك وتعالى فى الاية ٢٠٨ من سورة التوبه (**يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافه ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين**) . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبرم المعاهدات مع القبائل المختلفه سعيا الى التعاون وطلبا للاستقرار من أجل أن يعيش المجتمع بأسره فى عزة وكرامه وفى أمان وسلام . وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يؤثر المسالمة على المخاصمه عملا بقول الله تعالى (**وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله**) .

والواقع ان رسول الله لم يرفع سيفا الا مضطرا ولم يقاتل او يأذن بالقتال الا دفاعا . وكلنا نعلم أن المسلمين المؤمنين قد أقاموا فى مكة المكرمة ثلاث عشرة سنة ذاقوا خلالها صنوف العذاب من أعدائهم أعداء الله ، وأكرهوا على الهجرة فخرجوا من ديارهم وأرضهم الطاهرة حيث أقاموا فى المدينة المنورة راضين بحكم الله . صابرين صبرا جميلا ، وكلما تطلعت نفوسهم الى الانتقام من الطغاة الظالمين والاشتباك معهم فى قتال كان يردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن قد أمر بعد بالقتال . وظل المسلمون على حالهم هذا الى أن أنزل الله الايات ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ من سورة الحج ، فيقول عز وجل (**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره أن الله لقوى عزيز . الذين أن مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور**) . وسبب نزول هذه الاية الكريمة هو ما أصاب المسلمين المؤمنين من ظلم صارخ وما حاق بهم من ضرر فادح . وان الله على نصرهم لقدير ، أولئك الذين ان مكنهم الله فى الارض بأن مهد لهم سبل الغلبة على أعدائهم الظالمين لم يسلكوا فيها مسلك الجبابرة ، بل يقيمون الصلاة ويأتون الزكاة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ولله عاقبة الامور فمرجعها اليه سبحانه وتعالى .

...جهاد

والقتال على نحو ما جاءت به تلك الاية هو فى حقيقته جهاد ، ذلك أن الامة التى تؤمن بحقها فى الحياة الحرة الكريمة لا يمكن أن تستسيغ بأى حال من الاحوال حياة الذل والاستعباد أو أن تقبل المساس بسيادتها أو الاعتداء على أرضها بأى صورة من صور الاعتداء الذى لا يستند الى حق مشروع . ومن ثم كان من واجب هذه الامة أن تفيق من سباتها وتهب من رقدتها للقتال دفاعا عن أرضها وسيادتها وصيانة لكرامتها وشرفها . وقد أنذر العزيز الحكيم المؤمنين بأنهم اذا امتنعوا عن تلبية الدعوة الى الجهاد والحق لحق بهم سوء المصير ، فيقول الله تبارك اسمه فى الايتين ٣٧ ، ٣٨ من سورة التوبة (**يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله أثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الاخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير**) . فهذه الاية الكريمة تخاطب المؤمنين وتدعوهم الى الخروج للقتال مشاة وركبانا ، لا يثنيهم عن ذلك شىء ، وعليهم أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله عز وجل ، ذلك خير لهم من القعود أو عدم الاكتراث ، لما فيه عزهم وخيرهم ان كانوا يعلمون .

والخروج الى الجهاد فرض كفاية يفرضه الاسلام على الامة متى دعا اليه ولى الامر . واذا بدأ العدو بالاعتداء وجب على كل مؤمن قادر على الجهاد أن يسارع الى الانضمام الى صفوف المقاتلين ولو لم تبلغه دعوة من ولى الامر ، وجاز للمرأة أن تخرج من عقر دارها لقتال ولو بغير اذن من زوجها . ولقد كان كل مسلم قادر على القتال فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جنديا فى جيشه وبطلا صنديدا فى المعركة التى يدور رحاها ، ولم يكن يتخلف عن شرف خوضها الا الضعفاء والمرضى وكذلك الذين لا يجدون نفقة يخرجون بها للجهاد نزولا على قول أرحم الراحمين فى الاية ٩١ من سورة التوبة (**ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله**] . فهؤلاء ليس عليهم جناح ولا سبيل الى معاقبتهم ، كذلك لا لوم على الذين يطلبون المطايا وغيرها من وسائل الانتقال لتوصلهم الى ميدان الجهاد . واذا قيل لهم لا توجد مطايا أو لا توجد وسيلة من وسائل الانتقال خرجوا وأعينهم فائضة بالدموع حزنا على عدم وجود ما ينفقون على خروجهم للجهاد . وبذلك لا يعاقب الا الذين يستأذنون فى التخلف عن الجهاد وعن شرف خوض المعركة ، وهم أغنياء قادرون ورضوا البقاء مع النساء القاعدات ، وقد أغلق الله تعالى قلوبهم ولا يعلمون عاقبة ما يفعلون ، ونسوا قوله سبحانه فى الاية ١٤ من سورة التوبة (**قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين**) .

ويحذرنا الله القوى القدير من الفرار من أرض المعركة ويعتبر سبحانه هذا الفرار بمثابة خروج على طاعته وانحراف عن الدين القويم ، فيقول الله فى الايات ١٥ ، ١٦ ، ١٧ من سورة الانفال (**يا أيها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ، فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم**) . لنذكر دائما قول رسول الله الامين وهو خير المجاهدين (**لا تتمنوا لقاء العدو وسلو الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا فان الجنة تحت ظلال السيوف**) .

ولنتدبر قول الله تعالى فى الايات ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ من سورة آل عمران (**وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين، ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولاهم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين**) . وهذه الايات تميز المؤمنين عن المنافقين الذين اذا قيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله قالوا لو نرى ما يصح

ان يطلق عليه بالقتال لاتبعناكم ، ولكن ما أنتم عليه ليس بقتال بل القاء بالنفس الى التهلكة ، وهؤلاء هم للكفر يوم قالوا ذلك أقرب منهم للايمان ، وأولئك الذين قالوا لاخوانهم الذين قتلوا يوم أحد وهم قاعدون : لو أطاعونا فى القعود ما قتلوا ، قل ما دفعوا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين . ولا تظن الذين قتلوا وهم يجاهدون العدو الغاشم أمواتا تلاشوا وانتهوا بتلاشى أجسادهم ، بل هم فى الواقع أحياء قريبون من ربهم فى جنته ، جنة الخلد والنعيم وفيها يرزقون، فرحين بما أعطاهم الله من فضله ، ويستبشرون بأخوانهم الاحياء الذين لم يموتوا بعد ، أى يستبشرون بما اتضح لهم من أمر الاخرة وحالة من تركوهم خلفهم فى الحياة الدنيا من المؤمنين .

ويحث الاسلام على اثارة الحماس بين صفوف المقاتلين المؤمنين ليباعد بينهم وبين الاستسلام ويدفعهم الى مواصلة القتال بايمان راسخ ويبصرهم بما يجىء به النصر من خير وما تجره الهزيمة من خزى وعار . وأننا لنفخر كل الفخر بيزيد بن المهلب حين قال (والله لابغض الحياة بعد الهزيمة) .. ويقول الله عز وجل فى الاية ١٥٧ من سورة آل عمران (**ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون**) ، أى لئن قتلتم فى حب الله وانتم مجاهدون أو متم فى سبيل الله فما تنالونه من المغفرة ومن الرحمة خير مما يجمعون من حطام الدنيا . ويقول العلى العظيم فى الايات من ٧٤ الى ٧٦ من سورة النساء (**فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ، وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ، الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا**) ويقول الحق تبارك اسمه فى الاية ١١١ من سورة التوبة [**ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم**) .

وانا فى قتالنا المقدس مع عدو الله والانسانية لنسأل العلى القدير أن ينصر أمتنا المؤمنة المناضلة من أجل العزة والكرامة بقيادة الزعيم المؤمن الرئيس محمد أنور السادات الذى لم يتجه فى هذا القتال الدائر الى شعب من أجل أن يبيده أو يفتك به وانما اتجه الى قوى الشر والبغى والعدوان للقضاء عليها، وفى وقت يدعو فيه الى السلام القائم على العدل حبا فى السلام وعملا بقول الله تعالى (**وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله**) .

(**ولينصرن الله من ينصره**) والله نعم المولى ونعم النصير .

نصر الله

فضيلة الشيخ أحمد كامل الخضرى

اقتضت حكمة الله البالغة . وارادته النافذة . وقدرته العظيمة. وفضله الواسع . أن يمنح الامة العربية النصر المبين . على يد عبده المؤمن الصالح المتواضع « السيد محمد أنور السادات » رئيس الجمهورية . زاده الله تأييدا ...

ذلك الرجل الذى كتب الله له التوفيق فى سياسته . من يوم أن استلم مقاليد الحكم ...

فقام يعمل جاهدا على اصلاح مرافق البلاد . ورعاية مصالح المواطنين .وتوفير حاجاتهم وتحقيق مطالبهم – وعلى اقرار العدل بين الناس . ورفع المظالم عنهم ..

فأفرج عن المعتقلين . وأعاد الموظفين الذين سبق فصلهم الى وظائفهم ..

وأخذ يعالج المشاكل التى تقوم فى البلاد بالحكمة والصبر . والاناة والحلم وضبط النفس .. وتلك صفات طيبة كريمة . لها منزلتها عند الله تبارك وتعالى ..

وكانت النكسة التى أصابت الامة العربية سنة

١٩٦٧ قد هزت كيانها . ونالت من عزتها وكرامتها .. وآلمت النفوس ايلاما شديدا ..

فأخذ يبعث فيها الثقة والامل . ويدعوها الى الجد والعمل .. والايمان بالله تعالى . ومراقبته سبحانه فى كافة الشئون . وفى سائر التصرفات . والاصرار على النصر . وعدم الاستسلام . أو الخضوع للهزيمة .

واستجابت الامة . وعرفت أن النصر لا يكون الا من الله . كما قال جل ذكره « **وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم** »

ودعا الامة الى اتقان العمل – كل عمل – وبين أن ذلك من أسباب النصر على الاعداء – وهذا حق . لان الله تبارك وتعالى يحب اتقان العمل – يقول صلى الله عليه وسلم (ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا ان يتقنه] أخرجه البيهقى رحمه الله عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها .

ولم يهدأ الرئيس لحظة عن العمل على اعداد جيشنا وقواتنا المسلحة . البرية والجوية والبحرية . واستكمال كل ما تحتاجه من الاسلحة الثقيلة والمعدات الحديثة . من طائرات ودبابات . وصواريخ وغيرها ومن مختلف القطع البحرية .. ووجه كل الطاقات لتحقيق هذا الغرض .. ممتثلا أمر الله تبارك وتعالى فى قوله « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون** » .

وكان يمد الجنود دائما بطاقات من الخبرة والعلم والدراية . ومن الثقة بالنفس . والايمان بالله عز وجل . والاعتماد عليه سبحانه . ويوثق بينهم وبين ضباطهم بصلات قوية . من المحبة والمودة والتفاهم التام .

كل ذلك فى ثبات واصرار . وثقة فى نصر الله تعالى . وايمان به سبحانه .

وفى سياسة حكيمة . ووسائل كريمة . أخذ يكتل الدول العربية كلها . ويقارب بينها . ويعمل على توحيد كلمتها .. وعلى ان تكون كلها على قلب رجل واحد . وأن يكون رأيها فى المجالات الدولية . والمحافل السياسية . وجمعية الامم .. واحدا .. وبذلك كله .. اكتسبت الامة العربية كسبا عظيما .. وأصبح لها مكانة كبرى بين الامم ..

واستطاع أن يقيم اتحادا بين جمهوريات مصر وليبيا وسوريا – ثم أقام الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا ..

وأصبحت الامة العربية كلها أمة واحدة ذات مصلحة واحدة ورأى واحد .. وكان هذا التحول وهذا الترابط من أسباب النصر .. وصدق الله حيث يقول « **ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** »

وفى المجالات السياسية والعالمية عمل جاهدا – بكافة وسائل الاعلام – وبالاتصالات الشخصية والزيارات الرسمية على نشر الحقائق وبيان نوايا اسرائيل التوسعية وسياستها العدوانية . وبيان أكاذيبها وضلالاتها التى استطاعت فترة طويلة أن تكتسب بها عطف الرأى العام العالمى ..

وقد نجح فى هذا السبيل نجاحا باهرا .. فتحول الرأى العام الى جانب الدول العربية . والى الاعتراف بالحق العربى . وبأن اسرائيل دولة معتدية .. وأخذ كثير من الدول يقطعون علاقاتهم بها . وينحون باللائمة على كل من يساندها .. حتى أصبحت فى عزلة تكاد تكون تامة . لولا الولايات المتحدة التى استمرت فى معاونتها على العدوان . ومدها بالمال والعتاد . ومساعدتها بالرجال وبالمشورة وبالرأى ..

ولقد تجلى تحول الرأى العام العالمى فى القرارات التى كانت تصدرها المؤتمرات الدولية . وفى التصريحات التى كان يدلى بها المسئولون فى كل مناسبة – وكذلك فى الجمعية العامة للامم . وفى مجلس الامن ..

وانى واثق كل الثقة بأن الولايات المتحدة سوف يأتى اليوم الذى يذلها الله سبحانه وتعالى فيه ذلا مريرا .. ويهد من شأنها . ويحد من قوتها وسلطانها بسبب موقفها الشائن الظالم المتعنت .. وما ذلك على الله بعزيز .. وصدق الله العظيم حيث يقول فى كتابه العزيز «**وسيعلم الله الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون**»

ولقد تصدع حلف الاطلنطى بسبب موقف امريكا .. وتحول حلفاؤها عن مساندتها فى موقفها الظالم الاثيم .. وهذا كله نذير شؤم عليها .

أما الدول العربية فقد تمكنت بفضل اتحادها وتماسكها وتناصرها . أن تثبت وجودها . وأن تعادى من يعاديها . وان تسالم من يسالمها . وان تهدد اعداءها بقطع البترول عنهم . وتعريض مصالحهم للضرر .

وبفضل الله ومعونته وتوفيقه وارادته . سيكون للدول العربية شأن عظيم بين الدول .. وسيعمل لها حساب . وتكون القوة الثالثة فى العالم . بفضل وحدتها . وموقفها الاستراتيجى وثرواتها الاقتصادية ان شاء الله .

أما جنودنا البواسل الابطال .. فقد استطاعوا بفضل الله تعالى ومعونته .. وتوفيقه ونعمته – أن يعبروا القنال وأن يقتحموا خط دفاع بارليف الحصين .. وان يحطموا تلك الاسطورة . التى استمرت اسرائيل ترددها فترة من الزمن . والتى آمن بها كثير من دول العالم ..

تلك الاسطورة التى تقول (ان جيش اسرائيل لا يقهر) .

ولكنه قهر بفضل الله تعالى ومعونته . واستعادت جنودنا مساحات كبيرة من أرضنا العزيزة الغالية ..

أرض سيناء الحبيبة . التى لها عند المسلمين جميعا منزلة كبرى .. والتى ذكرها الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز فى أكثر من موطن

وحسبها فضلا ان الله تبارك وتعالى كلم فيهـا سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ..

ذلك النبى الكريم الذى لاقى فى سبيل دعوة اليهود الى الايمان بالله تعالى . مصاعب وآلاما .. وعنادا وجحودا .. رغم ما اعطاهم الله تعالى من نعم كثيرة لا تعد ولا تحصى ولكنهم كفروا بها .. ولم يرعوها حق رعايتها .. فكانوا من الخاسرين .

وبمشيئة الله تعالى سيتم النصر للاسلام والمسلمين .. وستعود أرضنا الحبيبة اليذـ وستعود حقوق اخواننا أهل فلسطين كاملة اليهم . وسيعود المسجد الاقصى المبارك المقدس الينـا . وسيبقى اليهود أذلة الى ما شاء الله .. ولن تستقر لهم عزة أبدا .. لقاء ما فعلوا بأنبيائهم من قتل وغدر وخيانة .

وسوف يسجل التاريخ بحروف من نور . تلك المواقف الكريمة المشرفة لجنودنا البواسل الابطال ..

وسيتبين للناس فى وقت قريب .. تلك الصور الرائعة التى تجلت فيها بطولات جنودنا . وقوة ايمانهم .. وكيف كان الحق تبارك وتعالى معهم « **وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى** » من الاية ١٧ من سورة الانفال .

وسيبقى يوم ٦ اكتوبر سنة ١٩٧٣، يوما خالدا من أيام العروبة المجيدة . يذكره أبناؤنا وأحفادنا .. بل يذكره العالم كله على مر السنين والاجيال ..

ولله الحمد من قبل ومن بعد . وهو حسبنا ونعم الوكيل . نعم المولى ونعم النصير ..

واليوم .. وقد منحنا الله النصر المبين على أعدائنا .. وأعاد الينا أرضنا الحبيبة .

واجبنا .. أن نشكر الله سبحانه وتعالى شكرا عظيما .. نشكره باللسان . وبالقلب . وبالعمل .. وذلك بأن نطيعه سبحانه فى كل ما أمر به .. وأن نجتنب كل ما نهى عنه .. ونكف عن اقتراف الذنوب والاثام . ونعمل على نشر المحبة والتآخى بين الناس . وعلى ان تكون كلمة الله هى العليا دائما وأن نسلك الطريق السوى المستقيم .. صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

وبذلك .. يتمم اللـه لنـا النصر .. ويديمه علينا .. ونبقى بديننا .. وبحسن سلوكنا .. أعزة كراما . الى أن نلقى الله تعالى على خير ما يلقاه المؤمنون الابرار ..

والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق .

القتال

غير انه برغم ذلك نعود فنجد ان مئات أخرى من
الايات الكريمة المتعلقة بالقتال والحرب ، تنتشر وتنتثر
على الصعيد القرآنى فى سور أخرى كثيرة ، كسورة
البقرة ، والنساء ، وآل عمران ، والانفال ، والتوبة ،
والاحزاب وغير ذلك مما تحدث عن غزوات أحد ،
وبدر ، والخندق ، والحديبية ، وفتح مكة ، وتبوك
ونحو ذلك .. وهذه الايات مع تفرقها وانتشارها ،
لانها لم تنزل كلها جملة واحدة ، ولكن نزلت متفرقة
وفى أوقات وأحوال متباعدة ومتعددة ، نستطيع على
رغم كثرتها وتفرقها ، أن نتناول دراستها بطريقة
موضوعية واجمالية ، دراسة تعطينا العبر والعظات ،
وتوضح لنا أحوال الحروب وأطوارها ، من مباديها
ومقدماتها ، وأسبابها ، الى نتائجها وأهدافها . الى
آدابها وقوانينها ، وموجبات النصر فيها أو الهزيمة ،
ونفسية المحاربين وحوافزهم للقتال ، وما أعد لهم من
الجزاء الادبى والمادى ، وأخبار المعارك وأسرارها ،
وافشاء ذلك واخفائه ، ونحو ذلك مما لو أمعنا النظر
فيه ، لوجدنا أن هذه المعانى فى كتاب الله ، وان مضى
عليها أربعة عشر قرنا من الزمن ، الا أنها برغم ذلك
نرى كأنها بنت يومها وليلتها ، تغطى وتحتوى بمعانيها
ومضامينها ، ما يدور اليوم وبعد اليوم من قتال
وحروب بين بنى البشر ، حتى تقوم الساعة ويرث الله
الارض ومن عليها ، وصدق المستشرق الذى قال « **كفى
هذا القرآن فخرا أن الاربعة عشر قرنا التى مرت
عليه ، لم تستطع أن تغير ولو بعض الشىء من عظمته
وجلاله حتى لكان عهده بالحياة أمس** » .

فى التعبئة والاستنفار ، والتوجيه والتحريض على
القتال ، وذكر أسبابه ومبرراته ، ومشروعية الاخذ فيه
للدفاع عن النفس ، وحماية الارض والعرض ، والدين
والوطن ، ودفع الظلم والفساد ، وتنقية الحيـاة
الانسانية من عبث العابثين ، وفساد المفسدين
والمجرمين الذين لا عهد لهم ولا ايمان . نقرأ فى أولى
آيات القتال نزولا وفى سورة الحج قوله تعالى « أذن

فى القرآن

لا يخفى على أحد أن فى القرآن الكريم سورة تسمى سورة الصف . هاته التى ذكر فيها قوله تعالى « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » وسورة أخرى تسمى أحيانا وفى بعض الروايات بسوره القتال ، وهى السورة المسماة بسورة محمد صلى الله عليه وسلم. هاته التى ذكر فيها قوله تعالى «فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها» .

للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » . ونجد كذلك فى مثل هذا المعنى قوله تعالى فى سورة البقرة « **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم** » فاخراج المسلمين من أرضهم موجب للقتال حتى يستردوا هذه الارض . ورد المعتدى بالعدوان عليه واجب لتأديبه وكسر شوكته « **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** » .

والشر أن تلقه بالخير ضقت به
ذرعا وان تلقه بالشر ينحسم

ونجد للاعتداء على المسلمين بالاخراج من الديار ، كما فعل اليهود اليوم بالعرب ، تنويها آخر فى سورة الممتحنة ، حيث يقول تعالى « **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون** » فالاسلام لا يكره السلم ، ولا يتعطش لاراقة الدماء ، ولا يمنع التعايش السلمى بين أهله وأهل الاديان الاخرى . كما كان اليهود والنصارى والمسلمون فى دولة فلسطين ، قبل اغتصاب اسرائيل لها وتحويلها الى عنصرية صهيونية ، والله يقول « **وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم** » الانفال . لكن اذا توجب القتال ، وجد الجد ، وكان لابد مما ليس منه بد ، فان القرآن يأمر بالنفير العام ، والخروج للقتال ، بأسلوب شديد اللهجة . وعبارات صارمة كأنها وهج النار ، وذلك فى مثل قوله تعالى « **يأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الاخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير** » التوبة . وقوله تعالى « **انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون** » التوبة .

وقوله تعالى « **يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا** » النساء . وقوله تعالى « **قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين** » التوبة . ويأمر الله المسلمين بأخذ الحذر واعداد القوة للارهاب وخوض المعارك بها عند اللزوم فيقول سبحانه « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** » الانفال . وفى الرباط تاتى آية أخرى « **يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** » آل عمران . وفى أكثر من موضع فى القرآن الكريم يأمر الله نبيه بتحريض المؤمنين على القتال ، وفى أكثر من موضع يبين القرآن تفاهة العدو وحقارته ، واجرامه وكفره ، وعداوته لله ، وخيانته للعهود والمواثيق ، واثارته للفتنة والفساد فى الارض ، فجزاؤه أن يحارب ليقضى عليه أو يستقيم .

الدكتور عبد الغنى الراجحى

هذا فيما يتعلق بالتهيؤ والتأهب للحرب والقتال ، وبيان الدوافع التى توجب الاستنفار ، وتلزم المسلمين بخوض المعارك ، عن فكر وعقيدة واقتناع ، وتشبع نفسى ، ليكون ذلك أرجى للنصر وأقرب الى النجاح ، وأوفق بحماس المعركة الذى ينسى فيه المقاتل نفسه ودنياه ، ويشم رائحة الجنة ، كما قال أنس بن النضر فى موقعة أحد « الجنة ورب النضر انى أشم رائحتها جهة أحد » وذلك هو ما يسمى فى عصورنا الحديثة ، وفى الجيوش العسكرية بالتوجيه المعنوى والاعداد النفسى أو ما شاكل ذلك .

اما فيما يتعلق بخوض المعركة عمليا ، والصمود فى القتال ، والثبات وطول النفس ، والصبر حتى النصر ، فقد ألهب القرآن عواطف المقاتلين من المسلمين ، وأشعل حماسهم ، وتعمق نفوسهم ليملأها رضا واطمئنانا لما يفعلون ، وأفاض فى مدحهم والثناء عليهم ، ورفع درجتهم ، وتبشيرهم بالجزاء الاوفى فى الدنيا والاخرة ، ونهى ان يسموا بالاموات اذا استشهدوا ، لانهم الاحياء على الحقيقة وغيرهم هم الاموات « ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون » البقرة . « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » آل عمران . فلقد أوجب القرآن مع الثبات فى المعركة ذكر الله كثيرا ، واستمداد العون والقوة منه والطاعة التامة للقائد ، والانضباط والطواعية . وعدم التنازع والفرقة والفشل ، فقال « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » الانفال . وكم كان جميلا وعظيما أن جنودنا البواسل فى معركة العبور وما بعدها كانوا دائما مكبرين مهللين ، ذاكرين الله ، وكم كان طريفا ما سمعته من مراسل أجنبى يسأل عن سبب هذا التكبير ومعناه فيقول : هل هذا منشور عسكرى ؟؟ فأقول فى نفسى نعم والله . انه منشور السماء لاهل الارض ، من عباد الله الذين جعلهم جندا له وقال فيهم « وان جندنا لهم الغالبون » .

ولقد حرم القرآن على المسلمين أثناء المعركة أن يحزنوا او يضعفوا ، او يجبنوا أو يولوا الادبار ، او يلوذوا بالفرار ، الا اذا كان ذلك لمراوغة العدو ، فقال « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » الانفال . وقال « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين » آل عمران .

ولقد حرص القرآن الكريم على معالجة نفسية المقاتل علاجا ناجعا وأفهمه أن طبيعة الحياة المغالبة والصراع بين الحق والباطل ، وانه لا نصر بلا ثمن ، وأن الثمن قد يكون دما وعرقا ومالا ، وذلك كله فى سبيل الله ، قربى اليه وتوكل عليه ، وطاعة ونصر لدينه ، وللحق الذى يرتضيه لعباده ، وشفع ذلك كله بالمقارنة بين طبيعة القتال عند المسلمين ، وطبيعته عند اعدائهم ، فكل من الفريقين يصيبه الالم والاذى والضرر ، لكن شتان ما بينهما ، وشتان ما بين الهدف والغاية والعاقبة والمآل عند كل من الفريقين « قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة » آل عمران . « ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون » النساء . « ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء » آل عمران . «الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا » النساء . ومع هذه العمليات الضخمة من المقارنة والتحليل والموازنة التى رفعت عملية القتال عند المسلمين الى أعلى عليين ، وهبطت بعملية القتال عند اعدائهم الى أسفل سافلين ، يعود القرآن كرة أخرى ليمعن فى عملية المقارنة والموازنة فيقول « قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون » التوبة . فالمقاتل المسلم حسنياه اما النصر والمجد ، واما الشهادة والجنة ، وعدوه المقاتل عاقبته لا محالة العذاب فى الدنيا بالقتل والهزيمة ، وفى الاخرة بعقاب النار

هل بقى فى جعبة القرآن شىء مما يملأ به المقاتل الاسلامى حماسا وفخرا ومجدا ؟ نعم .. وشىء عظيم .. فانه سمى القتال فى سبيله تجارة وبيعا وشراء ، وأخذ يردد هذه المعانى الجميلة فى أكثر من موضع وبأكثر من اسلوب يفيض بلاغة وحلاوة وطلاوة . ففى موضع يبين القرآن ان الله سبحانه هو المشترى وهو دافع الثمن ، أنفس خلقها ، وأموال رزقها ، ثم يشتريها بثمن كأنها لم تكن له قبل ذلك ، فهل بعد هذا كرم ؟ « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » التوبة . وفى موضع آخر يعكس المعنى فالمقاتلون هم المشترون الدافعون الثمن والمتاجرون . والله متكفل لهم بما اشتروا من الجنة والنصر « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » سورة الصف . وفى موضع ثالث يقول « فليقاتل فى سبيل الله الذين

يشرون الحياة الدنيا بالاخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » النساء .

لقد حرص القرآن الكريم على أن ينص فى المواضع الثلاثه على الفوز العظيم والاجر العظيم . فهل بعد ذلك الهاب لعواطف المقاتلين لتتوجه بهم الى معارك القتال ؟! وتقودهم من زمامهم الى المجد والرفعة ؟؟

لقد عاد القرآن كرة أخرى ليتحدث عن القتال كشىء رهيب خطير تكرهه النفوس جبله وطبعا ، لكنه طبيعه الحياة وسنة الله فى خلقه ، وقد يكون من السموم الناقعات دواء وعلاج ، وآخر الدواء الكى « **كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون** » البقرة .

الحرب فى حق لديك شريعة
ومن السموم الناقعات دواء

أما خلقيات القتال وآدابه ومستلزماته التى يوصى بها القرآن الكريم فهى كثيرة منها أخذ الحذر والاحتراس ، واليقظة والانتباه قبل وأثناء وبعد المعركة . وقد جاء صريح الامر بالحذر فى القران أكثر من مرة ، ولئن أمر القران الكريم بذكر الله اثناء المعركة على ما سبقت الاشارة اليه فان من لواحق ذلك استمداد القوة والنصر منه ، ونكران الذات ، واسقاط الغرور بالنفس والاغترار بالعدد والعدة ، فما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم « **ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده** » آل عمران . ويقول الله فى انتصار المسلمين فى غزوة بدر على الاعداء « **فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى** » الانفال .

ولم تحرم الجبهة الداخلية من توجيهات القرآن الكريم وتعليماته الرشيدة والسديدة فقد كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم منافقون يختلقون ويشيعون ويروجون أقاويل السوء ، وأخبار التخذيل والتثبيط ليبلبلوا النفوس ويشوشوا الاذهان ، ويقوموا بحملات تشهير هى عبارة عما يسمى فى عصورنا الحديثة بالحرب النفسية . وكان يتورط معهم ويقع فريسه لهم بعض ضعاف الايمان ، فأنزل الله تعالى قوله الكريم « **واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا** » النساء . لابد من تماسك وترابط بين الجيش والشعب ، ولابد من تعاون وتكامل بين الجبهة الداخلية والجبهة التى تخوض المعركة ليكون الجيش والشعب كتلة واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا فضبط النفس والشعور بالمسئوليه وصم الاذان عن دعايا الاعداء وقيام كل فرد بواجبه ورفع الانتاج ، والحد من الجشع والاستهلاك هو من خلقيات المعركة التى يجب أن يتحلى بها شعب يقاتل جيشه ببسالة تستلفت انظار العالم .

بقية مقال « صلح الحديبية »

الرسول ذلك فلما رأوه المسلمون قاموا فنحروا وحلقوا رؤوسهم .

والذى يمعن النظر فى صلح الحديبية يرى أن رسول الله كان ينظر بعين البصر والبصيرة وان الله يلحظه والوحى يمده بما يعبد أمامه الطريق ويفتح أمامه أبواب النصر ليثبت دين الله وتعلو كلمة التوحيد فصلح الحديبية كان فتحا مبينا ونصرا مؤزرا وان دل فانما يدل على مقدرة الرسول السياسية وبعد نظره وثاقب فكره ولقد سمى القرآن هذا الصلح فتحا مبينا وذلك فى قول الله (**انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا** » روى ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال انكم تعتبرون الفتح فتح مكة ونحن نعتبر الفتح صلح الحديبية كما روى ابن مسعود رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله فى سفر فسألته عن شىء ثلاث مرات فلم يرد على قال فقلت فى نفسى ثكلتك أمك يا ابن الخطاب الححت كررت على رسول الله ثلاث مرات فلم يرد عليك قال فركبت راحلتى فحركت بعيرى فتقدمت مخافة أن يكون نزل فى شىء قال فقال رسول الله [**نزل على البارحة سورة هى أحب الى من الدنيا وما فيها « انا فتحنا لك فتحا مبينا »**] رواه البخارى والترمذى والنسائى .

وبعد صلح الحديبية بدأ الرسول يكتب الى الملوك ورؤساء الدول يدعوهم الى الاسلام ويوضح لهم معالم الدين الحنيف الذى يدعو الى خير الانسانية ولقد شرح الله صدور كثير ممن كانوا حربا على الاسلام الى الدخول فيه أمثال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص .

والحق أن صلح الحديبية كان مقدمة للفتح الاعظم فتح مكة المكرمة الذى خرج منها الرسول ليلا والكل مجمع على قتله ودخلها فاتحا نهارا والكل مجمع على حبه .

وبالفتح الاعظم صدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وأصبحت كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى والله عزيز حكيم .

عالمية الإسلام

قانون النصر

الأستاذ أنور الجندي

بسم الله الرحمن الرحيم « وما النصر الا من عند الله » .

من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة ومن تطبيقات المسلمين ومن خلال تاريخ الاسلام ومعاركه وفتوحه يستطيع الباحث المسلم ان يستكشف قانون النصر : وهو قانون يختلف فى ابعاده عن قوانين النصر الاخرى :

فهو اولا : لايعتمد على التقديرات المادية وحدها وانما يجعل للقوى المعنوية دخلا كبيرا

وهو ثانيا : يقوم على اساس الاعتقاد بأن الحق هو الذى ينتصر على الباطل حتما .

وهو ثالثا : يقرر بان لابد للحق من قوة تحميه وتدافع عنه .

وهو رابعا : يفرض عدم الاعتداء اصلا ورد العدوان اذا اعتدى معتد

وفى ضوء هذه الحقائق نجد أن قانون النصر يقوم على أصول عامة أساسية هى :

— ١ —

اذا ديست أرض الاسلام وجبت النفرة العامة لحماية البيضة ودعى المسلمون الى الدفاع عن أرضهم ووجب عليهم التماس كل أسباب القوة المادية وحياطتها بدعم الصلة بالله وتأكيد عوامل الايمان والفزع الى الله عز وجل والتضرع فى ساعة البأس فيصبح المجتمع الاسلامى كله فى حالة تأهب ويشترك فى الجهاد المحارب وغير المحارب ، بالانضمام الى صفوف المجاهدين ، أو بتجهيز الغزاة او برعاية أهل الغزاة : (**انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله**) .

— ٢ —

حتى لا تداس أرض الاسلام ولا تتعرض للغزو فقد افترض قانون النصر أن يظل المسلمون فى حياتهم على تعبئة فى اهبة للدفاع ، يسدون الثغور ، ويرابطون فى مواقع الخطر ، ولا يغفلون عن أمتعتهم وأسلحتهم لحظة واحدة ، وأن يكونوا واضعى اليد على الزناد ، متخذين أساليب العصر فى الحرب وفى العتاد ، لا يعتدون ولكن يحفظون أنفسهم من العدوان ، (**واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**) .

— ٣ —

اذا واجه العدو المسلمين واجهوه فى قوة ، وثبتوا فى مواقعهم ، ثبات المؤمن الصادق . على عظم التضحية وكريم الاستشهاد وكانوا مثل المؤمن الذى يحارب بيده وبلسانه ، فذكر الله فى ابان الحرب ، قوة جديدة وسلاح جديد ، أشد فتكا فى نفوس العدو ولقد نصر الله رسوله والمسلمين بالرعب مسيرة شهر ووعد الله سبحانه وتعالى بالقاء الرعب فى قلوب اعداء المسلمين وجعل هذا اضافة كبيرة على السلاح المحارب المادى ، وقوة مخبوءة غالية القيمة يلتمسها بتلك الصيحة المدوية : « الله اكبر » .

(**يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون**) .

— ٤ —

على المسلمين لكى يحققوا قانون النصر أن يندفعوا تحت لواء : (احرص على الموت توهب لك الحياة) ولقد كان المسلمون يحاربون ويعودون منتصرين وفيهم

من يملأ نفسه الحزن لانه لم تكتب له الشهادة ويسأل الله اياها فى موقع آخر حتى ينالها ، ولقد كان حزن المحارب المنتصر الذى لم يهزم قط (خالد بن الوليد) كبيرا عندما جاءته الوفاة وهو على فراشه ونعى نفسه حين قال : أموت على فراشى كما يموت البعير ، وليس فى جسدى مكان الا وفيه ضربة أو طعنة وقد شهدت مائة زحف أو زهاءها .

فالحرص على الموت فى سبيل الله هو القوة التى تهب الحياة والنصر .

— ٥ —

لم يكن المسلمون فى أى زحف من زحوفهم أو أى اشتباك مع عدوهم فى حجمه أبدا من ناحية العدد أو العدة وانما كانوا دائما أقل فى ذلك بنسبة كبيرة ، ولكن هناك قوة أخرى كانت تعوضهم ذلك : هى قوة الاصرار والصمود والثبات والايمان بأنهم على الحق وان عدوهم على الباطل ، ومن هذا الايمان العميق بنصر الله وتأييده كانت تكتب لهم الغلبة على العدو فى مختلف المواطن .

(الان خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله) .

— ٦ —

من قانون النصر الجمع بين الاخذ بالاسباب والاعتماد على الله . دون أن تعلو فى تقديرهم كفة الاسباب المادية على الثقة بالله وحتى لا يغروا بها أو يتكلوا عليها ومثال ذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بدر ، مقارنا بموقفه فى الغار ، فحيث لم تكن القوة كان تأييد الله حاسما **(الا تنصروه فقد نصره الله)** أما فى بدر فكان رسول الله يدعو ويؤكد معنى الاعتماد على الله دون الاتكال على القوة المادية التى اذا اطمئن اليها المسلم وحدها لم يتحقق له النصر الذى هو من عطاء الثقة بالله والاعتماد عليه .

— ٧ —

ومن قانون النصر : توقع غدر العدو ، وتوسعه ، وجيشانه وتآمره ، والثقة بأن ذلك كله لا يغير شيئا فى نفوس المؤمن الواثق بنصر الله لانه على الحق ولا يرهبهم ولا يخيفهم لانهم كانوا يتوقعوه أساسا **(ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما)** وقوله تعالى **(الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) .**

كذلك من وعد الله للمسلمين أن يأخذ من عدوهم الاسماع والابصار فلا يراهم ولا يحس بهم الا وهم فى موقع السيطرة والظفر .

وقد تحقق قانون النصر فى مختلف معارك المسلمين ، وعلى مدى تاريخهم الطويل ، لم يتحقق فى معارك الصدر الاول وحدها ، بل فى كل المعارك ، وكانت فى معارك الفرنجة والتتار والقوى المغيرة المختلفة على أرض المسلمين وفى ابان حملات الاستعمار الحديثة ، كانت علامات النصر تتحقق بقدر ما كان المسلمون مستمسكون بهذا القانون واعين له .

وقد حفظ التاريخ فى مختلف مراحله صورا باهرة ونماذج غالية فى الصدق والثبات من أولئك الذين أحسنوا « صناعة الموت فى سبيل الله » وقدموا أرواحهم رخيصة لا يلتمسون بها الا ثواب الله ولا يقصدون الا وجهه .

هؤلاء الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا وهم بذلك لم يحققوا النصر لانفسهم فحسب ، ولامتهم ، ولكنهم كشفوا للعالم صورة الاسلام الحقيقية وعرفوا به ، ولقد افاضت كتب الفرنجة عن مواقف صلاح الدين مع جيوش الصليبيين وملوكهم ، وعن تسامحه مع القوم بعد فتح بيت المقدس ، وقد بهرهم هذا كله ولكنهم ردوه أصلا الى الاسلام ولما عادوا اذاعوا قولتهم هذه فهزت أوربا واستتبعت محاولات كثيرة للحد منها ولكنها بقيت قائمة فى بطون التاريخ شاهدة بالحق .

ولقد التمس المحاربون المصريون فى معركة (عبور ١٠ رمضان) الكبرى أسلوب المسلمين الاول ، واقتربوا كثيرا من قانون النصر ، وصدقوا الله عهده ، فحقق لهم الظفر المبين على نفس شروط قانون النصر القرآني الربانى وأمدهم الله بالمعجزات التى ادالت من خصمهم وحمت قوتهم ، وكشف لهم عن نور البصيرة فعرفوا وجهل عدوهم ، وانار لهم الطريق وأظلم أمام عدوهم لانهم على الحق ولانهم جاءوا دفاعا عن النفس والارض متمسكين بقول الحق تبارك وتعالى :

« اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق » .

ولقد كانت صيحة الله أكبر تشق لهم الطريق كالشهاب الثاقب تلقى الضوء الى آخر المدى ، وكانت بسم الله الرحمن الرحيم عاصمة من الزلل ، وكان ثباتهم فى المواقع الحصينة من المعجزات التى تحققت والتى تتحقق دائما للمؤمنين بالله متى التمسوا طريقه ومنهجه ومتى آخذوا بأسباب القوة مع المحافظة على الاعتماد على الله والثقة به .

وهذه هى المرة الاولى منذ ربع قرن كامل ، يكشف التاريخ صفحة جديدة فيها اشبه بصفحتها الاولى ، ويؤكد للمسلمين أن نصرهم قريب وحاسم متى التمسوا قوتهم فى اطار الايمان بالله وكذلك فقد حطم هذا النصر الحاسم ، ذلك الماضى ومزق ذلك الظلام وكشف الضوء عن وجه الحق ، فانحسر الوهم الزائف الذى اقامه الباطل ، وقد حل اليقين بديلا من الخوف والايمان بديلا من الشك وجاءت الضربة الاولى حاسمة ثم توالت الانتصارات وسوف تتوالى .

عمر ابن الخطاب واهتمامه بالجند

سيدنا عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين ، رضى الله تعالى عنهم ، أول من جعل جند جيشه فئة مخصوصة اذ انشأ (ديوان الجند) للاشراف عليهم والعناية بهم .

وكان القتال فى أول عهده ، رضوان الله عليه ، يقوم على العاطفة الدينية والرغبة فى نشر الاسلام .

ولما انتهت جيوش المسلمين من فتح بلاد العراق والشام وفلسطين ومصر أقام الجند فى تلك البلاد فى معسكرات خاصة بهم ، وانصرفوا للزراعة والعمل وامتلاك العقارات فانصرفوا بذلك عن الجندية وفترت الروح العسكرية فيهم ، وقد فطن عمر ، رضى الله تعالى عنه ، الى ذلك فأمر جنده أن يتفرغوا للجهاد ، ورتب رواتب لهم ولاسرهم .

المستشار عبد الستار آدم

وكان أقل راتب للمجند مائتى درهم سنويا ، ثم زاد الى ثلثمائة ، وراتب الضابط من سبعة آلاف الى عشرة آلاف درهم سنويا ، وذلك فضلا عن راتب آخر لزوجة كل منهم ولكل طفل من أطفاله .

وكذلك تكفل ، رضوان الله تعالى عليه ، باطعامهم وكسوتهم وذلك دون مقابل .

وفوق كل ذلك كانت توزع عليهم أربعة أخماس الغنائم التى اغتنموها من فتوحاتهم - وكانت هذه الغنائم كبيرة جدا .

ولم يكن عمر - رضوان الله عليه يسمح بتغيب الجندى عن زوجته وأولاده أكثر من أربعة أشهر الا اذا دعت الضرورة .

ولكن لماذا أربعة أشهر بالذات ولم تكن أكثر من ذلك أو أقل ؟

وللرد على هذا السؤال نذكر حادثة طريفة :

ر فقد روى أن عمر كان يطوف ليلة بالمدينة فسمع امرأة تنشد

ألا طال هذا الليل واسودت جوانبه
وأرقنى الا حبيبا ألاعبه
فوالله ، لولا الله لا شئ غيره
لزعزع من هذا السرير جوانبه
مخافة ربى والحياء يكفنى
واكرام بعلى أن تنال مراكبه

فلما كان الغد استدعاها عمر وسألها : أين زوجك ؟

قالت : بعثت به الى العراق ، فأنت به أعلم

فاستدعى عمر نساءه وسألهن : كم تصبر المرأة على زوجها ؟

فقلن : شهرين ، ويقل صبرها بعد ثلاثة أشهر ، وينفد صبرها فى أربعة أشهر

ولذلك فقد أمر بألا يتغيب الجندى عن زوجته وأولاده أكثر من أربعة أشهر الا اذا دعت الضرورة الى أكثر من ذلك .

وكان ، رضى الله تعالى عنه ، يبذل اهتماما كبيرا بصحة الجند فلحق بكل جيش عددا كافيا من الاطباء المتفرغين للعناية بصحتهم .

كما أنه أقام معسكرات فسيحة فى أماكن صحية لراحة الجند فى أثناء الطريق ، بعد أن كانوا يستريحون فى أكواخ بسيطة مصنوعة من سعف النخل .. وكان بكل معسكر حظيرة كبيرة لخيلهم بمعداتها ، وخصصت مراع واسعة لتلك الخيول .

وكان كل جندى يستريح أربعا وعشرين ساعة كل اسبوع كما أوصى ، رضوان الله عليه ، قواد الجيوش بالاهتمام بجندهم .. من ذلك ما ورد بالخطاب التاريخى الذى أرسله الى سعد بن أبى وقاص « ١ »

[١] سعد بن ابى وقاص : صحابى جليل وقائد من أعظم قواد المسلمين فى صدر الاسلام ، قاد الجيوش الاسلامية فى معركة القادسية وفتحت على يده المدائن وبلاد الفرس .

الذى بدأه بأن أمره ومن معه من الجنود بتقوى الله ، كما حذره وجنوده من المعاصى ، وأن يسألوا العون من الله تعالى على أنفسهم ، وبعد ذلك قال عن قائد جيشه ما يلى حرفيا :

« وترفق بالمسلمين (٢) فى مسيرهم ولا تجشمهم [٣] مسيرا يتعبهم ، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم ، حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم ، فأنهم سائرون الى عدو مقيم حامى النفس والكراع (٤) ، وأقم بمن معك فى كل جمعة يوما وليلة ، حتى تكون لهم راحة يحبون فيها أنفسهم ، ويرمون (٥) أسلحتهم وأمتعتهم .

ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة (٦) فلا يدخلها من أصحابك الا من يثق بدينه ، ولا يرزأ أحدا من أهلها شيئا فان لهم حرمة وذمة ..

ثم استمر فى كتابه يقول لقائد جيشه :

« ... واذا وطئت أرض العدو فأذك العيون (٧) بينك وبينهم ، ولا يخف عليك أمرهم ، وليكن عندك من العرب أو من أهل الارض من تطمئن الى نصحه وصدقه ، فان الكذوب لا ينفعك خبره وان صدقك فى بعضه ، والغاش عين عليك وليس عينا لك .

وليكن منك عند دنوك (٨) من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا (٩) بينه وبينهم .

وتنق للطلائع أهل الرأى والبأس (١٠) من أصحابك ، وتخير لهم سوابق الخيل ، فان لقوا عدوا كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك .

واجعل أمر السرايا الى أهل الجهاد والصبر على الجلاد (١١) ، ولا تخص بها أحدا بهوى فتضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حابيت به أهل خاصتك .

ولا تبعثن طليعة ولا سرية فى وجه تتخوف فيه غلبة أو ضيعة أو نكاية (١٢) ، فاذا عاينت العدو فاضمم اليك أقاصيك وطلائعك وسراياك ، واجمع اليك مكيدتك وقوتك ، ثم لا تعاجلهم بالمناجزة [١٣] ما لم يستكرهك قتال ، حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله وتعرف الارض كلها كمعرفة أهلها وتصنع بعدوك كصنعه بك ثم أذك أحراسك على عسكرك ، وتيقظ من البيات [١٤] جهدك — والله ولى أمرك ومن معك ، وولى النصر لكم على عدوكم ، والله المستعان ، والحمد لله رب العالمين » (١٥) .

وكان عمر ، رضى الله تعالى عنه ، يراعى عدم ارهاق جنوده ، فكان يختار للحملات المناطق الباردة صيفا — وكانت تسمى الصوائف — ويختار الدافئة شتاء — وكانت تسمى الشواتى .

وكان لاهتمامه ، رضوان الله عليه ، بجنود جيوشه أثر بالغ فى انتصارها على جيوش الاعداء ، فامتدت الفتوحات فى أيامه ، وتوسعت حدود الدولة الاسلامية فبلغت مشارف فارس شرقا ، وطرابلس غربا ، ومشارف الروم شمالا ، والحبشة جنوبا ، وارتفع صوت الاسلام عاليا فى تلك البلاد ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

وقد حذا الخلفاء المسلمون بعد ذلك حذو عمر ، رضى الله تعالى عنه ، فى الاهتمام بجيوش المسلمين مما كان له أكبر الاثر فى انتصاراتهم وفتح بلاد الفرس والروم وشمال افريقية والحبشة والاندلس .. الخ تلك الانتصارات المعروفة .

وهذا هو رئيسنا المحبوب وقائدنا المؤمن محمد أنور السادات يولى جيشنا عظيم اهتمامه ، فلم يأل جهدا فى العناية به وتدريبه على استخدام أحدث الاسلحة ، وقد برز هذا واضحا جليا حين دقت ساعة الصفر ، للخلاص من الكابوس الذى ظل جاثما على صدورنا ست سنوات طوال ، فاندفع جيشنا يعبر القنال ويحطم أعتى حصون العدو وأقواها منذ فجر التاريخ ، ويوقع بجيش العدو — الذى زعموا أنه لا يقهر — هزائم متتالية شهد لها الاعداء قبل الاصدقاء .. وأمام هذه الانتصارات المؤزرة وقف العالم كله مشدوها مبهوتا ثم أفاق الى الحقيقة المذهلة — حقيقة الجندى العربى حين تتاح له فرصة التدريب وتهيأ له القيادة الامينة المخلصة ، والتى تهيأت فى زعيمنا الرئيس المؤمن محمد أنور السادات سدد الله على طريق النصر خطاه ، انه نعم المولى ونعم النصير .

---

[٢] المسلمين : يقصد الجند .
[٣] لا تجشمهم : لا تكلفهم .
[٤] الكراع : أسم جمع للخيل
[٥] يرمون بضم الراء : يصلحون
[٦] ونح منازلهم عن قرى أهـل الذمة : يقصد عدم التعرض بأذى لأهل الذمة
[٧] أذك العيون : اذك : من ذكت النار أى اشتعلت والعيون : والمراد أثر [بكسر الثاء] فى جواسيسك الحمية والنشاط .
[٨] دنوك : قربك .
[٩] السرايا : جمع سرية وهى الجماعة من الجيش .
[١٠] البأس : القوة .
[١١] الجلاد : الصلابة من القتال .
[١٢] نكاية : النكاية القتل والجرح
[١٣] المناجزه المقاتلة .
[١٤] تيقظ من البيات : احذر ما يدبره العدو لك فى الخفاء من غدر ووقعية .
[١٥] تاريخ الطبرى الجزء ٤ ص ١٢٤ .

معارك خالدة

الإسلام والحرب

لقد جاوزت بيعة العقبة الثانية الدعوة الى الاسلام الى الدفاع عن العقيدة ودفع الاذى عن المسلمين ورد العدوان بالعدوان ..

وحين سأل الرسول عليه الصلاة والسلام .. من جاءه من أهل يثرب أن يبايعهم على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأولادهم .. مد اليه البراء بن معرور سيد قومه وكبيرهم يده يبايعه قائلا : بايعنا يا رسول الله .. فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر .. فكانت أول اشارة الى القتال على لسان المسلمين ..

الأستاذ عبدالحكيم النجار

فلما قال له العباس بن عبادة :

والله الذى بعثك بالحق ان شئت لنميلنّ على أهل منى غدا بأسيافنا .. أجابه الرسول قائلا :

لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم ..

فلما كانت الهجرة وتكونت الجماعة الاسلامية الاولى بالمدينة نزل قوله تعالى : (**اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله**) فكان الاذن للمسلمين بالقتال ردا للعدوان ودفاعا عن العقيدة وحرية الدعوة ..

الاذن بالقتال

وما أن مضى على مقام النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرين بالمدينة ستة اشهر حتى بعث بالسرايا ترود الطرق على قوافل قريش فى رحلتها الى الشام صيف كل عام .. فلا تشتبك فى قتال الا ما كان من سرية عبد الله بن جحش .. اذ بعثه رسول الله فى جماعة من المهاجرين .. ومعه كتاب أمره ألا ينظرفيه الا بعد يومين من مسيره فيمضى لما أمره ولا يكره من أصحابه أحدا ..فلما فض عبد الله الكتاب بعداليومين قرأ فيه ...

اذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة .. وهى مكان بين مكة والطائف .. فترصد لنا قريشا وتعلم لنا من أخبارهم ..

ومضى عبد الله بصحبه لم يستكره احدا حتى جاء نخلة آخر رجب فمرت بهم عير بتجارة لقريش عليها عمرو بن الحضرمى .. فتذكروا ما صنعت قريش بهم وقالوا : والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم به .. ولئن قتلتموهم لتقتلنهم فى الشهر الحرام ..

وتهيبوا أن يقدموا على قتال فى الاشهر الحرم .. ثم غلبتهم حميتهم فحملوا عليهم وأصابوا عمرو بن الحضرمى بسهم قتله وأسروا رجلين من قريش .. وحجزوا مما غنموا .. قدموا به على الرسول .. فلما رآهم قال لهم : ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام .. ووقف العير والاسيرين وأبى أن ينال منهما شيئا ...

ولقى عبد الله بن جحش وصحبه من تعنيف المسلمين ما لقوا ، وذهبت قريش تثير العرب على المسلمين أن استحلوا الشهر الحرام فسفكوا فيه الدماء وأسروا الرجال وأخذوا الاموال .. حتى نزل قوله تعالى :

(يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله) .

وطابت نفوس المسلمين بما نزل به القرآن .. وقبض النبى العير والاسيرين فافتدا منهما سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان وكانا قد وقعا فى أسر قريش ..

ولم يعد هناك ما يصد المسلمين عن القتال دفاعا عن عقيدتهم وتأمينا لحرية الدعوة اليها ..

الرأى والحرب والمكيدة

نزل المسلمون أدنى ماء من « بدر » استعدادا للمعركة بينهم وبين مشركى قريش .. فلما رأى الحباب بن المنذر منزلهم وقد خبر المكان ، توجه الى رسول الله قائلا :

يا رسول الله ارأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله .. فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ ..

فقال صلى الله عليه وسلم :

بل هو الرأى والحرب والمكيدة فقال .. يا رسول الله ، فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزل ثم نغور ما وراء من القلب - البئر - ثم نبنى عليه حوضا فنملاه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون ..

ورأى النبى صواب رأيه فاتبعه ، وكان النصر فى بدر فاتحة انتصارات المسلمين الباهرة .. وكانت الشورى جوهر النظام الاسلامى ، ضرب بها النبى الكريم أرفع المثل ...

الشهادة والاستشهاد

كان الرسول القائد صلى الله عليه وسلم أشد ما يكون اشفاقا مما تسفر عنه المعركة فى « بدر » بين المسلمين والمشركين فاتجه الى ربه بالدعاء واستقبل القبلة يناشده جل وعلا أن ينجز له ما وعده ويقول :

اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى .. اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد ..

وظل يناشد ربه ويدعوه حتى انحسر الرداء عن منكبيه فأخذ أبو بكر يرده عليهما وهو يقول : يا نبى الله .. بعض مناشدتك ربك فان الله منجز لك ما وعدك ...

ثم انتابته خفقة من نعاس رأى فيها النصر من عند الله .. فانتبه مستبشرا وخرج الى أصحابه ببدر يقول :

والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة ...

واندفع المسلمون يدفعهم الايمان .. فاما النصر وفيه العزة للمسلمين واما الشهادة وبعدها الجنة .. وفيها نزل قوله تعالى :

(يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون) .

ووقف النبى يستقبل المعركة والمسلمون يقطعون رقاب الكفر ، وتناول حفنة من الحصا ألقى بها فى وجه العدو وهو يقول : شاهت الوجوه . ويأمرهم بأن يشدوا عليهم فشدوا وكان نصر الله وفيه نزل قوله تعالى :

(اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان) .

وأنجز الله ما وعد المؤمنين .. وبقيت بدر ذكرى خالدة فى تاريخ الاسلام ..

وقد كانت الشهادة لمن نالها فى أحد وكانوا خيرة من المسلمين ، نالها **حمزة بن عبد المطلب** وكان أول من أطلق صيحة القتال ، وطاح بسيفه فى رءوس الكفار ، فكان من صرعاه أرطأة بن عبد شرحبيل وسباع بن عبد العزى الغبشانى ، ونالها **أبو دجانة** وقد ترس بنفسه دون رسول الله دفاعا عنه والنبل يقع فى ظهره .. وكان أبو دجانة ممن يختالون شجاعة وكانت له عصابة حمراء اذا لبسها علم الناس أنه سيقاتل وأنه أخرج عصابة الموت ، وقد أعطاه رسول الله سيفه تكريما وتعظيما لشجاعته ..

ونال الشهادة أيضا **أنس بن النضر** وقد رأى أبا بكر وعمر وآخرين وقد ظنوا الرسول قد قتل فانتحوا الجبل وألقوا بأيديهم ، فقال لهم :

ما يجلسكم ؟ قالوا ، قتل رسول الله ، قال فما تصنعون بالحياة بعده ، قوموا فموتوا على ما مات عليه ، ثم ألقى بنفسه على المشركين وهو يقول : اللهم أنى اعتذر اليك عما صنعه المسلمون ، وأبرأ اليك مما صنع المشركون ، ولقيه سعد بن معاذ ، فقال له وهو يحمل : يا سعد ، الجنة ورب النضر ، انى أجد ريحها من دون أحد .

ومن شهداء أحد **عمرو بن الجموح** وكان به عرج ، رأى فيه بنوه رخصة له عن خوض المعركة وقالوا له : نحن نكفيك ، وقد وضع الله عنك الجهاد ، فجاء النبى شاكيا وهو يقول يا رسول الله ان بنى هؤلاء يمنعوننى أن أخرج معك ، والله انى لارجو أن استشهد فأطأ بعرجتى هذه الجنة .. وقال النبى : وما عليكم أن تدعوه لعل الله عز وجل أن يرزقه الشهادة .. ودعا عمرو ربه وهو يخرج القتال قائلا .. اللهم أن ارجعتنى فأرجعنى منصورا وان قبضتنى فاقبضنى شهيدا .. فلما سمع النبى باستشهاده قال : لكأنى أرى عمرو بن الجموح يمضى بعرجته هذه سليما فى الجنة ..

فاذا عدونا فجر الاسلام وضبحه الاول رأينا روح الاسلام ما انبعث فى النفوس تمضى بأصحابها الى النصر كما مضت بأبطال بدر والقادسية واليرموك ، فكان انتصار ألب أرسلان فى ملازكود وصلاح الدين فى حطين وقطز فى عين جالوت انتصارا لروح الاسلام ...

وأخيرا كانت معركتنا فى سيناء فاندفع جند الله موقنين بنصره فكانوا كالشهب تومض فى ظلام الكون فتحطمت الاسطورة ورفع الجند أعلام النصر فى صحراء سيناء بمشيئة الله وعونه فتحية لجنودنا الابطال وتحية لارواح الشهداء فى الجولان والقدس ..

من المعلوم بما لا يدع مجالا لمجادل او مخادع أن السلام مبدأ من مبادىء الاسلام يحرص كل الحرص على أن يسود الامن وتنتشر الطمأنينة بين الناس جميعا مسلمين وغير مسلمين على سواء.

فالاسلام يحب الحياة بل ويقدسها ويحبب الناس فيها ويعمل على تحررهم من الخوف فقد شرع نظاما أمثل لتعيش الانسانية كلها تحت لوائه لا يعنيها بعد الا ان تتجه الى غاياتها من الرقى والتقدم .

بل ان لفظ الاسلام الذى هو سمة هذا الدين وعنوانه مأخوذ من مادة السلام ، والذى انزل هذا الدين على خاتم رسله ، من اسمائه « السلام » لانه سبحانه يطمئن الناس ويؤمنهم بما سن لهم من مبادىء وبما رسم لهم من خطط ومناهج .

الدكتور فكرى أحمد عكاز

وقد حمل محمد صلى الله عليه وسلم راية السلام فرسالته صلى الله عليه وسلم هدى ونور وخير ورشاد للناس كافة .

يقول صلى الله عليه وسلم « **انما أنا رحمة مهداة** » ويقول سبحانه وتعالى فيه « **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** » .

والتحية الوحيدة للمسلمين هى السلام ، وأقرب الناس الى الله من بدأهم بالسلام ،واشاعة السلام بين الناس جميعا والعمل على استقراره وتثبيته جزء من الايمان . يقول صلى الله عليه وسلم . ان الله جعل السلام تحية لامتنا وأمانا لاهل ذمتنا ، وما ينبغى للانسان آن يتكلم مع انسان قبل أن يقرأه السلام ، وهذا لان السلام أمان ، ولا كلام الا بعد الامان ، يقول صلى الله عليه وسلم « السلام قبل الكلام » وقال عليه السلام « **من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدأ بالسلام** » وقال بعض الصحابة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم استأذن فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ارجع فقل السلام عليكم وادخل » وقال عليه السلام « افشوا السلام بينكم » والمسلم وهو يناجى ربه فى الصلاة مكلف بأن يسلم على نبيه وعلى نفسه وعلى جميع عباد الله الصالحين : « السلام عليك أيها النبى السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » وحين خرج المسلم من صلاته واقباله على الدنيا يقول السلام عليكم ورحمة

الله وبركاته فحياة المسلم سلام فى سلام بالنسبة لجميع الناس مسلمين وغير مسلمين وحتى فى ميدان القتال اذا نطق المقاتل كلمة السلام وجب على المسلمين الكف عنه والبعد عن قتاله : يقول الله تعالى : « **ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا** » ، ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم لاسامة حين قتل من نطق بالشهادتين ظنا منه أنه يقولهما توقيا من القتل لا مؤمنا بهما « **أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا** » .

وان الله يحيى المؤمنين بتحية السلام « **تحيتهم يوم يلقونه سلام** » ، الملائكة يحيون المؤمنين فى الاخرة بالسلام « **والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم** » .

ونهاية استقرار الصالحين دار الامن والسلام « **والله يدعو الى دار السلام** » « **دار السلام عند ربهم** » وأهل الجنة لا يتحدثون ولا يسمعون الا لغة السلام « **لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما** » .

ومن هذا يتضح أن الاسلام لا يحيد عن مبدأ السلام واشاعته الى الحرب الا دفاعا عن النفس أو المال أو العرض أو الوطن أو الدين أو تأمينا لدين الله فى الارض .

فالحرب لا يقبل عليها المسلمون الا مضطرين والا اذا طرقوا كل باب من أبواب السلم .

ولم يشرع الاسلام سلاحا قط فى وجه أعدائه لغير هذه المبادىء فلم يكره أحدا على اعتناق عقيدته يقول سبحانه « **لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** » ويقول « **ولو شاء ربك لامن من فى الارض كلهم جميعا افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** » .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن له وظيفة الا أنه مبلغ عن ربه وداعية اليه . يقول عز وجل « **يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا** » .

ومن يتأمل الاحداث التى جرت فى منطقتنا منذ أن تولى قائدنا المؤمن محمد أنور السادات قدره يجد بما لا يدع مجالا حتى لعدو أن ينكر أن القائد الذى اعتمد على ربه قد أخذ هذا المفهوم الاسلامى فى اعتباره ولم يحد عنه ، فطرق كل ابواب السلام بابا بابا بل لم يكتف بمرة واحدة ، وكثيرا ما نبه وحذر ولكن الغرور والصلف كانا من طبيعة عدونا فسد علينا كل باب للسلم فماذا يفعل القائد اذا لم يجد أمامه الا بابا واحدا هو باب القتال فطرقه معتمدا على ربه بيد ثقيلة من حديد ، فوقعت الحصون الحصينة هشة سهلة على جنود تيقنوا أن لا أحد أكبر من الله لذا كان هتافهم « الله أكبر » قالوها فاستصغروا بعده سبحانه كل شىء فتهاوت الحصون حصنا تلو حصن ، وأصبحت المعارك أهون على جنودنا من البيانات التدريبية ، هكذا قال رئيس أركان حربنا اللواء الشاذلى ، وصدق هذا القول كثير من جنودنا ممن قابلت .

وبعد فقد كتب القتال ولم يكن محببا لنا أن نقاتل « كتب عليكم القتال وهو كره لكم . ولكن « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » صدق الله العظيم .

هل تعرف رجل الصدق ؟ .. وبماذا ؟

حدثنى أبو حاتم عن الاصمعى عن العمرى قال : قال رجل لعمر بن الخطاب [رضى الله عنه] : ان فلانا رجل صدق ، قال : سافرت معه ؟ .. قال : لا .. قال : فكانت بينك وبينه خصومة ؟ .. قال : لا .. قال : فهل ائتمنته على شىء ؟ .. قال : لا .. قال [رضوان الله عليه] : « فأنت الذى لا علم لك به أراك رأيته يرفع رأسه ويخفضه فى المسجد » .

عاجل بشرى المؤمن

عن وكيع ، عن سعيد ، عن ابى عمران ، عن عبد الله بن الصامت ، قال : قال أبو ذر : قلت للنبى [صلى الله عليه وسلم] : الرجل يعمل العمل ويحبه الناس عليه — وفى روايته ويحمده الناس عليه — فقال [صلوات الله عليه] : « تلك عاجل بشرى المؤمن » .

وقال النبى [صلى الله عليه وسلم] : « اذا أردتم أن تعلموا ما للعبد عند الله فانظروا ماذا يتبعه من الثناء » .

اليهود

أولياء الشيطان في أرض الأنبياء

حياة الشر والجريمة التى تحياها – الان – علانية ، دولة العصابات اليهودية على أرض العرب المغتصبة ، ليست فقط دليل الصدق الذى لا شك فيه لما قصه القرآن الكريم ، منذ أربعة عشر قرنا ، من آثام الفئة الباغية من بنى اسرائيل ، وانما هى كذلك ، ترجمة . وتطبيق لما ورد فى كتبهم منسوبا الى أنبيائهم وأحبارهم ، ولما تضمنته مقررات مؤتمراتهم ، فى النصف الثانى من القرن الماضى ، وهى المسماة بـ (برتوكولات حكماء صهيون) .. ففى هذه وتلك نصوص صريحة ، تصور منازعهم الاجرامية وأهدافهم السوداء ، ووسائلهم الخبيثة ، لافساد الشعوب والمجتمعات ، وتقويض فضائلها وحضاراتها ، حتى تتساقط بين أيديهم ، فيمسكون بزمامها ، ويتحكمون فى مصائرها ، يدفعهم الى ذلك اعتقاد خرافى يعيشونه باطلا ، ويتعبدون به ضلالا ، ويعملون لتحقيقه بأقصى ما يستطيعون ، هو : انهم ذرية الانبياء ، وأحباء الله وشعبه الاثير المختار الخ ..

الأستاذ أحمد وافى

ولا نقف عند هذه العقيدة الخرافية ، فما أكثر ما كتبنا وكتب غيرنا فى تفنيدها ، وقصارى ما يقال فيها أنها رشح أفكار عنصرية متهوسة ، مجافية لطبيعة الحياة ، ومنافيه للحقائق الانسانية الثابتة ، فالناس كل الناس ، سواء لاب وأم ، لا يتفاضلون بانساب وأحساب ، وانما يتفاضلون بصالحات الاعمال ، وقد صاغ القرآن الكريم ، هذه الحقيقة الابدية التى أجمعت عليها كل شرائع الله ورسالاته بقوله عز وجل : « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم** » .

وبعيدا عن مناقشة تلك الخرافة اليهودية المشئومة ، نرى أنها لعنة الله تلازمهم جيلا بعد جيل وعصرا بعد عصر ، استحقوها بعصيان الله ومتابعة الشيطان « **وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** » .

ويرتد بنا التاريخ أربعة آلاف سنة أو نحوها ، فنرى الطبقة الاولى منهم ، وهم أبناء يعقوب « اسرائيل » العشرة – أجداد مغتصبى أرض العرب – يكررون أول جريمة فى تاريخ البشرية : جريمة ابنى آدم هابيل وقابيل ، فأحدهما قتل أخاه حقدا وحسدا ، وهكذا فعل الاخوة العشرة بأخيهم يوسف ، ائتمروا به ليقتلوه حقدا وحسدا ، فالقوه فى الجب ، وهم وقتئذ فى ظل أبيهم النبى الصالح ، وعلى ملة أبويه ابراهيم واسحق .

ونجا يوسف من كيدهم ، وباركه الله ، واقامه على خزائن الارض فى مصر ، فعفا عنهم ، وجاء بهم من البدو (وكانوا رعاة أغنام ببادية فلسطين) واقطعهم فى مصر اقطاعا كبيرا ، نعموا به واثروا ، ولم يقنعوا بالارض تدر عليهم اخلاف الرزق ، فتاجروا ، واحتكروا الأقوات ، واستغلوا الشعب أسوأ استغلال

وبالاخص فى سفينة العجاف المعروفة ، وسلك أبناؤهم مسلكهم بعد عهد يوسف ، استنزافا وتفحشا فى المعاملات ، فاضطربت بسببهم الموازين الاقتصادية والاجتماعية ، ولم يعرفوا حق البلاد عليهم فخانوها باتصالهم باعدائها فى الخارج ، فكرههم الناس ، وعاقبهم فرعون على هذه الخيانة بالمصادرة والاستعباد ..

وظلوا كذلك عدة قرون ، الى أن جاءهم موسى عليه السلام ، فجمعهم وخرج بهم يبتغى لهم الحرية ، والهداية ، ولكنهم فى الطريق شاقوه ، وخالفوه ، وكان نساؤهم قبل الرحيل قد احتلن على صواحبهن المصريات ، فاستولين على حليهن الذهبية ، فجمعها « السامرى » ـ وهو منهم ـ فصنع لهم منها عجلا ، فاتخذوا هذا العجل الها ، وعبدوه دون اله موسى منقذهم ومحررهم ؟ . فلما انكر عليهم موسى هذه الردة الشنعاء ، سألوه أن يريهم الله عيانا ، فأخذتهم الصاعقة « **وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون** » ولكنهم لم يشكروا ولم يتعظوا وامعنوا فى مشاققة موسى حتى ضاق بهم ذرعا فدعا الله أن يفرق بينه وبينهم : « **قال رب انى لا أملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين** » .

كانوا غلف القلوب قساتها « **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة** » . فاعمتهم غريزتهم الشريرة عن النور الذى جاءهم به موسى ، واستمروا من بعده يتنكبون طريقه ويترددون فى معصية الله ، فأرسل اليهم رسله وأنبياءه تباعا ، حتى بلغوا ـ فيما يروى ـ أربعمائة نبى ورسول (وهذا العدد الكبير من الرسل والانبياء يدل على مبلغ ما كان عليه هؤلاء القوم من الكفر والعناد) فكانوا يكذبونهم ويقتلونهم أيضا ، وقد سجل الله تبارك وتعالى هذا الكفر عليهم ، فقال عز من قائل : « **لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل ، وأرسلنا اليهم رسلا ، كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم ، فريقا كذبوا وفريقا يقتلون** » .

ولما استفحل شرهم ، وشغلتهم دنياهم وأهواؤهم بالحرام عن الحلال ، وجعلوا من « الهيكل » ودور العبادة أسواقا للتجارة ، وحتى لا تكون لهم بعد ذلك حجة على الله اذا ما نزلت بهم قارعة غضبه ، أرسل اليهم عيسى عليه السلام ، مستهلا بمعجزة ميلاده ، ومزودا بعدها بالايات والخوارق التى تهز وجدانهم ، وتوقظ قلوبهم ، وعقولهم ، وتهديهم الى الخير الذى انسلخوا منه فآمن به الاقلون ، وكفر به الاكثرون ، وراحوا يكيدون له كيدا متصلا ، وكانوا تحت حكم الرومان ، فاتهموه بالثورة والمروق ، واستعدوا عليه الحاكم الرومانى ، وقالوا له : (**اقتله ودمه فى رقابنا فسيق الى « الصلب »** وفق ما أرادوا ..

فالى هنا ـ أى منذ نحو ألفى عام ـ لا نرى فيهم الا كفرا وفسوقا وعصيانا وغدرا ، وتكذيبا وقتلا للانبياء ؟

وبهذه الاخلاق الشيطانيه عاشوا الفى عام . (من اسرائيل الى عيسى) وبعد عيسى عليه السلام، طفقوا يمارسون الحياة على مقتضى الشهوات والاهواء . لا على مقتضى الدين . واسرفوا فى ذلك وازدادو بغيا ، حتى أثاروا عليهم فى مختلف المواطن والاقطار نقمة الشعوب وسلطات الحكم . وكان هذا داعية ما نزل بهم من وقعات القتل والتشريد خلال العصور المختلفه . من عصر الرومان والفرس البعيد الى عصر ألمانيا الهتلريه القريب ؟ ..

ومن عيسى عليه السلام الى يومنا هذا ـ أى على امتداد الفى عام ـ كانوا شرا مستطيرا على المسيحيين والمسلمين معا . وحديثهم فى ذلك طويل . ندعه الى التاريخ وفيه لمن شاء مزيد تفصيل .

على انه لم يعد ثمة خفاء فى انهم يركزون الان على العرب المسلمين . ويفردونهم بالبغى والعدوان يغتصبون أرضهم . وينتهكون مقدساتهم . ويهدرون دماءهم ، مؤيدين فى ذلك من اكبر الدول الامبرياليه فى العالم وهى الولايات المتحدة الامريكيه ، وقد يبدو هذا غريبا من هذه الدوله فهذه الدوله الكبيرة ، وخاصة حين يكون واضحا أن اليهود يقيمون دولتهم على أساس من العنصرية الجنسية والعصبية الدينيه المعاديه للمسيحية ، ولكن لا غرابة فهذه الدوله الكبيرة ملأى بالغرائب والمتناقضات ، وقد استطاع اليهود بوسائلهم المخططة أن يتبوأوا فيها مراكز التوجيه والقيادة !

فنحن ـ تلقاء هذا الخطر الصهيونى الاستعمارى ـ مدعوون الى جهاد مقدس ، وهو دعاء يجد فى كل مسلم حقه من الاستجابة والبذل والسماح، بالاموال والارواح ، وقد مررنا بالتجربة ونجحنا واكتشفنا انفسنا ، فاذا نحن بحق الحفدة الاصلاء لاسلافنا أبطال الجهاد فى أيام بدر ، وأحد ، وحنين ، ومؤتة ، وتبوك ، والقادسية ، واليرموك ، وجبل طارق ، والزلاقة ، وحطين ، وعين جالوت ، وغيرها من ايام الاسلام الخالدات .

وفيما نأخذ به أنفسنا من التهيؤ والاستعداد للمعركه الفاصلة ينبغى أن نذكر دائما ، ان ما نرى من عداء اليهود وكيدهم للاسلام والمسلمين ، ليس أمرا جديدا ، فذلك داء عضال قديم بدأ من فجر الاسلام ، واسترسل بعد ذلك فى أشكال متعددة عبر القرون والاجيال .

كان اليهود فى يثرب « المدينة المنورة » وقت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم اليها . يمثلون قوة (استعمارية) ذات تأثير كبير واضح فى حياة العرب ، ولم يكونوا عربا ، وانما كانوا غرباء لاجئين هربا من مذابح الرومان ، فاستقروا ..

كانوا يمتازون بأنهم أهل كتاب ، وان لهم علما ، وانهم أصحاب أموال يملكون بها ناصية الاسواق تجارة وصناعة ..

فلما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم ورأوه وسمعوا دعوته ، لم يخف عليهم أن أمره سينتشر ويعلو ، وان مكانتهم ومصالحهم توشك أن تتهاوى ، فتقدموا اليه ، يرحبون بمقدمه ، ويقاربونه ، طمعا فى أن يكونوا المقدمين أصحاب المشورة والرأى عنده ، فيكسبون به ولا يخسرون .

وكان صلى الله عليه وسلم قد أخذ فى توحيد مجمع المدينة ، مؤاخيا بين المهاجرين والانصار ، فاضاف اليهود الى هذه الوحدة باعتبارهم جزءا من هذا المجتمع ، وأكد ذلك بعهد مكتوب ، اعطاهم فيه الامن والسلامة وحرية العقيدة ، فهم أهل شريعة سماوية تقوم على التوحيد ، واعطوه على انفسهم موثقا أن يسالموا ولا يغدروا وأن يكون بينهم وبين المسلمين الاخلاص والتناصر الخ . غير أنهم مالبثوا ان غلبتهم غريزة الشر والحقد ، فبيتوا أمرهم على تقويض الدعوة فى قلوب الناس ، واستعملوا المنافقين فى بث الاراجيف والشكوك ، ودخل نفر من اليهود أنفسهم فى الاسلام نفاقا لاثارة الشبهات عليه من الداخل ، وراحوا يهيجون العداوات القديمة التى كانت بين الانصار (الاوس والخزرج) بعد أن وحدهم الإسلام وطهرهم ، وكادت تشتعل الفتنة المدمرة ، لولا أن تداركها رسول الله ، فانطفأت .

وحين انتصر المسلمون على المشركين فى بدر ، لم يستطع اليهود حبس مشاعر الغيظ ، فاستعلنوا بها ، وسعوا الى قريش يصطنعون الحزن على قتلاهم ، ويدفعونهم دفعا الى الخروج للثأر ، وكان المشركون يرون أن هؤلاء اليهود ، الاصدقاء ، أصحاب كتاب ، ويعلمون من أمر محمد ما لا يعلمون ، فسألوهم : هل دينهم – أى وثنيتهم – خير ، أم دين محمد ؟ فجاء جوابهم يتنزى حقدا وسخيمة ، قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وانكم أهدى من المسلمين سبيلا ، فأنزل الله فى ذلك الموقف الشائن قوله تبارك وتعالى : « **ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ، يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا** » .

وكان من نتائج تحريضهم المشركين من قريش وغير قريش ، أن تدافعت جيوشهم الجرارة على المسلمين فى موقعتين بالغتى الخطر :**موقعة احد ، وموقعة الاحزاب** ، وكان موقفهم فى الموقعة الثانية بخاصة موقف الخيانة الرهيبة التى كادت أن تبلغ من المسلمين أسوأ مبلغ لولا لطف الله ونصره فى اللحظات الاخيرة ..

ومن مواقفهم العدائية التى تكشفوا بها انهم حاولوا مرتين قتل رسول الله ، الاولى عندما ذهب الى بنى النضير يسألهم أمرا مما يقضى به عهدهم معه ، فأخذ أحدهم حجرا وأراد أن يطرحه عليه وهو جالس ، فاخبره الله قبل أن تتم الجريمة ، ونجا . والثانية عندما قدمت اليه يهودية من خيبر طعاما مسموما ، فأخبر به فلفظه ، ونجا ، واعترفت المرأة .

وغير هذا ، وهذا ، كثير من مواقف العداء والتآمر والتشكيك ، فى وقت كانت الدعوة فيه محاطة بأعدائها الاقوياء داخل الجزيرة وخارجها ، وهى بعد ما تزال تخطو على أول الطريق ، فكان اليهود لهذا خطرا شديدا يتهددها من قريب . ومن هنا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد طول موادعة وصبر ، أن لا مناص من أخذهم بالحزم الذى تفرضه مسئوليته تجاه رسالة الله العظمى فكان كلما نجم من فريق منهم شر وخيانة أنزل بهم العقاب الذى يستحقونه ، وكثيرا ما كان يكتفى باخراجهم وابعادهم بعد الاطاحة بمن يحملون أوزار الخيانة من كبارهم ، غير أن المبعدين كانوا فى أغلب الاحوال يتجهون الى « خيبر » وهى ريف الحجاز وأخصب بقاعه ، وأوسع منازل اليهود وأكثرها حصونا وقلاعا ، فينزلون فيها ، ويجتمع شملهم المتفرق ، وفيها تحاك المؤامرات وتصنع المكائد ، وتختمر العداوات والاحقاد . ورأى رسول الله أن الخطر عاد يطل بقرونه من هذا الوكر الكبير ، وما كان يسعه أن يسكت عليه ، فخرج بالمسلمين الى هناك ، وكانت موقعة الحصون المنيعة التى أخذت تتساقط حصنا بعد حصن ، وقد دافع عنها أصحابها أشد وأقوى دفاع ولكنهم على ما كان موفورا لهم من السلاح والعتاد وقوة الجلاد وكثرة الرجال ، لم يثبتوا طويلا أمام المجاهدين الابطال من المسلمين ، فاستسلموا ، وغنم المسلمون « خيبر » بخيراتها وذخائرها وأموالها ، وقد ذهبت المعركة باشد يهودها بأسا وخطرا ، فخير رسول الله الباقين منهم بين أن يخرجوا الى حيث ارادوا خارج البلاد ، أو أن يبقوا على أرضهم يزرعونها كما كانوا مناصفة ، فاختاروا البقاء ، وظلوا فيها بضع سنين ولكنهم لفساد طويتهم تعمدوا اهمالها فنقصت غلتها ، وضعفت تربتها ، حتى اذا كانت خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه اجتمع له من الدلالات والاسباب ما حمله على اجلاء كل من بقى من اليهود عن جزيرة العرب فخلت تماما من شرورهم ، ومن خطر خيانتهم وغدرهم ..

ولكنهم خارج الجزيرة واصلوا كيدهم للاسلام والمسلمين ، وساعدهم على ذلك اتساع الدولة الاسلامية وسماحتها ، فكانوا بمداخلاتهم الماكرة ، دعاة فتن ، ومثيرى قلاقل ومفسدى عقائد وأخلاق ، ولهم فى ذلك وقائع واحداث مشهورة لا يتسع لها هذا المقال .

وقد استطاعوا ، آخر الامر ، ان يتسللوا الى الارض العربية ، فى حمى الاستعمار وبمدده ، وأن يجمعوا فيها شتاتهم ، ثم ينقضون عليها فيغتصبونها من أصحابها عنوة وقهرا .

فهم – أولا وأخيرا – بلاء متصل على الاسلام وأهله وأوطانه وعدواتهم له ولهم أبدية لا تنقضى ، وصدق الله العظيم حيث يقول : « **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا** » .

[البقية ص ٦٨]

عقيدة زائفة

ومصير محتوم

الأستاذ عامر العقاد

شركة تبحث عن رأس مالها القديم فتعلم ان الكثير منه قد تبدد وأن مابقى منه يوشك ان يضيع ··· هذه هي حال دولة اسرائيل في هذه الايام التي يعيشها ابناء مصر كجزء من الوطن العربى بعد هزيمة السادس من اكتوبر سنة ١٩٧٣ وبعد العبور الى أرض سيناء الحبيبة ، وبعداندحار تلك الاساطير التى حاكتها قيادة الاركان في جيش اسرائيل بعد الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ حينما أخذت الدعايات الصهيونية المأجورة تملأ العالم الخارجى بصيحات الكذب والخداع والتى منها أن جيش اسرائيل جيش لا يمكن قهره أو الحاق الهزيمة به من الجيوش العربية ·

بل راح ليفي اشكول يطلق عقيرته على صفحات مجلة « نيوزويك الامريكية » بعددها الصادر ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٦٧ بأن الاراضى التى وقعت فى أيديهم يومذاك هى حدود الدولة اليهودية · ولم يكن ليفى أشكول يوم ذاك بمفرده حينما أخذ يملأ الاسماع بذلك الهراء السخيف بل سايرته فيه جوقة شملت رجال السياسة الاسرائيلية جميعهم تقريبا .. وكذلك رجال الدين · الامر الذى حدا بأحد حاخاماتهم أن يصدر فتواه بتفكير كل من يتخلى عن شبر واحد أو ذرة واحدة من الاراضى التى وقعت فى أيديهم · ولم يكن غريبا والحال هكذا أن يعلن يومذاك – أيضا زواخ فارها فتيغ وزير الشئون الدينية الاسرائيلى قوله « ها قد عدنا الى أرضنا ، ومن الان الى الابد » ·

ولست أدرى أين هؤلاء القوم اليوم ليروا ماذا حدث لهم بعد عملية العبور العظيمة التى وقف العالم كله مشدوها من أجلها ·

لقد فات أصحاب تلك الدعايات الكاذبة والمروجون لتلك الاكذوبة الكبرى أن الامة العربية هى أمة تؤمن بحقها حتى ولو نبع ذلك الحق من فوهة المدفع ، وأنها بعد الخامس من حزيران راحت تجتر أحزانها وتلملم شملها وبدأت تنحت لها لغة جديدة قررت التعامل بها . وأدركت تمام الادراك أن تلك اللغة هى التى سوف تجبر ذلك العدو الغاشم على احترام حقوقها ، وأن ذلك الصلف والكبرياء الكاذب لابد وأن تذروه الرياح على تراب سيناء .. كانت تلك اللغة هى لغة الرصاص والدم الذى أدهش المرتزقة من جيش اسرائيل عشية السادس من أكتوبر بعد عملية العبور والاستيلاء على ذلك المانع الذى أقامه العدو على الضفة الشرقية لقناة السويس - أعنى خط بارليف الشهير .

وتحضرنى فى هذه المناسبة قصة أحد الطيارين الاسرى الذين وقعوا فى الاسر . وقد جرت بينه وبين أحد قادتنا الابطال محاورة على أثر وقوعه فى أيدى جنودنا . قال القائد المصرى لطيار الاسرائيلى :

- اننى رأيت هجوم تشكيلك على هذه القاعدة الجوية ولم يكن مستواكم فى الهجوم كما توقعت ... فقد ظننا أنكم أكفأ من هذا ... ماذا حدث لكم ... هل تغيرتم ؟ . فرد الاسير الاسرائيلى بقوله :

- سيدى ... أنتم الذين تغيرتم .

ان هذه الاجابة من ذلك الاسير الاسرائيلى شهادة صادقة على عظمة مقاتلينا فى أداء واجبهم المقدس أمام تلك الشرذمة من اليهود الذين ملأتهم الخيلاء فأخذوا يروحون ويغدون على الضفة الشرقية لقنالنا زهاء خمس سنوات حتى قدر لهم أن يدفعوا أغلى ثمن فى حياتهم مقابل تلك الخيلاء الكاذبة وذلك الصلف الاثيم عندما اندحر جيشهم أمام مقاتلينا .

وان هذه الاجابة التى صدرت من أحد طيارى العدو الاسرى تؤيد ما قلناه فى بداية مقالنا هذا من أن اسرائيل قد غدت أشبه بالشركة التى ضاع رأس مالها القديم . بل لا نبالغ حينما نقول ان الرجعية الاستعمارية التى كانت تساندها من خلفها قد بدأت تؤمن بأن الموقف فى الشرق الاوسط كله قد أخذ بفضل الصمود العربى والبسالة فى القتال ما لا عهد لهم به فى الخامس من حزيران يهدد مصالحهم وأن المشكلة بين العرب واسرائيل قد وصلت الى المرحلة التى لا خير فيها بين أمرين لا معدى لهما .

اما أن تذهب اسرائيل من حيث أتت ... واما صراع دائم قد عاهدت الامة العربية عليه نفسها فى مواجهة اسرائيل حتى تقضى على آخر جندى مرتزق من جنودها .

وليس هذا فحسب . فقد تأكد للدول الاوربية التى تساند اسرائيل أن العرب قد قرروا ايقاف ضخ البترول العربى حتى تنسحب اسرائيل الى خطوط ما قبل الحرب الثالثة بينها وبين العرب . وهنا أدركت الولايات المتحدة الامريكية من ذهاب اسرائيل من حيث أتت أهون النتائج وأدناها الى المعقول . وهذا مما يؤيد وجهة النظر الحالية القائلة أن ذهاب اسرائيل هو النتيجة الحتمية لمصير صهيون مهما طال الزمن .

ان هذه الايام التى يمر بها العالم هى أيام فاصلة تسترد فيها الامة العربية أمجادها وتاريخها النضالى الحضارى الموغل فى القدم أليسوا خير أمة أخرجت للناس !! وفى نفس الوقت لهى أيام يلوح فى أفقها أن أبناء صهيون وغيرهم سوف يدركون لاول مرة منذ وطئت أقدامهم الاراضى العربية أن قيام دولتهم المزعومة فى أرض فلسطين العربية كان نكبة عليهم ونكسة لهم تضاف الى نكباتهم عبر التاريخ البشرى . وليدفعوا ثمن عصبياتهم الباطلة التى عادتهم البشرية من جرائها . « **واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب** » .

ذلك لان ذلك التعصب الاعمى على الباطل هو الذى كان سببا فى أن هؤلاء القوم لا يجمعهم حب بعضهم لبعض بقدر ما تجمعهم دائما كراهية الاخرين لهم ، وهو الذى جعلهم طوال التاريخ كله يحقدون على العالم . كيف لا ؟ ! ألم تزل ملامحهم النفسية هى هى منذ أقدم عصورهم حتى يوم الناس هذا ! ....

وحسبنا ما وصفهم به أنبياؤهم فى توراتهم من أنهم « **صلاب الرقاب ، غلف القلوب** » .

وأنهم قد « **أعطوا كتفا معاندة ، وصلبوا رقابهم ولم يسمعوا** » (الاصحاح التاسع من سفر نحميا)

ان آفة هؤلاء القوم أنهم كائن ممسوخ من الوجهة الاجتماعية وقد عبر القرآن الكريم على تلك الآفة المتأصلة فيهم أصدق التعبير بقوله : « **تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى** » وهو نفس الوصف الذى وصفتهم به كتبهم ورسلهم من أقدم عصورهم .

ان علماء الاجتماع يقولون : **لمعرفة خلائق أى أمة أوطائفة للوقوف على معرفة حظها من الثقافة والحضارة واستعدادها لقبولها يجب أن تعرف عقيدة تلك الجماعة وديانتها** . ذلك لان فى عقيدة أى بشر ، فردا كان أو جماعة تنعكس كل خطاياه النفسية ومن أول ما فى هذه العقيدة كمسبار لكشف تلك الخطايا هو فكرة المرء حول معبوده . فما هى فكرة هؤلاء القوم - أعنى بنى اسرائيل - حول معبودهم ؟ ! هى باختصار أنهم يرونه « اله الجنود » أو « اله اسرائيل » وكأنه جنرال أو قائد عبوس فى ساحة حرب دائمة وهذا مما جعل العقيدة لديهم مرادفة لما نعرفه بكلمة « الجنسية » بل هذا مما جعل الديانة اليهودية « مخصصة » ليست ديانة توحيد وان حاولوا أن يدخلوها فى ديانات التوحيد وهى أبعد ما تكون من ناحية الضلال والاضلال .

هذا مبلغ ديانة القوم من الوجهة اللاهوتية - أما مبلغها من الوجهة الاخلاقية فهى باختصار كذلك - ضد الاخلاق لانها عقيدة تهدر كل القيم والحقوق بين أتباعها ومن عداهم .

فالديانة التى تعلم أبناءها أن نبى الله لوط قد أسقته بنتاه خمرا وضاجعاه وحملتا منه أو أن نبى الله داود عليه السلام الذى أوتى الحكمة وفصل الخطاب رأى امرأة جاره فأعجبته فأرسل رسلا وأخذها وعاشرها معاشرة الازواج فحملت منه سفاحا فاحتال على قتل زوجها بأن دفع به الى صفوف القتال الاولى فلقى حتفه ثم ضمها داود زوجة له وأنجبت له سليمان لهى ديانة تقوم فى مجملها على الكذب والغش ولا تهدف الا لاشاعة الفوضى الخلقية والانحلال فى المجتمعات ٠

وان الديانة التى تقول فى أحد كتبها « أعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الانبياء ٠ لقد وقع الاختلاف بين الله وبين علماء اليهود فى أمر من الامور وبعد أن طال الجدال تقرر احالة الخلاف الى أحد الحاخامات الذى حكم بخطأ الاله مما اضطره الى الاعتراف » ٠ لهى ديانة توجب أقصى النقمة لانها تقوم على التلفيق والخداع ، وتوجب أن يصمهم الخالق جل وعلا بالكفر ويتوعدهم بالعذاب الاليم وحسبنا ما جاء بالقرآن الكريم :

« ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم » ٠

وان الديانة التى تبيح لمن يعتنقها أن يسرق أموال الاخرين ولا جناح عليه وتبيح للنساء من معتنقيها اتيان الزنا لهى ديانة جديرة بأن تطهر الارض من أرجاسها ومن أتباعها ٠

ان الانسانية فى عصورها الحديثة ٠٠ عصور الحضارة والتقدم لتأبى أن تتسلط عليها عصابة من الافاقين وان ترتد الى جاهلية جهلاء لا حرمات فيها ولا حقوق ٠

ذلك ما لا يكون وهيهات أن يكون

فلا أحلام اليهود مفلحة ولا آمال الامة العربية مخفقة ، ولا كلمة الحق والحرية منسية ولا القضية برمتها فى موازين القدر دون قضية الهمجية ٠ وحينئذ سيقف العالم فى جانب ويقف المرتزقة من بنى اسرائيل فى جانب وذلك هو المصير المحتوم الذى لا مراء فيه وذلك هو الختام وما النصر الا من عند الله ٠

هل تنصت إسرائيل

الأستاذ ابراهيم مصباح

العاقل من يعتبر من الاحداث ..

والتاريخ هو السجل الامين لاحداث البشر من صراع سياسى أو اقتصادى أو حضارى • ومن لم يتعظ من التاريخ فانه يعزل نفسه عن الرؤية السليمة ليس للحاضر فقط وانما للمستقبل • ومع أن اسرائيل تتباهى بما لديها من علماء فى شتى فروع المعرفة ، الا أننا : والعالم كله معنا ، يتعجب من هذا الموقف الذى يتمثل فى معطيات النظرية الصهيونية ، سواء على مستواها النظرى أو على صعيد الخطط الطويلة المدى والقصيرة التى تتبناها حتى تصل الى أهدافها •

فلماذا لاتنصت اسرائيل الى صوت التاريخ ؟ ولاداعى لان تقصر قراءتها فى التاريخ على المنطقة التى يدور فيها الصراع ، وانما يمكنها أن توسع رقعة البحث والفحص فى الزمان والمكان معا • تحدث غيرنا عن الحروب الصليبية التى اتخذت من الصليب ستارا لاطماعها ولكنها لم تستطع البقاء فى الارض العربية • جاء الوقت الذى اتحد فيه العرب وانقضوا على الغرباء وأجهزوا على أحلامهم وآمالهم وأجلوهم عن ديارهم • ولن نتحدث طويلا فى هذا الموضوع • ولكن الذى نحب أن نؤكده هو أن نظرية الطرد المركزى للاجسام الغريبة هى نظرية صحيحة علميا ، وأنها اذ هى كذلك تسمو الى مرتبة القانون العلمى •

وللقارىء علينا أن نبسط القول فى هذه النظرية التى لم نخترعها أو نبتكرها • وربما يكون لنا فقط حظ اختيار التعبير .. فالاجسام حين تدور بسرعة يحدث تخلخل وانهيار للاجزاء التى تبعد عن المركز • وأما المركز هنا فهو الامة أو الشعب وأما الاجزاء البعيدة التى تتخلخل وتنهار وتتناثر فى الفراغ فهى التى لا ترتبط بالمركز لكونها شاذة غريبة .. وأما هذه الحركة فهى حركة الامة أو الشعب حركة دائمة ودائبة نحو طرد كل الاجسام غير المتماسكة أو المتجانسة .. وليس هناك مثل واحد فى التاريخ ينقض هذه النظرية ، فى جميع قارات العالم وعلى امتداد الازمان .. فهذه القوة أقوى من السلاح والقهر لانها قوة مركبة من عوامل عديدة لا تجتمع الا لاصحاب المركز أو لاصحاب الحق .. ولا يمكن أن يحدث انهيار للمركز على حساب ثبات الاطراف والاجزاء القصوى •

هى نظرية لها قوة القانون اذن . فاذا جافت أية نظرية سياسية هذا القانون فانها فى ذات الوقت تنفى عن نفسها صفة العلم وتحرم جذورها من النماء وفروعها من الانتشار ، لان مجافاة العلم مجافاة للحياة ونزوع الى الانتحار •

والنظرية الصهيونية كما وضعها مؤسسوها وكما طورها هرتزل ووايزمان وبن جوريون وغيرهم تقع فى هذا الخطأ الفاحش ، خطأ مجافاة العلم اذ أنها تتحدى القانون الاساسى فى وجود الامم ونموها وتدير ظهرها للتاريخ ، لا تأخذ منه الا مجموعة من الاساطير تبنى عليها طائفة من الاوهام التى تحاول تغليفها بالحقيقة وهى اذ تفعل ذلك تقع فى خداع الذات وهو أكبر الاخطاء التى يمكن أن يقع فيها البشر . خصوصا اذا كانوا يقيمون نظرية تبنى عليها دولة .

ولن ينتظر الاسرائيليون طويلا لرؤية الخطأ العلمى الفادح الذى وقعوا فيه • فهم يعيشون فى خوف مستمر وقلق ، رغم محاولاتهم اليائسة لمعالجة المأزق الحرج الذى أوجدوا أنفسهم فيه • ففى عام ١٩٤٨ حملوا السلاح ليكملوا مرحلة بناء الدولة بالارهاب مستندين الى صك من بريطانيا ومباركة من دول العالم الغافية والمتورطة فى ذلك الحين •

ومن لحظة الاحتفال بالمولود الجديد . من هذه اللحظة بالذات تظهر خطوط القلق السوداء تحت عينيه .. ولم يكن قلقا دون مبرر .. اذ أن الارض التى يقف عليها علم اسرائيل غصبا وارهابا .. لم تعرف مقومات الدولة الحقيقية ، والتى فى طليعتها أرض آمنة • وكذلك لم تنظر الى المستقبل المظلم الا باحساس انتحارى موروث على مدى التاريخ اليهودى • وهكذا تنتهى حرب لتبدأ أخرى وتجف دماء

إلى صوت التاريخ ؟

لتسيل من جديد ، دون أن يفكر زعماء اسرائيل فى طريقة جديدة لوقف النزيف غير الطريقة التقليدية ٠٠ طريقة السلام بالقوة ٠

على أننا نحن العرب نثق بالله تعالى ونؤمن ايمانا جازما بأن النصر النهائى سيكتب لنا باذن الله مهما طال المدى ٠٠ وكما ذكر القائد المظفر أنور السادات ٠٠ الشعب العربى على استعداد لان يضحى ، ولكن التضحية لن تكون بلا ثمن ٠٠ نحن على استعداد للخسائر ، ولكننا سوف نلحق أيضا خسائر بعدونا ٠

وهذه النقطة بالذات يعرف العدو أبعادها جيدا ٠ خسائرنا وخسائره ٠٠ فان خسائرنا يمكن تعويضها بسهولة ٠٠ أما خسائره فانها تصيبه فى الصميم وتفقده الكثير من حيويته التى يستخدمها لحماية نظرية القانون العلمى منطلقا ومدخلا ٠

ان الامة العربية ذات أبعاد استراتيجية حقيقية ٠ ولعل معركة رمضان المبارك قد قطعت دابر الاشاعات الاسرائيلية بأن العرب ليسوا على شىء ، وأنهم أمة بائدة حكم عليها بالتخلف والقهر والمذلة ٠٠ وأنهم يتكلمون ويهددون ولكنهم لا يحاربون ، واذا حاربوا فسرعان ما يتولاهم الفزع ، وأنهم متأخرون لا يحسنون استخدام الاسلحة الحديثة ومعجزات العلم أو ما يسمى بالتكنولوجيا ٠ **لعل هذه المعارك المظفرة** قد أنذرت الغافلين ، ونبهت النائمين ، وهزت بعنف المشككين أو المتشككين فى مقدرة الامة العربية ، بل والامة الاسلامية أيضا ٠

ومنح الثراء العظيم لهذه الامة التى لن تموت ٠٠ ثراء العقول الذكية ثراء فى المقاتلين الاشداء ٠٠ ثراء فى وفرة المطارات والموانى والطرق فاذا أغلق مطار لظروف الحرب توفرت عشرات ٠٠ ثراء فى الاموال والخدمات ٠٠ مقدرة علمية رائعة فى الاستفادة من سلاح البترول ٠٠ انكار للذات على جميع المستويات ٠٠ نغمة واحدة وصوت واحد ٠٠ الله أكبر ٠٠

ونؤكد من جديد أن ما حدث فى رمضان ليس الا شرارة من بركان سوف يفجره التحدى الذى لقيته هذه الامة من القوى الضاغطة ٠ وأن مزيدا من التخطيط والتنسيق واستخدام السلاح العربى بكافة أنواعه سوف يكون ايذانا بمولد دولة العرب الجديدة ٠٠ التى تحترمها الدول الاخرى ولا تستغل ثرواتها أو تسخر من رجالاتها أو تدعى عليها بالعجز والاستكانة ٠

ولا نطرح هذه الامكانيات العربية ٠٠ للفخر أو التباهى ٠٠ ولكن لكى نصل الى ايضاح لنظرتنا الى مسيرة الاحداث فى المستقبل القريب ، تلك النظرة التى يوافقنا فيها المؤرخون والمحللون السياسيون فى العالم ولا يختلف عنهم الا أصحاب النظرية الاستعلائية الصهيونية ٠ **وخلاصة القول أنه مهما طال الزمن فان الامة العربية هى الاقوى بالله تعالى وهى الاكثر صمودا واحتمالا والاقدر على تعويض خسائرها واستعادة حيويتها بأكثر مما يستطيع أى عدو لها يحاول أن يفرض بالقوة سلطانه على ارادتها ٠**

ومن عجب أن بعض اليهود فى اسرائيل قد رفعوا أصواتهم بالمعارضة ونبهوا على ما تقول ٠٠ ولكن الفكر الصهيونى المتطرف حبس تلك الاصوات واعتبر أصحابها من السفهاء الذين ينبغى الحجر عليهم ٠٠ ومهما يكن من أمر الاحداث المعاصرة فاننا نود أن نختم هذا المقال بتأكيدين ٠

الاول : أن النظرية الصهيونية والسياسة الاسرائيلية فى الفترة الماضية قد تعرضتا لهزة خطيرة ، وأن المناقشات لن تدور بين حزب الحكومة وأحزاب المعارضة فى اسرائيل وانما ستمتد هذه المناقشات الى صميم النظرية والى منطلقات تنفيذها والى النظريات الفرعية مثل نظرية الامن والحدود الامنة وسلام القوة ٠٠ الخ ٠

الثانى : أن حرب رمضان قد وضعت حدا فاصلا بين عهدين من عهود الصراع العربى الاسرائيلى وأن المراحل التالية سوف تشهد تطورات تحسب للجانب العربى بكل مقاييس حسابات الصراع بين الارادات والكيانات . ذلك أن ريحا جديدة قد هبت على أرضنا تملأ صدورنا بالاقبال على العمل الجاد المخلص فى جميع الساحات من أجل يوم النصر النهائى المحتوم بنص الاية الشريفة « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير » ٠

صدق الله العظيم

حصون يهود تتهاوى

ما أحوجنا ونحن نعيش اليوم فترة حرجة فى تاريخنا ونواجه عدوا تجرد من كل القيم الانسانية أن نذكر بعض مواقفهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتاريخ بنى اسرائيل حافل بالتكذيب والاعراض ملىء بالجرائم طافح بالمآسى واليهود دائما أهل فسق وغدر وشقاق ان قدروا لم يصفحوا وان غلبوا لم يرحموا وان غلبوا استرحموا .

هؤلاء اليهود قتلة الانبياء وما زالت أيديهم تقطر من دماء الابرياء .

هؤلاء اليهود الذين قتلوا يوم دخلوا بيت المقدس سبعين ألف مسلم لم يرحموا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا طفلا وما مذبحة دير ياسين عنا ببعيدة .

فضيلة الشيخ سيد ناجى

تساوقت هذه الخواطر فى نفسى وأنا أطالع تاريخ اليهود يوم خرجوا من المدينة صاغرين يعلو وجوههم الذل والصغار ويوم أن حاولوا أن يقيموا وطنا لهم بفلسطين .

هؤلاء اليهود الجبناء الذين جبنوا عن ملاقاة أبطالنا البواسل فصبوا نيرانهم على الامنين المسالمين .

هؤلاء اليهود الجبناء الذين فروا كالابل الشاردة فى صحراء سيناء ليضربوا الشيوخ والنساء والاطفال فى بور سعيد والسويس .

أسيعيد التاريخ نفسه وسيخرج القردة والخنازير صاغرين صغار أسلافهم و (**فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون**) .

أيها المقاتلون الاحرار يا أحفاد خالد بن الوليد وصلاح الدين ستلقون ذئابا ضاريات حشو جلودها المكر والخسة والدناءة ولؤم الطبع والجبن وكثيرا من دنيئات الاخلاق .

أيها المقاتلون الاحرار حطموا أسطورة اليهود « **واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم** » « **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم** » .

أيها المقاتلون الاحرار خوضوا المعركة باسم الله فالنصر فى كتائبكم والظفر فى ركابكم والفوز حليفكم لقد هز أسلافكم فارس وروعوا الرومان وفتحوا الممالك بايمانهم وأدهشوا العالم بعقيدتهم (**ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز**) .

فى العام الثانى الهجرى تحطم أول حصن يهودى أما م جيش الاسلام القوى ذلك هو حصن بنى قينقاع حصن طالما شهد بين جدرانه كيد ودس ومكر ولؤم فهل اعتبر يهود المدينة بمصير اخوانهم ؟؟

لقد مرت بالمسلمين أوقات عصيبة ومحن قاسية ففى العام الثالث أصابهم القرح فى أحد وفى العام الرابع تعرض المسلمون لحادث مؤلم راح ضحيته شهداء أبرياء واليهود بالمدينة فرحين مستبشرين بالاحداث التى توالت على المسلمين .

ما حزن الرسول صلى الله عليه وسلم على قتلى ما حزن على قتلى (بئر معونه) فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يرسلهم محاربين وانما أرسلهم دعاة ليبلغوا رسالة الله ويبينوا شرعه للناس بالحكمة والموعظة الحسنة وحزن المسلمون لفقد اخوانهم المسالمين الذين راحوا ضحية الغدر والخيانة .

قتل عمرو بن أمية القتيلين من بنى عامر ولم يعلم بالعهد الذى بينهما وبين رسول الله صلى الله عليه

وسلم وقال له الرسول صلى الله عليه وسلم (لقد قتلت قتيلين لأودينهما) ثم قال له (بئس ما صنعت قد كان لهما أمان وعهد) فقال عمرو ما شعرت كنت أراهما على شركهما وكان قومهما قد نالوا منا ما نالوا من الغدر بنا وجاء بسلبهما فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزل سلبهما حتى يبعث به مع ديتهما وذلك أن عامر بن الطفيل بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا من أصحابك قتل رجلين من قومي ومعهما منك أمان وعهد فابعث بديتهما

وتنفيذا للمعاهدة المبرمة بين الرسول صلى الله عليه وسلم واليهود أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يستعين بيهود بنى النضير فى دية الرجلين القتيلين .

يهود بنى النضير ينقضون عهدهم

خرج الرسول صلى الله عليه وسلم الى بنى النضير يستعينهم فى دية ذينك القتيلين من بنى عامر الذين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى للجوار الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقده لهما وكان بينه وبين بنى النضير وبنى عامر حلف وعقد فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم فى دية ذينك القتيلين قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوا هذا الرجل على مثل حاله هذه . ورسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنب جدار من بيوتهم قاعد فقالوا من رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيقتله بها فيريحنا منه فانتدب لذلك عمرو ابن جحاش فقال أنا لذلك فصعد ليلقى عليه الصخرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم فقام صلى الله عليه وسلم وخرج راجعا الى المدينة فلما استلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه قاموا فى طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخلا المدينة وأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا اليه فأخبرهم الخبر بما كانت يهود قد أرادت من الغدر به وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والسير اليهم .

(تبت يد الغدر) تبت يد الغدر ان الله الذى تكفل بحماية رسوله صلى الله عليه وسلم من قريش يوم ائتمروا به ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه لابد أنه تعالى عاصمه من مكرهم وحافظه من كيدهم . لقد أعدت المؤامرة فيبدد آمال الانسانية ويقضى على مصدر النور والهداية ورحمه الله الشاعر أحمد محرم :

ما الكيد ما الغدر ما هذى الاباطيل
الجيش محتشد والسيف مسلول
بنى النضير ما يغنى معاقلكم
كفوا الاذى ودعوا العدوان أو زولوا
ان القتيل لمن غرته صخرته
فظن أن رسول الله مقتول
جاء البريد لها حران يحمله
من رحمة الملك القدوس جبريل

تبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم غدرهم وكيدهم فأرسل اليهم محمد بن مسلمة وقال (اذهب الى يهود بنى النضير فقل لهم ان رسول الله ارسلنى اليكم ان اخرجوا من بلده فانكم قد نقضتم العهد بما هممتم به من الغدر وقد أجلتهم عشرا فمن رؤى بعد ذلك ضربت عنقه) لقد كان هذا الانذار من رسول الله صلى الله عليه وسلم انذارا يصم الاذان ويشق العنان . وجاءهم محمد بن مسلمة فقال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تظعنوا من بلده فقالوا يا محمد ما كنا نظن أن يجيئنا بهذا رجل من الاوس فقال محمد بن مسلمة تغيرت القلوب ومحا الاسلام العهود .

المنافقون واليهود يتعاهدون

بينما يهود بنى النضير يستعدون للرحيل جزاء غدرهم ونقضهم العهد الذى بينهم وبين المسلمين أرسل اليهم عبد الله بن أبى أن اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان أخرجتم خرجنا معكم وان معى الفين من قومى يدخلون معكم حصونكم فيموتون عن اخرهم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع حيى فيما قال بن أبى فأرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لا نخرج من ديارنا فأصنع ما بدا لك فأظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير وكبر المسلمون لتكبيره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (حاربت يهود) .

لما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة عقد مع اليهود عقدا أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه والتزم الرسول صلى الله عليه وسلم بعهده معهم أما اليهود فلم يخلصوا فى عهدهم للمسلمين فقد كانوا من ذلك على غل ودخل وكانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر .

وسار اليهم الرسول صلى الله عليه وسلم بجيشه وكما حاصر الرسول صلى الله عليه وسلم بنى قينقاع حاصر بنى النضير خمسة عشر يوما وأحكم الحصار وأحاط بهم المسلمون ومنعوا عنهم كل اتصال ويئس اليهود وانهارت قواهم وقذف الله فى قلوبهم الرعب وفى قلوب حلفائهم من المنافقين فاستسلموا صاغرين ونزلوا على حكم المسلمين وشروطهم وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عنهم وأن يحفظ دماءهم على أن لهم ما استقلت به الابل فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به ونزلت فى ذلك سورة الحشر كاملة .

ولتكتمل الصورة نعيش لحظات مع بعض آيات سورة الحشر .

تبدأ السورة المباركة بتسبيح الله وتقديسه وأن جميع ما فى السموات والارض يسبح بحمده ويقدسه ثم تفيض بعد ذلك فى ذكر الغزوة (**هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الابصار . ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الاخرة عذاب النار ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب . ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين**) يقرر الله تعالى مصير المعركة فهو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم . واذا القوة المسلمة تستمد قوتها من الله وتنسى ما أصابها فى أحد والقرآن الكريم يصور مشاعر المسلمين ومشاعر أعـدائهم فالمسلمون يعلمون أن يهود بنى النضير على درجة من القوة وقد خرج يهود بنى النضير فى وقت لم يتوقعه المسلمون فما كانوا يظنون أنهم سينهارون بهـذه السرعة العجيبة كما كان الخروج فى وقت لم يتوقعه اليهود فقد كانت حصونهم منيعة فما أغنت عنهم من الله من شىء (**ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب**) والرعب سلاح يقذفه الله فى قلوب أعدائه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (ونصرت بالرعب) أى الخوف والهلع والجزع ويذكر الله المؤمنين بنعمة النصر فهو من الله تعالى (**وما النصر الا من عند الله**) فليس من أنفسهم ولا وقفا عليهم فحينما خرج اليهود من حصونهم وخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين يجب أن يكون فى هذا النصر عظة وعبرة (**فاعتبروا يا أولى الابصار**) أى تفكروا فى عاقبة من خالف أمر الله وخالف رسوله وكذب كتابه كيف يحل به من بأسه المخزى له فى الدنيا مع ما يدخره له فى الاخرة من العذاب الاليم ولما حاصرهم الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بقطع نخيلهم اهانة لهم وارهابا وارعابا لقلوبهم (**ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين**) ليذل اليهود فان سبيل الله هو الطريق المستقيم وما عداه فهو عوج وفسق وضلال ثم ذكر الله تعالى ما بين اليهود والمنافقين فاليهود احتضنوا النفاق والمنافقين فى المدينة ويجمعهم القرآن الكريم فى سورة واحدة وفى آية واحدة وأخوة واحدة فالمنافقون يجدون فى أنفسهم مثل ما يجد اليهود بل أشد (**ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون . لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون**) أبى النفاق الا أن يعلن عن وجوده ويظهر ما فى نفسه واليهود والمنافقون سوس يسرى فى المجتمع وعضو فاسد يجب أن يبتر والمنافقون هنا هم عبد الله بن أبى وأتباعه عاهدوا اليهود أن يقاتلوا معهم ان قاتلوا ويخرجون معهم اذا انهزموا وكانوا فى وعدهم كاذبين فلم يمدوا يدا لليهود فى حصارهم ولم يخرجوا معهم عند خروجهم ثم أخذ القرآن الكريم يرسم صورة حية لليهود ويذكر سمة من سماتهم وهى الجبن عند اللقاء فهم جبناء يحذرون الموت ويحرصون على الحياة يفزعون عند الخطر ويفرون عند اللقاء وينكصون اذا حمى الوطيس ويجزعون اذا اشتد البأس يحسبون كل صيحة عليهم (**لانتم أشد رهبة فى صدورهم من الله**) أى يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله .

ثم أخذ القرآن الكريم يرسم صورتهم فى كل زمان ويوضح وصفهم فى كل عهد يعيشون فيه (**لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون**) كان القرآن الكريم يصفهم فى القرن العشرين فهم أجبن الناس اذا التقوا وجها لوجه ولقد قدر لصاحب هذه السطور أن يكون له شرف الدفاع عن المسجد الاقصى عام ١٩٤٨ وقد أتيح لى أن أشاهد عن كثب هؤلاء اليهود فى جبنهم وهلعهم وكيف كانوا يفرون لا يلوون على شىء تاركين سلاحهم وأمتعتهم غنيمة للمجاهدين .

ان هذه الصورة لا تفارقهم فهم لا يقاتلون فى ميدان حرب الا اذا كانوا متحصنين فى حصون يضمنون الا ينال عدوهم منهم شيئا وما شاهدناه فى حروب صحراء سيناء (معركة الدبابات) أو اقامة خط بارليف الذى انهار أمام صلابة جنودنا وأصبح كالهشيم تذروه الرياح وليس لليهود مساكن يقطنونها وانما حصون يقيمون بها ويلجأون اليها اذا هـاجمهم مهاجم .

وبحصار بنى النضير واستسلامهم السريع وبالنصر الذى أحرزه المسلمون توطد سلطان المسلمين فى المدينة .

لقد لاحت نذر الانهيار وبدأت رقعة الوطن اليهودى تتقلص وأخذ البناء يتهاوى أمام المجاهدين المؤمنين وصارت قوة اليهود تتضاءل أمام جيش الاسلام ان سقوط حصن من أكبر حصونهم وانهيار قاعدة حربية من أكبر قواعدهم أثار الفجيعة فى قلوب اليهود وكان شفاء لقلوب المؤمنين (**لقد خرج اليهود صاغرين تاركين سلاحهم غنيمة للمسلمين وأصبحت حصون بنى قينقاع وبنى النضير أطلالا يناديها الفناء لقد ذهب كل شىء فهل اعتبر اليهود بما لاقى بنى قينقاع وما تم لبنى النضير ؟؟ هذا ما سنجيب عنه فى المقالات القادمة ان شاء الله تعالى .**

الإيمان والمعركة

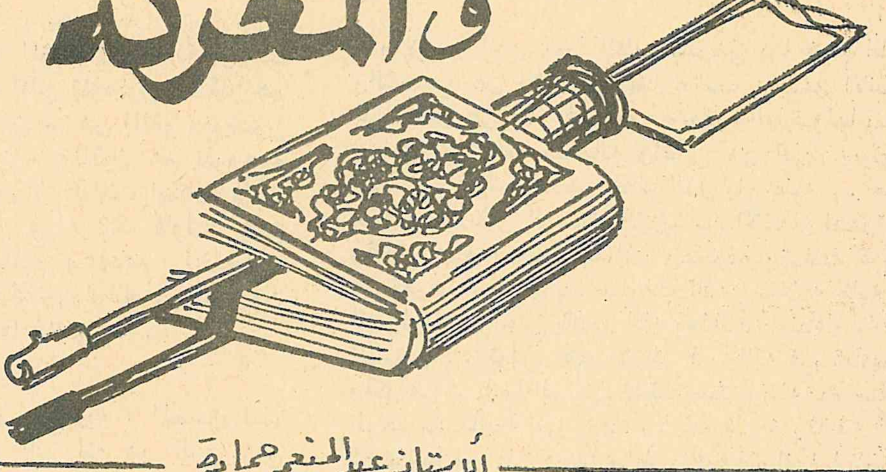

الأستاذ عبد المنعم حمادة

خاضت الجيوش المصرية فى حربها الرابعة مع اسرائيل والتى بدأت فى اليوم السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ معركة طاحنة شرسة فرضها عدو غادر لا يؤمن له جانب ، ولا تعتد بالتزاماته التى لا يحافظ عليها ، والتى ينقضها المرة بعد المرة فى خسة ودناءة .

وعندما نقول انها معركة فرضها العدو فذلك لانه بطبعه غادر خائن ، ولانه بطبعه ميال الى الاعتداء والتهجم وعدم احترام القيم الانسانية والمواثيق الدولية ، ولانه بطبعه ميال الى التوسع ، والطمع فيما يملكه غيره بغير حق ، وبالمكر والحيلة الخادعة .

ان الجمهورية العربية المصرية لم تكن تطمع من نشوب الحرب مجرد الحرب واشباع شهوة القتال ، وحبا فى فرض نفوذها وسلطانها على شعوب يجمعها **واياها مجتمع دولى واحد ، وانما دخلت الحرب مكرهة لاسترداد أرضها السليبة ، وكرامتها واحترامها وهيبتها التى حاولت الدعاية الصهيونية خلال ست سنوات كاملة أن تحط من شأنها ، وتنال منها بوقاحة وعجرفة ..**

ولقد دخلنا هذه الحرب حين فرضت علينا بايمان الواثق بعدالة قضيته ، المطمئن الى أن النصر حليفنا ان شاء الله ، لان الله قد وعد ووعده الحق فى قوله عز من قائل : « **ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** » ، وقوله : « **وكان حقا علينا نصر المؤمنين**

ولقد دخلنا الحرب وكلنا ايمان وثقة . ايمان بالله الواحد الصمد ، الذى خلق السماوات والارض ، بيده الامر وهو على كل شىء قدير .. والايمان الذى يغمر قلوب المؤمنين هو نور من عند الله يشع فى جنبات القلوب ، ويفيض عليها بحب الله وطاعته والانصياع لما أمر به أو نهى عنه ، **وحب الناس جميعا عملا بقول الرسول الكريم – صلوات الله وسلامه عليه – « والذى نفس محمد بيده ، لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه مايحبه لنفسه »** وعمل الخير بكل ماأوتى الانسان من قوة وجهد ، والجهاد فى سبيل الله والدفاع عن دينه الحق بكل ما يملك هذا الانسان من نفس تهون ، ومال لا يوازى نعيم الاخرة ، مصداقا لقوله سبحانه وتعالى : **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون !** .

والايمان هو ماوقر فى القلب وصدقه العمل ، هو قول وعمل لا يداخلهما تظاهر أو رياء ، والايمان الصادق يدفع الى حب الله ، والثقة فيه ، والاطمئنان اليه ، والرضى بكل ماقسم ، والسمع والطاعة لكل ما أمر به أو نهى عنه ، وقد جاء فى الحديث القدسى الذى رواه الرسول الكريم عن ربه : « **ومايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش**

بها ، ورجله التى يمشى عليها ، ولئن استعاذنى لأعيذنه ، ولئن استنصرنى لأنصرنه » .

والايمان الصادق يدعو الانسان الى التصديق بكل ماقاله الحق تبارك وتعالى وقد جاء فى كتابه العزيز : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » ..

ويصور لنا القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فى سورة « المؤمنون » حالة اولئك المؤمنين فى قوله .. « قد افلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون. والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ماملكت ايمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » .

والمؤمن الحق هو الواثق من ربه ، المصدق لكل ماجاء به كتابه ، المطمئن الى أنه هو الذى رفع السموات وبسط الارض ، وهو الذى سخر كل مافى الكون ، الى غير ذلك من الايات البينات مصداقا لقوله : « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ، ثم استوى على العرش ، وسخر الشمس والقمر ، كل يجرى لاجل مسمى ، يدبر الامر يفصل الايات لعلكم بلقاء ربكم توقنون . وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وأنهارا ، ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ، يغشى الليل النهار ، ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون » .

واذا عمر قلب الانسان وامتلأ بالايمان بالله القاهر فوق عباده ، وملائكته المطهرين ، وأنبيائه المصطفين ، وكتبه التى انزلها على أولئك الانبياء ، واليوم الاخر الذى لا مفر منه ولا مهرب حيث يقول الحق تبارك وتعالى : « ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون . نقول اذا عمر قلب الانسان وامتلأ بهذا الايمان كله ، مضى الانسان فى طريقه لا يلوى على شىء ، غير هياب ولا وجل ، كله ثقة واطمئنان وأمل فى المستقبل العريض الواسع ، لا ترهبه قوة ، ولا تزعزعه أحداث مهما عظمت ، لان ايمانه بالله هو سنده ، وهو قوته وهو وحده الذى يشجعه ويعينه ، وهو وحده الذى ينصر عبده المخلص فى طاعته ، يحميه حين يشتد الكرب ، وتضيق السبل ، ولنا فى رسول الله وايمانه القدوة الحسنة ، فقد حدث فى عام الحزن بعد وفاة عمه أبى طالب وزوجته السيدة خديجة - رضوان الله عليها - ان اشتدت قريش فى ايذائه ، ونيلها منه ، وقد انتهزت فرصة عودته الى داره فى أحد الايام ، فاهالت على رأسه التراب ، ودخل الدار والتراب لا يزال على رأسه ، فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيل من على رأسه الشريفة التراب وتبكى ، فما كان من النبى الذى وهبه الله حلما يفوق حلم كل الرجال ، وصدرا واسعا يتحمل متاعب كل الناس ومضايقاتهم ما كان من هذا النبى الكريم الا ان التفت اليها وقال بكل الايمان الذى يملأ قلبه ، وكل الاطمئنان الذى يغمر نفسه : « لا تبكى يابنية ، فان الله مانع نبيه » ..

والايمان الذى يملأ القلب بالرضى بما قسم الله ، والتسامح عن الاساءة مهما عظمت ، يدعو الانسان الى العفو عن هذه الاساءة ، ويدفعه الى قبولها بنفس راضية لان الله سبحانه وتعالى هو الذى سيتولى الدفاع عنه وحمايته من الظلم الذى يقع عليه .. حدث هذا عندما يئس الرسول الكريم من الاذعان لدعوته ، وانكار هذه الدعوة بصلف وعجرفة وتمادت قريش فى كفرها ، ورأى - صلوات الله وسلامه عليه - انهم لن يؤمنوا حتى يأتيهم الله بعذاب من عنده او بأيدى المؤمنين .. تولى عنهم ينتظر أمر الله فى شأنهم ، وفكر فى أن يلجأ الى بنى ثقيف حيث تربطه بهم صلات الرحم من ناحية بنى سعد .. غير أن بنى ثقيف التى كانت تحرص على دينها سلطت عليه أشرافها للسخرية منه ، كما حرضت سفهاءها للنيل منه وايذائه ، الامر الذى لم يجد الرسول معه الا أن ينصرف عنهم ، وفى نفسه من الهم والالم ما فيها ، وما لا يتحمله الا أشد الرجال وأقواهم وأشدهم صبرا واحتمالا للاذى .. انصرف عنهم وهم يتعقبونه بالاذى ويطاردونه بالحجارة حتى دميت رجلاه ، ولم يجد الرسول الكريم مفرا غير الاحتماء بحائط بستان لرجلين من قريش ، والتوجه بقلبه الى الله وكله ايمان وثقة فى رعايته وحفظه من الاذى والسوء ، توجه اليه بشكو أله ويقول : « اللهم اليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، ياأرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، الى من تكلنى ، الى بعيد يتجهمنى ، أو الى عدو ملكته أمرى ؟ ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى » .. وهذا منتهى الايمان فى أن الله مانعه ، وان الله حاميه ، وهذا يعد الذروة العليا فى أن أعنف الشدائد ، وأقوى المشكلات ، وأشد ما يصيب الانسان فى نفسه التى هى أغلى شىء عنده لا توازى شيئا الى جانب رضاء الله سبحانه وتعالى ، وحبه لعبده ، ورعايته له .

والامثلة كثيرة على مقدار ما يدفع اليه ايمان المؤمنين بسيدنا محمد نبيا مرسلا من السماء لهداية البشرية ، وتوجيهها الى طريق الخير والعدل .. فلما فكر الرسول فى الخروج الى مكة لمحاربة قريش دفاعا عن دين الله ورفع رايته خفاقة عالية استشار أصحابه ، فقال له المقداد بن عمرو : « يا رسول الله ،

[البقية ص ٩٣]

صورة اليهود كما رسمها القرآن الكريم

لن تجد على وجه الارض كتابا أعطى صورة أمينة عن اليهود سوى القرآن الكريم ، الذى سرد قصصهم ، فأجلى صفاتهم ، وكشف دخائلهم وغوائلهم ، ولا غرابة فى هذا .. فهو سجل الانسانية الخالد ، ومنار البشرية الرائد .. قوله الفصل وحكمه العدل ، وخبره الثقة .. حفظه الله من التحريف ، وعصمه عن التبديل والتزييف قال تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

وكان اجلال المسلمين - ولا يزال - لكتابهم عظيما ، فحفظته صدورهم ، ووعته عقولهم ، فقدسوه تقديسا لا تشوبه شائبة ، فلا أسقطوا منه عبارة ، ولا أضافوا اليه كلمة ، ولا بدلوا فيه حرفا ، ولا غيروا فيه شكلا .. فهو « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » . هذا هو القرآن الكريم .. فماذا قال عن اليهود ؟

فى سورة البقرة : « وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات مارزقناكم » .

وفي سورة الجاثية : « ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات » .

فضيلة الشيخ أحمد عبد الحافظ

أوجزت لنا هاتان الايتان معظم النعم التى أنعم الله بها على اليهود .. فقد أنزل الله عليهم التوراة ، وجعل فيهم الملوك ، وأرسل اليهم العديد من الانبياء ، وظللهم بالغمام ، ومنحهم المن والسلوى .

ولكن اليهود لم يعملوا بالتوراة ، ولم يستمعوا الى نبى ، ولم ينصاعوا لحاكم عادل ، ولم يشكروا الله على نعمه الكثيرة الوفيرة .

ولنعد الى القرآن الكريم يرسم لنا الجانب الاخر لصورة اليهود ، فلا تكاد تفتح المصحف الشريف حتى يطالعك قوله تعالى : « **اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم** » فمن هم هؤلاء المغضوب عليهم ؟ ولماذا غضب الله عليهم ؟

والمغضوب عليهم فى الاية الكريمة هم اليهود .. واما لماذا غضب الله عليهم ؟ فلما جبلوا عليه من قبيح الفعال ، وخسيس الخصال .. من غدر وخيانة ، ومؤامرات ودسائس ، وتفضيل للذات ، وكره للغير ، وحب للمال يصل الى حد التقديس ، وبطش بالمصلحين ، وقتل للانبياء والمرسلين ، ومخالفتهم لاحكام التوراة وغير ذلك كثير كثير ..

ومن هنا كان فى قصة اليهود تذكير لنا نحن المسلمين - بما فى حياتهم من نعم ونقم ، وبما يجب علينا نحو ربنا فنشكره على جزيل نعمه ، ونأخذ فى أسباب التقرب اليه تعالى قولا وعملا . ومن هنا ايضا يردد المسلمون فى صلاتهم مرات ومرات كل يوم : « **اهدنا الصراط المستقيم** »

واذا ما سرنا فى رحاب القرآن الكريم فاننا لواجدون الحشد الهائل من الايات تواصل رسم الصورة لليهود :

فهم قتلة للانبياء مكذبون للرسل :

قال تعالى : « **أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون** » .

●● وعلى كثرة ما قتلوا من الانبياء والدعاة لم يشهد تاريخهم واقعة واحدة قتلوا فيها حاكما طاغية ، ولا نالوا فيها من مستبد جائر .. بل على العكس .. حينما دعاهم موسى عليه السلام لقتال الطغاة الجبابرة فى الشام لدخول الارض المقدسة قالوا له : « **يا موسى انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون** » بل يشهد التاريخ أيضا أنهم كانوا يمالئون الحكام الطغاة جبنا وخوفا .

●● واليهود لا أمان لهم ، ولا عهد .. ولا وفاء .. قال تعالى :

« ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما » .

●● وهم يخشون الناس أكثر مما يخشون الله .. تلعب بهم الاهواء ، وتتقاذفهم الاطماع يظهرون التعاون ويخفون الاثرة ، يبدون المحبة ويضمرون الكراهية .

« تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون »

●● وهم لم يؤمنوا بموسى - عليه السلام - وهو الذى ارسله الله اليهم منقذا من جبروت « فرعون » وطغيانه .

« فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم »

●● وليتهم لم يؤمنوا بموسى - عليه السلام - وتركوه وشأنه ، بل لاحقوه بالسخرية والاستهزاء ، وكانوا يتضجرون منه ، ويقولون له متبرمين :

« أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا »

●● بل كان سخريتهم منه ، واستهزاءهم به لم تشف نفوسهم المريضة فنالوه بالاذى واتهموه بقتل أخيه هارون :

« آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا » .

●● ولم يكتف اليهود بعدوانهم على نبيهم بل تطاولوا على كتاب ربهم .

« فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به » .

●● وان دلت هذه الفعال السيئة منهم على شئ فانما تدل على انهم قساة القلوب غلاظ الاكباد ، مسلوبو الضمائر ، معدومة فيهم صفات النبل والرفق والرحمة « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة » .

●● وهذه القسوة لا تتمثل فى قتلهم للانبياء وسفكهم دماء الدعاة والمرشدين فحسب بل تتعداهم الى البطش بكل من يقول كلمة حق منصفة لا تتوافق وأطماعهم ، فكما قتلوا زكريا ويحيى وغيرهما ، قتلوا « برنادوت » وسيطالامم المتحدة لشهادته بالحق الذى يدينهم ، ونكلوا - ولا يزالون - بالفلسطينيين ، ودمروا ممتلكاتهم واستولوا على أرضهم .. لا لشئ الا لتمسكهم بحقهم .

والواقع أن قسوة طباع اليهود مستمدة من أخلاق حاخاماتهم القدامى الذين غيروا فى التوراة وبدلوا فيها ، وجعلوها توحى بتعليمات وارشادات تقشعر لها أبدان أكثر القادة العسكريين بربرية ووحشية ، ولقد جاء فى الاصحاح العشرين من سفر التثنية : (حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها الى الصلح فان اجابتك الى الصلح وقسمت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير ويستعبد لك ، وان لم تسالمك أى عملت معك حربا فحاصرها ، واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف (كما حدث فى دير ياسين) وأما الاطفال والنساء والبهائم وكل ما فى المدينة فتغنمها لك وتأكل غنيمة اعدائك التى أعطاك الرب الهك .. وأما مدن الشعوب التى أعطاك الرب الهك نصيبا منها فلا تستبق منها نسمة ما !! هكذا بالحرف . وجاء فى سفر يوشع ما نصه : (أهلكوا من فى المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف وأحرقوا المدينة وجميع من فيها بالنار) .

والسؤال الذى يطرح نفسه الان فى القرن العشرين : هل فعل جنكيزخان أو هولاكو مثل ما يفعل هؤلاء ؟

وهل يلام فرعون أو هتلر على ما أنزله كل منهما باليهود اذا كانت هذه هى شريعة اليهود أنفسهم من كتبهم ؟

●● واليهود اذا لزمتهم الحجة ، وافتضح كذبهم وبهتانهم ، وانكشف ضلال أحبارهم ورهبانهم واضلالهم .. لا يتورعون عن انكار ما جاء به الانبياء السابقون من وحى السماء بما فى ذلك التوراه نفسها ..

جاء الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - احد أحبارهم وهو « مالك بن الضيف » فقال له الرسول صلوات الله وسلامه عليه : أنشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى ألا تجد فيها : « أن الله تعالى يبغض الحبر السمين » ؟أى العالم ضخم الجثة - وكان مالك جسيما بدينا » فغضب مالك لانه هو المقصود بذلك ، فانكر ما يعلم أنه ثابت فى التوراة وقال : « ما أنزل الله على بشر من شئ » انظر الى أى نوعية تنحدر أخلاق حبر اليهود العظيم ..

ويصور القرآن الكريم هذه الواقعة أو هذه المهزلة المحزنة حيث يقول : « وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا » .

●● واليهود مع كل هذا متكبرون متغطرسون لا يضعون أنفسهم حيث ينبغى لها أن توضع بل انهم يعتبرون أنفسهم من طينة غير تلك التى خلق منها البشر جميعا ، وأنهم كانوا ولا يزالون وسيظلون « شعب الله المختار » متجاهلين أنهم لم يكن لهم أى فضل على غيرهم من البشر الا بما بعثه الله فيهم من أنبياء فى الماضى ، وبما منحهم - آنذاك - من نعم كثيرة .. وان هذا الغرور المفضوح والكبرياء الزائف يدفعهم الى المحاورة واللجاج ، فهم يعرفون الحق وينكرونه ، ويعرفون المنكر ويأتونه قال تعالى : « سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق ، وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا » .

●● ولعل مبعث ما وصلوا اليه من انحدار فى العقيدة وفى السلوك أنهم سلبوا عاطفة التوحيد لهذا نراهم يناصرون العصاة والوثنيين ويظاهرونهم على

المؤمنين من مسلمين ومسيحيين ، فقد ساعدوا الرومان الوثنيين ضد السيد المسيح عليه السلام – وأتباعه ، وتعاونوا مع كفار مكة وآزروهم ضد نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – ومن هنا فقد صاروا لا يحسون جمالا للفضيلة ، ولا يستشعرون قبحا للرذيلة . يقول القرآن الكريم :

« **ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون** » .

●● وهم – مع هذا – يتبجحون فيزعمون أنهم ناجون من عذاب الله :

« **وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون** » .

●● وهم ينشرون المجون ، مستغلين البشر لتحقيق مآربهم الدنيئة ، دائما تراهم وراء كل دعوة للانحلال الاجتماعى فى أى دولة قديما وحديثا ، فما أكثر ما أشاعوا الفسق على عهد المسيح – عليه السلام – وقبله ، وقبل الدعوة الاسلامية وبعدها .. ولقد عاشوا حياتهم أصابع تحرك الدعوات التى تنال من قيم المجتمعات وعقائدها الفاضلة .. فكانوا – بلا جدال – وراء الشعوبية والماسونية والهيبيز والخنافس .. ولا يزالون على مبدئهم الذى حدثنا عنه القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا :

« **ليس علينا فى الاميين سبيل** »

فالعالم كل العالم – فى نظرهم – كان ولا يزال – « أميين » .

●● ولقد عبدوا المال والذهب بعبادتهم للعجل الذى صنعوه من حليهم ، وعاطفة الحب الطاغى والعشق الجارف للمال والذهب عاطفة عريقة متأصلة فى نفوسهم ، خبيئة فى أعماق أغوارهم أو فى أغوار أعماقهم ملازمة لهم فى كل زمان ومكان ، فى حلهم وترحالهم .. ومن هنا استحقوا غضب الله ، وكتب عليهم الذلة والمسكنة ، وجعل التشتت والضياع مآلهم فى كل العصور .. على الرغم من أن المال وسيلة للقوة والتحكم والسيطرة .. قال تعالى :

« **ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين** » .

●● ولعل ماديتهم الجارفة ، وحبهم المفرط للمال ، انما كان راجعا الى اقتناعهم عن اعتقاد جازم بأنهم لا نصيب لهم فى الاخرة ، ولذا حرصوا على الحياة الدنيا وتشبثوا بها ، وتفانوا من أجلها :

« **ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون** » .

●● ويصل بهم هذا الاقتناع الى حد اليأس المطلق :

« **يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور** » .

ومن عجب أن يقول « فرويد » العالم النفسانى اليهودى :

(نحن اليهود ليس فى أفكارنا روحانيات) !!!

●● وقد يبلغ بهم يأسهم الى حد الادعاء بنقيض ما يعتقدون فيزعمون أن الاخرة لهم وحدهم دون غيرهم .. تماما كالبخيل يدعى الكرم . والقرآن الكريم يرد عليهم ادعاءهم الكاذب :

« **قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين** » .

ويؤكد (ول ديورانت) فى الجزء الثانى من كتابه (قصة الحضارة) صفحة ٦٥ هذا الاتجاه المادى عند اليهود فيقول :

(قلما كان اليهود يشيرون الى حياة أخرى بعد الموت ، ولم يرد فى دينهم شىء عن الخلود ، فكان ثوابهم وعقابهم مقصوران على الحياة الدنيا) .

●● ولانعدام الوازع الدينى عند اليهود ، ولما أصاب ضمائرهم من شلل لا يتواصون بحق لانهم كما يقول القرآن الكريم « **كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون** » .

ومن هنا كان عيسى – عليه السلام – يقول لهم : (يا أولاد الافاعى) وكان محمد – صلى الله عليه وسلم – يقول لهم : (يا اخوة القردة والخنازير) .

●● وهم أعدى أعدائنا – نحن المسلمين – فنحن الذين حطمنا آمالهم خرج منا النبى العربى الذى يجدون صفاته واضحة جلية عندهم فى كتابهم المقدس ، فقد كانوا يتمنون أن يكون النبى من بينهم لا ليستمر تبجحهم ، فلما لم يدركوا ما تمنوا أشعلوا حرب الحقد وأيقظوا نار البغضاء والكراهية ، فكان عداؤهم للمسلمين ، أصيلا فى نفوسهم ، متأثرا بخيبة آمالهم ، فتوارثوا الضغينة وورثوها لاحقابهم جيلا بعد جيل :

« **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا** » .

●● ولان هذه صفاتهم وأخلاقهم ، ولان هذا سلوكهم فى كل جيل .. سلط الله عليهم فى كل زمان من ينتقم منهم ، ويصب عليهم قصاص الرب جزاء وفاقا :

« **واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب** » .

ومصداقا لقوله عليه السلام : « **لتقاتلن اليهود حتى يختبىء اليهودى وراء الحجر ، فينطق الحجر : يا عبد الله هذا يهودى ورائى فاقتله** » .

وبعد .. **فان وعيد الله لليهود لحق ، وان وعد رسوله لنا لصدق .. وان سوء العذاب نازل بأعداء الله على أيدينا بمشيئة الله .. ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون . هذا شرع الله .. وهذه سنته .. ولن تجد لسنته تبديلا .**

الجهاد فى سبيل الله صبر وصمود

عندما يظهر الحق أو تظهر دعوة صالحة أو فكر صادق أو عمل صالح ، لابد أن يكون أمامه بالمرصاد فئة أو فئتان من أهل البغى والفساد أو شرذمة من أصحاب الطغيان تعارض جانب الحق بالباطل الذى تناصره ولا تنصره وبكل ما أوتيت من قوة واستطاعت من قدرة ، لا تألوا جهدا فى سبيل الى غرضها الزائف وباطلها الاعمى الذى فقد كل مقومات الحق والحقيقة ومن ثم توقع بأصحاب الحق ألوان الاضطهاد وأنواع التعذيب .

فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور

هكذا كانت دعوة الحق دعوة محمد صلى الله عليه وسلم وهى دعوة الحق ودعوة العقيدة الصحيحة والفكرة الصالحة التى رعاها الله وأعزها الاسلام ودعوة الايمان الصادق آمن بها فى مطلعها فئة قليلة العدد لكن قوتها كانت قوة العقيدة وشجاعتها كانت شجاعة الايمان . لا تبال فى سبيل مبدئها ما وقع بهم من تعذيب أو نكال جره الاوغاد عليهم أو طغيان حل بهم ولقد اعتبروا أن العذاب الذى ينزله القوم عليهم فيتحملوه ويصمدوا أمامه ويناضلوا بالحق معه بل وجعلهم صدق ايمانهم بل صدق الايمان الذى يعتزون به ففيم يتقبلون الايذاء وفيم يتقبلون التعذيب .

ان ذلك كله يهون فى سبيل الله ثم فى سبيل العزة التى تنشدها بلدنا وتسمو بها عزتنا وينمو بها مجدنا انه فى سبيل الله انه فى سبيل العقيدة التى يندفعون بها ويتحملون بها كل أذى يصيبهم أو يحل قريبا من دارهم ومن ثم فهم يعيشون لهذه العقيدة فيخف التعذيب ويهون على المؤمنين من اجل العقيدة وقد لا يحسون به بل انهم يموتون من أجلها وما التعذيب وما الحرب الضروس الا لون من اختبار ثباتهم وقوة ايمانهم وامتياز عقيدتهم وحسن بلائهم وان البأساء والضراء التى تقع على دعاة الايمان وأنصار الحق وصمودهم أمامه ان هو الا النعمة من المولى سبحانه ينعم بها عليهم ليزدادوا بها ايمانا مع ايمانهم وليربط الله بها على قلوبهم فيلطموا الباطل بل ليقضوا عليه وانهم بايمانهم ليذللوا الصعاب مهما بلغت ويقهروا العقاب مهما كانت فى هذه المبادىء ، وقع النبى المعصوم وأصحابه تحت اضطهاد وتعذيب أهل مكة والدعوة فى مطلعها لم تخف القوم ولم تفزعهم بل ظنوها سحابة صيف عن قريب تزول .

الحرب كما نراها ...

ان حربكم جهاد . فالجهاد هو الحرب التى تقاوم الباغى وتصده لتحمى العقيدة والدين القويم والوطن العزيز والعرض الشريف والمال الغالى والحياة النفيسة . فالجهاد حرب شريفة لبواعث نبيلة الغرض سامية الهدف ، وهو فرض على كل من يقصدهم العدو ثم على غيرهم لاعانتهم سواء أكان الرجل من الجنود المخصصين للقتال أم من غيرهم . فعلى كل عربى أن يجاهد اليوم بنفسه وبماله وبقلمه ولسانه لصد اسرائيل والقوة التى تمدها وتساندها بالسلاح والمال والرجال .

هو اليوم فرض عين على كل فرد منا يستطيع أن يسهم فيه بجهد يساعدنا على النصر ويمحو وصمة الهزيمة ويرد الحقوق الى ذويها ويعلى كلمة الله سواء أكان دانيا من فلسطين أم نائيا عنها .

ومن جهة اليهود فانهم كانوا يعتمدون على الدعاية من أجل ان يخيفوا الناس من بعيد ، ثم تراهم عند اللقاء مذعورين فبنو قينقاع يعاهدون الرسول على التعايش فى أمن متبادل عند دخول المدينة وعندما تقوى شوكتهم ينقضون العهد وينتهكون حرمة سيدة مسلمة فى سوق المدينة وحين يكلمهم الرسول فى ذلك يقولون فى صلف : يا محمد لا يغرنك ما لقيت من قومك فانهم قوم لا علم لهم بالحرب ولو لقيتنا لعلمت أنا نحن الناس . وحين لقيهم ما وجد ناسا ولا شجعانا ..

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

« ان لكل أمة سياحة وسياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله وان لكل أمة رهبانية ورهبانية أمتى الرباط فى نحور العدو » .

ويقول صلى الله عليه وسلم :

« لان أقتل فى سبيل الله أحب الى من أن يكون لى أهل الوبر والمدر » .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » .

ويقول الصادق المصدوق :

« من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد » .

وكان كثير من المسلمين المعفين من أعباء الجهاد يقومون به وينهضون به لانهم به يسعدون وتتحقق فيه سعادة نفوسهم وزلفى الى ربهم مثل أبى طلحة فانه لما قرأ فى سورة براءة : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله » . قال : يا بنى جهزونى . فقالوا له: يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله حتى مات وغزوت مع أبى بكر حتى مات، وغزوت مع عمر حتى مات .. فتجهز وغزا فى البحر حتى مات .

جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم والسنتكم ..

عن أبى ذر رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله : أى الاعمال أفضل ؟

قال : « الايمان بالله والجهاد فى سبيله » .

« من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » .

قيل : يا رسول الله أى الناس أفضل ؟ قال : « مؤمن يجاهد فى سبيل الله » .

وللمسلمين انتصارات كثير على عهد رسـول الله وذلك فى رمضان من أجل تعويض المسلمين الذين هاجروا وتركوا أموالهم فى مكة ودخلوا المدينة مضطهدين فرارا بدينهم وقد اخرجتهم قريش فاراد رسول الله أن يعوض المسلمين ما تركوه من أموال فى مكة فخرج رسول الله قاصدا الاستيلاء على قافلة التجارة التى يقودها أبو سفيان من الشام آيبة الى قريش ولكن الله تعالى أراد ان تلقن قريش درسا لا تنساه وتعلم به أن محمدا انسان صادق ونبى واقعى أوحى الله اليه واختصه بفضله وكانت غزوة بدر فى السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة وقد قتل فى هذه المعركة من هؤلاء المشركين سبعون رجلا وأسر مثلهم ولقد كان حكم القرآن فيهم ما قاله تعالى فى سورة الانفال : « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض » . وفى رمضان أيضا كانت غزوة الفتح .

ولقد شرعت الحرب فى الاسلام فى جو الاعتداء على المسلمين الاول فقد بغى المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم حتى اضطروا الى الهجرة مرتين الى الحبشة ثم الى المدينة المنورة وحينئذ نزل قول الحق تبارك وتعالى : «اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجـوا من ديارهم بغير حق الاأن يقولوا ربنا الله » .

فالحرب المعاصرة حرب اسلامية فهى اسلامية لانها بطبيعتها تدافع عن المقدسات الاسلامية وعن الذين شردوا من ديارهم وتدافع عن الشرف وعن الديار والوطن . اذا اعتدى على الدين أو على المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ..

آيات كثيرة من القرآن تحث على الجهاد ومنها : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم » .

« فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » . « ولا تهنوا فى ابتغاء القوم أن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما » .

« قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم » .

وانتم الان يا جنود الحق وأنصار السلام تخوضون معركة حامية من أجل دين الله فخلصوا بلاد المسلمين من أيدى الصهاينة والله معنا ومعكم جميعا بالنصر والتأييد تحت راية زعيمكم المفدى وقائدكم المحبوب انك يا رب على ما تشاء قدير يا نعم المولى ويا نعم النصير .

التحليل النفسى والاجتماعى لهزيمة قادة إسرائيل

تمر الامة العربية الان بأعظم مرحلة في تاريخها وهى مرحلة تتميز بالانتصارات الكبرى على الد أعداء الانسانية وهى الصهيونية . ويحاول كل قلم أو كل خطيب أو كل من ينظر الى تلك الانتصارات أن يجد الاسباب الحقيقية وراء تلك الانتصارات التى أذهلت كل فرد بل وأدهشت العالم بأسره بعد ست سنوات من النكسة التى شاء القدر أن يصاب بها العالم العربى عام ١٩٦٧ .

الاستاذ محمود غنام زايد

ويحاول علم النفس أن يقدم تحليلا خاصا لاسباب هزيمة قادة اسرائيل القاسية مستخدمين فى ذلك منهج علم النفس الذى يقوم على تحليل الشخصية الانسانية فى أعماقها منذ الطفولة وفى اطار تفاعلها فى الوسط الاجتماعى الذى تعيش فيه لان الشخصية كما نعرف تؤثر فى البيئة وتتأثر بها وهى نتاج التربية منذ الطفولة بأحداثها المتعددة ومن هنا سنعرض للاسباب النفسية والاجتماعية التى أدت الى هزيمة قادة اسرائيل .

أولا : عدم معرفة قادة اسرائيل لقدراتهم ومهاراتهم الحقيقية التى ترتبط بمستوى الطموح

ثانيا : جنون العظمة « البارانويا » لقادة اسرائيل

ثالثا : تفكك الروابط بين الجماعات الاسرائيلية

رابعا : عنصر المفاجأة لقادة اسرائيل

خامسا : عدم الشعور والاستقرار بالامن لقادة اسرائيل .

أولا : عدم معرفة قادة اسرائيل لقدراتهم ومهاراتهم التى ترتبط بمستوى الطموح لديهم يقدم لنا علم النفس مفهوما جديدا عن الذكاء يستدل منه على أن أول حدود الذكاء هو معرفة الانسان لقدراته ومهاراته فالانسان الذكى يعرف أن له قدرات ومهارات وامكانيات يجب ألا يتعداها فلا يضع لنفسه مستوى طموح أعلى من هذه القدرات والامكانيات أو يضع لنفسه مستوى طموح أقل من هذه القدرات حتى لا يشعر بعدم الاهمية لما يحمل من امكانيات عظيمة فتؤدى الى الاستهتار والى عدم الشعور بأهمية ما يعمل أو العكس اذا وضع لنفسه مستوى أعلى من قدراته أدى ذلك الى شعوره بالاحباط الذى يؤدى الى الفشل وبخيبة الامل لعدم تحقيقه الاهداف التى رسمها لنفسه . هذه هى نظرية « مستوى الطموح » الذى نشير اليها لو طبقناها على قادة اسرائيل لوجدنا أنهم قد صوروا لانفسهم أهدافا غير واقعية يمكن أن نطلق عليها « أحلام اليقظة » وأنهم فى استطاعتهم أن يغزوا ويحتلوا الوطن العربى بأكمله فى ساعات قليلة وأنهم القادة المنتصرون دائما فى كل حرب وأنهم بالرغم من أنهم قلة من حيث العدد سوف يستطيعون أن يهزموا العرب وهم الكثرة وشاءت الظروف فساعدتهم على كسب حرب يونيو سنة ١٩٦٧ . ولكن غاب عن قادة اسرائيل الحقائق التالية .

١ – أن هذه الكثرة العددية بينها روابط عديدة تربطهم مثل روابط اللغة والدين والجنس والشعور والامال والالام والتاريخ وحتى الطبيعة ساعدتهم على ذلك بينما القلة وهى اسرائيل لا يوجد بينها هذه الروابط .

٢ – أن هذه الكثرة العددية تمتلك أموالا طائلة من الموارد التى وهبتها لها الطبيعة وبوجه خاص من البترول وأن البترول هو الورقة الرابحة فى الضغط

مواقيت الصلاة

اليوم	ذوالقعدة ١٣٩٣	نوفمبر ١٩٧٣	فجر		ظهر		عصر		مغرب		عشاء	
			د	ت	د	ت	د	ت	د	ت	د	ت
الاثنين	١	٢٦	٥٧	٤	٤٢	١١	٢٦	٢	٥٦	٤	١٧	٦
الثلاثاء	٢	٢٧	٥٨	٤	٤٣	١١	٢٦	٢	٥٥	٤	١٧	٦
الأربعاء	٣	٢٨	٥٨	٤	٤٣	١١	٣٦	٢	٥٥	٤	١٧	٦
الخميس	٤	٢٩	٥٩	٤	٤٣	١١	٣٦	٢	٥٥	٤	١٧	٦
الجمعة	٥	٣٠	..	٥	٤٤	١١	٣٦	٢	٥٥	٤	١٧	٦
السبت	٦	أول ديسمبر	١	٥	٤٤	١١	٣٦	٢	٥٥	٤	١٧	٦
الأحد	٧	٢	٢	٥	٤٤	١١	٣٦	٢	٥٥	٤	١٧	٦
الاثنين	٨	٣	٢	٥	٤٥	١١	٣٦	٢	٥٥	٤	١٧	٦
الثلاثاء	٩	٤	٣	٥	٤٥	١١	٣٦	٢	٥٥	٤	١٧	٦
الأربعاء	١٠	٥	٤	٥	٤٥	١١	٣٦	٢	٥٥	٤	١٧	٦
الخميس	١١	٦	٤	٥	٤٦	١١	٣٦	٢	٥٥	٤	١٧	٦
الجمعة	١٢	٧	٥	٥	٤٦	١١	٣٦	٢	٥٥	٤	١٧	٦
السبت	١٣	٨	٦	٥	٤٧	١١	٣٦	٢	٥٥	٤	١٧	٦
الأحد	١٤	٩	٦	٥	٤٧	١١	٣٦	٢	٥٥	٤	١٧	٦
الاثنين	١٥	١٠	٧	٥	٤٧	١١	٣٦	٢	٥٦	٤	١٨	٦
الثلاثاء	١٦	١١	٨	٥	٤٨	١١	٣٧	٢	٥٦	٤	١٩	٦
الأربعاء	١٧	١٢	٩	٥	٤٩	١١	٣٧	٢	٥٦	٤	١٩	٦
الخميس	١٨	١٣	٩	٥	٤٩	١١	٣٨	٢	٥٦	٤	١٩	٦
الجمعة	١٩	١٤	١٠	٥	٤٩	١١	٣٨	٢	٥٧	٤	٢٠	٦
السبت	٢٠	١٥	١١	٥	٥٠	١١	٣٩	٢	٥٧	٤	٢٠	٦
الأحد	٢١	١٦	١١	٥	٥٠	١١	٣٩	٢	٥٧	٤	٢٠	٦
الاثنين	٢٢	١٧	١٢	٥	٥١	١١	٣٩	٢	٥٨	٤	٢١	٦
الثلاثاء	٢٣	١٨	١٣	٥	٥٢	١١	٤٠	٢	٥٨	٤	٢١	٦
الأربعاء	٢٤	١٩	١٣	٥	٥٢	١١	٤٠	٢	٥٩	٤	٢٢	٦
الخميس	٢٥	٢٠	١٤	٥	٥٣	١١	٤١	٢	٥٩	٤	٢٢	٦
الجمعة	٢٦	٢١	١٤	٥	٥٣	١١	٤١	٢	٥٩	٤	٢٢	٦
السبت	٢٧	٢٢	١٥	٥	٥٣	١١	٤١	٢	..	٥	٢٣	٦
الأحد	٢٨	٢٣	١٦	٥	٥٤	١١	٤٢	٢	..	٥	٢٣	٦
الاثنين	٢٩	٢٤	١٦	٥	٥٤	١١	٤٢	٢	١	٥	٢٤	٦
الثلاثاء	٣٠	٢٥	١٧	٥	٥٥	١١	٤٣	٢	١	٥	٢٤	٦

على الدول الكبرى لحملها على قبول وجهة النظر العربية فى أية صراع بين اسرائيل والعرب .

٣ ـ أن هذه الكثرة العددية بدأت تعيد حساباتها منذ يونيو سنة ١٩٦٧ حتى الان فى محاولة منها لتغيير ما فيها من مساوىء ومسالب أدت الى نكسة سنة ١٩٦٧ واتخذت الاسلوب العلمى منهجا لها فى طريقة عملها وفى أعدادها للمعركة وفى تعبئة الجهود كلها من أجل المعركة .

٤ ـ ان هذه الكثرة العددية أعدت جيشا جديدا مدربا على أحدث الاسلحة فى العالم وعلى هذا يصدق قول الله سبحانه وتعالى « **ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** وقد غير العرب أنفسهم منذ يونيو سنة ١٩٦٧ فأراد لهم التوفيق فى حربهم الدائرة مع اسرائيل . ويمكن لنا أن نقول أن اسرائيل تمادت فى جبروتها وتطاولت حتى أراد الله أن تذل على أيدى العرب ولعل من أحسن الامثلة على ذلك هى تلك القصة المعروفة التى تحكى بأن طفلا كان له جناحان من الشمع فأراد أن يطير بهما الى أعلى فظل يطير الى أعلى حتى أراد أن يقترب من الشمس فذوبت الشمس أجنحته لانها من الشمع فهوى من اعلى وتحطم نظير طمعه وعدم تقديره لامكانياته .

ثانيا : جنون العظمة لقادة اسرائيل أو البارانويا كما يسميها علماء النفس

وهذه الكلمة اصطلاح يستعمل للدلالة على بعض تطورات متزايدة تأخذ شكل أوهام تخضع لنظام معين فهناك نزعات عدوانية بارونية تظهر فى أشكال خاصة ولو تتبعنا تاريخ الشخص بدقة لوجدنا أن الاضطرابات تظهر أولا فى دور المراهقة اذ يبدو المريض على شىء من الشذوذ والغرابة مع اعتزاز بنفسه وشك فى الاخرين أو قد يفهمها مشوهة أو ملتوية فهو يبنى لنفسه عقيدة خاطئة عن الوسط الاجتماعى الذى يعيش فيه وبذلك يتخذ لنفسه نظاما غريبا يسير على نمطه ومعنى اعتزازه بنفسه أن عنده أنانية مركزة فى ذاته فنجده يغالى فى مقدرته الفردية غير أنه فى المراهقة لا تبدو أعراض الجنون واضحة ولكنه عندما بدأ فى اطلاق الحرية التامة لميوله الطبيعية تبدأ المشاكل فى الظهور .

ان مريض البارانويا (جنون العظمة) يحدث أنه يستبدل صالح المجتمع مما يراه صالحا لنفسه ولشخصه فقط وهو عنده اضطرابات نفسية وعقلية ومن هنا تبدو تصرفاته وفيها ذلك الشعور الذى نتحدث عنه .

ان جنون العظمة الذى شرحناه سابقا يتضح فى قادة اسرائيل فى تصرفاتهم التالية :

ا ـ الوهم الذى عاشوا فيه سنوات طويلة بأن جيش اسرائيل لا يمكن أن يقهر مهما كانت القوة التى أمامهم وأنه أسطورة فى العالم يأتى بالمعجزات الخارقة فى الحروب .

ب ـ الوهم الذى تخيلته القيادة الاسرائيلية فى قدرتها الفائقة فى احتلال مصر فى خلال ساعة أو أقل وأنها قادرة على احتلال الوطن العربى فى خلال أيام قليلة .

جـ ـ الغرور الذى صاحب نشأتهم بأنهم شعب الله المختار .

د ـ رسمهم لخريطة تمد دمن النيل الى الفرات وأن هذه هى حدودهم الاصلية .

و ـ تصوير اسرائيل بأنها دولة المدنية والحضارة والتقدم العلمى وأنهم قادرون على تغيير كل شىء بسرعة مذهلة . وأن على العرب قبول شروطهم والاستسلام لمطالب اسرائيل .

ثالثا : تفكك الروابط بين الجماعات الاسرائيلية :

ان المتتبع لتاريخ اسرائيل وتركيبها يجد أنها تتميز بمجتمعين : مجتمع من يهود اوربا الغربية والولايات المتحدة الامريكية وهم طبقة الاغنياء التى لها نفوذ وسيطرة على كل شىء فى اسرائيل يتمتعون بخيراتها وبالجنة التى وعدوا بها أنفسهم فى فلسطين بينما يوجد طبقة كبيرة فى اسرائيل وهى طبقة يهود اوربا الشرقية وهم لا يتمتعون بأية مميزات بل وجدوا عذابا فى اسرائيل من مهانة وذل وعدم الامن والخوف والسيطرة وكان لهذا الاختلاف فى تركيب المجتمع الاسرائيلى أثره على القادة فى اسرائيل :

ا ـ محاولة من القادة باتخاذ قرارات تتسم بالعنف ومحاولة لتحقيق نصر وهمى على العرب وذلك لتغطية الخلاف فى الداخل وشغل المجتمع الاسرائيلى بالحرب بحيث يمكن السيطرة على الخلاف الداخلى بحجة الحرب .

ب ـ تحقيق النصر على العرب يؤيد وجهة النظر القائلة فى اسرائيل بأنهم يقومون بالحروب من أجل اقامة دولة اسرائيل المتقدمة وأنهم فى سبيل اقامة الجنة فى فلسطين وأن على اليهود تحمل المشاق فى اسرائيل وان على اليهود تحمل المشاق فى سبيل اقامة هذه الجنة .

رابعا : عنصر المفاجأة فى الموقف وأثره على قادة اسرائيل :

ان من عوامل نجاح أى تكتيك حربى هو المفاجأة وضرب العدو ضربة شديدة منذ البداية دون أن يكون قد تاهب لملاقاة خصمه وبالتالى نجد أن الحرب خداع وهذا التكتيك الذى نتحدث عنه قد طبقته القيادة فى مصر على اسرائيل بنجاح مذهل ولم يصدق أحد ذلك الا بعد ما شاهد المراسلون الاجانب بأنفسهم ذلك وبعد ما أذاعت القيادة المصرية بياناتها التى تميزت بالصدق وهكذا كان لعامل المفاجأة أثر كبير فى زعزعة الثقه باسرائيل وقادتها بصفة خاصة حتى سمعنا أخيرا عن قيام تغيير فى قادتهم .

خامسا : عدم الشعور بالاستقرار والامن والانتماء :

من المعروف أن أى شعب من الشعوب لابد أن يشعر بالامن لان هذا الشعب لن يستطيع أن يحفظ وجوده ويضمن بقاءه الا اذا كان آمنا بعيدا عن مواطن الخطر وبذلك يضمن الاستقرار ويتفرغ لعملية الانتاج والى رفاهيته واذا طبقنا على اسرائيل ذلك الوضع فاننا نلاحظ أن اسرائيل تدعو الى وجود حدود آمنه بينها وبين العرب فاذا ما استولت على أرض ادعت انها تحتاجها لتأمين حدودها حتى أصبح كل همها هو الحصول على أراض عربية بحجة تأمين حدودها وقد ترتب على ذلك أن أصبح هم قادتهم الحصول على المزيد من الاراضى وأصبحت سياستهم قائمة على التوسع دون عمل حساب للعالم ولكن ما الذى ترتب على تلك السياسة لقادتهم :

١ – عدم حصولهم على الامن الحقيقى الذى ينشدونه بل على العكس أصبحت حياتهم الان جحيما لا يطاق وبالتالى أصبحت المعيشة الان ضيقا وعدم استقرار .

٢ – ترتب على ذلك وقف مشروعات التنمية لرفاهيتهم ذلك أن الميزانية كل مواردها تنصب على الحرب ووقف العمران والتشييد والبناء .

٣ – توقف مشروعات الهجرة الى اسرائيل لعدم وجود الامن المنشود فيها .

٤ – عدم استقرار الحدود فيها مما يفقدها ميزة الدولة التى لها حدود آمنة .

٥ – فقدت اسرائيل عطف واحترام العالم نتيجة لتوسعها ورغبتها المستمرة فى الحرب للحصول على المزيد من الاراضى وظهور اسرائيل بمظهر الدولة التى تعرقل السلام العالمى والوفاق العالمى مما أدى الى تباعد أصدقائها عنها . وهكذا يدفع قادة اسرائيل بالثمن غاليا نتيجة غرورهم وحماقاتهم المتعددة وظهورهم بمظهر المعتدين الاثمين أمام العالم مما سيترتب عليه ان شاء الله تحطيم اسرائيل وازالتها من الوجود ان آجلا أو عاجلا ولذلك شرع القتال وفرض الجهاد لردع المعتدين قال تعالى « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » وقال تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم » .

وقوله تعالى « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم »

سيادة الأمة الإسلامية والعربية ونصرها فى قوتها وتعاطفها

اننا نحمد الله تعالى أن وفق الامة العربية الى وحدة فى الهدف بعيدة عن الانانية ناجية من العصبية غيورة على الحق مجاهدة فى سبيله وذلك بفضل رؤسائها وقادتها وعلى رأسهم رئيسنا المخلص الملهم الذى رسم تلك الخطة الحكيمة التى سارت بنا فى طريق النصر محطمة الجمود والهزيمة والتى كانت آثارها مثار العجب من العالم أجمع كما نحمد الله تعالى أن وفق قادة الجيش وأفراده البواسل لتنفيذ تلك الخطة على أكمل الوجوه وأدقها فى سرية تامة حتى خفى على العدو كل أبعادها ومراميها ففوجئوا بتلك الضربة المذهلة للعدو والمضيعة لكبريائه وغروره . كما نحمد الله تعالى .

فضيلة الشيخ عبد الوهاب السالكت

أن وفق الكتاب للجهاد بالكلمة تهيج وتثير طوائف الامة ليقظتها وحسن استعدادها وفى الحق أن هذا الاصرار العجيب والاتفاق التام من الامة كلها انما يرجع أولا الى ما ألم بالعرب والمسلمين من ألم ذاقت كل نفس وقعه ولمست لذعه ولا تزال العقول فى دهشة العجب من هـذا الغلب من صهيونيـة افاقـة قطعهـا اللـه فى الارض وضربت عليـهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله وشاء الله أن يطيل أمد المحنة حتى ينضج وعينا ونستكمل آفاقنا ونستفيد من التجربة : ونصبح كما نحن الان أكثر استعدادا ونضجا لدحر هذا العدو اللئيم الذى يكفر بالقيم ويستهتزىء بمبادىء العدالة ويخلد الى صوت السلاح عاديا لا يؤمن بالله قاسيا لا يرحم ·· ولقد ثبت لنا الان عمليا ان ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة : وأن الاعناق الملتوية كبرا وغرورا لا يقومها الا ضربات الحق منا معشر العرب والمسلمين ·· ولعلهم يفيقون من غشيتهم كما قال الرئيس انور السادات فى المؤتمر الصحفى فيتركون تلك انخرافات التى يتشبثون بها من أنهم لا يغلبون وانهم شعب الله المختار ويدركون أن الصلاح والتقوى والعدل ومحبة السلام هما الاساس عند الله تعالى « **ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » على ممر الايام والاجيال وتغاير الاجناس والاوطان وقديما قالو « نحن أبناء الله واحباؤه » فرد الله عليهم بقوله قل لهم يامحمد « فلم يعـذبكم بذنوبكم : بل أنتم بشر ممن خلق » ان الامة العربية والاسلامية كلها تطلب السلام وتحيه وأهدافها دائما اصلاحية تدعو الى السلام والوئام ككتابها « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » ولكن دعاة الشر ينصبون للخير دائما عقبات : فكان لابد من استعمال شىء من العنف لدفع خصومة الاشرار وصيانة الافراد والامم من العدوان : ولتشق طريقها الى ما خصصت من الخير لانصارها وخصومها على السواء · ومن هنا كانت الحروب وسيلةلرد العدوان اذاماوجد ومعذلكيعرض عنه اذا ما ترك وكان من حرص الاسلام على الاحتماء بالقوة أن أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالقتال فى سبيله فقال تعالى « **فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا** » ليشعر العدو أن المعتدى عليهم لهم قوة يعتمدون عليها وبسالة يعتزون بها فيكف عن مطامعه وعدوانه والاسلام بهذا لا يدفع الناس الى اختلاق الحروب والتهافت عليها فانه دين السلام والرحمة والحروب قاسية وهو لايميل الى القسوة الا اذاتحتمت وسيلة للاصلاح والباطل متى تخيل القوة خارت قواه وآثر للسلامة بنفسـه ان توافـرت له االسلامة · وانظر الى قوله تعالى « **عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا** » فهو تعالى يكف عدوان المعتدين اذا ماوجد منا اصرارا وقتالا وجهادا قال تعالى « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** » ويقول تعالى « **يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا** » فأمرنا عند الحرب ان ننفر اليه افرادا ان اقتضى الامر ذلك أو كلنا اذا اقتضى الامر ذلك · ومع ذلك فهو لا يحب منا أن نسير فى طريق الحرب متى علمنا من العدو ميلا صحيحا للسلام ولو كانت كفة الاسلام راجحة فى الحرب فان الكف عن الحرب حينئذ رحمة تلائم طبيعة الاسلام وتكشف رحمته حتى بالخصوم قال تعالى « **وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله** » واننا لنرى الايات تفتح الباب للمصالحات والشفاعات قبل أن يعظم البلاء : وترغب فى التعاطف والتفاهم والله تعالى يقول « **من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شىء مقيتا** » وأولى ما تكون الشفاعة فى الحروب رحمة بالانسانية وأملا فى الصفاء والسلام ·· والشفاعة الحسنة عمل انسانى جليل وسعى مشكور : والشفاعة السيئة جزاؤها سىء « والمرء مجزى بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر » . لن الاسلام يحب من آهلـه ان يكونوا

اهل مودة واعوانا على خير البشرية كما يحب منهم أن يكونوا أيقاظا لما يراد بهم ونبهاء لمايبيت لهم فالاسلام هو الامان والرحمة والبركة والتعاطف والقوة يسالم من سالم ويحارب من حارب والحمد لله فقد فهمت الشعوب الاسلامية هذه المبادىء وعملت بها ونحن فى حربنا هذه لم نبغ على أحد ولم نعتد على أحد .. ولكن عدونا غادر متمرد وفى كل ادوار حياته مثار فتنة ورأس شر وفساد تاريخه مع موسى عليه السلام ومع سليمان عليه السلام كله غدر وعصيان وأنظر اليهم وقد أمرهم بالتزام أحكام التوراة فقالوا له لا صبر لنا على هذه الاحكام واذا بالجبل يرتفع من فوق رءوسهم فانبطحوا الى الارض ناظرين الى الجبل خشية أن ينزل عليهم فيدكهم دكا قال تعالى « واذنتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون » فهذا يدل على أنهم جبناء لا يرجعون الا تحت ضغط شديد وخوف مميت هذه صورة واحدة من صور اعناتهم وعصيانهم الذى تكرر منهم مع موسى عليه السلام حتى كتب الله لهم ان يتيهوا فى الارض أربعين سنة جزاء كفرهم وعنادهم وانظر الى حالهم مع الانبياء وقد نفذت الرحمة من قلوبهم حتى لم تعد لهيبة الانبياء مكان أو موضع فى نفوسهم فأجبارهم وقراؤهم قد انكروا حق الله تعالى : واما ولاتهم فقد كذبوا الرسل ونبذوا الكتاب وراء ظهورهم فاستحقوا العذاب من الله تعالى واليك الاتى : كان أرميا من أنبيائهم ورجلا من صميم بيوتهم يدعوهم الى الله تعالى والى كتابه ويبصرهم بنعمته عليهم ويقول لهم ان سنحاريب ملك بابل جاءكم وأراد أن يغزوكم فأرسل الله على جيشه الطاعون فأباده بفضل نبيكم « شعيبا » الذى وقف الى الله تعالى داعيا طالبا أن يصرف عنكم السوء وأن يرد كيد عدوكم . فرده مذموما مدحورا : ماذا كان جزاؤه فيكم لقد اهنتموه وذبحتموه فأرقتم منه دما ذكيا وأهنتم منه كريما أبيا صعدت روحه الى الله طاهرة نقية مبرورة مكرمة تشكو اليه جوركم وطغيانكم وتبرأ الى الله من العقوق والطغيان ومكث يعظهم حتى قال كبيرهم ألهذا جمعتنا لقد كذبت على الله : ما ترى الا أن تغل يداك وتصفد رجلاك وترمى فى سجن سحيق وطلع النهار واذا به ملقى فى السجن عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل واستحلوا المحارم فحلت بهم الداهية وخربت بيوتهم وهدمت صروحهم وأحاط بهم بختنصر وجيشه قتلا وأسرا وتشريدا جزاء فعلهم بأرميا وافسادهم فى الارض ومع ذلك فانذار الله مسلط عليهم الى يوم القيامة ان عادوا الى الفساد سلط الله عليهم من يشردهم ويهلكهم قال تعالى « **وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا** » وقال تعالى « **واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب** » الواجب علينا أن نتنبه لهؤلاء على الدوام حتى لا نخدع فنقع فى كيدهم وسوء تدبيرهم : فهم قوم مرنوا على الشر : قوم ابتلينا بهم كما ابتلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد عاصر طائفة منهم وعاهدهم وجاورهم فغدروا ونقضوا العهد وحاربهم بعد ان قال لطائفة فيهم « أسلموا قبل أن يحاط بكم » قالوا لا يغرنك يا محمد انك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب : وأنك اذا لاقيتنا تجدنا أشداء » فلم يرجعوا حتى شرد من شرد منهم كبنى قينقاع وقتل من قتل فى سوق المدينة كبنى قريظة بعد أن رضوا حكم سعد بن معاذ : وتاريخهم مع الدول التى عاشوا فيها يشهد بخبثهم وسوء طويتهم وعدم خضوعهم الا تحت القوة والضغط والارهاب ان هذه المرحلة تقتضى من كل فرد منا عملا دائبا ويقظة فى العمل وفى الشارع وحراسة ساهرة على كل المنشآت : وتماسكا قويا فى الجبهة الداخلية ووقوفا خلف جنودنا وتلاحما معهم حتى يتحقق النصر التام باذن الله وفق الله الامة العربية والاسلامية الى رد كيد أعدائها وزاد من تماسك رؤسائها وملوكها وبصرهم بالخير : ومكن لهم فى الارض انه نعم المولى ونعم النصير .

بقية مقال « اليهود : أولياء الشيطان »

وسبيل الخلاص من هذا البلاء هو ما قد علمناه من قبل ، وما نراه اليوم مغتبطين ، من انبعاث المسلمين انبعاثا قويا مؤزرا ، لاداء حق الجهاد المقدس ، صفا واحدا ، وقلبا واحدا ، وراية واحدة .

ومن الجولة البطولية الاولى ، أخذ نجم هؤلاء الاعداء فى الافول ، ولا مهرب لهم من المصير المحتوم ، هزيمة واندحارا ، وليلا طويلا ، ذلك لانهم البغاة الاشرار ، أولياء الشيطان ، قد باءوا بغضب من الله ، وتتابعت فيهم لعناته ، وكتب عليهم الذلة والمسكنة ، فبالغا ما بلغوا من القوة المصطنعة ، فهم الضعاف المخذولون لا محالة . « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق » .

واذا كانت « خيبر » الحجاز قد قررت نهايتهم هناك : فاننا نراها هنا تعود قاصمة وخاتمة ، تتوهج بالبطولات وصدق الايمان ، على رمال سيناء ، ومرتفعات الجولان ..

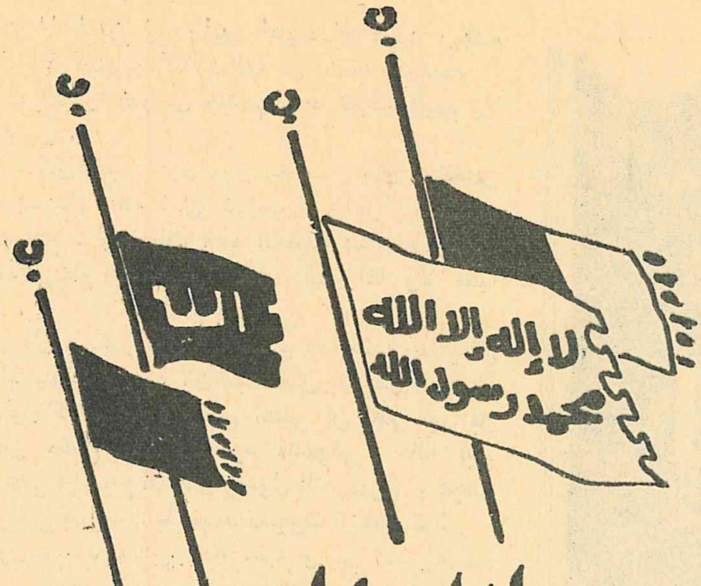

الجهاد فى صدر الإسلام

الأستاذ سالم عرفات سالم

كان الجهاد فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مثلا رائعا فى البطولة والاقدام وغرست تعاليم الاسلام فى نفوس المسلمين التضحية والفداء ، والاستماتة فى الجهاد فى سبيل الله – واعتبرت المجاهد فى سبيل الله والمستشهد مآلهما الجنة .

وقد دعا الاسلام الى مقاتلة الاعداء كما دعا المؤمنين بالنصر فقال تعالى : فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما .

كما قال سبحانه وتعالى :

« يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا ، فلا تولوهم الادبار ، ومن يولهم يومئذ دبره ، الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة ، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

فالاسلام قد فرض القتال ابتغاء تأمين الدعوة والدفاع عنها ضد من يقف فى سبيلها .

كما شرع الاسلام القتال للدفاع عن النفس وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى : « **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الامور** » .

وقد أحرز المجاهدون المسلمون فى عصر الرسول نصرا مؤزرا فى كثير من الغزوات والسرايا .

وكان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الاعلى فى البطولة والاقدام وكان يقول : « **الجهاد ماض الى يوم القيامة** » كما كان يقول عليه السلام : « **ان أبواب الجنة تحت ظلال السيوف** » وكان يقول كذلك : « **والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فاقتل** » .

وكان خالد يقول لاعدائه فى المعارك : (لقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة) . أو كما يقول الله سبحانه وتعالى : « **ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقران ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** » .

وقتلى المسلمين فى رأيهم أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

ولذلك كان الجند المسلمون يضحون بكل مرتخص وغال فى سبيل اعلاء شأن المسلمين ، واعزاز كلمتهم ، ورفع شأنهم . وخالطت هذه العقيدة دماءهم وسرت فى كيانهم فلم يستطيعوا عنها انصرافا ولا منها خلاصا .

وكان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القتال الا يلتفت وراءه لان ذلك خلق الجبان الرعديد فكان يقول لاصحابه : « **انى أخشى أن يأتى أبى بن خلف من خلفى فاذا رأيتموه فأذنونى ، فاذا أبى يركض على فرسه وقد رأى رسول الله فعرفه ، فجعل يصيح بأعلى صوته : يا محمد لانجوت ان نجوت !**

فتناول محمد صلى الله عليه وسلم الحربة من الزبير بن العوام ثم انتفض بها انتفاضة تطاير عنه أصحابه تطاير الذباب عن ظهر البعير ، ولم يكن أحد يشبه رسول الله اذا جد الجد ».

فحمل أبى على رسول الله ليضربه ، فاستقبله مصعب بن عمير يحول بنفسه دون رسول الله ، فضرب مصعب وجه أبى ، وأبصر رسول الله فرجة بين سابغة البيضة والدرع – الزرفرف من الزود يقى به الرجل عنقه – فطعنه هناك رسوله الله ، فوقع عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ، ويتقلب ويتدرج .

ووصف على بن أبى طالب شجاعة الرسول المحارب يوم بدر قال : « ولقد رأيتنى يوم بدر ، ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وهو أقربنا الى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا » .

وفى غزوة بدر فى السنة الثانية من الهجرة كان جيش المشركين يتكون من ثلاثة أمثال جيش المسلمين بيد أن المسلمين صمدوا حتى النهاية وتحقق لهم النصر المبين على أعدائهم .

وخرج من صفوف المشركين ثلاثة من أبطالهم هم : عتبه بن ربيعة وابنه الوليد ، وأخوه شيبة وهم يدلون بقوتهم ويتحدون من يخرج لمبارزتهم .

فأسرع اليهم ثلاثة من الانصار فلم يرضوا أن يبارزوهم وقالوا كبرا وخيلاء نطلب أكفاءنا من بنى أعمامنا .

فخرج لهم حمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب ، وعلى بن أبى طالب .

فكان حمزة بازاء شيبة ، وعبيدة بازاء عتبة ، وعلى بازاء الوليد .

أما حمزة وعلى فقتلا صاحبيهما ، وأما عبيدة وعتبه فاختلفا ضربتين وثبت كل منهما لصاحبه فحمل حمزة وعلى عتبة فقضيا عليه .

واحتملا عبيدة بن الحارث جريحا الى صفوف المسلمين واستشهد عليه رحمة الله .

وكان هذا الانتصار الفردى دافعا الى النصر الجماعى حتى قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز : « **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة** » .

ذو القعدة

أن الاسلام دين القوة والسلام دين الجهاد والتضحية والفداء . دين القتال والكفاح دفاعا عن الدين والوطن وحفاظا على مبادئه ومقدساته ومناسكه وعلى شرف الاسلام وكرامة الانسان وتأمينا للانسانية من ربقة العبودية وظلم الانسان لاخيه الانسان . وللمسلمين على مدى أربعة عشر قرنا تاريخ متواتر مشهور فى البطولة والجهاد والقتال والكفاح فى سبيل اعلاء كلمة الله ونشر دينه . وتقرير الامن والسلام والرخاء للانسانية جمعاء . ورد هجمات الغزاة المغيرين . ودحر قوى الظلم والطغيان من جحافل المغول وجنكيزخان وهولاكو التترى وجيوش الصليبيين كل اولئك مسجل على صفحات من نور الحق واليقين . وقد كتب الجهاد والكفاح على الانبياء والرسل لتأمين دعوة الله ودعوة الحق بل هو مفروض على الانسان منذ وجد دفاعا عن حريته وأمنه وشرفه وكرامته .

فضيلة الشيخ السيد خليل الجراحى

والقضاء على اليهود !!!

ولما أمر الله سبحانه المؤمنين بقتال المشركين ومن اتبعهم وعاونهم من اليهود وأهل الكفر والعناد بقوله تعالى « **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير** » وبقوله تعالى **وقاتلوا المشركين كافه كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين** » أرشدهم الى الطريق الاصلح بقوله تعالى « **قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين** » وهو أن يبدءوا بقتال الاقرب فالاقرب حتى يصلوا الى الابعد بعدم تصور القتال دفعة واحدة . ولهذا جاهد وقاتل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أولا قومه . ثم انتقل الى قتال سائر العرب . ثم قتال أهل الكتاب من اليهود أهل الغدر والخيانة والنفاق ونقض العهودوالمواثيق وهم قريظة وبنى النضير وخيبر وفدك وغيرهم ثم انتقل الى غزو الروم والشام وتم فتحه فى زمن الصحـــابة ثم ان المؤمنين انقلبوا الى العراق ثم الى سائرالامصار وقد تم نصر الله بفتح مكة سنة ثمان من الهجرة فى رمضان ثم بعدها الانتصار فى يوم غزوة حنين وهوازن وثقيف وحاصر الرسول صلى الله عليه وسلم الطائف وكانت هذه الحروب فى شهر شوال وذى القعدة عقب رمضان الذى وقع فيه فتح مكة ثم آخرا غزوة تبوك فى رجب سنة تسع من الهجرة بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف ، وبذلك تم القضاء على اليهـود والمشركين وأهل الـكفر والطغيـان بقيادة القائد المثالى الاوحد رسول الانسانية ورائد القوى التحررية خاتم الانبياء والرسل عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وظهر أمر الله وتمت نعمته على خلقه بتقويض دعائم الكفر والالحاد ووضـــع السلام والامن فى الارض يقول تعالى « **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله** » « **وماأرسلناك الا رحمة للعالمين** »

وقد سجل القرآن الكريم فى محكم آياته وقصصه انتصار النبى صلى الله عليه وسلم فى جميع غزواته على المشركين والكافرين واليهود أهل الفتنة والخيانة مبينا وموضحا ان النصر من عند الله العزيز الحكيم لايمانهم به سبحانه ونصرهم وجهادهم لـدينه واستبسالهم لينالوا اما النصر واما الاستشهاد فى سبيل دعوة الحق واليقين ففى سورة التوبة يقول تعالى « **لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة** » أى على اعدائكم فى مواقع حروب كثيرة ومن أعظمها . غزوة بدر الكبرى فى السابع عشر من شهر رمضان فى السنة الثانية من الهجرة وكان فيها الانتصار الاكبر الذى فرق فيه الله سبحانه بين الحق والباطل . وغزوة قريظة وخيبر وفتح مكة . وغزوة تبوك فى رجب سنة تسع من الهجرة بعد رجوعه من الطائف [**ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم**] أى نصركم يـوم غزوة حنين وقد ضاقت عليكم الارض بما رحبت وحنين واد معروف بين مكة والطائف وتسمى غزوة هوازن وثقيف وكانت فى شوال عقب رمضان الذى وقع فيه فتح مكة سنة ثمان من الهجرة وكان عدد المسلمين اثنى عشر الفا وعدد الكافرين أربعة آلاف وقد اغتر المسلمون بعددهم فنصرهم الله بعد هزيمتهم ولما كان حصار الطائف وغزوة حنين فى شوال . وفى شهر ذى القعدة الذى هو من الاشهر الحرم كان رأى الجمهور جواز القتال فى الاشهر الحرم خلافا لعطاء رضى الله عنه .

ونعود الى شهر ذى القعدة من الاشهر الحرم الاربعة وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الفرد بين جمادى وشعبان وما كان فيه من حروب وغزوات واعلام بتحديد القتال وانذار للمشركين بحرب

طاحنة يقرر هذا مانزل من الايات فى سورة التوبة . وتسمى سورة (براءة) وسورة الفاضحة لانها فضحت أعمال المشركين والمنافقين واليهود ولم تكتب فى أولها بسم الله الرحمن الرحيم كغيرها من السور بأمر النبى صلى الله عليه وسلم ولانها هى والانفال سورة واحدة ولذلك نبتدىء « بأعوذ بالله من الشيطان الرجيم » [**براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين**] أى انذار واعذار الى الذين عاهدتم من المشركين الذين نقضوا عهودهم حينما خرج الرسول الىتبوك فأمره الله بنبذ عهودهم وقتالهم وأمهلهم اربعة أشهر واعلمهم الله بذلك فأمر النبى صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه باعلامهم يوم الحج الاكبر [**أن الله برىء من المشركين ورسوله**) ومدة الامهال من العاشر من ذى القعدة الى العاشر من ربيع الاول . بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) فكان الانتصار بعد انقضاء مدة الامهال .

الامر الثانى من الغزوات الهامة التى تميز بها شهر ذى القعدة غزوة (قريظة) أى يهود قريظه الذين كونوا الاحزاب فى غزوة الخندق فى شوال ونقضوا بذلك عهودهم . فى آخر ذى القعدة وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما انتصر فى غزوة الخندق بارسال الله سبحانه ريحا عاتية على المشركين وارتدوا خاسرين الى مكة يقول تعالى « **ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا**] انطلق المؤمنون الى يهود قريظة الذين نقضوا عهودهم بمعاونة الاحزاب وحاصروا ديارهم وحصونهم فلما اشتد بهم البلاء سلموا للمسلمين ونزلوا من حصونهم ونفذ فيهم الرسول حكم الله جزاء وفاقا لخيانتهم وغدرهم . وقد حاصرهم الرسول خمسا وعشرين ليلة ثم نزلوا وطلبوا النزول على حكم سعد بن معاذ ورضى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم فيهم سعد أن تقتل الرجال وتسبى الذرارى والنساء وتقسم الاموال فكبر النبى صلى الله عليه وسلم وقال (لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة) وبهذا يقول تعالى من سورة الاحزاب « **وأنزل الذين ظاهروهم (أى ظاهروا الاحزاب)** من أهل الكتاب من صياصيهم [من حصونهم] **وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا** . **وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها**] أى واورثكم أرضا لم تطؤها بعد لقصد القتال وهى [خيبر] وهى مدينة كبيرة محصنة بينها وبين المدينة أربع مراحل وكان فتح خيبر فى شهر المحرم من السنة السابعة من الهجرة فلم تمنع الحصون اليهود من انزال الهزيمة بهم ولذلك يقول تعالى فى سورة الحشر [لا **يقاتلونكم جميعا ألا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب اليم] والذين من قبلهم يهود** بنى النضير ويهود بنى قينقاع غزاهم الرسول وأجلاهم قبل ذلك وقد ظنوا انهم ما نعتهم حصونهم من الله فآتاهم الله من حيث لم يحتسبوا **ومن الغريب فى أمر** هؤلاء اليهود قديما وحديثا ولغاية **يومنا هذا انهم** يدبرون الفتن بمكر ودهاء ويستعينون بالقوى الكبرى على من يخاصمونه ويحقدون عليه **ويودون هلاكه ظنا** منهم ان ذلك يفيدهم فى باطلهم « **ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين** »فيكشف امرهم ويقوض من خططهم ويخزهم وينصر المؤمنين بحقوقهم عليهم . فلقد كان اثنا عشر رجلا من كبار المنافقين يصلون بمسجد قباء فقال لهم أبو عامر الراهب اليهودى ابنوا مسجدا واستعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فانى ذاهب الى قيصر ملك الروم فآتى بجند من الروم لمحاربة محمد واخراجه وأصحابه فلما بنوا المسجد رغبوا اليه صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه ان يصلى فيه فوعدهم أن يصلى فيه اذا عاد من تبوك أن شاء الله تعالى فأوحى الى الرسول خبرهم واعلمه بتآمرهم فلما عاد بعد انتصاره فى غزوة تبوك وقد أبلى المؤمنون فيها بلاء حسنا . أمر بحرق المسجد فحرق وفى ذلك يقول تبارك وتعالى (**والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا ألا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين**] ولما نزلت تلك الايات الفاضحة لامر المنافقين واليهود سمى رسول الله أبا عامر الراهب (أبا عامر الفاسق) وصدق الله وعده ونصر عبده حيث قال سبحانه (**أنا لننصر رسلنا والذين آمنوا**) (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) ولقد كان موقف اليهود من الرسول موقفهم مع كل نبى ورسول وكل مصلح حقدا وحسدا ولما طبعوا عليه من حب المال والحياة وجبلوا عليه من الغدر والخيانة وكراهيتهم للناس دونهم ..

واليوم وقد استولت اليهود ودولة اسرائيل المزعومة على أجزاء من الدول العربية والمقدسات الاسلامية والمسيحية وأخذوا فى تهويدها وبنوا المستعمرات يبغون التوسع والانقضاض على الدول المتحررة والنامية خدمة للاستعمار ومآربهم يساندهم فى ذلك الاستعمار ويمدهم بقوته الحديثة والمال ولم يستمعوا الى العدالة وحقوق الانسان . ولم يستجيبوا لقرارات هيئة الامم المتحدة ومجلس الامن بالانسحاب . وقد وقفت الطغمة العسكرية باسرائيل موقف الظالم الجبار المتغطرس وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من خط بارليف المنيع وخط التراب الكثيف وفهموا خطأ أن القوات المصرية لا يمكنها عبور القناة فضلا عن اعتمادهم على قوة أمريكا ومساندتها ومدها بكل سلاح . ونسوا أن قوة الايمان بالله وقوة الحق

البقية ص ٧٥

العرب أمام المستقبل بعد ٦ أكتوبر المجيد

الأستاذ محمد فهمي عبداللطيف

بدأ العرب طريقهم الى المستقبل ، وكانت بداية الطريق تلك الوقفة التاريخية الخالدة التى ملات سمع العالم وبصره يوم ٦ أكتوبر المجيد ، لقد أصبح العرب بتلك الوقفة العظيمة قوامين على أنفسهم ، وأصحاب الرأى فى مستقبلهم ، يصنعونه على هواهم ، ويرسمون صورته وفقا لارادتهم ، واذا كان اليوم طليعة الغد ، والحاضر عنوان المستقبل ، فانى ألمح فى أفق الغيب صورة مشرقة لهذا المستقبل العربى ، وأرى العرب فى وطنهم الممتد بين الخليج والمحيط ، وموقعهم الجغرافى الممتاز الذى يسيطر على مفترق الطرق العالمية ، يستعيدون تاريخهم الاول عزة ومجدا وقوة ، وتأثيرا فى العالم بما يملكون من طاقات وقدرات ، وتقنعنى الشواهد والدلائل بأنه قريب جدا ذلك اليوم الذى يجد العرب فيه أنفسهم على قمة ذلك المستقبل المرموق ، ارادة واحدة ، وقوة واحدة ، لها فى شأنها ما تبغى ، وفى حياتها ما تريد .

هذا الكلام ليس زجر طير كما يقول الحكيم المصرى ، ولكنه حقيقة نطق بها الواقع ، ولمس العالم واقعها ووقعها لمس اليد ، واذا كان العالم لا يزال مترددا فى التصريح بهذه الحقيقة ، والاذعان لها ، فان العالم معذور فى هذا التردد ، لان المفاجأة العربية يوم ٦ أكتوبر كانت مذهلة فى كل مواقعها ومجالاتها ، وكانت أضخم من أن يستوعبها العقل دفعة واحدة ، وما زال العالم فى غمرة الذهول يسائل نفسه عما جرى . كيف جرى ؟ وما الطريق بعد هذا الذى جرى ؟

ان الوقفة العربية بما تجلى فيها من قوة رادعة ، وارادة واحدة ، وروح أصيلة ، قد وضعت القوى الدولية العالمية فى مفترق الطرق ، وأفقدتها عنجهية التسلط والالزام ، واذا بهذه القوى تستيقظ من حلم كله أضغاث وتخبط أوهام لتجد نفسها فجأة أمام وضع عربى واقعى قلب خططها رأسا على عقب ، وأخل بكل ما كانت تقدره للحاضر والمستقبل ، وما كان فى

حسبانها وتصورها أن هذا يحدث أبداً ، أو يمكن أن يدخل فى حدود الامكان ، ذلك لان الدعاية الصهيونية التى ملات أرجاء الدنيا قد خدعت العالم عن عقله وفهمه ، واقنعت الناس قاطبة بأن عهد العرب بالحياة قد ولى وزال ، أو هو فى طريقه الى الزوال المحتوم ، وان الامة العربية التى ملات ذلك المكان الرحب من التاريخ فى الماضى لم تعد صالحة لمسايرة الحياة فى هذا العصر ، ولا بقادرة على أن تعيد سيرتها الاولى وأن تستأنف وجودها التاريخى كما كانت من قبل . أولا : لانها فقدت العصبية الجنسية التى توحد ارادتها ، وتجمع كلمتها ، وتقف بها فى معترك الاحداث قوية صلبة . لا تكسر ولا تقهر ، وثانيا : لانها تفقد الاستعداد العلمى والقدرة على استيعاب الاساليب العلمية فى عصر قوامه العلم ، وكل ما فيه قائم على العلم ، واذا كانت أرض الوطن العربى مملوءة بالقدرات والطاقات الاقتصادية الضخمة فان العرب فى عجز عن الانتفاع بهذه القدرات والطاقات لصالحهم ، وانما ينتفع بها غيرهم ، ويتسلط بها عليهم .

بكل هذا وما اليه من أساليب الدعاية الكاذبة التى كانت تلبس لباس التزويق العلمى استطاعت الصهيونية أن تخدع العالم ، وأن تؤثر فى القوى الدوليه ، وأن تقنع الجميع بأن اسرائيل هى وريثه العرب فى هذه الارض من النيل الى الفرات ، وأن المستقبل لها على امتداد تلك المنطقة التى تسيطر على طرق العالم وتتحكم فى مصالح الامم ، ومقدرات الشعوب .

استطاعت الصهيونية أن تخدع العالم بهذه الخدعة الكبرى ، وساعدها على ذلك ظروف لم تكن مواتية للعرب وهم يصفون حسابهم مع الاستعمار ، فكانت اسرائيل تعربد عليهم وهم يصايرون الاحداث فى احتمال أذاها ، وتحولت الخدعه الصهيونية الى حقيقة لا تضيف جدلا عليها فى افهام الناس ، والى يقين فى تقدير القوى الدولية التى تؤثر فى سياسات العالم واتجاهاته ، وتستطيع أن تتحكم فى موازين الامور وضوابطها . فكانت هذه القوى تؤثر اسرائيل بكل مساعدة ومساندة ، وتقف الى جانبها دائما ضد العرب ، وتدفعها الى الامام فى كل موقف ، ولقد كان الناس فى عجب كل العجب اذ يرون الدول الكبيرة والقوى المسيطرة فى العالم تقدم الى اسرائيل كل ما تريد وتطلب ، وأكثر مما تريد وتطلب ، قربانا واحتسابا ، على حين تنظر هذه الدول الكبيرة الى العرب نظرة ازدراء واستخفاف مع أن مصالحها من البترول وغير البترول لدى العرب وفى أرض العرب ، والسر فى ذلك أن تلك الدول كانت تعتقد أن المستقبل لاسرائيل ، وأنها وارثة لهذه المنطقة من الارض وما عليها ، وأن عهد العرب الى زوال على المدى القريب ، فليس من صالحها ولا من الخير لها أن تقامر على الجواد الخاسر ، وانما صالحها وخيرها أن يكون حسابها مع التاجر الجديد .

والواقع أن الصهيونية قد خدعت نفسها قبل أن تخدع العالم بهذا التقدير الفاسد ، وألقت بنفسها فى ورطة كلفتها وما زالت تكلفها الكثير من الجهد والمال والعمل على غير جدوى ، فقد خططت الصهيونية لقيام اسرائيل على هذا التقدير ، وكان تقديرها أن اسرائيل ستقوم فى مكان فقد الذين فيه كل مقومات الحياة ، وعناصر الحركة ، ومظاهر التجدد ، وأن عوامل التخلف فى العرب لن تساعدهم على البقاء والنمو ، ولن تكفل لهم اليقظة واستقبال الحياة مرة ثانية ، وعلى هذا سيكون قيام اسرائيل أمرا طبيعيا لا يعوقه شىء ولا يقف فى طريقه حائل .

كان هذا هو تقدير الصهيونية يوم خططت لقيام اسرائيل ، وعلى أساس هذا التقدير راحت تنشىء المشروعات الانسانية الضخمة فى الوطن العربى لحساب اسرائيل . ولقد جهر بهذه الحقيقة « موسى شرنوك » الصهيونى العنيد الذى كان يتولى أمر الوكالة اليهودية التى مهدت لقيام اسرائيل خلال الثلاثينيات ، فقال وهو يبرر العمل لقيام اسرائيل فى قلب الوطن العربى وانشاء الدولة اليهودية : « ان البلاد العربية فقيرة ، وعدد سكانها قليل ، ولا صناعة فيها ، وزراعتها متأخرة جدا ، ومواردها غير مستغلة ، فاستقلالها السياسى اذن لا قيمة له ولا معنى ، لانه لا تطور ولا نماء فيها ، والاستقلال الحقيقى هو استمرار النماء والبناء والتطور .. »

هذا هو تقدير الصهيونية للعرب ، وهو التقدير الذى أقاموا على أساسه اسرائيل لتكون وريثة العرب فى بلادهم وفى وجودهم ، ولهذا كان من سياسة اسرائيل نبذ كل ما هو عربى والعمل على ابادته ابادة كاملة ، ولقد أخطأت الصهيونية وأخطأ الذين يشايعونها فى تقديرهم للعرب وفهمهم للحقيقة العربية ، ذلك لانهم نظروا الى العرب فى موقف مظلم من مواقف التاريخ كان العرب فيه كما قلنا يصفون حسابهم مع الاستعمار ، ولم يحاولوا أن يفهموا حقيقة الروح العربية التى هى سر الحياة والبقاء للعرب ، والتى وقفوا بها يصارعون الاحداث ، ويغالبون الاهوال ، وكانت عنصر القوة التى ظهروا بها على كل الاحداث والاهوال .

لم يفقد العرب عنصر الوحدة والعصبية بينهم وان ظهروا متفرقين فى أسلوب الحياة : بل ان عصبية القبيلة فى المجتمع العربى الاول قد انتقلت الى عصبية الامة العربية كلها ، وهى عصبية دم وجنس ، وروح

وعاطفة ، وتراث وتقاليد ، عصبية تؤكد كل معانى الوحدة فى الكيان العربى ، وهى الوحدة التى حسب الناس أنها انتهت وتبددت ، ولكنها لم تلبث أن بهرت العالم بوجودها الرائع فى هذه الوقفة التاريخية التى يقفها العرب اليوم ، وسيبقى يوم ٦ أكتوبر عنوانا لها على مدى التاريخ .

ان حياة الامم ليست نظرية هندسية تقدر فيها الابعاد بالاعداد والارقام : وانما حياة الامم تقدر بالاصالة وبما فيها من قوة الروح ويقظة العواطف ، وهذا هو المعنى البارز فى حياة العرب على امتداد تاريخهم ، انهم يملكون فى طبيعتهم وفى مزاجهم الشخصى روحا قوية غلابة كانت تصنع المعجزات فى ظلام الاحداث الحالكة ، وكانت تخرج بالعرب دائما من المآزق وهم أقوى وجودا وأروع والذين يطالعون تاريخ العرب ويتدبرون حقائق هذا التاريخ ومواقفه يدركون هذه الحقيقة فى سهولة ، وهى حقيقة تؤكد لهم أن العرب لا يمكن أن يحيق بهم الضياع والهوان .

ان الاباء والصرامة عنصران أساسيان فى فطرتنا العربية ومزاجنا العربى : فليس من السهل على النفس العربية الاستخذاء واحتمال الهوان ، وان هذين العنصرين ليجدان اليوم غذاءهما عند العرب من الفهم والتميز والعبرة بالماضى ، كما يجدان ضرامهما من العواطف اليقظة والاحساسات الملتهبة ، ومتى تمت السلامة للفطرة ؟ وللفعل والعاطفة ، فلن تكون من وراء ذلك الا الشخصية الكاملة ، والمكانة المتميزة ، والحياة الحرة الكريمة ، ولا شك أن روح الزمان الحارة اللامحة التى غمرت العرب من بعد الحرب العالمية الاولى الى اليوم ، وما صادفهم فى ذلك المعترك الصاخب من صعاب ، كل هذا قد صقل الروح العربية بالتجربة صقلا قويا يجعلنا نعتقد أن العرب لن يتقهقروا على الطريق مرة أخرى بعد اليوم ، وانهم لابد ماضون فى طريقهم ، يأخذون من حاضرهم لمستقبلهم ، وانه لمستقبل له مكانته فى العالم ومكانه فى التاريخ .

ان التاريخ لا شك سيقف وقفة طويلة اذ أن تلك الوقفة العربية العظيمة التى بهرت العالم والتى أصبح يوم ٦ أكتوبر عنوانا لها ودليلا عليها ، وسيحاول التاريخ أن يستقرى عوامل القوة فى هذه الوقفة ومظاهرها ، والنتائج التى تحققت من ورائها ، ولن يجد التاريخ من السر فى هذا كله الا تلك الحقيقة الرائعة ، حقيقة الروح العربية التى تيقظت ، فكانت فى يقظتها قوة خارقة صنعت المعجزات ، ويكفى من هذه المعجزات أنها زلزلت الارض تحت أقدام العالم كله ، وغيرت من جميع الاوضاع والمفاهيم فى العالم كله ، وتحولت بالاتجاهات الدولية الى مسارات جديدة فى العالم كله . لقد وضعت العالم عند مفترق الطرق ، ووضعت العرب أنفسهم أمام حياة جديدة ، ومستقبل جديد . مستقبل العزة والكرامة والقوة والعمل الرشيد .

بقية مقال « ذو القعدة والقضاء على اليهود »

أقوى من كل سلاح فقدجاءت صيحة الحق وفى ستة من أكتوبر سنة ١٩٧٣ الموافق يوم السبت يوم صيامهم الموافق لعشرة من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ وقد حشدوا جيوشهم فى مواجهة مصر وسوريا دباغتهم القائد البطل المحنك بفنون الحرب والقتال بأمره الى القوات المسلحة الفتية القوية المزودة بالعزم والايمان بالعبور والقضاء على قوى الظلم والطغيان فعبروا القناة وسووا خط التراب بالارض وحطموا خط بارليف ودحروا قوة اسرائيل برا شرق القناة يعززهم الطيران بقوته المدمرة والدبابات التى ترمى بشرر فدمروا قواتهم وكبدوا العدو خسائر فادحة فى العدة والرجال وأسروا العدد الهائل من القواد والجنود وذلك فى ستة أيام أذهلت العدو وقضت مضاجع الامريكيين وحولت أنظار العالم كله الى الحق العربى وأن اسرائيل قوة مجرمة جائرة قد ضللت العالم بادعائها الكاذب الماكر وتحول بعض الدول من أصدقاء اسرائيل وتعاطفوا مع العرب الذين وقفوا صفا واحدا أمام هذه القوى الظالمة المعتدية وأمام الصهيونية العنصرية الباغية والاستعمار الفاجر ..

هذا : ومن تتبع حروب المسلمين وقتالهم أعداء الدين والوطن على مدى عصورهم منذ أربعة عشر قرنا وتساءل ماهذه القوة التى يحارب بها المسلمون فينتصرون يجد ويعلم علم اليقين أنهم يحاربون ويجاهدون ويقاتلون بقوة معنوية متغلغلة فى نفوسهم وهى الايمان بالله واليوم الاخر وبدافع سعادتهم فى الدنيا ونعيمهم فى الاخرة لا يهابون الموت ولا يحرصون على الحياة يجاهدون وهم على يقين بالله ووعده لهم اما النصر واما الاستشهاد ليدخلوا جنات عدن مع الشهداء والصديقين ووعد الله حق يقول تعالى « **ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** » .

و... القتال

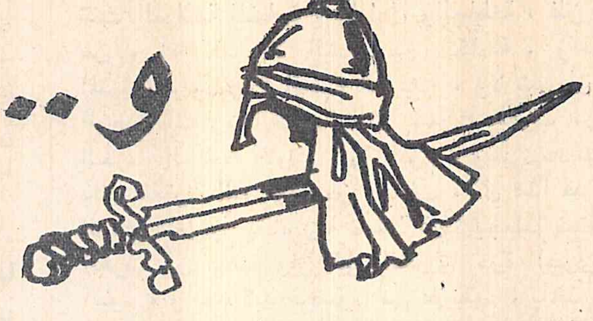

الذين يرددون عبارات أن الحرب الدائرة في الشرق تعود الى جذور اسلامية .. وأن المسلمين قد هبوا لمناهضة السامية .. وانهم يتعاونون اليوم في تعصب ديني .. هؤلاء الذين يقولون ذلك في البرلمان الاسرائيلي وفي مقدمتهم موشي ديان ويردده أتباعهم وانصارهم .. نسوا أمورا عديدة ..

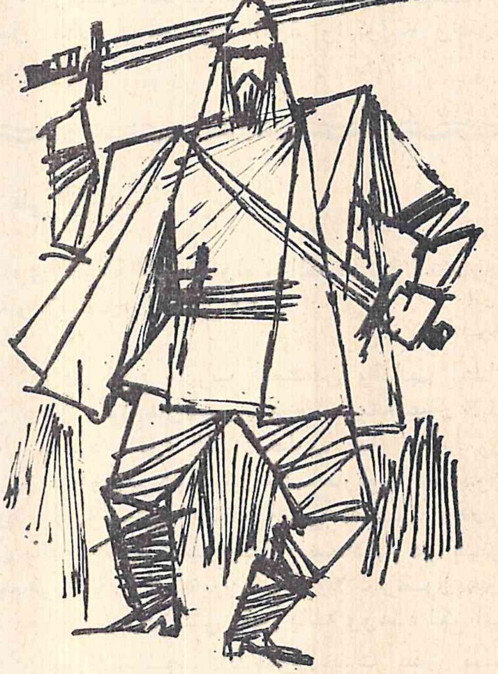

الأستاذ صلاح عزام

أولها .. أنهم أول من دعوا الى التعصب الديني ودولة اسرائيل قائمة على اساس ديني بحت ..

وثانيها .. ان الاسلام لا يعرف التعصب ولا العصبية .. بل يحاربهما ..

وثالثها .. ان الاسلام ونحن اتباعه وابناؤه قد حدد مفاهيم انسانية للقتال لم تعرفها البشرية من قبل .. ولن تكتشف بديلا أفضل منها الى أن تقوم الساعة ..

وهذا الامر يحتاج الى توضيح .. بل تذكير لهؤلاء الذين أعمى الضلال قلوبهم ..

فالاسلام يرفض اطلاق كلمة الحرب على الاشتباك المسلح الذي يقوم بين أهل الحق المسلمين .. وبين خصومهم أهل الباطل ومن أجل ذلك استبدلها بكلمة قتال ..

وفرق كبير بين المعنيين .. فالحروب شمولية بكل معناها التدميري والوحشي .. وابادة لكل ما يقع أمام المحارب من بشر وأشياء .. وأما القتال فهو مرحلي .. ووقتي .. وبنهاية أسبابه تزول كل آثاره حتى النفس منها .. ولا يبقى غير الصفاء الانساني الرائع الذي دعا اليه الاسلام دين الناس كافة .

ومن أجل ذلك سميت عمليات القتال .. بالجهاد .. وهذا القتال غير مطلوب لذاته في الاسلام .. وانما جعل لاقرار السلام .. ورفع الظلم عن النفس البشرية .. بدليل قول الله تعالى (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله)

و .. قوله تعالى (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان . ان كيد الشيطان كان ضعيفا]

وقوله جل شأنه (واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين]

عند المسلمين

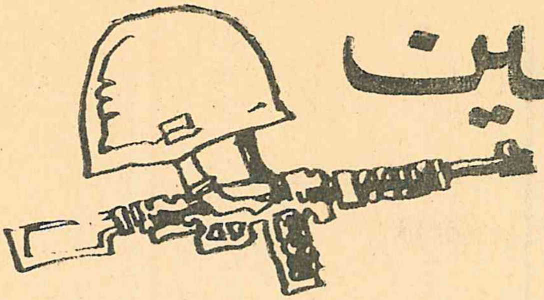

ودائما .. كلمة .. قاتلوا .. والقتال .. وليس الحرب .. كما يدعو بذلك خصوم الانسانية .. اليوم .. وعبر التاريخ .. والى أن ينيبوا الى أمر الله .

وهنا وقفة نبوية رحيمة .. يعلمنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله الشريف (**لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافيةفاذا لقيتموهمفاصبروا .. وأعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف**) ذلك لان النبى الرحيم لا يريد اراقة دماء لا من الطائفة المؤمنة .. ولا من الخصوم الظلمة الكفرة ..

• • •

والمسلمون مدعوون دائما الى الاستعداد واليقظة .. بقوله تعالى (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل**

وبقوله سيد البشرية صلوات الله عليه (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا] .

و .. (اذا تركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا الى دينكم ..)

والمسلمون ملتزمون بخط اخلاقى فى القتال حدده قائدهم الاعظم صلوات الله عليه .. بقوله أغزوا بسم الله فى سبيل الله . قاتلوا من كفر بالله ..

اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى احدى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك اليها فاقبل منهم وكف عنهم .

ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين واخبرهم ان هم فعلوا أن لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين وان هم أبوا أن يتحولوا منها فاخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المسلمين ولا يكون لهم فى الغنيمة والفىء شىء الا أن يجاهدوا مع المسلمين فان هم أبوا فسلهم الجزية فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم وان هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم .

واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيك فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيك ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أبيك وذمة أصحابك فانكم ان تخفروا ذممكم وذمم آبائكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله .

وان حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن انزلهم على حكمك فانك لا تدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا

و .. قوله عليه الصلاة والسلام (اذا قاتل أحدكم فليتجنب الوجه ..) وليس هذا الذى تراه اليوم من تشويه لجثث الشهداء وما هو أكثر ..

ومن هذا القبس المحمدى .. يسير الخلفاء من بعده ويهتدون فيوضى الخليفة الاول أمير جيشه .. (لا تقتلن امرأة ولا صبيا ولا هرما ولا تقطعن شجرا مثمرا ولا تخربن عامرا ، ولا تعقرن شاة الا لمأكله ولا تغرقن نخلا ولا تحرقنه .

وبهذه التعليمات ونظائرها كان القتال الاسلامى محددا ومحصورا .. ليس فيه فناء للبشرية ولا تخريب للمعموره بل محافظة على نتاج البشر وعمار الدنيا .. ففكرته الرئيسية هى نصر العدل .. وقضاء على الظلم .. وعودة الى طريق الله .

وتأتى بعد ذلك مرحلة ما بعد القتال .. وهنا وضع الاسلام قواعد خير البشرية .. وفاء بالوعد .. وحفاظ على العهد .. وعدم نكث به .. وحتى معاملة الاسرى .. تخضع لقاعدة محمدية (**استوصوا بالاسرى خيرا .. وفكوا العانى**)

و .. أين كل ما يحدث الان .. من هذه التعليمات الاسلامية .. ؟

انه فى مد .. وفى مد واسع وكبير ..

وهكذا يقاتل أتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. وهكذا يقاتل .. خصوم هذا الدين .. الاسلام الحنيف .

صيانة الحق بالجهاد

اذا فقد الاعداء منطق العقل وجاروا على حقوق المسلمين وناوروا وراوغوا فرارا من منطق الاقناع والدليل الصادق . وعمدوا الى الغدر والقتل والسلب والنهب وأضاعوا فرص السلام . فلا منطق بعد منطق العقل ودعوة السلام غير منطق القوة والحرب وموت فى دولة وعز وشرف وكرامه خير من عيش فى ذل وهوان واستعباد وضياع حقوق وسلب أوطان .

الأستاذ محمود السعيد الطنطاوى

والله تبارك وتعالى يريد لعباده الكرامة ولدينه السيادة والقوة . وللمسلمين السلام والعزة ، ولذا أمرهم جل شأنه بصيانة حقوقهم بالجهاد . قال تعالى « **يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة** » آية ١٢٣ سورة التوبة .

بيان من الله للمسلمين ان يبتدئوا بقتال الاقرب اليهم من الاعداء لانهم بقربهم يستطيعون النيل من المسلمين وفى ذلك خطورة عليهم لان بلاد الاسلام تكون فى مرمى أسلحتهم فيجب قتالهم أولا لتأمين حدود الدولة الاسلامية ، ثم أمر الله المسلمين بأن يكونوا أقوياء أشداء عند ملاقاة الاعداء فقال عز وجل « **وليجدوا فيكم غلظة** » أى عنفا وشراسة فى الحرب وبأسا فى القتال .

المبايعة على نصرة الحق :

المبايعة عند ارادة الجهاد المستحبة لانها تزيد الثقة وتبعث الطمأنينة وتشحذ الهمم وتقوى قلوب المسلمين وتثير الرعب فى قلوب الاعداء والله سبحانه وتعالى . بارك المبايعة على نصرة الحق ورضى عن المبايعين لرسوله فى سبيل الله فقال تعالى « **لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا** » آية ١٨ سورة الفتح .

وكانت هذه البيعة بالحديبية : **ولقد سئل سلمة بن الاكوع رضى الله عنه . على أى شىء بايعتم النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية . قال . على الموت » رواه البخارى ومسلم**

والله عز وجل أجزل العطاء ووعد الثواب لمن يبيع نفسه فى سبيل نصرة الحق فقال تعالى « **ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراه والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** » نزلت هذه الاية فى بيعة العقبة الكبرى . **وهى التى قال فيها عبد الله بن رواحة للنبى عليه السلام أشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال النبى عليه السلام أشترط لربى** أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا . واشترط لنفسى ان تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فمالنا . قال الجنة : قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل : فنزلت هذه الاية الكريمة مبينة شرف المبايعين لنصرة الحق فى كل زمان .

وأنشد الاصمعى لجعفر الصادق :

أنا من بالنفس النفيسة ربها
وليس لها فى الخلق كلهم ثمن
بها تشترى الجنات ،ان أنا بعتها
بشىء سواها ان ذلكم غبن
لئن ذهبت نفسى بدنيا أصبتها
لقد ذهبت نفسى وقد ذهب الثمن

وأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم بايعوه جميعا على الموت وخاضوا معه معارك ضارية من أجل انتشار الاسلام وصيانة الحق ونشر الامان حتى أرسوا دعائم الحق ، ومع كثرة نضالهم وبطولاتهم وشجاعتهم لم يروا لانفسهم امتيازا على أحد من الناس . بل كانوا أكثر الناس كفاحا وتحملا للاذى ولشراسة الحروب . ومع هذا كانوا أقل الناس حظا من متع الحياة .. وما أحسن أمير الشعراء أحمد شوقى وهو يصف نضالهم وكفاحهم لنصرة الحق ونشر السلام : فيقول :

ردوا ببأس العزم عنه من الاذى
ما لا ترد الصخرة الصماء
والحق والايمان ان صبا على
برد ففيه كتيبة خرساء
نسفوا بناء الشرك فهو ضرائب
واستأصلوا الاصنام فهى هباء
يمشون تغضى الارض منهم هيبة
وبهم حيال نعيمها اغضاء
حتى اذا فتحت لهم أطرافها
لم يطغهم ترف ولا نعماء

صمود المسلمين بعد الرسول :

ناضل الصحابة مع النبى فى حياته وواصلوا كفاحهم فى سبيل الحفاظ على الحق وصيانته بعد وفاته . حتى بلغ بنضالهم نور اليقين الى الناس أجمعين وعم نور الاسلام فى أنحاء العالم كافة .

فبعد موت النبى عليه الصلاة والسلام . اشرأبت نفوس الطامعين الى الجاه والسلطة والاغتصاب والعداوة ،فادعى نفر النبوة .ومنع قوم الزكاة وارتدت جماعة عن الاسلام .ولكن هذه الاحداث الجسام مع ضراوتها لم تحدث ارتباكا للقيادة الاسلامية بل أظهرت الحوادث بعد ذلك ثبات أبوبكر ومن معه وصلابتهم . التى قضت على كل ذلك قضاء مبرما وأبهرت الاعداء فبينما هرقل ملك الروم .فرحا مسرورا بوفاة النبى عليه الصلاة والسلام . وبتفرق كلمة المسلمين مما حصل فى صفوفهم . من ارتداد عن الاسلام ومنع للزكاة فحدثته نفسه أن يجهز جيشا للقضاء على الاسلام والمسلمين . اذ به يسمع بالمفاجأة التى أذهلته وأفقدت أعداء الاسلام توازنهم فقد بنوا أوهامهم على أن أبا بكر رجل حليم لين الجانب . وما دروا أن غضبة أبا بكر لدينه الذى آمن به ستحطم كل من يقف فى طريقها .

صلابة أبى بكر :

لقد سجل التاريخ أن المرتدين ومدعى النبوة ومانعى الزكاة آذوا أبابكر فى شعوره فثار ثورة المؤمن الغاضب لله ولرسوله وللمسلمين فكانت ثورته اعصارا دمر الباطل وجعله هباء منثورا تذروه الرياح ، لقد جمع أهل الرأى والمشورة وأخذ رأيهم فاستقر الرأى على النفير العام ودعوة كل قادر على حمل السلاح لقتال أعداء الحق . ومداهمتهم فى عقر دارهم قبل ان يهاجموا المسلمين فى المدينة وحتى يكون زمام المبادأة والهجوم فى أيدى المسلمين ، فجهز جيشا قويا ووزعه توزيعا دقيقا يناسب كل قبيلة فى عددها وعدتها . وقسمه الى أحد عشر لواء :

فجعل على اللواء الاول . خالد بن الوليد ووجهه لقتال طليحة بن خويلد فى بنى أسد وأمره بعد الفراغ منه أن يسير الى مالك بن نويرة زعيم بنى تميم — وكانت هذه القبائل قريبة من المدينة فكان لابد من الفراغ منها أولا حتى تكون المدينة فى أمان .

وعلى اللواء الثانى . عكرمة بن أبى جهل . ووجهه لقتال مسيلمة الكذاب باليمامة

وعلى اللواء الثالث . شرحبيل بن حسنة وأمره بمساعدة عكرمة على مسيلمة ولقد استعصت اليمامة على عكرمة وشرحبيل فتوجه خالد الى نجدتهما بعد أن فرغ من مهمته وقضى على مسيلمة قضاء مبرما .

وجعل على اللواء الرابع . المهاجر بن أبى أمية المخزومى . ووجهه لقتال الاسود العنسى باليمن وقتال عمرو بن معدى كرب الزبيدى وقيس بن مكشوح ومن معهما فاذا فرغ من هؤلاء توجه لمحاربة كنده وحضر موت وقتال الاشعث بن قيس والمرتدين معه .

وجعل على اللواء الخامس . سويد بن مقرن الاوسى ووجهه لمحاربة تهامه باليمن .

وعلى اللواء السادس . العلاء بن الحضرمى وأمره بالتوجه الى البحرين

وعلى اللواء السابع . حذيفة بن محض الغلفانى — من حمير — وأمره بالذهاب الى عمان لقتال ذى التاج لقيط بن مالك الازدى مدعى النبوة .

وعلى رأس اللواء الثامن . عرفجة بن هرثمة ووجهه الى مهرة .

وعلى اللواء التاسع . عمرو بن العاص ووجهه لمحاربة قضاعة .

وعلى اللواء العاشر . معن بن حاجز السلمى وأمره بالتوجه لقتال بنى سليم ومن معهم من هوازن .

وعلى اللواء الحادى عشر . خالد بن سعيد بن العاص وأمره بالتوجه لاستبراء وتطهير مشارف اليمن .

أبو بكر يدعو للسلام .

ومع هذا الاستعداد الضخم والتخطيط للحرب بفن ومهارة وذكاء وحسابات دقيقة واتخاذ قرار الحرب لردع أعداء الحق والسلام والحرية والامان والامر للجنود بالتوجه فورا كل الى مكانه الذى أمر بالتوجه اليه . أذاع أبوبكر الصديق رسالة سلام لعلهم يثوبوا الى رشدهم جاء فيها - بلغنى رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالاسلام وعمل به . اغترارا بالله عز وجل وجهالة لامره واجابة للشيطان وانى قد أنفذت اليكم فلانا فى جيش من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان وأمرته الا يقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه الى داعية الله . فمن استجاب وأقر وكف وعمل صالحا قبل منه وأعانه عليه . ومن أبى أن يقاتله على ذلك . ولا يبقى على أحد منهم قدر عليه وأن يحرقهم بالنيران ويقتلهم كل قتلة ويسبى النساء والذرارى ولا يقبل من أحد الا الاسلام فمن آمن فهو خير له ومن تركه فلن يعجز الله . وقد أمرت رسولى أن يقرأ كتابى فى كل مجمع لكم والداعية والاذان -

وبهذه القوة والصرامة اعتز أمر الدين واندحر الباطل وانهزم الشرك . يقول ابن مسعود رضى الله عنه - لقد قمنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه . لولا أن من الله علينا بأبى بكر . اجمعنا على الا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون .. وأن نعبد الله حتى يأتينا اليقين فعزم الله لابى بكر على قتالهم فوالله ما رضى منهم الا بالخطة المخزية أو الحرب المجلية . فأما الخطة المخزية فأن يقروا بأن من قتل منهم فى النار ومن قتل منا فى الجنة وأن يدوا قتلانا وأن نغنم ما أخذنا منهم . وأن ما أخذوا منا مردود علينا . وأما الحرب المجلية فأن يخرجوا من ديارهم -

ويقول أبورجاء البصرى دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ورأيت رجلا يقبل رأس رجل . ويقول له أنا فداءك لولا أنت لهلكنا قلت ماهذا قالوا أهل الردة اذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين - انهم لم يأتوا بها الا بعد أن وجدوا وأمامهم جيشا قويا وقيادة صلبة . فلتكن لنا فى رسول الله وأصحابه أسوة حسنة ولنسارع الى صيانة حقوقنا ونتمسك بأسباب النصر ونعد القوة لحرب اليهود الذين تساندهم الامبريالية الظالمة التى تستهدف استعمار أرض العرب واستغلال ثرواتهم - ولكن الحمد لله رب العالمين فلقد ضرب جيشنا الباسل أروع الامثلة وسجل صفحات مجيدة فى حرب ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣م وعبر أكبر مانع مائى وهدم أعظم حائل أقامه عدو فى تاريخ الحروب . وان العالم ليقف مبهورا اليوم لبطولة الرجال الذين باعوا أنفسهم لنصرة الحق وتحرير الارض المغتصبة وصون الحرية والسلام .

ويقرر التاريخ ويشهد الامناء أننا لم نطلب الحرب لذات الحرب وانما حاربنا بغير تردد وقاتلنا باقدام وصبر حين لم نجد غير الحرب بديلا لتحرير وطننا ورد كيد أعدائنا الذين اعتدوا على حرياتنا وعبثوا بمقدساتنا وشردوا أهلنا . وحاولوا بالحرب الدمار أن يعوقوا تقدم مجتمعنا والله عز وجل يقول « **ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا** » آية ٧٥ سورة النساء .

فاللهم أنصر جيوش المسلمين وبدد شمل اليهود ووفقنا لما فيه رضاك يارب فأنت نعم المولى ونعم النصير .

نصر من الله وفتح قريب

الأستاذ محمد المتولى النظامى

ان الدين الاسلامى دين السلام العالمى يحث أتباعه على العمل للسلام، والتمسك به، ويجعل السلام دستورا لهم وشعارا ويدعو اتباعه الى السلام والعدالة والرحمة مع المخالفين فى العقيدة فيقول سبحانه واصفا المؤمنين :

« **وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما** » ويقول سبحانه راسما المنهج السوى :

« **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون** ».

والاسلام لا يقر السلام حينما يكون هناك اعتداء على الحقوق والحريات، وانهاك للحرمات والمقدسات، وسلب للاوطان وظلم للابرياء، اذ أن السلام حينذاك انما هو استسلام فى واقع الامر وانهزام فى معترك الحياة مع كرامة الانسان، وعزة الاسلام - وانما يحرض الاسلام المسلمين حينذاك على القتال، ويدعوهم الى الاقبال عليه والتضحية فى ميدانه، حتى تصان الحقوق ويمتنع العدوان، ويتحقق السلام القائم على العدل الذى يهدف الاسلام الى تحقيقه قال تعالى :

« **وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا** ».

وقال سبحانه : « **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم** » وقال : « **اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله** ».

فديننا يحارب الظلم والعدوان، ويقضى على الذل والتهاون والخذلان ويدعو الى الجهاد والصمود والاستشهاد حتى يحق الحق ويزهق الباطل. وحتى تكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى. وحتى يحيا المسلمون اعزة فى أوطانهم آمنين على مبادئهم ومقدساتهم قال تعالى :

« **الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان** » وقال : « **واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث أخرجوكم** » وقال : « **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم، ويشف صدور قوم مؤمنين** ».

ولقد مكن آباؤنا لدين الحق فى الارض، وحققوا النصر بأمر الله وكتبوا العزة لانفسهم بجهادهم وصمودهم وتضحياتهم وانتصروا فى كل معركة خاضوها بايمانهم بالله والحق وما أصدق قول الله سبحانه

« **الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء** ».

وما أعظم صدق ايمان خالد بن الوليد عندما اجتاز

بجنده بادية السماوة مع وعورتها حتى يصل فى اقرب وقت لتدعيم جيش المسلمين وهو يقول :

« ان المسلم يتبغى له الا يكترث بشىء يقع فيه مع معونة الله »

وما اعظم قول عبادة بن الصامت للمقوقس :

« انا معكم على احدى الحسنيين ، اما ظفرنا بكم فعظمت لنا غنيمة الدنيا ، واما ظفرتم بنا فعظمت لنا غنيمة الاخرة وانها لاعظم الخصلتين الينا بعد الجهاد منا ، وما منا رجل الا وهو يدعو ربه صباحا ومساء أن يرزقه الشهادة ، وقد استودع كل منا ربه اهله وولده

فى كل فج عزمهم سيار
الى الوغى تهافتوا وطاروا
جماعة ليس لها ديار
الا ركوب الخيل والغبار

والله ينصر المؤمنين المجاهدين فى سبيله ويمدهم بعونه وتوفيقه قال تعالى :

« لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة » .

يمدهم الله بجنده وسلاح من عنده وامـــره بين الكاف والنون . وجنود ربك كثيرة وسلاحه أكثر (وما يعلم جنود ربك الا هو) عنده جنود من الملائكة يمد بهم المؤمنين المجاهدين فى سبيله المضحين من أجله .

« اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان »

وعنده سلاح الثبات . سلاح الصمود . سلاح الشجاعة يمد المؤمنين به فيصمدون حتى ينتصروا يقول سبحانه :

« ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا » وعنده سلاح القنابل حملتها بمناقيرها طير ابابيل قذفت بها المعتدين أصحاب الفيل فجعلتهم كعصف مأكول .

« ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم فى تضليل . وارسل عليهم طيرا ابابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصـف مأكول » .

وعنده سلاح التراب قذف به رسول الله فى وجوه من أحاطوا به ليقتلوه فعموا ولم يبصروه : « وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون » . وقذف به عليه الصلاة والسلام فى وجه الاعداء فى بدر وهو يقول :

(شاهت الوجوه) فغشيت اعينهم سحابة فأخذ المسلمون يقطعون رءوسهم ويطعنون صدورهم قال تعالى :

« فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » .

وعنده سلاح الريح أرسلها على الاحزاب يوم الخندق عندما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه قائلا : « اللهم أنت منزل الكتاب . سريع الحساب . اهزم الاحزاب . فهبت عليهم ريح عاتيه ليلا جعلتهم يفرون ، ويتركون اثقالهم وأمتعتهم ، ولو ظلوا مقيمين لهلكوا قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا » .

ونصر الله لعباده المؤمنين أكثر ما يكون فى رمضان لانه شهر جهاد للنفس بالحرمان وشهر صبر على الشدائد والملذات . وشهر التجاء الى اللـه وتدارس القرآن الذى أنزله الله فيه .

ففى رمضان كانت غزوة بدر الكبرى . وفى اليوم الثامن منه من السنة الثانية من الهجرة كان الابتداء ثم كان اللقاء وكانت هزيمة الاعداء قال تعالى مخاطبا رسوله الكريم فى غزوة بدر عندما دعـاه « اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين » وقال سبحانه : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون » .

وفى رمضان كانت غزوة الفتح .. وفى اليوم العاشر منه من السنة الثانية الهجرية كان الابتداء تماما كما ابتدأنا فى رمضان من عامنا هذا - ثم كان اللقاء وكانت هزيمة الاعداء وفتحت مكة لاهلها الذين اخرجوا منها ظلما وعدوانا وصدق قول الحق سبحانه (انا فتحنا لك فتحا مبينا) .

وفى رمضان كانت معركة عين جالوت وفى اليوم الخامس والعشرين من سنة ٦٥٨ هـ كان اللقاء وكانت هزيمة الاعداء ، وتحول الجيش التترى المتوحش الى قطيع من الاغنام تستسلم امام الايمان بالله والحق وصدق قول الحق سبحانه :

« وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » .

وفى رمضان هذا العام وفى العاشر منه كان الابتداء وكان اللقاء وكانت معارك الجولان وسيناء وكان تقهقر الاعداء أمام انفس مؤمنة صائمة ، محررة من حب الدنيا الفانية مضحية بـانفسها ونفيسها فى سبيل عزة الايمان وعزة الاوطان وصدق قول الله سبحانه :

« الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا » .

وما نحن الا تاريخ يتحرك ، وامل يتجدد ، وشعور مشترك وجسم عربى واحد يشعر بالالم ويخفق بالامل ، نحن جميعا قبضنا على الجمر ، واكتوينا بنار الغدر ، وصبرنا حتى لم يبق للصبر موضع وانتظرنا عودة الحق بمنطق العدل فلم نظفر به فصممنا على انتزاعه بمنطق الدم حتى نطهر مهد عيسى ومسرى محمد من شذاذ الافاق وحتى نعيد الحق المسلوب والوطن المنهوب .

والباطل لا يدوم طويلا أمام الايمان بالله والحق ، والتضحية فى سبيل الله والحق والاوطان لا تحرر الا بالدماء . والتاريخ المجيد لا يخلد الا اذا صور بأرواح الضحايا وجثث الشهداء . « والذين قتلوا فى سبيل

الله فلن يضل أعمالهم . سيهديهم ويصلح بالهم . ويدخلهم الجنة عرفها لهم » .

ونحن امة تأسرها العاطفة ، ولا يرهبها المدفع والعاصفة امة لا يجدى معها الاحتيال فى تثبيت اركان الاحتلال ، وهى أن سكنت لحظة فلتفكر ثم تثب وثبة الاسد او أشد ، وان استقرت فترة فلتجمع أمرها ثم تنطلق انطلاق القذيفة أو أشد .. امة ما بخلت ولن تبخل بمال . فالمال الى زوال ، وما جبنت ولن تجبن عن التضحيه فالاجساد الى فناء والاجال الى انتهاء .. وان التصميم على الصمود ليخفق به كل قلب ، وينطق به كل لسان ، وتقرؤه فى صفحة كل وجه . وعمر الانسان قليل فى هذه الدنيا وعمره فى الاخرة هو الاخلد والابقى . والدنيا لا تبقى لنا انما يأتى اليها وليد آخر بعدنا والله قد اشترى أنفس الصامدين المضحين بجنة الخلد وملك لا يبلى .

« ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون » .

ونحن امة مرت عليها خمسة وعشرون عاما من العدوان تعرضت فيها لاخس أنواع المؤامرات وأشد انواع الغدر وحشية .. ولم يزدها مرور الايام وكثرة التضحيات الا ايمانا بالحق وقهرا لليأس . وثقة فى النصر .

« ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » .

ونحن امة اصيلة بين الامم عمرها ستة آلاف سنة أو يزيد . ورثت من الصحراء خشونتها ، ومن الجبال صمودها . وغذتها العقيدة بقوة الايمان فصارت مضرب الامثال فى الصمود والنضال .

وان أمة يكون النضال فى طبيعتها ، والصمود من عقيدتها . والتضحيات من مقتضى مبادئها لامة لا تهن ولا تلين ، ولا تصبر على ضيم او ذل . والتاريخ خير شاهد على صدق ما نقول . اجماع عربى لم يسبق له مثيل . تداعى الى الجهاد والاستشهاد تضحية فى سبيل الله والحق اثبتت للعالم اجمع أن امتنا لا تهزم ، وان عزمنا لا يمكن أن يهزم ..

وليس الجود بذل دريهمات
لمسكين على قيد الحياة
بل الجود الممات على بلاد
ليسعد أهلها بعد الممات

ومن المعروف ان اسرائيل لا تستطيع الصمود أمام الابطال المؤمنين بالله والحق ، وان وقفتها المؤقتة ما كانت لتستطيعها لولا اولئك الذين آمدوها بالقادة والاسلحة والالوف المتطوعين وأمدوها بخطط الغدر والمكر والخداع . ومهما اصيبت بداء الكلب فأخذت تعض المدنيين وتقذفهم بما هو محرم حربيا فان ذلك لاكبر دليل على نفاذ حيلها وقلة احتمالها وانه قد احيط بها وضيق الخناق عليها كما يضيق على قطيع من القطط والكلاب والذئاب . فتخمش وتنهش وتعض وتدل بذلك على مدى ضيقها وعدم امنها واستقرارها .

وبالحق يمحى كل ما كان باطلا
وافكاكما يمحو الظلام ضيا الفجر

ولقد اشتد حنق من وراء اسرائيل علينا ، وتميزوا غيظا . وكشفوا عن نياتهم الخبيثة عندما وجدوا افريقيا قد ايدتنا فى جهادنا وقطعت علاقاتها برأس الافعى . وعندما وجدوا امتنا وقد تكتلت وتجمعت ، وسارت جميعها فى الجهاد . ونالت شرف القتال ، وقطعت بترولها عن الاعداء وهددت بسحب ارصدتها ، وتضاعف حقدهم علينا عندما رأوا ابطالنا يعبئون الاسلحة الفتاكة بعزائم لا تعرف الهزائم ويحملون المصحف بيد والسيف بيد ويحاربون ويصدون ويسطرون فى صفحات التاريخ امجادا وبطولات ويستعيدون الحق بمنطق القوة والدم ، بعد ان عجزنا عن استرداده بمنطق العدل والاقناع ، ويثبتون للعالم أجمع ان صوت الحق غالب وان دوى الباطل خافت ، وانه لابد أن يزيل الظلام النور وان يمحو الرجس الماء الطهور وان بلادنا عربية وستظل عربية حتى تبدل الارض غير الارض والسماء غير السماء .

صوت الحقيقة خالد
باق على مر السنين
ان خلته يوما خبا
فالنار تكمن لا تبين

وما النصر إلا من عند الله

فضيلة الشيخ عبد الحميد بليع

في الحق أن المعركة بيننا وبين اسرائيل على قناة السويس معركة ضارية قاسية يكتنفها الكثير من المخاطر ويتخللها العديد من العقبات والمصاعب فمن عبور القناة الى خط بارليف ومن متاهات الصحراء الى جيوب سيناء وكلها يحتاج الى حذق وفن أكثر من احتياجها الى قوة وعدة حقا فان عبور القناة من خصم الى خصم في الشاطىء الثاني يتربصه وعدو له يترقبه ليس سهلا ولا هينا ـ ذلك أنه اذا كان العبور على ناقلات مائية فلا شك أن سطح المياه في القناة منخفض عن سطح الشاطىء ومعلوم أن المرتفع أكثر تمكنا من المنخفض وفي ذلك خطورة على العابر واذا كان العبور على ممرات صناعية تقام على شاطىء القناة فالعابر منصرف الى تركيز هذه الوسائل يثبتها ويمكنها حتى تؤدى ما يرجوه منها وفي هذه الحال لا يتمكن من خصمه لا مهاجما ولا مدافعا بل قد لا يسلم من غائلته اذن في القناة حصانة منيعة ومع ذلك فان الشاطىء الثاني محصن بأمرين هامين :

ما أقامه العدو من تلال رملية ذات ارتفاع صعب التسلق ـ خط بارليف ـ وفيه ما فيه من عجائب ضربها العدو مثلا في العالم كله هذا الى ما حصن به العدو نفسه من عدة وعتاد وسلاح حديث أعانه به قوم آخرون .

وبالرغم مما في عبور القناة من أحداث مخيفة ومخاطر ذات آثار سيئة وعميقة فان جنودنا البواسل ومقاتلينا الابطال الجحافل استهانوا في سبيل هذا العبور بكل صعب واستعذبوا كل مكروه وتحركوا غير عابئين بأي خطر متوكلين على من بيده الخلق والامر شعارهم ـ كان كما سمعت ـ (الله أكبر الله أجل وأقدر الله أكبر له العزة وبيده النصر الله أكبر ياسينا افتحي أبوابك وتلقينا وخذلي أعاديك وأعادينا) ـ عبروا القناة مظفرين وتسلقوا تلال الرمل صاعدين ومهرولين واقتحموا خط بارليف فرحين ومرددين ـ الله أكبر الله أكبر والعزة لمصر ـ اجتازوا كل هذه الصعاب واقتحموا هذه المخاطر وفتحوا هذه الحصون تحت سمع وبصر الاعداء المدججين بالسلاح المغمورين بالعدة والعتاد المذهولين من بأس غزاتنا الفاتحين المشدوهين من بطش أبطالنا المقتحمين وكان مما زادهم ذهولا وأولاهم دهشة أن تم كل هذه العظيمات بين أيديهم وعلى مرأى ومسمع منهم على يد هؤلاء الابطال المغاوير في فترة من الزمن وجيزة ـ أيام قلائل ـ لا يتصور متصور مهما كان أفقه علما وثقافة وفنا لا يتصور أن يتم هذا في فترة كهذه ـ ذلك الذي كان حديث العالم في اعجاب واعزاز لهذه البطولات النادرة نعم بهذا تحدث العالم كله غربيه وشرقيه شعوبا وحكومات هيئات وطبقات حتى قال بعض العلماء العسكريين ما ملخصه « ان عبور المصريين قناة السويس يستدعى اعادة النظر في كل الاستراتيجيات العسكرية » ذلك لان فتح هذه الحصون واجتيازها لا يتم عادة الا في زمن أطول من هذه الفترة بكثير وكثير وبعد محاولات عديدة واحكامات وفيرة ـ ولعلنا لا نعجب اذا ذكرنا العبور ومفاجآته اذا ذكرنا الله ذا العون والطول والقوة التي لاتقهر والعزة التي لا تذل به العون ومنه النصر وعليه الاعتماد فهو ذو القوة المتين كانت يده فوق ايدى الفاتحين . كان عونه رائد خطوات الابطال الزاحفين .

وكان توفيقه وهدايته السبيل المبشرة الامنة من كيد الخائنين ولقد صدق الله اذ يقول « **ان ينصركم الله فلا غالب لكم** » هذا النصر المؤزر والفتح المبين المعبد ذكرنا بانتصار الله للمؤمنين الاول في حروبهم مع أئمة الكفر ورءوس الوثنية والشرك حيث آزرهم بجنده وزودهم بارشاده وحكمه اذ يقول لهم مدمما وهاديا « **يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فأثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع**

الصابرين » ويقول « **يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى »** وبعد هذا التوجيه والارشاد يردفهم بجنده ولله جنود لا يحصى عددها ولا يعلم مداها غيره فيقول لنبيه ممتنا « **اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان »** ويقول « **اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر ولكن الله سلم أنه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور »** ـ بعد هذا البيان لا نعجب مما حققه أبطالنا البواسل فى معاركهم الطاحنة مع عدونا الغاشم الاثم من هذه الاعمال الكبار ومن تلك الاثار الضخمة مثار الاعجاب والدهشة وكذلك لا نستبعد أن كان كل هذا بما أمد الله به جنودنا من قوته وبأسه وما أردفهم به من عديد جنده تحقيقا لوعده بنصرة المظلومين ومحق البغاة الظالمين ـ ووعده بالوقوف الى جانب المؤمنين المخلصين يقوى شوكتهم ويحمى حوزتهم ويعلى كلمتهم ذلك الذى يدفعنى الى أن أقول مقتنعا ومعتقدا ـ أن عبور القناة كان على يد الهية متجلية فى صفوف أبطالنا الميامين تحركهم وتوجههم الى مواطن الظفر ودق عنق من طغى وبغى وفجر من الاعداء الغاشمين « **وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم »** وبذا يحقق الله لنا أمرين هامين ـ يكشف عنا غمة ـ ويسرى الينا نعمه ـ حقا فان احتلال أرضنا غمة ـ وارخاء العنان لعدونا يجوس خلال ديارنا غمة ـ وانتقاص أراضينا من أطرافها ثلمة وغمة لازمتنا ردحا من الزمن ـ ولكن ازالة آثار هذا العدوان الاثم ... وغسل ما لحقنا من الاهانة والمثالب ـ ورد اعتبارنا فى مستوى المجتمع العالمى العام كأمة لها كيانها ولها تاريخها وأمجادها وعظمتها نعمة من الله سيقت الينا ـ واسداء هذه النعمة وكشف تلك الغمة يقتضيان أمرين هامين لابد منهما ـ أولهما ـ شكر الله مسدى النعم وكاشف الغمم ـ وثانيهما ـ نشوة زهو وغمرة فرح تحرك الوجدان وتعلو الوجوه وتهز المشاعر وشكر الله واجب يدفعنا اليه عرفان الجميل والاحساس بالفضل وتوارد النعم من غير طلب واستمرارها فينا من غير تنبه ولا تفكر ولا وصب ذلك الذى يشدنا الى رحاب مولانا مسارعين الى السمع والطاعة فى خشية وخضوع وضراعة ركعا سجدا مسبحين بحمد ربنا مستجيبين لدعوة بارئنا قانتين لعظمة خالقنا ورازقنا علنا بذلك نؤدى شيئا من هذا الشكر فان كل الشكر ليس فى مقدور كل فرد قال تعالى وقليل من عبادى الشكور لذا فانى أهيب بأمتنا الاسلامية أن تكون مع الله فى مقام الخشيه والعبودية الحقة رجاء أن يديم علينا فضله ويغدق علينا نعمه ويتولانا بولايته ولا يجعل لاحد علينا سبيلا فانه يقول « **لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد »** كما أرجوا أمتنا فى الحاح وحرارة أن لا **تطغى عليها غمرة هذا الفرح ولا تاخذها نشوة هذا الزهو فتخرجنا عن حد اللياقة وتحرجنا فى التعامل مع الله فتؤثر من أجلها ما تهواه نفوسنا** على **ما تطلبه شريعتنا ونتبع ما توحى به أهواءنا من تقاليد وحضارات مستوردة من جهات لا ترعى ادبا انسانيا ولاخلقا فطريا يتهافت عليها فتياننا وفتياتنا ومن غير تبصر يقلدونها فى كل ما تدعو اليه من زى خليع وسلوك ماجن وسفور كالح واختلاط رقيع من كل ما تمقته الفطرة السليمة وتأباه الكرامة الصحيحة ويحاربه ديننا الحنيف الذى يوجه اللوم الى المسئولين من كل ذى شأن فى البيت أو الاسرة او العمل أو المجتمع العام ؟ كلكم راع وكلكم مسئول والله يقول لرسوله» «وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » والله ولى التوفيق •**

بين الحج والجهاد

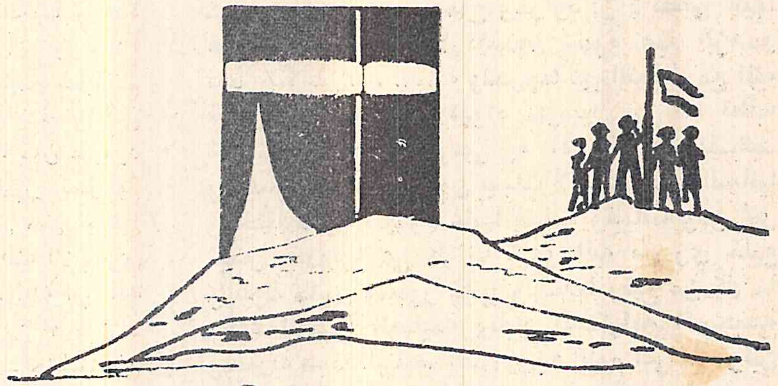

مع اشراقة أيام الحج المباركة بما تحمل معها من ذكريات التضحية والبطولة والفداء . نسأل الله عز وجل أن يجعلها بشيرا بالنصر الكامل والحاسم على العدو وتحرير الارض المغتصبة ورفع لواء الحق والعدل فى دولة العلم والايمان بقيادة الرئيس المؤمن محمد أنور السادات الذى تحمل الامانة فى ثقة واعتزاز وانطلق متوكلا على الله معتمدا عليه فى استرداد أرضنا وعزنا وكرامتنا ومعه جنودنا البواسل الذين باعوا لله أرواحهم من أجل عز دينه وشرف أوطانهم ولقد حقق الله لهم نصرا - نسأل الله أن يتمه - رفع رؤوسنا وأعاد الامل الى نفوسنا والاشراقة الى وجوهنا وأبان عن جوهر هذه الامة وأصالتها وأنها لا تلين أمام الشدائد ولا تهزها الخطوب .

.. هذا . وبين الحج والجهاد علاقة قوية وترابط وثيق يجمعهما على أصل واحد وخصائص قريبة . فالحج جهاد يسهم فيه الجسم والمال ويكون لكل منهما حظه فيه . والجهاد فى ميدان القتال حج الى أعلى ما تحرص عليه الامم وهو شرف الحياة .

الدكتور جمعة على الخولى

ان أولهما - وأعنى الحج - يحقق انتصار الانسان على نفسه وماله . والاخر - وأعنى الجهاد - هو انتصار الانسان على عدوه . فهذا من ذاك . ثم ان الجهاد شدة ومخاطرة وانصراف عن متاع الحياة . وهذه المعانى نفسها هى ما يحملها معه الحج من ذكريات البطولة والتضحية والفداء . ثم أليس هو تضحية بالجهد والمال وفراق للاهل والبلد وانقطاع عن المال والولد وتجرد خالص لله . وليس ذلك فقط . فان هذا الترابط لا يقتصر وضوحه فى تلك الصور التى رسمناها فحسب . ولكن أليست السورة الثانية بعد العشرين من سور القرآن الكريم وهى سورة الحج والتى نزل فيها الامر لابى الانبياء ابراهيم عليه السلام أن يؤذن فى الناس بفريضة الحج وهو قوله تعالى « **وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات** » أقول : أليست هذه السورة التى نزل فيها الاعلان للحج هى نفسها التى نزل فيها الاذن للمسلمين بقتال الاعداء ردا للعدوان وكسرا لشوكته وذلك فى قوله تعالى « **اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله** » بل ان الترابط يبدو واضحا فى صورة أخرى تأخذ الانسان بالعجب . وذلك أن شكل الكلمة ومبناها واحد فى المجالين أعنى « الحج والجهاد » وهى قوله تعالى « **أذن** » و « **أذن** » ان اللفظ واحد والنقط واحد . وانما تختلف بالشكل فقط وأزيدك أمرا آخر . فى ختام هذه السورة سورة الحج - قوله تعالى « **وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل** » ما معنى هذا وما مغزاه ؟

ان أبا الانبياء ابراهيم الذى أمره الله بالدعوة الى الحج . تلك هى ملته أيضا فى الحث على الجهاد والدعوة اليه فى ذات الله ومن أجله . واشارات أخرى فى القرآن نكتفى بما ذكر .

فاذا انتقلنا الى السنة الشريفة وجدنا معانى أخرى عجيبة واشارات دقيقة تبعث على التأمل العميق لما بين الحج والجهاد من تطابق الصورة وتقارب الاصل . واستمع معى الى ما يرويه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : أى العمل أفضل ؟ قال : ايمان بالله قيل ثم ماذا ؟ قال : الجهادفى سبيل الله . قيل ثم ماذا ؟ قال : ثم حج مبرور . أتأملت هذا الترتيب ودلالته بل هناك ما هو أصرح من هذا فىتشابه جزاء الحجاج والمجاهدين . وتأمل هذين الحديثين فى الحج والجهاد .. روى جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هذا البيت دعامة الاسلام فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله ان قبضه أن يدخله الجنة وان رده الى أهله رده بأجر وغنيمة » ثم اقرأ هذا الحديث « توكل الله تعالى للمجاهد فى سبيله ان توفه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة . وفى رواية مسلم « تضمن الله لمن خرج فى سبيله لايخرجه الا جهاد فى سبيلى وايمان بى وتصديق برسلى فهو ضامن أن أدخله الجنة أو ارجعه الى منزله الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة » انظر .. أليست الصورة فى الاولى هى عينها فى الثانية . بل ان الالفاظ تكد تكون واحدة ومما يزيدك وضوحا ما روى أن عائشة رضى الله عنها قالت يا رسول الله هل على النساء من جهاد ؟ قال نعم . عليهن جهادلا قتال فيه . الحج والعمرة .

ثم ان فى كل بقعة من بقاع الحج وأماكنه المقدسة أثرا للفداء ورمزا للتضحية والبطولة . فالحج اليها ايماء بالعزة ودفع الى السمو وحث على التحرر . انظر مثلا . هنا دار الارقم رمز التضحية ومركز تدريب الدعاة الاوائل . وهنا غار حراء مهبط الوحى . وتلك البطحاء التى درج على رمالها قواد العالم ومحرورو الانسانيةوهذا المكان وذاكالذى تنقل عليه الابطال عمر وسعد وخالد . وهذا المرتفع من الارض موضع الفداء والتضحية التى أنعم الله بها على ابراهيم ففدى ابنه اسماعيل فى طاعة الله . وهذا الشعب الذى حوصر فيه النبى وصحبه فصمدوا وصابروا .

هذا . ومنذ بدأ الحج فى الاسلام وموسمه الجامع ينتهز للتوجيهات العامة والقضايا الخطيرة التى تهم المسلمين وتشغل بالهم . ولهم فى خطبته صلى الله عليه وسلم فى عام الوداع خير قدوة وأفضل توجيه فما أجدرهم اليوم وهم مقبلون على أداء شعيرة الحج أن يجعلوا من هذا الاجتماع العظيم قذيفة مصوبة فى وجه الطغيان . وصرخة مدوية يعلنون بها على الدنيا كلها ما سبق أن أعلنه لهم محمد صلى الله عليه وسلم فى مثل هذا اليوم ، **المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يسلمه »**

ما أجدرهم أن يعلنوها صيحة عالية تنبعث من المسجد الحرام ويردد صداها المسجد الاقصى صيحة جهاد ونفير عام بالدم والمال حتى نطهر أرضنا وتعود الينا قدسنا وبذلك يكونون كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **وهم يد على من سواهم** » .

ليت الله يأذن للحجيج أن يلتقوا على خير فى هذا الموسم المبارك ويعرضوا موضوع الكفاح الذى تخوضه الامة العربية اليوم ضد أعداء البشرية . وما ينتظر ذلك من وقوف المسلمين معهم فى شتى البقاع . انها ضريبة كل فرد فيهم يدفعها عن سخاء وبذل فى انتظاريوم الفصل « **ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا** »

ليت الحجيج يفعلون ذلك فيزيدوا العالم الاسلامى وعيا بما بلغته هذه المشكلة فى مراحل كفاحها ويذكروا بالعرفان ما حققه العاملون لها من نتائج ايجابية طيبة حققها الابطال المصريون بقايدة رئيسهم الواعى محمد أنور السادات كان الله له وسدد خطاه . وكذلك ما حققه جنود سوريا الابطال بقيادة رئيسهم حافظ الاسد وكذلك بقية جنود الامة العربية التى شاركت فى المعركة بالمال والسلاح .

انه اذا كانت المعركة بينا وبين عدونا قائمة . واذا كان هنك وقف لاطلاق النار بين الطرفين .فانه ينبغى ألا يغيب عن الاذهان أنا بازاء عدو ماكر خبيث . وبازاء قوم لا يؤمن جانبهم شيمتهم الغدر كما أن شيمة الثعالب المكر . قوم لايحترمون ميثاقا معقودا الا اذا كان فى صالحهم اولا ذمة موثقة الا اذا كانت لهم . فهم يربطون بين مصلحتهم وبين الكلمة التى يقولونها . فاذا كانت المصلحة والمنفعة لهم فهم أوفياء والا فهم على الطبيعة الغادرة التى وصفهم الله بها منذ قرون « **ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون** » ذلك أنه عندما استقرت الدعوة الاسلامية فى المدينة كان من أول ما صنعه محمد صلى الله عليه وسلم أن عقد مع اليهود المجاورين معاهدة تنطق برغبة المسلمين الصادقة فى التعاون الخالص مع هؤلاء اليهود . كما نصت بوضوح على أن حرية التدين مكفولة للجميع . وجاء فى ختام الوثيقة المعقودة بينهما كما رواها ابن اسحق استدرار عطف الله لمن بر واتقى . واستنزال غضبه على من يغش ويخون .

ترى . هل كان اليهود جادين فى موافقتهم على هذا العهد . كلا لقد قبلوه ظاهرا وقلوبهم تغلى واخذوا يتحينون الفرص للنيل من المسلمين واشباع ضغنهم منهم مما هو معروف مشهور فى كتب السيرة بل لقد وصل الامر بهم الى المعالنة بالجحود . ومن أجل ذلك تنزل الوحى الالهى على رسول الله صلى الله عليه

وسلم يأمره أن يحذر هؤلاء القوم وعلاقاتهم المريبة . ويحذر عبثهم بالمعاهدات المبرمة والعهود القائمة وذلك فى قوله سبحانه « **ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون . فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين** »

أرأيت ؟ تدبر جيدا قوله تعالى « **ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون** » انها صفة لا تنفك عنهم أبدا لا تتخلى عنهم ولا يتخلون عنها . غدرفى كل مرة . لا يخطئون ولو مرة واحدة فيوفون بعهود الله وعهود الناس « **ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون** » .

والسؤال المطروح الان أتراهم ينقضون العهد مع محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ويوفون به مع غيره .. أتظن أنهم يغدرون بالمسلمين وهم كل شىء فى المدينة آنذاك . ويوفون مع العرب الان .

هل تعتقد أنهم يكذبون على المسلمين الاول ويصدقون معنا ؟ كلا والله . انه احتمال بعيد . بعيد وان هؤلاء لقوم فى حاجة الى ضربة موجعة تكسر فقار ظهورهم . نكيل لهم فيها الضربات على نحو يثير الرعب فى غيرهم . وها نحن ذى نسمع تبجحهم العنيد ومسلكهم اللولبى الخادع والقرآن الكريم يرسم لنا الطريق لمعاملة أمثال هؤلاء القوم فيضرب السيئة بالسيئة ويعالج الغدر بالقصاص قال سبحانه « **فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون** » .

ثم ومادام حديثنا بين الحج والجهاد فلنكشف عن أمر هام يخص موضوعنا ويتعلق بحاضرنا لقد كانت الحجة الاولى فى الاسلام اعلانا لكلمة الله وتأديبا لاعدائه من اليهود والمشركين وابراء للذمة من الناكثين بالعهود الخائنين المواثيق ذلك أنه لما ظهر للمسلمين من تتابع الحوادث واضطرادها ان القوم الذين يعاملونهم انما هم من نوع لا وفاء لديه ولا شرف عنده صار لزاما عليهم والحالة هذه من ان يحسموا الامر ويجعلوا للعبث آخرا وفى ضوء هذه الملابسات كان نزول سورة براءة التى أعلن الله فيها بوضوح الغاء المعاهدات السابقة . وأن ألاعيب اليهود ونفاق المشركين وغدر المخالفين قد وضع له حد بعد أن بلغ الوفاء بالمسلمين الى حد أن أضربهم فى كثير من الاحيان .

فى هذه الحجة التى تمت سنة تسع من الهجرة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر على الحج ليقيم بالمسلمين المناسك ويؤمهم فى أداء الشعائر . ونزل الوحى بسورة براءة بعد تحرك وفد الحجيج بقيادة أبى بكر وأشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث بالايات ليقرأها على أهل الموسم كافة . قال ابن اسحق دعا النبى صلى الله عليه وسلم على ابن أبى طالب فقال له اخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن فى الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى أنه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطاف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله عهد فهو الى مدته » فخرج على رضى الله عنه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدرك أبا بكر بذى الحليفة . فقال له أبو بكر لما رآه . أمير أم مأمور ؟ قال بل مأمور . ثم سارا معا .

كان أبو بكر يقيم للناس مناسكهم ويعلمهم شعائرهم ثم يعقبه على بن ابى طالب بقراءة صدر سورة براءة على الناس . وقد كان لعلى معاونون يعاونونه فى تبليغ آيات السورة للناس منهم أبو هريرة رضى الله عنه حتى ورد أن صوته بح من كثرة الصياح وبقراءة السورة التى تقرر بها القضاء على الوثنية وكل المخادعين من اليهود ومن لف لفهم والاجهاز عليهم من أجل الخلاص من خداعهم وغدرهم وذلك بعد أن أصبح المسلمون قوة يخشى بأسها وصاروا أصحاب الكلمة الجريئة القوية . وانك لتحس فى مطلع هذه السورة ـ براءة ـ التى نزع الله من مطلعها ـ دون سائر سور القرآن الكريم ـ رحمته بالجاحدين وذلك بحذف البسملة من أولها اذ ان مناسبة نزول السورة تخالف ذلك ، أقول انك تحس صوت السلاح ودمدمة القتال وصيحة الحق تعلو لتؤدب هؤلاء الذين يستبيحون أكل حقوق غيرهم لا لشىء الا لانهم ليسوا بيهود . فأذكر الاسلام هذه المعاملة الدنيئة وقرر القضاء عليها فى أيام الحج وفى الحجة الاولى فى الاسلام . فليت المسلمين يستفيدون من التاريخ .

من خصائص
أهل الايمان لايحضرون زحفا إلا وجبريل معهم

في موقعة ذات السلاسل ، كتب خالد بن الوليد الى هرمز قائد الفرس يقول : جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة · وسميت هذه المعركة بذات السلاسل لان الفرس كانوا يوثقون جنودهم فيها بالسلاسل جماعات جماعات ليثبتوا في القتال ولا يتأتى لهم الفرار ان أرادوه · ولقد أدرك المسلمون نتيجة المعركة منذ بدايتها ، فما مصير جيش يوثق جنوده بالسلاسل حتى لا يولوا الادبار ؟!

الأستاذ محمد رشدي

وما أشبه الليلة بالبارحة ، وما أشبه معركتنا اليوم مع العدو الصهيوني بمعركة ذات السلاسل مع الفردوس ، فلما وجد العدو الصهيوني طائراته تتهاوى بوابل نيران العرب اضطر الى الاستعانة بطيارين من الاجانب المرتزقة ، يدفع للطيار منهم عشرين الف دولار مقدما وخمسة آلاف دولار شهريا وألف دولار عن كل طلعة من الطيران ·

ولما وجد العدو الصهيوني أن طياريه يقفذون من طائراتهم بالمظلات عند أدنى خطر ، وأن أكثرهم يرمي حمولته من القنابل في أي مكان بعيدا عن الهدف ، عمدت اسرائيل الى ما كان يصنعه الفرس مع جنودهم في ميدان القتال ، فربطت الطيارين بسلاسل من الحديد ، وقد رأى المشاهدون في التليفزيون وفي الصحف طائراتهم الفانتوم المحترقة والطيار مربوط في مقعده بسلسلة حديدية طويلة وهو هيكل عظمي محترقة لانه لم يستطع الهبوط بالمظلة ·

وهي ظاهرة عظيمة الدلالة أعمق من ظاهرها بكثير ، فهي تعطينا الفارق الضخم بين رجال ورجال ، وبين عقيدة وعقيدة ، وبين مجتمع ومجتمع ، بل بين حضارة وحضارة ·

لقد كان كتاب من العرب أضرت بنفوسهم نكسة يونيو ١٩٦٧ يقولون ان الفارق بيننا وبين اسرائيل فارق حضاري ، فاذا باسرائيل في اكتوبر ١٩٧٣ تتعرى وتظهر على حقيقتها وتبلغ في حضارتها المزعومة الى المدى الذي توثق فيه جنودها بالسلاسل لتمنعهم من الفرار من ميدان القتال ·

لقد ورث صهاينة اليوم صفات أجدادهم التي سجلها القرآن الكريم في قوله تعالى :

«لانتم أشد رهبة في صدورهم من الله ،ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة أو من وراء جدر ، بأسهم بينهم شديد ، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون» · (الحشر :١٣ ـ١٤)

ماهي القضية التي يقاتل من أجلها الصهيوني ، وما هو الهدف الذي يحارب في سبيله الجندي المرتزق الذي تستعين به اسرائيل؟

ماهو الايمان الذي يدفع أولئك رهؤلاء الى القتال ؟

لو كان لهم هدف ، ولو كان في قلوبهم ايمان لما ربطوهم بالسلاسل لمنعهم من الفرار ·

أما العربي المؤمن ، فله من عقيدته قوة ، وله في حقه هدف ، وله في وعد ربه ضمان ، وله من رصيد سلفه الصالح أبلغ قدوة وأعظم دافع الى النصر أو الاستشهاد ·

وعقيدة المؤمن قوة هائلة بغير حدود ، عناصرها كثيرة منها الايمان بأن الله تعالى قد ضمن النصر للمؤمنين لقوله تعالى :

« وكان حقا علينا نصر المؤمنين » ·

ويقول جل شأنه :

« انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد » ·

ولقوله جلت قدرته :

« يأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم • والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم • »

ومن عناصر هذه القوة الايمان بأن الله تعالى يمد المؤمنين فى ميدان القتال بجنود من عنده ، لقوله تعالى :

« اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين • وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم ، وما النصر الا من عند الله ، ان الله عزيز حكيم •• » .

وليس هذا المدد الربانى وقفا على الرعيل المؤمن الاول ، ولكنه مدد مدخر للمؤمنين فى كل جيل وفى كل زمان •

جاء شاب من نجران الى المدينة المنورة فسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده بالمسجد ، فجلس بين يديه وقال : ان أبى كان من علماء أهل الكتاب ، ولما حضرته الوفاة اعطانى صندوقا مختوما وقال لى : لا تفتحه الا اذا سمعت بنبى قد ظهر فى يثرب ، قال الشاب ، فلما سمعت بك فتحت الصندوق ، فوجدت به قرطاسا مكتوبا فيه صفتك كما أراك الساعة ، وفيه أن أسمك أحمد ، وأن امتك الحمادون ، اذا أصابهم خير حمدوا ، واذا أصابهم غير ذلك صبروا ، أنا جيلهم فى صدورهم ، وقربانهم دماؤهم ، لا يحضرون زحفا الا وجبريل معهم •

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : أشهد أنى رسول الله حقا •

●●●

ومن عناصر هذه القوة حب الجهاد ، لما ادخره الله تعالى للمجاهدين فى سبيله من اجر ومنزلة فى الدنيا والآخرة •• وحسب المؤمن أن يتلو فى كتاب ربه قوله تعالى :

« أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

وقد روى عن أبى هريرة قال : ان رجلا قال : يارسول الله ، علمنى عملا أنال به ثواب المجاهدين فى سبيل الله •

فقال : هل تستطيع أن تصلى فلا تفتر ، وتصوم فلا تفطر ؟

قال : يارسول الله ، أنا أضعف من ان استطيع ذلك

فقال : فوالذى نفسى بيده ، لو طوقت ذلك ما بلغت أجر المجاهدين فى سبيل الله »

ومن عناصر هذه القوة حب الاستشهاد ، حتى لتكاد أن تكون الشهادة أمنية كل مؤمن ، لما ادخره الله تعالى للشهداء فى الجنة ، وحسب المؤمن أن يقرأ قول رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم :

« والذى نفسى بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عنى ، ولا أجد ما أحملهم عليه ، ما تخلفت عن سرية تغزو فى سبيل الله ، والذى نفسى بيده ، لوددت أن أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل • »

وقوله : « ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض ، فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة »•

وقال فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى :

« أيما عبد من عبادى خرج مجاهدا فى سبيلى ابتغاء مرضاتى ضمنت له أن ارجعه بما أصاب من أجر أو غنيمة ، وأن قبضته ان أغفر له وأرحمه وادخله الجنة•»

وقوله صلى الله عليه وسلم :

« ما من عبد يموت له عند الله خير لا يسره أن يرجع الى الدنيا وان له الدنيا وما فيها • الا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة ، فانه يسره ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة •»

وقال لجابر : ألا أخبرك ما قال الله لابيك ؟ قال بلى • قال : ما كلم الله أحدا الا من وراء حجاب ، وكلم أباك كفاحا ، فقال ياعبدى تمن على أعطك ، قال يارب احينى فأقتل فيك ثانية ، قال انه سبق منى أنهم اليها لا يرجعون • قال يارب فأبلغ من ورائى ، فأنزل الله تعالى : **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون • »**

ومن عناصر هذه القوة أن المجتمع المسلم من وراء المجاهدين لا يشكو ولا يجزع ، لانه مجتمع يؤمن بفريضة الجهاد ، ويؤمن بقيمة الشهادة ومنزلة الشهداء •

ولسنا كمجتمع الاعداء الذى نشرت عنه الصحف أنباء مظاهرات أهالى الجنود فى اسرائيل الذين يهتفون : نريد ابناءنا ولو كان الثمن دم جولدا مائير ودم كل الوزراء •

ولكننا مجتمع مؤمن يفدى قيادته المؤمنة بدمائه وأرواحه ، وقصة حارثة تعبر عن مجتمعنا أصدق تعبير •

كان حارثة بن سراقة من شباب المؤمنين ،ذهب النبى صلى الله عليه وسلم يعوده فى مرضه فقال له : كيف أصبحت ياحارثة ؟ قال : أصبحت مؤمنا حقا •• عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى ، واستوى فى قلبى ذهبها وحجرها ، ادع الله لى أن

البقية ص ٩٤

العزة القومية في كلمة التوحيد

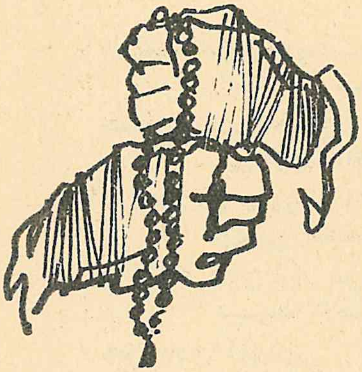

فضيلة الشيخ الصاوي شعلان

أخرج الامام أحمد عن عثمان بن عفان قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انى لاعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه الا حرم على النار » ، قال عمر بن الخطاب : ألا أحدثك ما هى ؟ هى كلمة الاخلاص التى ألزمها الله تبارك وتعالى محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، هى كلمة التقوى . شهادة أن لا اله الا الله .

تلك هى المادة الاولى فى دستور الكون ، كلمة التوحيد الذى يدين بها قلب المؤمن ولسانه . أما حقيقتها العملية فى ناموس الحياة فهى اخراج الناس من ظلمات الاستبداد والعبودية على اختلاف صورها الى نور الحرية والانطلاق ، والاستقلال نتيجة للاقرار بحاكمية الواحد الاحد وأفراد السلطان الاعلى لذى الجلال والاكرام الذى تسبح به السموات السبع والارض ومن فيهن .

كلمة لا اله الا الله ، هى الدواء القدسى الذى هبط من صيدلية السماء وعالج به طبيب الانسانية صلى الله عليه وسلم أمة طال عليها الامد تحت عبء الامراض الاقتصادية والالام العمرانية والسياسية والانحرافات الخلقية وكانت على شفا حفرة من النار بين تجبر الفرس القدماء وعسف الرومان .

وهذا أبرهة يريد هدم الكعبة بفيله الحبشى ، وأولئك المرابون بعجلهم الذهبى ، يضعون الأطواق فى الاعناق أما بقايا العرب فهم بين الغارات والثارات يسجد صغارهم لكبارهم أكثر مما يسجدون للات والعزى ، فجاء اليتيم الفقير رسولا من الله يقيم السيادة للامة والنسب للخلق والقيمة للعمل والشرف للتقوى والعزة لله ، ويرسل صيحة التحرير فى دوى الاذان كل يوم خمس مرات الله أكبر لينزل كبرياء التراب الى ظلام التراب . لا اله الا الله لتسجد عبودية البشر أمام الوهية الحق .

لقد فطن العرب الى أن كلمة التوحيد هى النذير باقتلاع شجرة الامتيازات والانانية الملعونة ورد الناس الى العدل على حكم سواه ، فقد جاء ،، يقول لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن صاحبكم هذا يريد أن يضع كل فارس ابن فارس ويرفع كل راع ابن راع ؟ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجامع جبنه المزرورة وقال

له : الا أرى عليك لباس من لا يعقل وعلمه الايمان بأن لا اله الا الله وأن السموات والارضين لو وضعت فى كفه وهى فى كفة أخرى لرجحت بهن لا اله الا الله . بل لقد ادركها المؤمنون حين سألهم الفرس عن شأنهم فقال ربعى لرستم : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ومن ضيق الدنيا الى سعتها .

لقد قام نظام الدولة الاسلامى المثاليه على هدى من نور لا اله الا الله . وكانت مراقبة الله فى السر والعلن وفى الحقوق والواجبات تجعل الناس كأنهم فى يوم الحساب لا فى يوم العمل . كان الحكم خدمة لا سيطرة واعطاء لا أخذا وتواضعا وتعففا ، لا تجبرا وصلفا واستعلاء خلف الحجاب والالقاب والأبواب .

لقد كان عمر الذى يقدم الينا كلمه التوحيد بمعناها القدسى يحصى ثروة عماله قبل توليتهم ليحاسبهم على ما يزيد منها ثم يرد الفضل الى بيت المال . وقد اقتدى به عماله وقواده حين أرسلوا اليه سيف كسرى الذهبى وجواهره فقال عمر : « أن قوما أدوا هذا لذوو أمانة . فقال على : انك تعففت فعف الناس » .

أليس هو الذى يقول : اذا كنت فى منزلة تسعنى وتعجز عن الناس فو الله ما تلك لى بمنزلة حتى أكون أسوة للناس ، أو ليس هو الذى يقول على المنبر : والذى بعث محمدا لو أن جملا هلك ضياعا بشط الفرات خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب

وما كان تدبير المملكة الشاسعة يحول دون دراسة القرية والمدينة ولا حجبه عناء النهار عن جهاد الليل . جاء الى عبد الرحمن بن عوف تحت أستار الليل فقال له ابن عوف : ما جاء بك فى هذه الساعة يا أمير المؤمنين ؟ فقال رفقة نزلت فى ناحية السوق خشيت عليهم سراق المدينة فانطلق فلنحرسهم .

وما كانت مواهب الرجال ومزاياهم لتحول دون اقامة العدل فيهم مهما علت الاقدار . هذا سعد بن أبى وقاص الذى أضاف الى الاسرة الاسلامية امبراطورية الفرس يزاحم الناس على باب عمر حتى يصل اليه اقتحاما فيعلوه عمر بالدرة قائلا : انك اقبلت لا تهاب سلطان الله فى الارض فأحببت أن أعلمك أن سلطان الله لن يهابك .

تلك ولاية الذين يخشون ربهم بالغيب حتى لكأن عمر قد سمع مع ابن عباس من رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ولى عشرة فحكم بينهم بما أحبوا أو كرهوا جيء به مغلولة يده ، فان عدل ولم يرتش ولم يحف فك الله عنه وان حكم بغير ما أنزل الله وارتشى وحابى فيه شدت يساره الى يمينه ثم رمى به فى جهنم فلم يبلغ قاعها خمسمائة عام . وكأنه سمع مع عوف بن مالك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الامارة أولها ملامة وثانيها ندامة وثالثها عذاب يوم القيامة الا من عدل .

لقد اتخذ اقبال من هذه الكلمه مادة التحرير لكل شعوب العالم بفضل العرب وجهادهم والى أن نقدم الموضوع بتمامه فى نثره ونظمه تنشر هذه الابيات قال :

يا لها ذكرى لامجاد العرب
آية كبرى وتاريخ عجب
حرروا أقدارهم بالعزمات
فى جهات الكون من كل الجهات
فازدهى من نورهم كل مكان
وتغنى باسمهم كل زمان
لم تدم عزى ولم تبق منات
هوت الاصنام تحت الضربات
حين نادى المؤمنون « الله أكبر »
زال كسرى وانطوت أعلام قيصر
أى سيل هادر عم الصحارى
أى طوفان جرى يغزو البحارا
هؤلاء العرب الصيد الاباة
وحدوا الخلق بتوحيد الاله
شعلة من نورها الحق أضاءا
من تحدى نارها أضحى هباءا
قد أبادوا كل شيطان مريد
وأزالوا كل جبار عنيد
وسموا فوق الدرارى منزلا
كل هذا كان من أنوار « لا »
بينما العالم كالعظم الرميم
فى سهوب الارض أو دير قديم
أنشأوا دنياه فى خلق جديد
وأقاموها على النهج الرشيد
أيقظوا الدنيا بتكبير الاذان
فجرى الحق على كل لسان
قد أزال العرب من لوح القلوب
نقش غير الله علام الغيوب
فأقاموا بشمال وجنوب
ثورة الايمان فى كل الشعوب
ان للفطرة فى كل ضمير
هاتفا يدعو لتوحيد القدير
أيها الشادى بقرآن كريم
وهو فى عزلته ناء مقيم
قم واسمعه لكل العالمين
قم وأبلغه البرايا أجمعين
ان تكن فى مثل نيران الخليل
اسمع النمرود توحيد الجليل

امض الى ما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون ، ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون». وسكت الرسول هنيهة ثم طلب من المسلمين مرة ثانية ان يشيروا عليه ، وكان بذلك يريد أن يعرف رأى الانصار بصفة خاصة اولئك الذين بايعوه يوم العقبة على أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم ولم يبايعوه على اعتداء خارج مدينتهم ، فالتفت اليه سعد بن معاذ وقال : « لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال : أجل ، قال سعد ، لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض لما أردت فنحن معك فوالذى بعثك لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا ، انا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله » ..

هؤلاء الاول ، الذين لبوا دعوة الاسلام عند أول ما دعاهم الرسول اليه ، وصدقوا بما أنزله الله عليه من آياته ، كما آمنوا بملائكته وكتبه واليوم الاخر ... هؤلاء الاول قد وصل ايمانهم الى الاذعان والاستجابة الى كل ما يدعوهم اليه ، والاستهانة بكل صعب ولو كان خوض البحر ، ولقاء الموت ..

هؤلاء المسلمون قد صدقوا وآمنوا بما جاءت به الكتب السماوية التى أنزلها العلى القدير دستورا للبشرية .. وقد جاء فى الكتاب الكريم الذى يعتبر « أساس الاسلام وقاعدته ، وهو كتاب العربية الاول والاكبر، وعليه يتوقف دين المسلمين ودنياهم ، وسبيلهم الى الفوز العظيم فى الاخرة الى معادهم ، وسبيلهم الى الامامة والسعادة فى الدنيا التى فيها معاشهم ، وأساس وجودهم السياسى والاجتماعى واللغوى والادبى .. جاء فى هذا الكتاب : « **كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون** » .

والقتال فى الاسلام هو الجهاد بعينه ، وقد شرعه الله لدواع واسباب كثيرة ، وهو فى كل هذه الدواعى والاسباب يستهدف غايات معينة نبيلة وشريفة .. فهو قتال أو جهاد فى سبيل الله واعلاء كلمته ، لتبقى كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى وحتى لا يتحكم غير المسلمين فيهم فيذيقوهم من أصناف العذاب ألوانا ، ويذلون كبريائهم ، ويجبروهم على ما لا ترضى به نفوسهم وعقولهم .. وهو قتال أو جهاد حتى لا تكون فتنة ، وحتى يعيش المسلمون فى أمن واطمئنان وهدوء ، وهو قتال أو جهاد لنصرة المستضعفين وحمايتهم من أذى الاقوياء الظالمين . وهو قتال أو جهاد من أجل رعاية من يجبرون على ترك أرضهم وأهليهم ، تحت نير الاستبداد والقهر ، والله الحق تبارك وتعالى يقول : « **وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ، الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ، ان كيد الشيطان كان ضعيفا** » .

من هذا المنطلق .. منطلق الايمان الصادق الذى لا يتزعزع ، كان لابد لنا أن نجاهد ، وان نخوض القتال مع العدو الصهيونى ، الماكر اللعين الذى لا يؤمن جانبه ، ولايوثق فى وعوده ، والذى لا حد لمطامعه وجشعه ، وكان علينا أن نخوض غمار الحرب التى أكرهنا عليها دفاعا عن مقدساتنا ، وكرامتنا ، وشرفنا ، وشرف أولادنا من بعدنا ، وحفاظا على تاريخنا وتراثنا الذى يرجع الى سبعة آلاف سنة ويزيد ..

من هذا المنطلق .. منطلق الايمان .. كان لابد لنا أن نجاهد ونقاتل ، لاننا نؤمن بقول الرسول الكريم ، فعن صهيب بن سنان - رضى الله عنه - أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « **عجبا لامر المؤمن ، ان أمره كله خير ، وليس لاحد الا المؤمن ، اذا أصابته سراء شكر ، فكان خيرا له ، وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له** » .

لقد خاضت الجيوش العربية فى كل من مصر وسوريا والشعوب العربية التى وقفت تساندها ، غمار حرب قاسية ضارية لم يشهد العالم مثلها فى شراستها وضراوتها منذ الحرب العالمية الثانية فى معارك العلمين وستالنجراد بشهادة الخبراء الاجانب أنفسهم ، ومراسلى الصحف الافرنجية على اختلاف أجناسهم ونزعاتهم .. لقد قاتل المصريون والسوريون قتال الابطال الشجعان فاستحقوا تقدير العالم كله قبل مواطنيهم ، اذ محوا آثار النكسة التى أصابت بلادهم ست سنوات كانت ثقيلة بغيضة .. قاتلوا وجاهدوا لان قلوبهم عامرة بمعانى الصمود والقتال فى ميدان الحرب من أجل مثل عليا وأهداف سامية ، وايمان لا يتزعزع فى هذه المثل والاهداف ، وثقة بأنها أحب وأغلى من كل شىء فى الحياة .. لقد كانت هذه الرغبة الاكيدة من أجل المثل العليا والاهداف السامية تدعو الى تحمل أعباء الحرب بذلا للاموال والانفس ، والاستهانة بالاضرار والشدائد ، والصبر فى السراء والضراء وحين البأس ، حتى يتم تحقيق تلك المثل والاهداف مهما كثر العناء ، وعظمت التضحية ، وازدادت الصعاب ، وكان التفوق والنصر حليفهم ..

لقد خضنا غمار هذه الحرب الطاحنة فرحين مستبشرين ، لان ايماننا بالله وملائكته وكتبه ورسله علمنا : « **ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** » .

خضناها لاننا نعلم ثواب الشهداء ومنزلتهم عند الله الحق : « **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » ..

فسيروا الى الامام أيها المغاوير المجاهدون الابطال ، والامة من ورائكم ومعكم بقلوبها تدعو لكم بالنصر على الاعداء ، أعداء الله والمؤمنين . ولا تغرنكم استكانة عدوكم وكونوا على حذر فهو عدو ماكر غادر ..

لقد حققتم النصر ورفعتم رؤوسنا عالية واستحققتم تقدير العالم واحترامه فوجهوا وجوهكم دائما الى الامام ولا تعيدوا عقارب الزمن الى الوراء ، واجعلوا عيونكم على الدرب الذى يقود الى النصر الدائم والعزة والكرامة ..

رعاكم الله وحقق على أيديكم آمالنا وآمال الشعوب العربية التى تقف من ورائكم يدا واحدة متكاتفة تدعو لكم بالنصر العزيز .. واجعلوا من سواعدكم القوية سيوفا بتارة لقطع رأس الافعى ، والقضاء على الظلم والطغيان من الشرق كله . ولا تتركوا أولئك الاعداء يتبجحون فى صلف وكبرياء فقد انهزموا وضاع صلفهم وكبرياؤهم الى حيث لا رجعة ، وتلقنوا من الدروس العربية فى كفاح الابطال ما يجعلهم يفيئون الى الحقيقة والى أن دولة الظلم ساعة ودولة الحق الى قيام الساعة ، وان الله يحق الحق ويمحق الباطل ان الباطل كان زهوقا .

والله الموفق لما فيه الخير .. انه نعم المولى ونعم النصير .. والله أكبر والعزة والنصر لوطننا مصر ولامتنا العربية .

بقية مقال من خصائص أهل الايمان

يرزقني الشهادة ، فدعا له ، فكان من أول شهداء بدر .

وجاءت أمه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله ، قد عرفت موقع حارثة من قلبى ، فان كان فى الجنة صبرت ، وان كان غير ذلك أجتهدت عليه فى البكاء .

فقال لها : أهى جنة واحدة ، انها جنان ، ولقد أصاب حارثة الفردوس الاعلى .

فرجعت وهى تضحك وتقول : بخ بخ يا حارثة ، هنيئا لك الجنة »

« وفى معركة أحد أشيع فى المدينة أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قتل ، فاخرج من فيها من المسلمين فى فزع يستطلعون الخبر ، وكان فيهم امرأة من بنى دينار ، فقالوا لها لقد استشهد أبوك وأخوك وزوجك .

فقالت ما جئت لاسأل عن هؤلاء ، انما جئت لاطمئن على النبى صلى الله عليه وسلم أهو بخير ؟ قالوا : بخير . قالت أرونيه فلما . وصلت عزاها ، فقالت : كل مصيبة بعدك هينة يارسول الله . »

وجاءت أم سعد بن معاذ تعدو نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أخذ ابنها سعد بعنان فرسه ، فقال يارسول الله ، أمي ، فقال : مرحبا بها . فدنت حتى تأملت النبى وقالت: اما اذ رايتك سالما فقد هانت المصيبة فعزاها فى عمرو بن معاذ ابنها ، ثم قال : ياأم سعد ، أبشرى وبشرى أهليهم ، أن قتلاهم ترافقوا فى الجنة جميعا - وهم اثنا عشر رجلا - وقد شفعوا فى أهليهم .

قالت رضينا برسول الله ، ومن يبكى عليهم بعد هذا ؟

● ● ●

وان أمة هذه قيمها ومقوماتها ، وهذه بعض عناصر القوة فى نفوس افرادها ، تقف صفا واحدا من الخليج الى المحيط مؤمنة باذلة صامدة وراء قواتها المقاتلة الذين برهنوا للعالم أجمع أنهم من خير أجناد الارض ايمانا وقوة وقتالا وتضحية ، ان أمة هذه حقيقتها لجديرة بالنصر والتمكين باذن الله ، وصدق الله العظيم :

« **كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** » .

دراسات قرآنية

سورة البقرة

- آيات كونية
- حديث الخلق
- العبادة كسر للحياة ماهى؟
- القرآن: بعض خصائصه
- بحث فى إعجاز القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون •

الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون •

وأن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين •

فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين •

وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون •

ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين •

الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل ويفسدون فى الأرض اولئك هم الخاسرون •

الأستاذ أحمد حسين

صورة كونية :

لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الى الحديث عن خلق الله للسموات والارض بكل من وما فيهن ، من انسان وحيوان ونبات وجماد ، من عوالم منظورة وأخرى غير منظورة ، ومع علم الانسان بذلك ، فهو يقف فى كل مرة مشدودها أمام هذا الحديث ، يتذوق حلاوته ويتيه فى أبعاده ويسبح بعظمة الله ، هذا ان كان من المؤمنين الذين فتح الله عليهم ، وهذه الايات التى نحن بصددها ، فهى من هذه الايات التى تحيط بالكون من خلق وما يدور فيه وينتهى اليه ، ومصير الانسان اما الى اليمين أو الشمال ، وتحدد هدف الانسان وموقعه من ذلك كله وهو ما تفتتح به الايات :

« **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون** » .

محور الحياة العبادة :

ينادى الله الناس مذ كان فى الارض ناس ، أى فى كل زمان ومكان ، على اختلاف أجناسهم والوانهم ومقاماتهم ، أن يكون شغلهم الشاغل هو عبادة الله ، باعتبار ان ذلك هو هدف الوجود الانسانى فى هذه الدنيا ، جاء فى القرآن الكريم : « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** » .

والعبادة يجب أن تفسر بمعناها الواسع ، وهى خلافة الله فى الارض ، كما ستتحدث عن ذلك الايات القادمة ، ولا شك انه لا خلاف فى أن عبادة الله هى فى اطاعة أوامره واجتناب نواهيه ، كما نص عليها القرآن الكريم .. وقد حض القرآن على صالح الاعمال ، وهى كل ما يعود بالنفع والخير على شخص الانسان ومن يحيطون به مباشرة أو غير مباشرة .

جاء فى الحديث الشريف : [**من سن سنة حسنة فله أجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة**] .

وهكذا أمر الله بالعمل :

« **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله** » .

وقال سيدنا محمد ، عليه الصلاة والسلام : [**ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه**] .. فالعمل فى كل ما هو نافع ومفيد هو عبادة من أعظم أنواع العبادة ، واذا كان من المتفق عليه أن الجهاد فى سبيل الله هو ذروة العبادة ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [**من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا**] .. فالعمال الذين ينتجون كل ما تحتاج اليه الجيوش المحاربة هذه الايام يتعبدون ، شريطة أن تكون هذه الجيوش فى خدمة الحق والعدل ونصرة الله .

وهكذا كل ما يعين على ابقاء الانسان حيا على ظهر الارض لكى يؤدى رسالته فى خلافة الله بتعمير الكون .

فجماهير الزراع والصناع الذين ينتجون المأكل والمشرب والمسكن والملبس وسائر الخدمات ، انما يعبدون الله .

جاء فى القرآن الكريم على كل ما يأخذ بأسباب الحياة :

« **كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون** » .

« **فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه** » .

الى أمثال ذلك من الايات التى تحث على السعى فى الحياة وطلب الرزق من خير الطرق كما نظمتها الشريعة الاسلامية ، فالعبادة فى معناها العام هى الايمان بالله خالق كل شىء ، وتوحيده ، ثم الانطلاق من هذا الاساس للسعى بكل ضروب السعى المشروع بكل ما يعود بالنفع على النفس والناس .

وهذا القدر من العبادة يلتقى عند البشر على اختلاف عقائدهم وأديانهم ، والاسلام يرتضى معايشة كل من يحقق هذا القدر من العبادة .

جاء فى القرآن الكريم :

« **ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » .

غير انه لما كانت احدى سنن الله فى الكون ان يكون لكل شىء درجات ، فقد جعل الدرجة العليا والرفيعة هى عبادة الله عن طريق الاسلام ، باعتبار ان القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية ، فهو مهيمن على كل ما سبقه ، وباعتبار سيدنا محمد ، صلوات الله وسلامه عليه ، هو خاتم النبيين والمرسلين ، ورسالته هى المصححة لكل ما تسرب الى العقائد والاديان السماوية السابقة ، من انحرافات ومغالاة وشطط .

جاء فى القرآن الكريم :

« **ان الدين عند الله الاسلام** » .

فالعبادة بمعناها العام ، هى توحيد الله والعمل الصالح وأعلى درجاتها ، هو العمل بشريعة القرآن والائتمار بأوامره واجتناب نواهيه .

ومن هنا ، فنحن ممن يرون ان القرآن الكريم قد قصد قصدا أن يوجه حديثه للناس كافة على اختلاف أديانهم ، ان يعبدوا ربهم الذى خلقهم ، وهو خالق واحد ولا خالق سواه .

ونحن نعلم ان سورة البقرة قد كانت أول ما أنزل بالمدينة ، وقد قدمنا أن سيدنا محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، قد وادع اليهود وحالفهم بمجرد وصوله الى المدينة ، واذا كان الاسلام قد تفشى بالفعل فى المدينة فمما لا شك فيه انه كانت لا تزال هناك جماعات ظلت على شركها ، وسنرى كيف يوجه القرآن لهم القول فى الايات التالية ، وفى هذه الاية التى نحن بصددها ، فهو يوجه النداء لهذا الخليط أن يعبدوا ربهم الذى خلقهم ، وقد كان

المسلمون يؤمنون بالله ويعبدونه طبعا ؟ وكانت هذه دعوى اليهود من انهم يؤمنون بالله ، حتى مشركى العرب فقد كانوا يؤمنون بأن الله هو خالق السموات والارض ، وخالق الناس ، ولكن مشكلتهم الكبرى كانوا فى أنهم يشركون الاصنام فى عبادتهم لله،فجاء القرآن الكريم يبين لهم ان العبادة لا تكون الا لله وحده الخالق «والذين من قبلكم » واذا كان أحد من المخاطبين ، ينازع فى ان الله هو الخالق ، فقد جعلوا بعض الموتى ، والاجداد ممن يشركونهم فى عبادة الله ، وعبادة الموتى والاجداد من العقائد التى تراود البشر ، ومن هنا فالقرآن الكريم يذكر بأن الله هو خالق الكل فيجب افراده بالعبادة .

يا أيها الناس ويا أيها المؤمنون :

اجتهد بعض المفسرين فقالوا ان كل آية تبدأ بـ « **يا أيها الناس** » فهى مكية ، ولكن ها هى سورة البقرة ، ولا خلاف فى انها مدنية ، تحتوى على هذه الصيغة ، وكذلك الحال فى سورة النساء وسور اخرى كلها مدنية ، وقد توجه فيها النداء الى الناس فسقط هذا الاجتهاد ، ولكن يظل الشق الثانى من الاجتهاد قائما ، وهو قولهم ، وكل آية جاء فيها « **يا أيها الذين آمنوا** » فهى مدنية .

« **لعلكم تتقون** » .. وقد أثير تساؤل كثير حول استعمال القرآن الكريم للفظ « **لعل** » ، وهو على ما يقول النحاه يفيد التمنى والترجى ، والرأى الذى نختاره هو ان العرب كانوا يستعملون أحيانا كلمة « لعل » مجردة من الشك ، أى بمعنى كى ، أى اعبدوا ربكم كى تتقوا .

والتقوى من الوقاية ، أى تجعلوا عبادتكم لربكم وقاية لكم من النار .

« **الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم** » .

والقرآن الكريم ، بنظرته الشمولية ، يلفت النظر الى عظيم صنع الله ، مبتدئا بالارض التى نعيش عليها ، ومثنيا بالسماء التى تظلنا ، ثم مشيرا الى ما يربط السماء والارض متمثلا كأعظم ما يتمثل فى الارزاق التى بها يحيا الانسان من ماء وهواء ونبات .

« **الذى جعل لكم الأرض فراشا** » .

وما أروع وصف القرآن للأرض بأنها فراش الانسان ، فمن الحق انها أحق ما يوصف بفراش الانسان أى وطاء يستقر عليه ، وقد لا يعلم الكثيرون ان كلمة « فراش » تعنى فى الاصل الارض الواسعة على ما يقول معجم المجمع اللغوى ثم أطلقت الكلمة على ما صنعه الانسان من أدوات يبسطها على الارض ليوقد فوقها ، ثم راح على مر العصور يستزيد من لين هذه الادوات ويرتفع بها ، وظلت تحتفظ باسمها الاصلى وهو الفراش . فقد ظلت تقوم بدور الارض للانسان ، فهى المهد الذى يولد عليه ؟ وهى المرقد الذى يرقد عليه حتى الرقدة الاخيرة والنهائية ، فعندما يذكرنا القرآن بدور الارض بالنسبة لنا ، فهو انما يتحدث عن الكلمة بمعناها الاصيل .

والسماء بناء :

السماء كل ما علا الانسان ؟ **والسماء بالنسبة** للارض كالسقف بالنسبة للبيت .

جاء فى القرآن الكريم :

« **وجعلنا السماء سقفا محفوظا** » .

أما البناء فهو وضع لبنة على أخرى بنظام معين ؟ ونحن نعلم الان أن السماء بناء محكم البنيان ، تترابط فيه الاجرام السماوية بنظام دقيق معين ، بحيث لا يمكن أن يوصف الا بأنه متماسك ، تقوم فيه كل لبنة على الاخرى ، وتنجذب اليها .

« **وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم** » .

والارض هى بعض لبنات هذا البناء الكبير ، لا حياة لها الا بمقدار ما يأتيها من هذا الكون الخارجى ، ولعل أبرز ما يأتى للارض من العناصر هو الماء ، فهو وحده الذى يجعل الحياة بكل صنوفها ممكنة .

والماء يجىء على صورة المطر ، الذى لا يكاد يروى الارض حتى تكون هذه النباتات التى يحيا بها الانسان عن طريق أكلها بطريق مباشر أو أكل الحيوان الذى يعيش بدوره على النباتات ، أو الحيوان الذى يأكل الحيوانات التى تأكل النبات ، اى أن النبات فى نهاية الامر هو مصدر غذاء الانسان بكل صنوف الاطعمة ، مهما تعددت الوانها وأشكالها ومذاقها ، وهو ما أسماه القرآن أرزاقا .

« **فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون** » .

وهذه هى النتيجة التى تنتهى اليها كل المقدمات السابقة ، فما دام الله سبحانه وتعالى هو الذى

« **خلقكم والذين من قبلكم** »

« **جعل لكم الارض فراشا** »

« **والسماء بناء** »

« **وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم** »

ما دمتم تقرون جميعا ، وتعترفون بأن الله وحده هو خالق ذلك كله ، فقد أصبح من المتعين عليكم أن تفردوه هو وحده بالعبودية ولا تشركوا معه فى عبادته أحدا .

« **فلا تجعلوا لله أندادا** »

أندادا : أى أكفاء ونظراء وأمثالا ، ومفردها ند .

والمعنى انه ما دمتم تسلمون بانفراد الله بالخلق ، فلا تساووه فى العبادة مع غيره كائنا من كان .

قال رجل فى يوم من الايام لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت .. فقال [أى سيدنا محمد] : « **أجعلتنى لله ندا** » ؟

« وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » .

تحدى القرآن :

ويبدأ القرآن الكريم فى المدينة ، حيث انتهى فى مكة ، من حيث التحدى بالاتيان بمثيل لسورة من سور القرآن .

وكان القرآن الكريم قد بدأ تحديه للعرب عندما ادعوا ان هذا القرآن من صنع محمد ، أن يصنعوا قرآنا مثله :

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

ومضى القرآن فى تحديه للعرب ، فبدلا من مطالبتهم بمحاكاة القرآن كله ، فقد اكتفى منهم بعشر سور .

« أم يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » .

ومضى القرآن فى تحديه فقال فى سورة يونس :
« أم يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين »

وهكذا بدأ القرآن فى التهوين من شأن خصومه حتى وصل التحدى الى حد المطالبة بسورة واحدة ، ونحن نعلم أن بعض سور القرآن لا يتجاوز بضع عشرة كلمة .

وها هو ذا بعد ثلاثة عشر عاما من نزول القرآن وقد انتقل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الى المدينة يوجه التحدى من جديد لكل خصوم القرآن ، بعد ان انضم اليهم خصم جديد عنيد وهم اليهود ، واذا علمنا ان أكثر القصص القرآنى حديث عن أنبياء بنى اسرائيل وسيدنا موسى بالذات ، أدركنا كيف أن عجز المشركين واليهود معا عن محاكاة القرآن ، هو معجزة من غير شك تقطع بأن هذا القرآن ليس من صنع البشر ، وانما هو كلام الله .

وقفة امام اعجاز القرآن :

ونريد أن نقف طويلا أمام اعجاز القرآن ، باعتبار أن ذلك هو حجر الزاوية للايمان بأن سيدنا محمد هو رسول الله حقا وصدقا ، وان القرآن هو من وحى رب العالمين نزل به جبريل الامين .

دفع شبهات :

ونريد بداءة ذى بدء ان ندفع بعض شبهات قد تعرض لتفكير بعض الشباب ، فأولا قد يقول البعض ومن أدرانا أن أحدا لم يحاك القرآن ؟ .. والجواب بسيط جدا ، وهو ان العالم شرقه وغربه ، وشماله وجنوبه ، لا يعرف الا قرآنا واحدا ، بنص واحد منذ أربعة عشر قرنا ، فحتى لو فرضنا جدلا انه قد وجد بالفعل من حاول ان يحاكى القرآن ، فقد فعل شيئا اندرس وعفا عليه الزمن ، فأصبح لا يمكن أن يسمى قرآنا أو من نوع القرآن ، فأول صفة للقرآن هذا الخلود الذى نلمسه بأنفسنا فسقط هذا الفرض من احتمال وجود من حاول أن يحاكى القرآن .

دفع شبهة ثانية :

قد يقول قائل ان العرب أو اليهود ، مع قدرتهم على محاكاة القرآن ، قد تعففوا أو ترفعوا أو تعجرفوا ، أو قل ما شئت من الاسباب والعلل ، عن عدم محاكاتهم القرآن . وكان يمكن ان يكون لهذه الشبهة وجود ، لو ان المشركين واليهود تركوا سيدنا محمدا وشأنه ، وهو من ناحيته قد تركهم وشأنهم ، ولكن التاريخ والوقائع الثابتة التى لا يمارى فيها أحد ، تنطق بأن العرب من ناحية ، واليهود من الناحية الثانية ، بذلوا كل مرتخص وغال لتكذيب سيدنا محمد وتسفيهه ، وجادوا فى سبيل ذلك بالمال والدم والاهل والولد على طول عشرين سنة .

وها هو ذا القرآن يتحداهم ، انه على استعداد ان يسقط دعواه بأنه كلام الله ، ان هم حاكوه وقلدوه ، أفما كان أهون عليهم بدلا من الدماء التى سفكوها والاموال التى أراقوها ان يقوموا ، ولو بمجرد المحاولة ، فوقوف القوم عاجزين ، وخاصة بعد ان يستفزهم القرآن بكل صنوف الاستفزاز كقوله فى هذه الاية : « **ولن تفعلوا** » .

أقول ان فى عدم الرد على هذا التحدى هو الدليل على أن القرآن ليس من صنع البشر ، أو على وجه التحديد ليس من تأليف سيدنا محمد .

سمة الكتب الناجحة أن تحاكى :

بقى ان التاريخ والواقع يؤكدان ان اى كتاب ناجح ، وأى شخص ناجح ، فهو لابد ان يقلد على الفور ، والذين حاولوا أن يقلدوا سيدنا محمدا ، وجدوا على الفور بعد وفاته ، وعلى رأسهم مسيلمة الكذاب ، وهم وان كانوا قد سقطوا سريعا ، فان المحاولة قد حدثت على كل حال ، مما أكد اطراد القاعدة التى سقناها من أن أى انسان ناجح فى شأن من الشئون ، لابد ان يوجد له من يحاول أن يقلده .

ولكنا نجد ان الشق الثانى من القاعدة ، وهى ان كل كتاب ناجح لابد من ظهور كتب تحاكيه ، ولكنا

تواجه بخصوصية القرآن التى انفرد بها بين كل ما عرف البشر قبله أو بعده ، فلا نجد محاولة واحدة لتقليده ، وبقى منفردا فى شكله وموضوعه .. ونحن نتحدى أن يجيئنا أى مكابر بكتاب مماثل ، سواء من الشرق أو الغرب ، حديثا أو قديما ، وقديما جدا ، ورب قائل يقول أن ذلك شأن التوراة والانجيل ، ولسنا نريد أن نخوض فى مواضيع جانبية تثير الجدل ، كأن نقول ان نص التوراة كما يعترف بها اليهود تختلف عن التوراة التى يعترف بها المسيحيون ، أو أن هناك أربع صيغ للاناجيل ، أقول : لا حاجة لمثل هذه الاشارات ، فلو سلمنا جدلا ان التوراة والانجيل يقفان فى مستوى واحد مع القرآن ، من حيث ثباتهما بنص واحد عبر القرون وعدم وجود كتب تحاكيهما ، أقول لو سلمنا جدلا بهذا القول ، فانه يؤكد ما قلناه عن القرآن ، لانه يقرر ان التوراة والانجيل من عند الله ، فلزم كل من يقر بأن خاصية القرآن تتوفر فى التوراة والانجيل ، أن يقر بأن الكتب الثلاثة نزلت من مصدر واحد وهو الله عز وجل .

والذى يعنينا أن نقرره فى هذا البحث هو أن القرآن بغير شبيه ، رغم تحديه القائم أبد الدهر :

« قل لو اجتمعت الانس والجن »

ولقد اتيح لى فى حياتى الشخصية أن أسمع من احد كبار الكتاب الذين وصفوا بالفحولة والجبروت .. اتيح لى ان أسمع من هذا الكاتب تندرا على بعض قصار السور من القرآن الكريم ، ثم عشت حتى رأيت هذا الكاتب نفسه ولا عمل له الا أن يشيد بالقرآن والاثر العظيم الذى طبع به الانسان ، وراح يؤلف بنجاح عظيم عشرات الكتب التى تمجد أبطال المسلمين ، ولا سر فى بطولتهم سوى تأثرهم بالقرآن ، فآمنت فوق ايمان ان القرآن يمارس معجزته فى كل زمان ومكان ، فيغزو القلوب المتفجرة والمتحجرة .

ما هو سر الاعجاز فى القرآن ؟

ولقد حاول بعض القدامى ان يلخصوا اعجاز القرآن فى بلاغته ، ونحن لا يمكن ان نناقش فى أن القرآن هو البلاغة نفسها ، وقد بدأت علوم البيان والبديع والنحو ، وكل ما يتصل باللغة العربية حول القرآن وتأسيسا عليه ، فلا محل للتحدث عن بلاغته ومحاولة قياسها ، لانه هو البلاغة فى ذروتها .

ولكننا نختلف فى الرأى مع من حاولوا ان يلخصوا اعجاز القرآن فى بلاغته ، والا كان معنى ذلك ان كل من لا يتذوق العربية لا يعد القرآن معجزا بالنسبة لهم ، وهذا غير الواقع ، ففى عالمنا المعاصر أكثر من عالم وحجة فى فنه ، ممن لا يدينون بالاسلام يقفون مشدوهين ، أمام عظمة القرآن التشريعية ، ويقول بعضهم انهم وجدوا فيه الحلول المناسبة لاى مشكلة عالمية تصدوا لبحثها ، ابتداء من شرور الرأسمالية حتى التميز العنصرى ، فضلا عن الدعوة للعالمية والاخوة البشرية والحرية والمساواة ، ولسنا نريد ان ننقل عينات مما قيل ، والا طال بنا الاستطراد ، والمهم الذى نريد الاشارة اليه ، ان أقواما لا يعرفون العربية أساسا ، قد وقعوا أسرى لاعجاز القرآن .

وكم من عالم فى عصرنا الحديث يجد الاشارات فى القرآن لكثير من الحقائق العلمية التى اكتشفت مؤخرا جدا ، وقد حكاها القرآن ، أضرب لذلك مثلا واحدا من بين ألوف الامثلة ، فقد تصور الناس فى القديم ان الشمس ثابتة ، وان الارض هى التى تتحرك ، ثم جاء من قال ان الارض ثابتة وان الشمس هى التى تتحرك ، ثم عدل عن ذلك ، وعادوا للرأى الاول ، وقد حدث هذا خلال الفين من السنين ، ثم جاءت آخر معطيات العلم ، بعد أن توفرت الاجهزة والالات ، فقال العلم كلمته الاخيرة وهى انه لا يوجد فى الكون شىء ثابت أبدا ، وقد سمحنا لانفسنا ان نصف هذا القول بأنه كلمة العلم الاخيرة ، لان ذلك هو نص القرآن سبق به منذ أربعة عشر قرنا ، وذلك بقوله :

« وكل فى فلك يسبحون » .

وليس هذا المثال الا واحدا مما يشده علماء العصر الحاضر ، فالقرآن ، بما يحويه من توجيهات وارشادات ، وقصص وتشريع واشارات الى أسرار الكون والحياة ، هو شىء شامخ بكل المقاييس ومن مختلف الزوايا ، فمن الخير ان لا يحاول محاول تلخيص اعجازه فى ناحية من النواحى ، والحق عندنا انه كما لا يمكن ان تدرك سر أى جوهر [ماهية] ، وانما نسلم بوجودها ، اذ نرى آثارها ، فما هى الكهرباء ؟ .. وما هى المغناطيسية ؟ .. بل ما هى الجاذبية ؟ .. وما سر القوة الكامنة فى هذه الظواهر ، ذلك ما لا ندريه ولا نستطيع أن ندريه .

كذلك الشأن بالنسبة لاعجاز القرآن ، انها ظاهرة مؤكدة يشهد بها أربعة عشر قرنا وسبعمائة مليون مسلم يتزايدون عاما بعد عام .. فالمعجزة قائمة أبدا تحدث أثرها أبدا .

فلم يبق أمام العقل الا التسليم بها تسليمه بأى حقيقة مادية واقعة ، وعندنا ان اعجاز القرآن كامن فى انه من روح الله .

« وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا » .

وما كانت الروح بالتى تعرف أو تلخص ولكن يقر بها لانها أمر واقع ، وكذلك الشأن عندنا فى اعجاز القرآن .

فكل جيل من الاجيال يرى فيه اعجازا بحسب قدرته وثقافته وعلمه .. وقد بقى أن نشير ختاما

لهذا البحث ان القرآن الكريم ذاته لم يكشف لنا عن ناحية اعجازه ، ووقف عند حد تقرير هذا الاعجاز ، فصار من الواجب علينا ان نقف حيث وقف ، والله تعالى اعلم .

مفردات :

والان لنرجع الى ما كنا بصدده من آيات ، لنحدد مدلول الفاظهـا اللغوى وبعض ما دار من اوجـه الخلاف حول حقيقة المقصود بها :

ريب : يعنى شك ، أى لو كنتم فى شـك من ان هذا القرآن نزل من السماء .

على عبدنا : اى سيدنا محمد ، والعبد مأخوذ من التعبد ، وهو التذلل .

سـورة : السورة واحدة السور ، والسورة فى القرآن تعنى القطعة من القرآن أقلها ثلاث آيات ، واصل الكلمة اللغوى من السور وهو الجدار المحيط المرتفع ، وقد ورد هذا الاستعمال كثيرا فى القرآن بهذا المعنى .

من مثله : اى فأتوا بقرآن « **ومن** » قيل عنها انها زائدة ، وقيل انها للتبعيض ، اى بعض هذا القرآن وقيل ان الضمير فى « **مثله** » ، يعود على سيدنا محمد أى من مثل سـيدنا محمد فى أميته ، وانه لا يعرف القراءة والكتابة ، ولكن الرأى الذى نأخـذ به هو راى جمهور العلمـاء من أن الضـمير فى « **مثله** » ، يعود الى القرآن ، حسبما هو صريح فى آيات أخرى .

وادعو شهداءكم : أى اعوانكم ونصراءكم .

من دون الله : أى من غـير الله ، والدون هـو الخسيس الحقير .

أن كنتم صـادقين : أى فيما زعمتم أنكم قادرون على الاتيان بمثله ، جاء فى القرآن الكريم على لسان المشركين :

« **لو نشاء لقلنا مثل هـذا** » .

فان لم تفعلوا : أى فى الماضى .. « **ولن تفعلوا** » فى المستقبل .

« **فاتقوا النار** » : أى اجعلوا فى ايمانكم بسيدنا محمد وما جاء به وقاية لكم من النار .

وقودها الناس والحجارة : اى ان هذه النـار انما توقـد بالنـاس العصـاة والحجـارة ، وقيل كلام كثير فى الحجارة ، فقيل ان المقصود بها هو الاصـنام ، وقد كانت تصـنع من الحجارة .. جاء فى القرآن الكريم :

«**انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم**» .. اى حطب جهنم ووقودها ، وقيل انما ذكرت الحجارة هنا للاشعار بشدة لهيبها ، ونحن فى هذه الغيبيات نؤثر الوقوف عند حد ألفاظ القرآن ولا زيادة .

أعدت للكافرين : اى ان هذه أعدت للكافرين .

«**وبشر الذين آمنوا وعملوا الصـالحات أن لهم جنـات تجرى من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون** »

وكنسق القرآن لا يكاد يشير الى أحد الوجهين : الجنة أو النار ، حتى يعقب على الفور بذكر الناحية المقابلة ، رامزا بذلك الى ازدواجية الحياة ، وانها نور وظلام ، خير وشر ، شقاء للكافرين والعصاة ، نعيم للمؤمنين الصادقين ، فاذا كانت النار الحامية التى بلغ من شأنها ان تكون الاحجار الصلدة بعض وقودها ، ففى الناحية المقابلة جنات تجرى من تحتها الانهـار ، ومعلوم ان الذى يجرى هو ماء الانهـار وليست الانهار ، ولكن ذلك أسلوب فى اللغة مثل قوله : « **واسال القرية** » .. أى أهل القرية ، ومن المتفق عليه ان حذف المعلوم جائز .

هذا الذى رزقنا من قبل : وقد جرى الخـلاف بين المفسرين حول المعنى المقصود « **من قبل** » ، فالقرآن يحكى عن اهـل الجنة قولهم كلما رزقوا من ثمـار الجنـة .

« **هذا الذى رزقنا من قبل** » : فقال البعض ان من « **قبل** » يعنى فى الحياة الدنيا ، وقال آخرون بل يعنى ما رزقوه قبل ذلك فى الجنة نفسها .

« **وأتوا به متشابها** » : أى يشـبه بعضه بعضا فى المنظر ، وان اختلف فى الطعم ، فالذين يقولون ان من « **قبـل** » تعنى الحياة الدنيا ، يقولون ان ثمر الجنة يشبه ثمر الدنيا من حيث الشـكل ، والذين يأخذون بالمعنى الثـانى يقولون ان ثمر الجنة وان تشابه فى الشـكل ، بحيث يظن من يراه انه عين ما ذاقه من قبل ، فاذا هو مختلف والله أعلم بمراده والذى يعنينا نحن هو ان نسـأل الله عز وجل ان يجعلنا برحمته وكرمه من أهل الجنة .

« **ولهم فيهـا أزواج مطهـرة** » : واذا كان الله سبحانه وتعالى قد وعد المؤمنين بطعـام فى الجنة حلو المذاق ، متجدد الطعم أبدا ، فهو سبحانه يعدهم كذلك بزيجات صالحة « **مطهرة** » ، أى غير مشوبة بما تتعرض له النسـاء فى الدنيـا من التغيرات المعروفة ، وقد حاول بعض المفسرين ان يخصص « **أزواج مطهرة** » بأنهم الحـور العين ، ولكنا نؤثر ابقاء اللفظ على عمومه ، وقد جاء فى الحديث ان الزوج الصـالح فى الدنيا ، والزوجة الصـالحة ، يستأنفان حياتهما معا فى الجنة ، والله تعالى أعلم .

« **وهم فيها خالدون** » : وهذه هى مكافأة المؤمن الكبرى ، وهو ان يخلد فى النعيم ، فآفة الحيـاة الكبرى هى الموت ، والكائن الحى يعيش ما بقى حيا فى رعب من الموت ، وها هو الله عـز وجل يبشر المؤمنين أنهم سـيكونون فى الجنـة فى مأمن من الموت .

اشارات من آخر التطورات :

وقد جعلنا من برنامجنا فى هـذا العرض لايات القرآن الكريم ، أن ننبه من حين لاخر كيف أن آخر

معطيات العلم ومنجزاته أصبحت تزودنا ببعض ما يقرب معانى القرآن الى عقولنا ، فقد كان الكفار الاقدمون يضيقون ذرعا عندما يحدثهم القرآن عن الجنة التى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا [1] وانما هو نور أبدا .

وهم يحدثوننا اليوم من واقع التجربة المادية ، انه لا يكاد الانسان يخرج من الغلاف الجوى ، حتى لا يكون ليل أو نهار ، وبالطبع لا يكاد يخرج من المجموعة الشمسية كلها حتى لا تكون هناك شمس ، ويتلاشى هذا الزمن الذى نعرف والذى نقيسه بالايام والساعات .

وهم يحدثوننا حديثا عجبا عن حالة الانسان عندما تنعدم الجاذبية ، والمهم فى ذلك كله انه يفتح أمام العقل كوة تكشف له ان حياته على ظهر هذا الكوكب بكل ظروفها وأحوالها ، هى شىء يختلف كل الاختلاف عن حياة أخرى فى هذا الكون ، وهو ما يكشف لنا عنه القرآن .. ومرة أخرى نذكر ان ذلك كله من قبيل الاشارات .

« **ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين . الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض أولئك هم الخاسرون** » .

يستحيى : من الاستحياء ، ومعناه الانقباض عن الشىء والامتناع عنه خوفا من موقعه القبيح .

وهذا المعنى محال على الله بطبيعة الحال . ولذلك قيل يترك ، وقيل يمتنع .. وكلها أفعال مستحيلة على الله ، فهو منزه عن أى فعل ، ولذلك فيجب ان لا نجهد أنفسنا بمحاولة صرف الكلمة عن معناها التماسا لكلمة أخرى ، ويجب ان لا يغيب عن أذهاننا لحظة ان الله سبحانه وتعالى وقد اختار رسولا منا ، فلم يعد لهذا الرسول من سبيل لمخاطبتنا الا استعمال اللغة الانسانية التى هى وسيلة التخاطب ، فعندما يقول القرآن الكريم : « **ان الله لا يستحيى** » ، فنحن نفهم منها المقصود ، وقد فهم صحابة رسول الله المعنى واستعملوه على الفور ، جاء فى صحيح مسلم على لسان أم سلمة ، رضى الله عنها قولها : « يا رسول الله ، ان الله لا يستحيى من الحق » ، ثم قالت لرسول الله ما قالت ، والان لنرجع الى سياق الاية ، فقد اختلف فى سبب نزولها ، فقيل انه عندما ذكر القرآن المنافقين : « **كمثل الذى استوقد نارا** » أو « **كصيب من السماء** » .. اعترض اليهود على هذه الامثلة ؟ وقالوا هذا كلام لا يشبه كلام الله ، بينما قال آخرون بل جرى الاعتراض ، على ضرب القرآن المثل بالذباب أو العنكبوت والنمل وخلافه ، واحتج القائلون بالرأى الاول ان القرآن الكريم قد ذكر الذباب والعنكبوت فى سور مكية ، بينما القول هنا رد على اعتراضات نزلت فى المدينة ، حيث لم يكن نزل من الامثال الا هذا الوصف للمنافقين ، ونحن نرجح الرأى الثانى ، وهو ان الاعتراض انما ينصب على تمثيل القرآن بالذباب والعنكبوت وأمثالها ، وذلك للاسباب التالية :

■ **أولا** : انه قبل هجرة سيدنا محمد الى المدينة كان المسلمون قد هاجروا اليها وتفشى بين جنباتها ، وكان القرآن الذى أنزل بمكة هو الذى يقرأ ويتردد

■ **ثانيا** : نستبعد ان يعترض اليهود على ذكر القرآن للأمثال ، لان كتاب التوراة الموجود بين أيديهم يستخدم نفس الاسلوب ، بل انه يتضمن سفرا كاملا يطلق عليه سفر الامثال .

■ **ثالثا** : الاشارة فى الاية بالذات الى البعوض دليل على ان الاعتراض لا ينصب على مبدأ المثل ، وانما ينصب على موضوعه ، فقد أنكروا ان يتخذ الله من الذباب والعنكبوت عبرة يدعو للاعتبار بها .

وهكذا نزلت هذه الاية الكريمة لتعلمهم ان عملية الخلق واحدة ، وان سرها واحد ، وان الذى خلق الشمس والقمر وخلق الانسان والسموات والارض انه هو هو خالق البعوضة ، وليست هذه بأعصى عليه من تلك ولا أصعب أو أسهل ، ففى كل الاحوال اذا اقتضت مشيئته أمرا ، كان وهو اذ يشير الى أى من مخلوقاته ، فانما يشير بذلك الى قدرته ، سواء فى ذلك النملة أو الفيل .

« **أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها** » .

من أجمل ما طالعنا فى التفاسير واعتبرناه فتوحا من الله .. ومعنى « **فما فوقها** » فى هذه الاية « **ما دونها** » ، أى ما هو أصغر وأتفه وأقل من البعوضة ، وذلك جريا على ما يحدث فى العادة عندما يروح متحدث يذم فى شخص من الاشخاص فينعته بالبخل والجبن .. و .. و .. فيقول أحد الحاضرين « **وفوق ذلك** » ، قاصدا بذلك أن يضيف خلالا سئية فيكون معنى الفوقية هنا الاغراق فى الصفة المقصودة ، فعندما تحدثنا الاية الكريمة عن البعوضة ، باعتبارها شيئا صغيرا ، فتصبح عبارة « **فما فوقها** » فى الصغر ، وهذا الفهم هو الذى يتسق مع مدلول الاية .

[**البقية ص ١١٩**]

---

[1] **البرد القارص** .

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

خذوا حذركم فاليهود قوم غُدُر

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

●● نعم اليهود قوم غادرون مخادعون ، مرنوا على الخيانة ، ونقض العهود ، والجرأة على افتراء الكذب ، واستمراء القتل لاوهى الاسباب .. كل أولئك ولد معهم ..

ولا أريد أن أسلك بك – أيها القارىء الكريم – طريق الاستدلال المتشعب المسالك ، الحالك الظلمة .. بل ، سأصطحبك معى فى ضوء كتاب الله الكريم ، وما قصه من أخبار هذه الطغمة من خلقه التى لم ترض لنفسها أستاذا غير ابليس الرجيم .. !

■ قال سبحانه فى قصة يوسف بن يعقوب :(١)

●● « انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين (٢) ● قال ، يابنى لا تقصص رؤياك على أخوتك فيكيدوا لك كيدا (٣) ان الشيطان للانسان عدو مبين ● » ٤–٥ يوسف .

■ وقال تعالى :

● « اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا (٤) ونحن عصبة ان أبانا لفى ضلال مبين (٥) ● اقتلوا يوسف (٦) أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين (٧) ● قال قائل (٨) منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين ● قالوا ياأبانا ما لك لا تأمنا [٩] على يوسف وانا له لناصحون ● أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون ● قال انى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب (١٠) وأنتم عنه غافلون ● قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون ● فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب (١١) وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون (١٢) ● وجاءوا أباهم عشاء يبكون (١٣) ● قالوا ، ياأبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ● وجاءوا على قميصه بدم كذب (١٤) قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا (١٥)

[١] هو اسرائيل واليه نسب جميع اليهود الان ، وكان لاسرائيل هذا اثنا عشر ولدا ، يوسف وبنيامين من زوجته راحيل ، وباقى الاخوة من زوجات اخر .

[٢] أنظر الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر فى آية ١٠٠ من السورة ذاتها .

[٣] وهذا شعور من يعقوب بان قلوبهم مشربة بالحسد .

[٤] وهذا أيضا مظهر من مظاهر الحسد الذى توقعه يعقوب من أبنائه .

[٥] أهكذا جزاء الابوين عندكم يا أبناء يعقوب ! أن ترموهم بأشنع الصفات ؟!

[٦] وهذه جريمة أخرى نتيجة الحسد الذ . يأكل قلوبهم ومسمى يوسف باسمه دون أن يسمى أخاه [بنيامين] لانه هو صاحب الرؤيا السابقة التى تدل على منزلته عند ربه .

[٧] أى صالحين للحياة الهانئة ، وعدم اشتغال أبيكم بمحبة غيركم .

[٨] لعله هو كبيرهم المذكور فى آية ٨٠ من السورة نفسها .

[٩] يكاد المريب أن يقول خذونى ، أليس هذا شعورا منهم بان يعقوب كان يتوجس منهم شرا ؟ – انظر تعليق رقم ٢ .

[١٠] رحم الله يعقوب فقد سهل عليهم الاعتذار الكاذب .

[١١] ووضعوه فيه فعلا ، والجب بئر فى الارض فيه ماء بدليل آية ١٩ من نفس السورة .

[١٢] أى لا يشعرون بأنه يوسف كما فى آيتى ٨٩ – ٩٠ من السورة .

[١٣] هذا أشد أنواع الفجور الدال على أن صاحبه لا يشعر بشدة قبح ما يفعله ، كما قال تعالى فى جنسهم كله « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة » ٧٤ البقرة .

[١٤] كذب ، مصدر كذب الرجل كذبا فهو كاذب أى غير صادق ، فاستعمال الكذب هنا مبالغة حيث جعل الكاذب كانه الكذب نفسه ، مثل قولك : رجل شر اى شديد الشر ، والمراد : أنهم جاءوا بدم غير دم يوسف .

[١٥] أى زينت لكم أنفسكم الامارة بالسوء أمرا منكرا ، وهذا صريح فى أنهم كاذبون ، ووجه فهم قطع يعقوب بهذا ، أن الدم كان على ظهر القميص ولم يختلط بخيوطه الداخلية ، ورأى يعقوب أن القميص سليم لم يمزق ، فكيف وصل ناب الذئب الى لحم يوسف من غير أن يمزق قميصه ؟ حتى أن يعقوب قال على ما يروى عنه : « ما أعجب هذا الذئب الذى ياكل ابنى ولا يمزق قميصه » وانما قطع يعقوب بذلك ، لانه فهم من الرؤيا السابقة أن يوسف سيكون نبيا .

فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ● ٧ ـ ١٨ يوسف .

●● وبعد ما قص القرآن ما حصل ليوسف فى بيت العزيز وفى السجن ، واصبح وزيرا لمالية مصر كما فى آية ٥٥ من السورة ، ووفر للمصريين من الغذاء ما يكفيهم السبع سنين العجاف فى الايات من ٤٦ ـ ٤٩ من نفس السورة . .

بعد كل هذا حصل قحط فى بلاد الشام ، وعلم أهلها أن مصر بها ما يقتاتون به فذهب كثير من أهل الشام الى مصر ، ومنهم اخوة يوسف يطلبون القوت . .

قال سبحانه فى ذلك :

●● « وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون (١٦) ● ولما جهزهم بجهازهم قال ائتونى بأخ لكم (١٧) من أبيكم ، ألا ترون أنى أوفى الكيل وأنا خير المنزلين (١٨) ● فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون ● قالوا سنراود عنه أباه وانا لفاعلون ● وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم (١٩) فى رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون (٢٠) ● فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يأبانا منع منا الكيل [٢١] ، فأرسل معنا أخانا نكتل وانا له لحافظون ● قال ، هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم (٢٢) على أخيه من قبل ، فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ● ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا، يأبانا ما نبغى (٢٣) هذه بضاعتنا ردت الينا ، ونمير (٢٤) أهلنا ، ونحفظ أخانا ، ونزداد كيل بعير (٢٥) ذلك كيل يسير (٢٦) ● قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا (٢٧) من الله لتأتننى به الا أن يحاط بكم (٢٨) ، فلما آتوه موثقهم ، قال : الله على ما نقول وكيل ● » ٥٨ ـ ٦٦ يوسف .

ثم بعد ذلك قال تعالى :

●● « ولما دخلوا على يوسف أوى (٢٨) اليه أخاه ، قال : انى انا أخوك ، فلا تبتئس (٢٩) بما كانوا يعملون ● فلما جهزهم بجهازهم ، جعل السقاية فى رحل أخيه (٣٠) ، ثم أذن مؤذن (٣١) أيتها العير انكم لسارقون ● قالوا وأقبلوا عليهم : ماذا تفقدون ؟● قالوا نفقد صواع (٣٢) الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم (٣٣) ● قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين ● قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين ؟ ● قالوا جزاؤه (٣٤) من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين ● فبدأ بأوعيتهم (٣٥) قبل وعاء أخيه ، ثم استخرجها من وعاء أخيه ، كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك الا أن يشاء الله ، نرفع درجات من نشاء ، وفوق كل ذى علم عليم ● قالوا ان يسرق فقد سرق أخ (٣٦) له من قبل ، فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم ، قال أنتم شر مكانا ، والله أعلم بما تصفون ● قالوا يأيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين ● قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون ● فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا (٣٧) ، قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم فى يوسف ،فلن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين » .
يوسف .

●● ومن أحط أخلاقهم أنهم أمام القوى كالحملان أو الجراء الصغيرة يدورون حوله كما يدور الكلب حول من بيده قطعة خبز ، ولو شعروا أن هذا القوى

---

[١٦] لا يعرفونها .

[١٧] هو شقيق بنيامين .

[١٨] المكرمين لضيوفهم وقد أحسنت اليكم فأجيبوا ما أطلب .

[١٩] المراد بالبضاعة هنا : الاشياء التى جاءوا بها من الشام ليدفعوها ثمنا لما أخذوه من الغلال ، وقد ردت هذه البضاعة ووضعت بحيث لا ينبهون اليها الا حين عودتهم .

[٢٠] يريد : أنهم اذا علموا أن هناك اكراما لهم يرغبون بشدة فى العودة اليه مع اجابة طلبه .

[٢١] أى منعنا من أخذ أى شىء من الغلال الا اذا كان أخونا معنا .

[٢٢] المعنى ألا تكون نتيجة ائتمانى لكم الان مثل ائتمانى الماضى فيضيع بنيامين كما ضاع يوسف ؟!

[٢٣] أى ما الذى نطلبه بعد هذا الاكرام .

[٢٤] نجلب لهم من الميرة وهى الطعام الذى ينقل من بلد الى آخر .

[٢٥] أى سنزيد حمل بعير وهو الخاص ببنيامين .

[٢٦] المراد من الكيل المكيل وهو الغلال التى حصلوا عليها وبسره الحصول عليه بسهولة .

[٢٧] أن يحيط بكم عدو فيهلككم .

[٢٨] عهد بحفظه والعودة به .

[٢٩] ضمه اليه فى غفلة منهم .

[٣٠] يلحقك بؤس وحزن بما كانوا يفعلون بنا فيما مضى .

[٣١] وضع لكل واحد غلاله فى رحلة أى فى الاوعية المخصصة لذلك ثم دس بيده على حين غفلة منهم السقاية وهى وعاء يسقى به ويكال به الطعام وهو المعبر عنه فيما سيأتى بالصواع وذلك ليسهل عليه ايهامهم ليستطيع استبقاء أخيه معه .

[٣٢] نادى مناد من اتباع يوسف .

[٣٣] الصواع هو المعبر عنه بالسقاية التى سبق شرحها فى رقم ٣١ وكان من فضة والعير هى الابل التى عليها أحمالهم والمراد أصحابها .

[٣٤] كفيل وضامن وهذا من كلام المؤذن أى المنادى .

[٣٥] أى جزاء سرقته أن يأخذه صاحب الشىء المسروق ويصبح رقيقا له وهذا هو جزاؤه عندنا فى شريعة يعقوب وكانت شريعة ملك مصر أن السارق يضرب ويغرم ضعف قيمة المسروق وهكذا كاد الله ليوسف ودبر له تدبيرا خفيا يمكنه من حجز أخيه معه .

[٣٦] وذلك لانه لو بدأ بأمتعةبنيامين مباشرة لظهر تدبيره وأصبح مكشوفا .

[٣٧] أى شريعة ملك مصر .

الجبار يعجبه الكفر بالله ورسوله وكان فى طاعته ما يدر عليهم معبودهم (المال) فانهم سرعان ما يتفانون فى القرب منه ، ويعلنون ذلك على رءوس الاشهاد ولا يستحون من العار .

نرى ذلك واضحا فى قصة قارون التى حكاها القرآن الكريم فى الايات من ٧٦ ــ ٨٣ فى سورة القصص . وأيضا فى آية ٨٣ من سورة يونس .

أما قارون فيقول عنه القرآن الكريم :

●● « ان قارون (٣٨) كان من قوم موسى فبغى عليهم واتيناه من الكنوز [٣٩] ما أن مفاتحه (٤٠) لتنوء (٤١) بالعصبة أولى القوة (٤٢) ، اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين ● وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين ● قال انما أوتيته على علم عندى (٤٢) أو لم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون ● فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم ● وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون ● فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ● واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون ● تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ● » ٧٦ ــ ٨٣ القصص .

المعنى

●● بين سبحانه فى الايات التى سبقت قصة قارون محاربة أهل الضلال للحق ومصيرهم فى الاخرة وتحسرهم ، وأراد سبحانه أن يضرب لهم مثلا بما حصل لامثالهم فى الدنيا قبل الآخرة فقال « ان قارون .. الخ » .

ومن المعلوم أن رءوس الكفر التى حاربها موسى كانوا فرعون وهامان وقارون (٤٦) وسبب طغيان فرعون وهامان هو الخوف على الملك و الرياسة ، أما قارون فكان سبب طغيانه حسده لموسى وهارون على أن يكونا رسولين مع أنه أغنى منهما ، فلذا لما طلب منه موسى زكاة ماله للفقراء امتنع وطلب أن يكون هو صاحب الكلمة النافذة فى بنى اسرائيل .

وقد آتاه الله من الكنوز المقادير التى يشق حمل خزائنها على الجماعة القوية فأظهر التفاخر والفرح بما أوتيه حين قال له قومه المؤمنون من بنى اسرائيل: لا تفرح فرح بطر وشغف بالدنيا ، لان ذلك علامة التفانى فيها ونسيان الاخرة ، والله تعالى لا يحب من كثر فرحه بها حتى شغلته عن آخرته ، واطلب من الغنى بسبب هذا المال الذى تفضل الله به عليك الدار الاخرة بأن تصرف منه فى وجوه الخير ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأسلك الطريق الوسط ، وأحسن شكر ربك بطاعته كما أحسن اليك بجزيل النعم ، ولا تطلب بكثرة المال الفساد فى الارض لان الله لا يحب المفسدين ، ومن لا يحبه الله يغضب عليه ، ومن غضب عليه فقد هوى .

ويرد قارون على هذا النصح الجميل : انما حصلت على هذا المال على استحقاق ، لان عندى من العلم ما استوجب أن أتفوق عليكم جميعا بالجاه والمال ، ولم يعترف بان لله فضلا عليه يلزمه شكره ، فكان رده سبحانه عليه قوله « أو لم يعلم ... الخ » أى : هل نسى ما جاء فى التوراة من اهلاك عصاة الامم السابقة ، ولم يعلم أن الله قد أهلك منهم من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا للاموال .

وبعد ما بين سبحانه جهل قارون ، أراد أن يبين ما سيلاقيه هو وأمثاله المجرمين يوم القيامة فقال « ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون » أى لا يسأل سبحانه المجرمين يوم القيامة عن ذنوبهم سؤال عتاب مقدمة للرحمة .

ثم شرح سبحانه فى بيان مظهر من مظاهر اغترار قارون بالمال مقدمة لاهلاكه فقال « فخرج ... الخ »

---

[٣٨] هذا هو الجرم الفظيع الذى من شأن هؤلاء المجرمين لان يوسف لم يتهم بالسرقة مطلقا أرادوا أن يقولوا : ان يسرق بنيامين اليوم فقد سرق أخ له من قبل ، يريدون يوسف لانهما من أم غير أمنا ، ورثوا السرقة عنها ، فـ عيب قاصر عليهما لا يمسنا بسوء والحامل لهم على هذا الافتراء هنا هو الحقد وابعاد عار السرقة عن أنفسهم وقد أضمر يوسف ــ كما تقول بقية الاية ــ هذه التهمة فى نفسه ولم يظهر أمرها لهم ، فى قول أو فعل ، وقال فى نفسه : أنتم شر منزلة عند الله وعند من يعرف حقيقتكم والله وحده هو العليم بكذبكم .

[٣٩] فلما يئسوا صاروا خالصين من غيرهم وانفردوا بأنفسهم بعيدا عن الناس وأخذوا يتناجون بالتشاور فيما يقولون لابيهم مما هو واضح فى بقية الايات التالية .

[٤٠] قيل كان من أقارب موسى حتى قال كثير من السلف انه ابن عمه ولكنه نافق كالسامرى المذكور فى آية ٨٥ سورة طه ثم أعلن الكفر أخيرا .

[٤١] التى كانت مدفونة خصوصا فى قبور قدماء المصريين .

[٤٢] جمع مفتح بفتح فسكون كمرض ومراض وهو المخزن ، قال ابن عباس : هى خزائنه وأوعيته .

[٤٣] تصير ثقيلة عليهم ، من قولهم: ناء فلان بالحمل اذا أثقله حتى أمال ظهره .

[٤٤] الجماعة الكثيرة أصحاب القوة .

[٤٥] المراد لان عندى علما بمواضع الكنوز أى حصلت عليه باستحقاق لافضل لاحد على فيه .

[٤٦] قال تعالى « وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين» ٣٩ ــ العنكبوت .

أى فخرج قارون على قومه ذات يوم فى زينة عظيمة مريدا بذلك التعالى عليهم ، قال الذين كل همهم الدنيا ، يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم ، وقال الذين أعطاهم الله تعالى العلم الصحيح بما أعده الله لعباده المؤمنين فى الاخرة : زجرا لكم عن هذا القول الباطل ، فثواب الله فى الاخرة خير من كل هذا المتاع الزائل لمن آمن وعمل صالحا ، ولا يمن الله بالتوفيق للاعمال الصالحات الا على الصابرين على شدائد الدنيا وفتنها .

وحين يلغ قارون هذه الدرجة من الغرور بماله خسف الله به وبداره الارض فابتلعته هو وماله ومن كان على مذهبه ، وفى التوراة أنهم كانوا أكثر من ٢٥٠ رجلا (٤٧) فما كان له قوة غير الله تنصره بمنع العذاب عنه ، وما كان هو مستطيعا نصر نفسه بنفسه ، وقد حصل ذلك لقارون بعد خروج بنى اسرائيل من مصر ، وأصبح الذين تمنوا فى الزمن القريب جدا أن يكونوا فى منزلته يقولون : يا أسفا على ما كنا فيه من الخطأ ! ألم نعلم أن الله يوسع الرزق لمن يشاء من عباده لحكمة غير رضاه عنه ، ويضيقه على من يشاء لا لكرهه له ، لولا ان من الله علينا بحفظنا مما كان عليه قارون من النفاق وغيره لخسف الارض بنا معه ، ثم كرروا الاسف على جهلهم لهذه الحقيقة وهى أن الكافر بالله تعالى وبنعمه عليه لا يفلح أبدا .

ثم أيد سبحانه قول أهل العلم فيما سبق من أن ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا بقوله « تلك الدار الاخرة .. » الرفيعة المنزلة وهى الجنة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبرا على الحق وعلى الناس ، ولا فسادا فى الارض ، لان العاقبة المحمودة دائما تكون للمتقين .

■ أما آية ٨٣ من سورة يونس فتقول :

●● « فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وأن فرعون لعال فى الارض وانه لمن المسرفين » .

والمعنى كما يقول الالوسى :

ان هؤلاء الذرية من قوم موسى آمنوا به مع خوفهم من بطش فرعون ومن وشاية كبار قومهم الذين استعبدهم المال فكفروا بموسى ليحظوا عند فرعون بالرضا ويجمعوا تبعا لذلك أموالا كثيرة كقارون ومن معه ممن ورد فيهم جميعا قول الله تعالى « فخرج - أى قارون - على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم » ٧٩ القصص .

وقال الشيخ رشيد رضا فى تفسير المنار جزء ١١ ص ٤٦٩ :

« على خوف من فرعون وملئهم » أى آمن هؤلاء الذرية على خوف من فرعون وملئهم أى كبار قومهم الجبناء المرائين فان الملوك يستذلون الشعوب ويستعبدونهم بواسطة هؤلاء الذين يختارونهم للرئاسة على من دونهم .

فنقول :

ومن هؤلاء الذين لم يؤمنوا بموسى خوفا من فرعون وطلبا للمال والحظوة عنده قارون الذى حكينا قصته فى القرآن الكريم آنفا ، قال تعالى :

● « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين » ٧٩ القصص .

وقال تعالى :

● « وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين » ٣٩ العنكبوت .

وقال تعالى :

● « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ● الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب » ٢٣-٢٤ غافر .

●● وبالجملة .. فهؤلاء الذين يلبسون ثوب الانسان على أجسام القرود والخنازير .. كما قال تعالى « وجعل منهم القردة والخنازير » ٦٠ المائدة قد أثبتوا بسوء تصرفهم أنهم شر مكانا من القردة والخنازير ، والا فهل رأيتم قردة وخنازير تفتك بالابرياء من النساء والاطفال والرجال المدنيين غير المحاربين مثل فعل هؤلاء المجرمين فى أسقاط الطائرة الليبية المدنية وبها أكثر من ١٢٠ فردا ، وهم يعلمون قطعا أنه ليس فيها قطعة سلاح واحدة يخشى منها !

ولا ندرى لعل الذى شجعهم على الفتك بهؤلاء الابرياء أنهم متعطشون الى الدم ، وقد رأوه أمامهم سهل المنال ولا خطر من سفكه ، وهذا هو شأن الجبان الذى قال فيه الشاعر :

وإذا ما خلا الجبان بأرض
تطلب الطعن وحده والنزالا

فيا جنودنا البواسل .. وقد علمتم من اختاره القدر لمنازلتكم ، وقد كنتم تتمنون أن يكون عدوكم أشرف من ذلك ، ولكن ليس لكم فى الامر حيلة فى قتال قوم البسهم ثوب الشراسة والغطرسة دولة كبرى سلحتهم بأقوى الاسلحة وأحدثها ، ورمت بهم فى وجوهكم محاولة اذلالكم ، وهيهات .. هيهات فأنتم يا جنودنا البواسل نسل من قال :

غير أن الفتى يلاقى المنايا
كالحات ولا يلاقى الهوانا
فاذا لم يكن من الموت بد
فمن العار أن تموت جبانا

يا جنودنا البواسل

اكتبوا هذين البيتين على جباهكم ، فاذا لقيتموهم فاصرخوا بهما بعد تكبير الله سبحانه .. فسينصركم الله عليهم ، ويولون الدبر ، انه نعم المولى ونعم النصير .

للحديث بقية

[٤٧] انظر سفر العدد ، اصحاح ١٦ .

إياك نعبد

هذه هى الاية الرابعة ، بعد البسملة ، فى فاتحة الكتاب ، وموضوعها عبادة الله ، على النهج الذى رسمه القرآن ودعا اليه الاسلام . فكيف يعبد المسلمون ربهم ، وما هى صلتهم به سبحانه وتعالى ، وصورته عز وجل فى قلوبهم وعقولهم .

لنمر أولا - كعادتنا - على ما جاء فى بعض كتب التفسير ، قال القرطبى : رجع من الغيبة أى عدل عن الحديث عن الغائب الى الحديث مع المخاطب - وذلك على التلوين ، أى على سبيل تلوين الكلام . ثم قال و (نعبد) معناه نطيع ، والعبادة الطاعة والتذلل ، وطريق معبد اذا كان مذللا للسالكين . ونطق المكلف به ، اقرار بالربوبية ، وتحقيق لعبادة الله ، اذ سائر الناس يعبدون سواه من أصنام وغير ذلك [واياك نستعين] اى نطلب العون والتأييد والتوفيق . وعن أبى حفص الفرغاني : من أقر بـ (اياك نعبد واياك نستعين » فقد برىء من الجبرية والقدرية .

وان قيل : لم قدم المفعول على الفعل ؟ قيل قدم اهتماما ، وشأن العرب تقديم الاهم . يذكر أن أعرابيا سب آخر فأعرض المسبوب عنه ، فقال الساب : اياك عنى ، فقال له الاخر : وعنك أعرض ، مقدما الاهم . وأيضا لئلا يتقدم ذكر العبد والعبادة على المعبود ، فلا يجوز نعبدك ونستعينك ، ولا نعبد اياك ، ونستعين اياك ، فيقدم الفعل على كناية المفعول ، وانما يتبع لفظ القرآن .

الأستاذ فتحى رضوان

وانتقل الى آية : اهدنا الصراط المستقيم فقال

اهدنا دعاء ورغبة من المربوب الى الرب ، والمعنى دلنا على الصراط المستقيم ، وارشدنا اليه ، وأرنا طريق هدايتك الموصلة الى أنسك وقربك . قال بعض العلماء : فجعل الله عز وجل ، عظم الدعاء - جملته موضوعا فى هذه السورة ، نصفها فيه مجمع الثناء ، ونصفها فيه مجمع الحاجات ، وجعل هذا الدعاء الذى فى السورة أفضل من الذى يدعو به الداعى ، لان هذا الكلام قد تكلم به رب العالمين ، فأنت تدعو بدعاء هو كلامه الذى تكلم به ، وفى الحديث ، ليس شىء أكرم على الله من الدعاء » وقيل المعنى أرشدنا باستعمال السنن فى أداء فرائضك . وقال الفضيل بن عياض : الصراط المستقيم طريق الحج ، وهذا خاص والعموم أولى . وقال محمد بن الحنفية فى قوله عز وجل « اهدنا الصراط المستقيم » هو دين الله الذى لا يقبل من العباد غيره . وقال عاصم الاحول عن أبى العالية : الصراط المستقيم ، رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه من بعده .

وأصل الصراط فى كلام العرب (الطريق) ، وحكى النقاش : الصراط الطريق بلغة الروم .

وقال النسفى : لما ذكر الحقيق بالحمد والثناء (أى الله تعالى) وأجرى عليه تلك الصفات العظام (أى الرحمن الرحيم) تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات ، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات ، فقيل اياك يا من هذه صفاته نعبد ونستعين ، لا غيرك ، فقدمت العبادة على الاستعانة ، لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة أقرب الى الاجابة . وأطلقت الاستعانة لتتناول مستعان فيه . ويجوز أن يراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادات ، ويكون قولنا اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة . وتقديم المفعول بقصد الاختصاص والمعنى نخصك بالعبادة وهى أقصى غاية الخضوع والتذلل ، ونخصك بطلب المعونة » .

ثم قال : عدل عن الغيبة (فى قوله الحمد لله) الى التكلم (فى قول اياك نعبد) والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام اذا انتقل من اسلوب الى اسلوب أدخل فى القبول وأحسن تطرية (لدى القارىء) وأحسن تطرية لنشاطه ، وأملا بتلذاذ اصغائه »

أما الاستاذ رشيد رضا فيقول :

ما هى العبادة ؟ يقولون هى الطاعة مع غاية الخضوع ، وما كل عبارة تمثل المعنى تمام التمثيل وتجليه للافهام واضحا لا يقبل التأويل ، فكثيرا ما

يقسرون الشيء ببعض لوازمه ، ويعرفون الحقيقة برسومها ، بل يكتفون أحيانا بالتعريف اللفظي ويبينون الكلمة بما يقرب من معناها ، ومن ذلك هذه العبارة التي شرحوا بها معنى العبادة ، فان فيها اجمالا وتساهلا . واننا اذا تتبعنا آي القرآن واساليب اللغة واستعمال العرب لـ (عبد) وما يماثلها ويقاربها في المعنى - كخضع وخنع واطاع وذل .. نجد أنه لا شيء من هذه الالفاظ ، يضاهي (عبد) ويحل محلها ، ويقع موقعها ولذلك قالو : ان لفظ العباد ، مأخوذ من العبادة ، فتكثر اضافته الى الله تعالى . ولفظ العبيد تكثر اضافته الى غير الله تعالى ، لانه مأخوذ من العبودية بمعنى الرق ، وفرق بين العبادة والعبودية بذلك المعنى ، ومن هنا ، قال بعض العلماء : ان العبادة لا تكون في اللغة الا لله تعالى ، ولكن استعمال القرآن يخالفه .

يغلو العاشق في تعظيم معشوقه ، والخضوع له غلوا كبيرا حتى يفنى هواه ، في هواه ، وتذوب ارادته في ارادته ، ومع ذلك لا يسمى خضوعه هذا عبادة بحقيقة ، ويبالغ كثير من الناس في تعظيم الرؤساء والملوك والامراء ، فترى من خضوعهم لهم وتحريهم مرضاتهم ما لا تراه من المتحنثين القانتين دع سائر العابدين ، ولم يكن العرب يسمون شيئا من هذا الخضوع عبادة فما هي العبادة اذن ؟

تدل الاساليب الصحيحة ، والاستعمال العربي الصراح ، على أن العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية ، ناشىء عن استشعار القلب عظمة للمعبود ، لا يعرف منشأها ، واعتقاده بسلطة له لا يدرك كنهها وماهيتها . وقصارى ما يعرفه منها انها محيطة به ، ولكنها فوق ادراكه ، غني ينتهي الى أقصى الذل لملك من الملوك لا يقال انه عبده ، مادام سبب الذل والخضوع معروفا وهو الخوف من ظلمه المعهود ، أو الرجاء بكرمه المحدود اللهم الا بالنسبة الى الذين يعتقدون أن الملك قوة غيبية سماوية أفيضت على الملوك من الملا الاعلى ، واختارتهم للاستعلاء على سائر أهل الدنيا ، لانهم أطيب الناس عنصرا ، وأكرمهم جوهرا ، وهؤلاء هم الذين انتهى بهم هذا الاعتقاد الى الكفر والالحاد ، فاتخذوا الملوك آلهة وأربابا » .

والاستعانة في طلب المعونة ، وهي ازالة العجز والمساعدة على اتمام العمل الذي يعجز المستعين عن الاستقلال به بنفسه .

وجاء في التفسير الوسيط :

« من أول السورة الى هنا ، كان الاسلوب للغيبة ، ثم تغير هنا الى الخطاب حتى آخر السورة ، وفوق ما يفيده تغير الاسلوب من التنبيه الى موضوع الكلام ، فان فيه اشارة لطيفة الى ترقى الحامد كلما أثنى على ربه ، وأخلص في مناجاته ، فينتقل من مقام الغيبة الى مقام الحضور »

وهذا وتقديم ضمير المفعول اياك في كل من الجملتين للاهتمام مع افادة القصر ، كأنه قيل : اياك يا الله وحدك نعبد ، واياك يا الله دون سواك نستعين ، وفي ذلك اقرار له تعالى بالالوهية والوحدانية . وقدمت جملة (اياك نعبد) على جملة اياك نستعين ، لان المقصود الاولى هو العبادة ، ولما كان فعل الطاعة وتوفير الدواعي الى فعلها لا يتمان الا بمعونة الله وتوفيقه ، فلهذا يطلب العبد الاستعانة بالله عقب تخصيصه بالعبادة اذ أن العبد لا حول له ولا قوة الا بالله .

ثم أن العبادة للمعبود هي الطاعة الخالصة له ، المبنية على حبه ، المؤداة على وجه يشعر بمنتهى الخضوع له ، ولكون العبادة - بهذا المعنى - فلا تكون الا لله وحده . وهي أخص من الطاعة التي تتحقق في مطلق الامتثال ، فكل عبادة طاعة ، وليس كل طاعة عبادة .

وفي الاية سؤال وهو أن مقام العبودية يقتضي التواضع والذلة لله تعالى ، فكان الظاهر أن يقول العبد : اياك أعبد واياك أستعين .

والجواب : ان النون في (نعبد) و (نستعين) ليست للمتكلم المعظم نفسه ، ولكنها للمتكلم ومعه غيره من المؤمنين ، فكلهم يعبد الله ويستعين به وحده ، فهذا اقرار من المصلي ، وشهادة منه بأن هذا هو شأن المؤمنين مع ربهم ، وفي ذلك ادراج لعبادته واستعانته ، ضمن عبادتهم واستعانتهم » .

يجب أن نعرف ، أولا ، أن المسلمين عبدوا ربهم ، كما لم يعبده سبحانه تعالى ، أحد من قبل ، ذلك ان فكرة الالوهية ، عند المسلمين ، بلغت أعلى مراتبها من النقاء ، بعد أن مرت في مراحل من الوثنية عديدة . بدأت أول الامر بعبادة الوثن مباشرة ، ثم بعبادة الوثن المجسد ، ممزوجة بأفكار تجردت عن المادية شيئا فشيئا ، ودارت حول الخير العام ، والدعوة الى التزام مسلك خلقي يتدرج نحو العلو شيئا فشيئا .

وقد بدأ الانسان ، يؤمن باله ، يقيه شر الرياح والرعود ، أو يجلب له المطر ، أو يحفظ له زرعه ، أو قطعان ماشيته ، أو يحمي له أطفاله من المرض والموت . وقد كان هذا الاله ، محدود النفوذ لا يتجاوز القبيلة ، بل أن القبيلة الواحدة كانت تؤمن بعدة آلهة . لكل بطن او فخذ من القبيلة اله خاص به ، قد يكون بينه وبين اله القبيلة شبه في المظهر العام . ولقد حد من نفوذ هذه الالهة ، أن الغرض منها كان تحقيق أغراض القبيلة أو أجزاء من القبيلة تتصل بالحياة اليومية ، من توفير الطعام ، وتكثير الماشية ، وري الارض ، وصيد الاسماك أو الطيور أو الحيوانات . وكان تنافس القبائل على موارد الرزق هذه شديدا ، وكانت المعارك تقع بسببه ، فكان من الصعب أن يكون لهذه القبائل المتنافسة ، اله واحد يظلها جميعا ويحقق لها مصالحها كلها ، فقد كانت مصالح متعارضة لا سبيل الى التوفيق بينها

ولكن كتب الفوز والغلبة لبعض القبائل الكبيرة على ما عداها ، ففرضت على القبائل المغلوبة آلهتها وعبادتها ، وطقوس دينها ، ولم يلبث هذا النصر أن اتبع بنصر آخر حتى دان الاقليم كله لسلطان قبيلة واحدة ، ولاله هذه القبيلة وعقيدتها ومراسم دينها وعرف الاله الواحد للمنطقة ، ثم اتسع سلطان هذه القبيلة بعد أن استحالت الى دولة ، فانتقلت ثقافتها ، ومنها فلسفتها الدينية وآلهتها الى الدول المغلوبة ، فعرف الناس لاول مرة ، وبسبب سياسي وعسكري بحت ، الاله الذي يظل بظله شعوبا اختلفت عاداتها وثقافاتها ، وجنسها ولغاتها . ولكن النعرات الاقليمية حالت دون استتاب الامر للملك المنتصر ، في الاقاليم التي لا ينتمي اليها بجنسه ولغته ، فرأى احتراما واتقاء للاثار السيئة الناجمة عن العصبيات الاقليمية أن يرفع نفسه الى مرتبة الاله فلا يعود منتسبا الى اقليم ولا الى جنس ، وقد حدث شيء من هذا عندما انتصر الوجه القبلي على الوجه البحري ، في مصر فأصبح ملك مصر ، الها حتى لا يتأذ شعور الوجه البحري بخضوعه لملك من الوجه القبلي . وفي أكثر الحالات كان الاله ، لا يفرض سلطاته على قلوب وعقول أتباعه ، الا بمراسم تقذف الخوف في قلوب رعاياه أنفسهم ، وتحملهم على تقديم القرابين البشرية له وفي بعض الاحيان كانت هذه القرابين البشرية أطفالا صغارا يسيل دمهم على المذبح ، وفي البعض الاخر كان الاله لا يهدأ غضبه الا اذا نذرت الغواني الحسان انفسهن له ، فيعشن في المعبد ، لخدمة الكاهن الاكبر ، ولاعوان الكاهن ، ثم اذا تقدم بهن السن قليلا ، رحن يمارسن البغاء في المعبد وما حوله من الابنية على أن يؤدى لخزانة الاله ، الرسوم التي تدفع لممارسة هذه الرذيلة . وكان الاله ، يعد أتباعه بالنصر اذا ما دفعوا له الضرائب ، وقدموا الاتاوات ، ولا يغير في الامر أن تكون حروبهم لسحق الاعداء الذين لم يفعلوا شيئا يستحقون معه السحق والبطش بهم الا أنهم لا يؤمنون بدين الاله ، وان أرضهم غنية ، وأنهم بلاد أرقى من بلاد الاله في سلم الحضارة والمعرفة . واذا ضعف نفوذ الملك قليلا هبط من مرتبة الاله الى مرتبة ابن الاله ثم الى مرتبة مختار الاله ، ثم الحاكم باسمه فاذا ضعف كثيرا تولى الكاهن الاعظم الملك ، وساد الارهاب الديني في البلاد .

وقد بقي من كل هذه الاثار حتى في الديانات السماوية ، حينما نسخ أهلوها الكتب المنزلة ، وحرفوها ، وحينما علا شأن الكهان والاحبار ، فأصبحوا هم سادة البلاد في ميادين الحرب والسياسة ، والفكر والثقافة ، والمال والاقتصاد ، فاستأثروا بالعلم ، وحالوا بين الشعب وبين قراءة الكتب المقدسة وفهم ما فيها ، وملاوا القلوب خوفا منهم ، بمحاكمهم المحوطة بالغموض والظلام ، وأحكامهم الرهيبة التي تتسم بالقسوة والعنف .

فاله العبرانيين يعدهم بأن يأخذوا أراضي الغير ، ويحرضهم على سرقة الشعوب ، وسلب مواشيها ، وأسر رجالها وشبابها أو قتلهم والتمثيل بهم ، واستحياء النساء ، والاحبار ، والرهبان ، يستغلون مسوحهم ، فيحرمون على أتباعهم قراءة الكتاب المقدس ، ويقيمون المحاكم لمطاردة خصومهم وأحرار الفكر ، والعلماء ، ثم يثيرون العامة ، ليعلنوا حروبا يزعمون أنها مقدسة ، وهي حروب سلب ونهب ، وهتك للاعراض ، لم تتحرج من الهجوم على ممتلكات دول مسيحية ، وتقتيل أبنائها ، وتدمير كنائسها وسلب نفائسها في طريقها الى بيت المقدس ، ثم ادارة حروب للابادة ، ونحن ندع لباندیت نهرو يصف هذه الحروب في كتابه لمحات من تاريخ البشرية) :

« لقد طغى الحماس على كثير من الاوربيين فتركوا أوطانهم وممتلكاتهم وساروا الى الشرق معتقدين انهم ماضون الى هدف نبيل ، بعد أن أقنعهم البابا بان ذهابهم هذا يكتب لهم الغفران ، ويمحو الخطايا والذنوب ، غير أن هناك سببا آخر للحملات الصليبية ، وهي أن بابا (روما) أراد اخضاع القسطنطينية لان كنيستها كانت أرثوذكسية ومستقلة عن كنيسة روما ، ولا تعترف بالبابا بل تدعوه محدث نعمة .

« وقد ولد هذا الموقف حقد البابا على القسطنطينية وصمم على اخضاعها ، ووضعها تحت نفوذه ، ولم يجد البابا ما يتذرع به خيرا من اقامة حرب صليبية والادعاء بمقاتلة الكفار ، وهذا المثل هو أحد الامثلة على دهاء السياسيين واساليبهم المعوجة ، عليك أن تتذكر هذا التنافس بين روما والقسطنطينية لانه برز في مناسبات عديدة ابان الحروب الصليبية » .

ثم قال :

يشهد التاريخ ان كثيرا من رجالات الحملات الصليبية قد ارتكبوا أبشع الجرائم وأشنعها ، وشغلوا باجرامهم حتى أنهم لم يصلوا الى بيت المقدس ، وقد انشغل البعض بقتل اليهود في طريقهم أو ذبح اخوانهم المسيحيين . وقد أثار نقمة المسيحيين في البلدان التي كانوا يمرون بها مما جعل هؤلاء يهبون لقتل الصليبيين الغزاة وطردهم ، وأخيرا وصل الصليبيون الى القدس بقيادة جودفرى النورماندى بعد سبعين سنة من الاحتلال فاستولى على المدينة وأقام فيها مذبحة استمرت أسبوعا ،وقد وصف هذه المذبحة شاهد عيان فرنسي بقوله : وصل الدم الى رواق المسجد ، والى الركب ، والى سروج الخيل » .

فلما جاء الاسلام ، يدعو الناس ، الى الايمان باله واحد ، لا شريك له ، ولم يتخذ له صاحبا وليس له ولد ، كانت دعوته وصولا بفكرة الالوهية ، الى أقصى مراقيها وأصفاها ، وأنقاها من شوائب الوثنية القديمة والوثنية التي تسللت الى عقائد وأسلوب تفكير بعض أهل الكتاب ، ومن رواسب الفكر البدائي ، فعلا الله سبحانه وتعالى في عقيدة الاسلام عن الزمان والمكان ، وعن عصبية الجنس واللون ، وعن التحيز لامة أو لجماعة أو لطائفة ، وتنزه عن

الشكل والمادة ، فهو رب العالمين ، ورب السموات والارض ، وما بينهما ، ورب المسلمين واليهود والمسيحيين ، والصائبين ، بل هو رب المشركين والكفار ، والابرار والفجار ، هو رب الصالحين والابرار ، والقديسين والشهداء ، والمتقين والعلماء ، هو رب كل شيء ، ما نعرفه وما لا نعرفه ، وما نراه وما لا نراه ، ثم هو عز وعلا ليس كمثله شيء يدرك الابصار ولا تدركه الابصار منح الناس السمع والابصار والافئدة ، ثم لا تحيط به العقول ، ولا الافهام .

فأصبحت العبادة ، فى ظل القرآن وبفضل الاسلام ، شيئا يختلف طبيعة وأسلوبا ، وغاية ومنهجا ، عن العبادة قبله .

فعبادة المسلمين لربهم ، وان كانت طاعة كاملة له ، الا أنها طاعة لاتقوم على اشعار العابد المؤمن بضعفه ، بل تشعره بقوته بالله « **لا قوة الا بالله** » .

فالايمان بالله يبعث فى قلوب المؤمنين ، شعورا بالطمأنينة ، والطمأنينة تملاهم قوة ، وتزيدهم ايمانا « **هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم** » « **الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا** » .

ولان الدين ، طمأنينة وثقة وسكينة ، وليس فزعا وخوفا ، وخضوعا مبعثه الرهبة واتقاء غضب الله وبطشه بعباده ، كانت الرحمة عنوان هذا الدين ، فالله تعالى ، من بين أسمائه الحسنى العديدة ، هو الرحمن الرحيم ، فى أول سورة من سور القرآن وفى مفتتح كل سورة من سوره الاربعة عشر ومائة سورة . ونبى هذا الدين يخاطبه تعالى بقوله : « **يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا** » ، « **وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا** » .

وقد وصف الله عز وعلا ، ذاته بأنه (**القاهر فوق عباده**) فى سورة واحدة ، فى حين أن اسم الرحمن جاء فى القرآن سبعا وخمسين مرة ، واسم الرحيم جاء مائة مرة ومرة . كذلك وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبشير النذير أربعة عشر مرة ولم يوصف بالنذير البشير الا مرتين ، وتمتلىء سور القرآن الكريم ، بالبشريات تزف الى المؤمنين والمحسنين والمخبتين والمتقين والصابرين .

ولما كان الاسلام قد جاء لينسخ العبادات القائمة على القهر والخوف ، وعلى جعل الايمان بالدين أو الله ، نوعا من العبودية الشبيه بالرق ، لا بالفقه بالاله ، والاطمئنان له ، واستمداد القوة منه ، فقد جعل الاسلام من خصائص المؤمنين ، والنعم التى أنعم الله بها عليهم ، هى تحررهم من آفتين من أكبر آفات النفس الانسانية وهما آفة الحزن ، وآفة الخوف .

« **من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » **فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** . « **الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » « **ياعبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون** » « **أن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » .

ولذلك جاء بعد « اياك نعبد » مباشرة « واياك نستعين » ذلك ليثبت فى الذهن ، والقلب معا ، ان عبادة المسلمين لربهم ، مؤداها المباشر ، ظفرهم بقوة تعينهم ، وتنفى عنهم الضعف ، بل وتمنحهم القوة ، اذ تفتح لهم سبيلا ، ينجون منه من الغضب ، ويظفرون بمكانة المنعم عليهم .

والحق انه ليس ثمة سبيل لمعالجة النفس الانسانية ، وحمايتها من كل أمراضها ، وبعث القوة فيها ، الا شعورها بأنها فى هذا الكون الفسيح ، مشمولة برعاية قوة ، هى قوة أقوى الاقوياء ، وقوة باعث الحياة ، وخالق الموت ، وصانع الكون الذى نعرفه ، أو نعرف بعضه ، بل والاكوان الاخرى ، التى لا علم لنا بها والتى نجاهد فى أن نلم بشىء فيما يجرى فيها ، أو يصدر عنها .

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد ارتضى لنا أسلوب للتوجه اليه ، هو اسلوب المتكلم « **أياك نعبد ، وأياك نستعين** » ، فاغلب الظن ، أن حكمته قضت بفرض هذا الاسلوب الذى يشعر الانسان بانه يخاطب من يستمع ، ويستعين بمن يمنح العون ، ويثبت الذين آمنوا ، ويحميهم ، ويهديهم خير السبل . وقد قال عن ذاته ، عز وعلا ، على لسان نبيه المرسل ، فى كتابه المنزل « **واذا سألك عبادى عنى ، فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان** » ، فهذا القرب الذى تعبر عنه عبارتا « **اياك نعبد** » واياك نستعين » هو الغاية من تقديم الضمير ، أى المفعول على الفعل ، لان الاسلام يقوم على أحداث هذه الصلة الحميمة بين العبد والرب ، وتأكيدها .

ولقد توالت الايات ، لتؤكد هذه الصلة ، ولتبعث فيها الحياة ، وتجدد فيها القوة فالله سبحانه وتعالى « يشرك المؤمنين فى عزته » اذ يقول سبحانه وتعالى : « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** » المنافقون .

بل انه يسلك شهادته سبحانه وتعالى لذاته بانه لا اله الا هو ، وشهادة الملائكة ، وأصحاب العلم من البشر فى سياق واحد اذ يقول عز وعلا : **شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط** .

ولعمرى انه ليس ثمة تكريم للانسان ، اعلى من هذا التكريم ، وليس ثمة تعبير عن هذا التكريم ، أبلغ من هاتين الايتين الكريمتين . وبذلك سقطت جميع الحواجز الضعيفة ، التى حققها أحبار وكهان الاديان الوثنية ورهبان وكهان الاديان السماوية التى حرفت كتبها ، وشوهت أحكامها لاغراض الدنيا ، وان بقيت أصولها نقية وكريمة وسامية .

ولذلك لم يكن عجيبا ، بعد كل هذه الاصول التى

أرساها الاسلام ، ان يعقد الله تعالى مع عبادة المؤمنين العقود ، او أن يدعوهم الى التعاقد والتعاهد معه « **من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له** » (البقرة والحديد والمزمل والمائدة والتغابن)

ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة (التوبة)

مر بنا أن العبادة فى الاسلام ، هى غاية الطاعة والاذعان لله ، وقد أضاف بعض المفسرين ، لفظ التذلل له تعالى . وقلنا ان الاسلام والقرآن بريئان من كل شىء يؤدى الى اشعار الانسان بضعفه ، أو خنوعه ، وان كان الانسان ضعيفا حقا ، أمام خالقه ، الا ان هذا الخالق العظيم ، أنزل كتابه ، وأرسل رسوله ، ليشعر عباده بانهم أقوياء به ، وان عبادتهم ، وانقيادهم له ، يؤنسهم فى هذا الكون الرحيب الرهيب ، ويشعرهم بأن لهم سندا ، يرد عنهم العوادى ، ويطمئنهم عند حلول المخاوف ، ويسرى عنهم ، ويقربهم ، ويجدد أملهم ، عند حلول النوازل .

ولكن هل صحيح أن العبادة ، هى مجرد الطاعة الكاملة ، أم أن هناك عنصرا يسبق الطاعة ، ويؤدى اليها ، وبغيره تصبح هذه الطاعة ، لونا من انقياد افراد القطيع ، لا يفكرون ، ولا يدرون من أمرهم شيئا ، ولا يعرفون فيم السير ، ولاى غرض يتحركون .

ان العبادة ، هى أولا ، وقبل كل شىء ، التعرف على الله سبحانه وتعالى . ولما كان الله ، لايبدو لنا ، جل وعلا ، ولا نملك النظر اليه ، ولا التحدث معه ، وانما نرى آثاره البديعة فى صنع هذا الكون ، والاكوان التى نعرف وجودها ، استنتاجا وبالبرهان العقلى ، دون ان نراها بحواسنا القاصرة .

والتأمل والتدبر والتفكير وأعمال القلوب ، والافئدة ، والجوارح ، هى واجب المسلم الاول ، ليظفر بقبس من نور ، يلمح فى ضوئه ما يستطيع عقله أن يحصله من عظمة الله ، ودقة صنعه ، وثبات قوانينه ، وأحكام سنته . وقد بدأ القرآن ، يصف للمسلمين فى قصار السور الله سبحانه وتعالى ، ويدعونا الى التأمل فى صنائعه وآثاره . فهو ينتقل بالانسان من أن الله هو : « **ملك الناس اله الناس** » الى انه أحد « **لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد** » الى أنه هو الذى « **أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف** » . ثم عرض على المسلمين العديد من ظواهر الطبيعة التى يمرون بها ، وقد لا يفكرون فيها فأقسم لهم بـ « **والضحى والليل اذا سجى** » و « **والليل اذا يغشى ، والنهار اذا تجلى** » « **والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها ، والنهار اذا جلاها ، والليل اذا يغشاها** » ثم بـ « **والفجر** » و بـ « **والليل اذا يسر** » ثم دعاهم الى التأمل فى خلق الانسان « **الم نجعل له عينين ، ولسانا وشفتين ، وهديناه النجدين** » ثم الى التأمل فى محيطهم « **افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ؟ والى الجبال كيف نصبت ، والى الارض كيف سطحت** » . واستمر القرآن يقرع ذهن البدوى الذى كان قليل الحظ من العلم ، والى القرشى ، الذى كان قليل الحظ من التأمل والتفكير ، لان الله واتاه بالمال والمكانة والسيادة ، واستمر يعرض على عقولهم وقلوبهم صورا تأخذ بمجامع القلب ، عن البحار وظلماتها ، والسماء وبروقها ورعودها ، والنبات اذ ينبت ، والزهر اذ يينع ، والامطار اذ تنهمر ، وعيون الماء اذ تنبثق ، وهكذا وهكذا . حتى عرف الانسان هذا التصور والتفكر ، فتنبهت نفسه النائمة ، وتحرك عقله الساكن ، وجاشت عاطفته الخامدة ، وأصبح أهلا لعقيدة عظيمة لعقيدة ان لا اله الا الله ، وادرك العربى ، فى صحراء الجزيرة وفيافيها ، الضارب فى مجاهل بواديها ونواحيها ، أنه شىء يعتد به ، وانه قادر أن يكون سيد هذه الارض ، لو أدرك ماذا يعنى القرآن بقوله ان الله سخر له البحار والانهار ، والسموات والارض ، والفلك الذى تجرى بأمره والسحاب المتنقل فى الاجواء والنجوم التى ازدانت بها القبة الزرقاء .

وانتقل القرآن بالانسان بعد ذلك الى طور آخر ، كان من أكبر اطوار الحضارة الانسانية ، هو اقناع الانسان بأن الكون الذى يعيش فيه ، مسخر له فعلا لا قولا . سمع الانسان فى القرآن : وسخر لكم الفلك ، لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الانهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار (ابراهيم) وسمع أيضا : سخر لكم الليل والنهار ، والشمس والقمر [النحل] وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا (النحل) الم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض . الحج .

فبعد الدعوة الى التأمل والتدبر « أفلا يتدبرون ، أفلا يعقلون ، أفلا يبصرون » أصبح الانسان مستعدا لان يدرك معنى أن هذه الافلاك ، والكائنات ، مسخرة له ، لان القرآن علمه ، أن لله فى هذا الكون سنة اى نظاما ، أو قانونا ، وانه قانون ثابت « **ولن تجد لسنة الله تبديلا** » فأخذ يبحث عن هذه السنن ، فلما بدأ يبحث ، كانت هذه البداية ، هى طليعة البحث العلمى الحديث ، القائم على تجميع مفردات المعلومات ، واستنباط القواعد الكلية منها ، وقد تتلمذت مدارس البحث فى اوروبا ، على العرب فى جنوب اوروبا وفى الاندلس ، فكانت النهضة الحديثة .

فعبادة المسلمين لربهم ، طاعة ، قائمة على المعرفة ، والاعجاب ، بما فى هذا الكون من بدائع الصنع ، ومن أحكام القوانين ، التى تتبدى فى الكائنات الكبيرة كالشمس والسماء والبحار والمحيطات ، وفى الكائنات الصغيرة كالنمل والنحل ، والنبتة تشق سطح الارض ، وقطرة الماء ، تقف على كأس الزهرة ، فتحييها وتزينها وتزيدها جمالا .

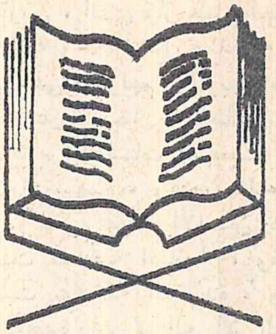

القرآن آية النبى ومعجزته

لكل نبى آية ومعجزة يدعو بها الناس الى الله ، وهذه الايات تختلف باختلاف العصور واختلاف طبائع الناس فبعض الناس لهم نظرة مادية صرف ، وبعض الناس زودهم الله تعالى بزاد طيب من العاطفة والفكر والنضج العقلى والتطلع الى المثل العليا .

وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى آيات الانبياء فى حديث مسلم الذى يقول فيه : « ما من الانبياء من نبى الا أوتى من الايات ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الى ، فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » .

فضيلة الشيخ
أحمد حسن الباقورى

فالمسلم حين يقرأ القرآن يجد فيه موسى وآيته العصى وانقلابها حية ويجد فيه عيسى وآيته ابراء الاكمة والابرص والاخبار بالمغيبات وما الى ذلك من وجوه الاعجاز ، ويجد فيه محمدا النبى العربى وآيته القرآن العظيم .

وأنت تقرأ فى القرآن ما يتعلق بآية موسى ، وما يتعلق بآية عيسى ، وما يتعلق بآية محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

فأما ما يتعلق بآية موسى ومعجزته فذلك الحوار الذى قصه علينا القرآن فى آيات كثيرة لا يحصيها هذا المقال .

وأما ما يتعلق بآية عيسى ومعجزته فذلك الحوار الذى قصه علينا القرآن فى آيات لا يتسع لها أيضا هذا المقال .

وأما ما يتعلق بآية محمد فكل موطن فى القرآن ذكر فيه القرآن خاصة قوله تعالى من سورة البقرة « **وان كنتم فى ريب** » ، وقوله تعالى من سورة هود « **فأتوا بعشر سور مثله مفتريات** » ، وقوله تعالى من سورة الاسراء « **قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن .. الايات** » .

غير أن ها هنا مواقف ينبغى التلفت اليها :

أولا : أن الايات التى أجراها الله على أيدى أنبيائه تتناسب مع الصورة التى كانت عليها حياة الناس فى تلك العهود وما كان يجرى فيها من ظواهر وأحداث ، فآية موسى كانت متناسقة غاية التناسق مع البراعة فى السحر والتقدم فيه ابان عهود الضعف وفشو الشعوذة والسحر بين قدماء المصريين .

وآية عيسى كانت متناسقة تماما مع التقدم والبراعة فى علوم الطب فأجرى الله تعالى على يد نبيه عيسى ما لا عهد للطب به ولا قدرة له عليه ، كما كان قد أجرى على يد موسى من قبل ما لا عهد للسحر به ولا قدرة له عليه .

وكذلك أجرى الله تعالى على يد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ما لا عهد للفصاحة العربية به ولا قدرة للعرب عليه ، وهم أهل الفصاحة والبلاغة والبيان وهم أحق الناس بأن يكونوا موضع المنة الالهية فى قوله تعالى « **الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان** »

ثانيا : أن القرآن استعمل فى هذا الموطن الاية دون المعجزة وكأن الحق تبارك وتعالى يقول للناس ان فضل الله على البشرية بهدايتها الى الحق والخير والصلاح على يد الانبياء والرسل ، هو من الامور التى لا تحتاج الى أكثر من علامة يهتدى بها طالب الحق دون أن يحتاج الى ما يعجزه ويتحداه فذلك هو وجه ايثار التعبير بالاية على التعبير بالمعجزة فى

أسلوب القرآن العظيم ، وان كان بعض العرب قد سألوا محمدا عبد الله ورسوله أن يأتيهم بآيات لا تتناسب مع حياتهم الاجتماعية والعقلية وهم فى هذا الطلب متعنتون مقلدون ولذلك لم يجبهم القرآن الى شىء مما طلبوا ، على ما أشار الى ذلك قول الله تعالى فى سورة الاسراء « **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا** » الى قوله تعالى « **هل كنت الا بشرا رسولا** » .

ثالثا : لاشك أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم آيات على نبوته سوى القرآن لا يحصيها العد ، منها ما روى عن جابر أنه غزى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله قفل معهم فادركتهم القافلة فى واد كثير العضاة « والعضاة » الشجر الذى له شوك » والسمرة « الشجرة العظيمة من العضاة » فنزل رسول الله وتفرق الناس يستظلون بالشجر ونزل رسول الله تحت سمرة فعلق بها سيفه ، ونمنا نومة فاذا رسول الله يدعونا واذا عنده أعرابى . فقال : ان هذا اخترط على سيفى وأنا نائم فاستيقظت وهو فى يده مسلولا ، قال من يمنعك منى قلت الله .

قال جابر - فى رواية أخرى كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع ، فأتينا على شجرة ظليلة فتركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله معلق بالشجرة فاخترطه : فقال : تخافنى فقال النبى : لا . فقال المشرك فمن يمنعك منى : فقال النبى : يمنعنى الله فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله فقال : من يمنعك منى . فقال المشرك : كن خير آخذ . فقال النبى : تشهد الا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . فقال المشرك « لا » ، ولكن أعاهدك أننى لا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى رسول الله سبيله فاتى الرجل أصحابه يقول لهم جئتكم من عند خير الناس يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا ريب أن هذا المشرك العربى وفى بعهده فلم يقاتل محمدا صلى الله عليه وسلم ولم يكن مع قوم قاتلوه .

ومن تلكم الكرامات ما تضمنته وفادة عامر بن صعصعة ، وخبر عامر بن الطفيل وأربد بن قيس :

وذلك ما تضمنه قول محمد بن سعد من أن عامر بن الطفيل قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عامر : يا محمد مالى أن أسلمت ، قال : لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم . قال : تجعل لى الامر من بعدك قال : ليس ذلك لك ولا لقومك قال : أفتجعل لى الوبر ولك المدر « الوبر أهل البوادى لان بيوتهم يتخذونها منه والمدر أهل المدن لان مبانيها من المدر وهو قطع الطين اليابس » . قال النبى : لا ، ولكن أجعل لك أعنة الخيل . فانك امرؤ فارس . قال ابن الطفيل . أو ليست لى أعنة الخيل . لاملأنها عليك خيلا ورجالا . ثم انصرف موليا مع رفيقه أربد بن قيس فدعى النبى ربه اللهم اكفنيهما ، اللهم واهد بنى عامر وأغن الاسلام عن عامر يعنى ابن الطفيل .

وقد كان عامر بن الطفيل يريد الغدر برسول الله حين قدم عليه مع أن قومه قالوا له : يا عامر ان الناس قد أسلموا فأسلم . فقال عامر : والله لقد كنت آليت ألا أنتهى حتى تتبع العرب عقبى ، فهل أنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش ؟ ، ثم قال لاربد بن قيس : اذا قدمنا على الرجل فانى سأشغل عنك وجهه فاذا فعلت ذلك فاضربه أنت بالسيف : فلما قدموا على رسول الله : قال عامر : يا محمد خالنى « بتشديد اللام » وفى رواية « خالنى » بتخفيفها . والمعنى على الاول من المخالة ، وهى الصداقة ، والمعنى على الثانى تفرد لى خاليا حتى أتحدث معك ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : لا والله حتى تؤمن بالله وحده . فجعل عامر يكرر قوله خالنى او خالنى ، ورسول الله يقول له لا والله حتى تؤمن بالله وحده .

يقول ابن عباس رضى الله عنهما : أقبل عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة يريدان رسول الله وهو بالمسجد جالس فى نفر من أصحابه فاستشرف الناس لجمال عامر . فقال رجل من أصحاب النبى : يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك . فقال النبى : دعه فان يرد الله به خيرا يهده فأقبل حتى قام عليه ، فقال : يا محمد مالى أن أسلمت ؟ فقال : لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم . ، قال : تجعل لى الامر بعدك . قال النبى ليس ذلك الى انما هو الى الله عز وجل . يجعله حيث يشاء . قال تجعلنى على الوبر ؟ وأنت على المدر ؟ قال : لا ، قال فماذا تجعل لى ؟ قال : أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها قال : أو ليس ذلك لى اليوم ؟ قم معى أكلمك . وكان أوصى الى أربد ابن ربيعة قائلا له : اذا رأيتنى اكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل عامر يخاصم رسول الله ويراجعه فدار اربد خلف النبى فاخترط من سيفه شبرا . ثم حبسه الله عز وجل عنه (٥) .

فهذه كرامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى أمثال لها كثيرة (٥) .

غير أن الذين يتجاوزون النظر الى الكرامات والمعجزات التى أجراها الله على يد نبيه فى دائرة الحس ، الى النظر فى الكرامات والمعجزات التى أجراها الله على يد نبيه صلى الله عليه وسلم فى دائرة المعانى الكبيرة والمثل العليا ، يرون دعوة الامم الى المساواة ، والى فضل العمل والى كرامة القومية دون مساءة الى قوم أقوى دلالة على فضله وأبين جلالا فى دعوته وهو صلى الله عليه وسلم خلاصة من خلاصة من خلاصة ، يعرفها أهله ، ولا يدعى المترون فيها شرفا أجدر بالفخار من شرفه . ثم هو سليل عبد المطلب سيد بيته ، نبى أمته ، أشرف من يتعصب له من شاء أن يتعصب ، وان ينتسب اليه من

البقية ص ١١٦

أيهما الذبيح

اسماعيل أم اسحاق ؟!

أى الاخوين كان الذبيح المفدى اسماعيل أم اسحاق ؟

لقد اختلف الدارسون الى فريقين : فريق ذهب الى أنه اسماعيل ، وفريق ذهب الى أنه اسحاق ، وساق كل من الفريقين أدلة وأسانيد اعتمد عليها . أما اليهود فقد كان من البديهى أن يؤكدوا أن اسحاق هو الذبيح المفدى ، لانه جدهم الذى ينتسبون اليه ، على حين أن اسماعيل جد العرب الذى يرجع نسبهم اليه .

الدكتور أحمد الحوفى

فهل من المستطاع دراسة هذا الموضوع دراسة محايدة منصفة تكشف عن وجه الحق ، فتعين اسم الذبيح المفدى تعيينا لا يحتمل مماراة ؟ ان هذه الدراسة تقتضينا كثيرا من الاناة والصبر والنزاهة والتدبر ، لنساير قصة ابراهيم عليه السلام ، ولنستشهد بالقرآن الكريم ، ونستأنس بما جاء فى التوراة ، وفى غضون هذا نستنبط الحقائق واحدة واحدة ، ثم نضم بعضها الى بعض لتتضح النتيجة التى يفضى اليها البحث . وبعد هذا نعقب بمناقشة الاراء التى تعارض هذه النتيجة .

(أولا)

أنجى الله تعالى ابراهيم عليه السلام من النار التى القاه فيها قومه ، فهاجر من بلده ، ثم دعا الله أن يهب له ولدا صالحا يسعد به ، ويأنس اليه ، ويعوضه عن وطنه الذى فارقه ، فاستجاب الله دعاءه ، وبشره بغلام يتصف بالحلم فى كبره .

ثم جاء هذا الغلام وكبر ، فرأى ابراهيم فى منامه — ورؤيا الانبياء نوع من الوحى — أنه يذبح ابنه هذا ، فأخبر ابنه بما رأى ، فخضع الابن صابرا ، وأطاع ربه وأباه راضيا ، ولكن ابراهيم ما كاد يهم بذبح ابنه حتى ناداه الله تعالى أنه قد حقق ما أوحى به اليه ، وساق نحوه فداء عظيما ليذبحه ، وأثنى سبحانه وتعالى على ابراهيم ، ووعده أن يبقى ذكره الطيب أبد الدهر .

قال تعالى : « قالوا : ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم . فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين . وقال : انى ذاهب الى ربى سيهدين . رب هب لى من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه

السعى قال : يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك ، فانظر ماذا ترى ؟ قال : يا أبت افعل ما تؤمر ، ستجدنى ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ، انا كذلك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم . وتركنا عليه فى الاخرين . سلام على ابراهيم . كذلك نجزى المحسنين . انه من عبادنا المؤمنين »

لكن اسم الغلام الذبيح لم يرد فى هذه الايات ، فلننظر ما بعدها ، لنجد أن ابراهيم قد بشره الله تعالى بعد هذا الحدث بوليد ثان هو اسحاق وقرن البشارة به بأنه سيكون نبيا فيما بعد ، وسيكون له ولد اسمه يعقوب ، قال تعالى : « وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين . وباركنا عليه وعلى اسحاق ، ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين » .

فمن الابن الاول ؟

ان سياق الايات يدل على انه غير اسحاق .

ذلك لان الذبيح لو كان اسحاق لورد اسمه بعد البشارة الاولى مباشرة ، أو لاكتفت البشارة التالية بعودة الضمير اليه ، لانها جاءت بعد الفداء ، والضمير حينئذ يعود الى المفدى .

هذا الى أن البشرى باسحاق اقترنت بأنه سيكون نبيا من الصالحين ، وستكون له ذرية بعضها محسن وبعضها ظالم لنفسه ، فكيف يأمره الله تعالى بذبحه وهو غلام لم يصر نبيا ، ولم يتزوج ، ولم تكن له ذريه ؟ ان الامر بذبحه يناقض الوعد الالهى الكريم .

واذن فقد اتضح أن الذبيح المذكور فى الايات غير اسحاق . فمن هو ؟

(ثانيا)

لقد ولد لابراهيم عليه السلام ولد قبل اسحاق بثلاثة عشر عاما ونيف هو اسماعيل .

والدليل على هذا من القرآن الكريم ومن التوراة .

١ ـ أما القرآن الكريم فقد ذكر اسماعيل مقدما على اسحاق فى ست آيات :

قال تعالى : « أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه : ما تعبدون من بعدى ؟ قالوا : نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ، ونحن له مسلمون »

وقال سبحانه : « قولوا آمنا بالله ، وما أنزل الينا ، وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون »

وقال تعالى : « أم تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى ، قل : أأنتم أعلم أم الله ؟ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ، وما الله بغافل عما تعملون » (١) .

وقال سبحانه : « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ، وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »

وقال سبحانه وتعالى : « انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا »

وقال جل وعلا على لسان ابراهيم : « الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ، ان ربى لسميع الدعاء »

لا يشك من يقرأ هذه الايات الست وبخاصة الاية الاخيرة فى أن اسماعيل أسبق مولدا من اسحاق .

ولم يرد اسم اسحاق وحده الا فى آيتين تتصلان بقصة يوسف عليه السلام ، ولم يذكر اسماعيل فيهما . لان الحديث مقصور على نسل اسحاق ، قال تعالى فى حديث يعقوب لابنه يوسف : « وكذلك يجتبيك ربك ، ويعلمك من تأويل الاحاديث ، ويتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحاق ، ان ربك عليم حكيم » .

وقال سبحانه على لسان يوسف : « واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ، ولكن اكثر الناس لا يشكرون »

٢ ـ يتضح لمن يتعقب هجرة ابراهيم عليه السلام انه هاجر من العراق الى أور الكلدانيين [مدينة كانت قرب الشاطىء الغربى للفرات) ثم الى حاران ثم الى فلسطين ومعه زوجته سارة وابن أخيه لوط ومع لوط زوجته كما قال تعالى « فآمن له لوط وقال : انى مهاجر الى ربى ، انه هو العزيز الحكيم » . ثم رحل ابراهيم الى مصر ، ثم رجع الى فلسطين ، وأقام فى أرض كنعان ، وأقام لوط فى دائرة الاردن ، ونقل خيامه الى سدوم

---

[١] سورة البقرة ١٤٠ ـ انكرت عليهم الاية نسبة اليهودية او النصرانية الى هؤلاء الانبياء ولن تكون اليهودية ولا النصرانية قد جاءت بل ان ابراهيم وهؤلاء الانبياء كانوا مسلمين لله [اى خاضعين لاحكامه كما جاء فى قوله تعالى [ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما [سورة آل عمران ٦٧] والذين يزعمون ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا ظالمون اشد الظلم لانهم يكتمون شهادة الله ان ابراهيم كان حنيفا مسلما].

الى هذا الوقت لم يكن لابراهيم ولد ، لكن زوجته سارة اشارت عليه أن يدخل بجاريتها هاجر ، عسى أن يرزقه الله منها بولد ، ففعل ما أشارت به ، وحملت هاجر ، وولدت اسماعيل . وحينما نتدبر التبشير بمولد اسحاق نجده قد جاء بعد ان تم حدث الذبح والفداء ، فى سياق اخبار الملائكة لابراهيم بتدمير مساكن قوم لوط . لانه لما علم أنهم قادمون لاهلاك قوم لوط وتدمير مساكنهم أشفق عليهم ، وجعل يجادلهم فى شانهم ، ويسترحم الله لهم ، وفى هذا اللقاء أراد الله سبحانه وتعالى أن يسرى عنه ، فبشرته الملائكة بغلام عليم ، فعجب من أن يولد له ولد وهو شيخ كبير السن وامرأته عجوز لم تحمل من قبل ، وكانت زوجته سارة تسمع بشرى الملائكة لابراهيم ، فضحكت من بشارتهم ، وقالت كيف ألد وأنا عجوز وبعلى شيخ لا فردت عليها الملائكة بأن قدرة الله لا يعجزها شيء .

قال تعالى : « **ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى ، قالوا : سلاما ، قال : سلام ، فما لبث أن جاء بعجل حنيذ ، فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم ، وأوجس منهم خيفة ، قالوا : لا تخف ، انا أرسلنا الى قوم لوط ، وامرأته قائمة فضحكت ، فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب ، قالت : يا ويلتا أألد وأنا عجوز ، وهذا بعلى شيخا ؟ ان هذا لشيء عجيب ، قالوا : أتعجبين من أمر الله ؟ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ، انه حميد مجيد ، فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط ان ابراهيم لحليم أواه منيب ، يا ابراهيم أعرض عن هذا ، انه قد جاء أمر ربك ، وانهم آتيهم عذاب غير مردود** » (١) .

وجاء فى آيات أخرى أن البشارة باسحاق حدثت قبل ان يعلم الملائكة ابراهيم بأنهم قادمون لاهلاك قوم لوط . قال تعالى : « **ونبئهم عن ضيف ابراهيم ، اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما ، قال : انا منكم وجلون ، قالوا : لا توجل ، انا نبشرك بغلام عليم ، قال : أبشرتمونى على أن مسنى الكبر ، فبم تبشرون ؟ قالوا : بشرناك بالحق ، فلا تكن من القانطين ، قال : ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ؟ قال : فما خطبكم أيها المرسلون ؟ قالوا : انا أرسلنا الى قوم مجرمين ، الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين** »

كذلك جاءت البشرى باسحاق قبل علم ابراهيم باهلاك قوم لوط فى قوله سبحانه وتعالى : « **هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين ، اذ دخلوا عليه فقالوا : سلاما ، قال : سلام قوم منكرون ، فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين ، فقربه اليهم ، قال : ألا تأكلون ؟ فأوجس منهم خيفة ، قالوا : لا تخف ، وبشروه بغلام عليم ، فأقبلت امرأته فى صرة ، فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم ، قالوا : كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم ، قال : فما خطبكم أيها المرسلون ؟ قالوا : انا أرسلنا الى قوم مجرمين ، لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين** »

واذن فقد كان اسماعيل وليدا قبل اهلاك قوم لوط ، وكان وحيد أبيه فى هذه الفترة ، فلما قدمت الملائكة لتدمير سدوم وغيرها حملت معها البشرى بمولد سارة لاسحاق .

ومن هذا نعلم يقينا أن اسماعيل هو الذى هم أبوه بذبحه ، ففداه الله تعالى ، ثم جاءت البشرى باسحاق بعد الفداء ، لانها اقترنت باهلاك قوم لوط .

« بقية مقال : القرآن آية النبى ومعجزته »

اعتز بنسب فهذه هى المعجزة الالهية ، وهذه هى الاية لمن لا يهتدى الى الهداية بغير آية ، وهذا هو البرهان على ايمان لا تنهض به طاقة انسان لم تنهض به مشيئة الله .

وآية الايات أن تتقدم هذه الرسالة قبل ألف وأربعمائة سنة .

وقبل أربعين سنة لا أكثر ، سمعنا من ينادى بسيادة العالم كله . فخارا بعنصره وسلالته ، وقبلهم سمعنا من ينادى برسالة الرجل الابيض ، ويكاد أن يخرج الاسود والاسمر والاصفر من زمرة الادميين ، ولايزال فى العالم حتى اليوم من يدين باله يعز قبيلا واحدا ليذل من بعده كل قبيل ، ومن يدين باله يتقبل من اناس ولا يتقبل من آخرين .

ان القرآن الذى هو آية النبى ومعجزته ، لا تحتاج الانسانية الى شيء كما تحتاج اليه ليرفع من خسيستها ويدفع عنها شر التعالى بالعروق والالوان والاجناس ثم يردها من ذلك الى التعالى والاعتزاز بها ينفع الفرد فى نفسه ، والشعب بأفراده ، والامة بشعوبها والانسانية جمعاء . بذلك المعنى الكريم الذى قررته الاية الشريفة عقيدة راسخة فى نفس كل مسلم : « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير** ! » .

---

[١] سورة هود ٦٩ — ٧٦ — عجل حنيذ — مشوى على حجارة محماة بالنار وهذا اجود للشواء وانظف او دسم نكرهم — لم يعرفهم . ياويلتا : للدلالة على الدهشة . الروع : الخوف . يجادلنا : يحاور ملائكتنا فى شأن قوم لوط ويريد امهالهم لعلهم يؤمنون . حليم : لا يتعجل فى عقوبة المسيء . أواه : كثير التوجع من خوفه الله ومن خوفه على الناس .

من معاني القراءات وأسرارها

فضيلة الشيخ
عبد الفتاح القاضي

« ولكن البر من آمن بالله ، ولكن البر من اتقى » اختلف القراء فى قراءة « ولكن البر » فى الموضعين فقرأ بعضهم بتشديد النون مفتوحة ونصب البر على أنه اسمها وما بعده الخبر فى الموضعين ، وقرأ بعضهم بتخفيف النون مع سكونها فى الوقف وكسرها فى الوصل للتخلص من التقاء الساكنين ، وحينئذ تكون مهملة ويكون لفظ البر مبتدأ ، وما بعده خبرا ، ومعنى القراءتين واحد .

« فمن خاف من موص » قرىء لفظ « موص » بقراءتين . بسكون الواو وتخفيف الصاد . على أنه اسم فاعل من الايصاء . يقال اوصى فلان فلانا بكذا ، يوصيه به ، ايصاء اذا عهد اليه بتنفيذ أمر من الامور فهو موص به ، ويعضد هذه القراءة قوله تعالى « ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب » وقوله تعالى « يوصيكم الله فى أولادكم » من بعد وصية يوصى بها أو دين ، من بعد وصية توصون بها أو دين .

وقرىء « موص » بفتح الواو وتشديد الصاد من التوصيه يقال : وصيت فلانا بكذا أوصيه به توصية اذا عهدت به فانت موص به ويعضد هذه القراءة « ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب » ففى هذه الاية قراءتان قراءة بالتخفيف وأخرى بالتشديد كالقراءتين فى « موص » ويعضد قراءة التشديد أيضا قوله تعالى « ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله » وقوله تعالى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » قال العلماء : « وهما لغتان للعرب مشهورتان كأنزل ونزل » .

« وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » .

فى هذه الاية ثلاث قراءات الاولى بتنوين فدية ومسكين بكسر الميم وسكون السين على الافراد مع كسر النون منونة الثانية بتنوين فدية ومساكين بفتح الميم والسين وألف بعدها على الجمع مع فتح النون بلا تنوين . الثالثة بحذف تنوين فدية ومساكين بفتح الميم والسين وألف بعدها على الجمع . وجه القراءة الاولى :أن « طعام » بدل من فدية ، أو بيان لها ، أو خبر مبتدأ مضمر تقديره : هى . فقوله تعالى « طعام مسكين » بيان وتوضيح للفدية . وافراد مسكين باعتبار كل فرد فرد من أفراد العموم فى قوله تعالى « وعلى الذين يطيقونه » أى وعلى كل حال ممن يطيقون الصوم لكل يوم يفطره اطعام مسكين ، فالايه - على هذه القراءة بينت حكم اليوم الواحد على كل واحد من مطيقى الصوم اذا أفطر ، فالمعنى : وعلى كل من يقدر على الصوم اذا أفطر اطعام مسكين واحد لكل يوم يفطره ، وقصارى القول أن وجه افراد مسكين بيان للواجب على كل واحد لكل يوم . ومثل هذه الايه قوله تعالى « والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعه شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة » اذ المراد فاجلدوا كل واحد منهم ثمانين جلدة .

ووجه القراءة الثانية - وتشترك مع الاولى فى تنوين فدية وتقدم وجهه - بجمع مساكين أن الذين يطيقونه جمع ، فكل واحد منهم يلزمه طعام مسكين لكل يوم . فالواجب اذا على الجماعة اطعام جماعة فيكون من مقابلة الجمع بالجمع . ومقابلة الجمع بالجمع تقتضى القسمة احادا بمعنى أن كل واحد من المطيقين يلزمه عن كل يوم أفطره اطعام مسكين من المساكين .

ووجه القراءة الثالثة أن الاضافة فيها من اضافة الشىء الى جنسه لان الفدية اسم للقدر الواجب والطعام يعم الفدية وغيرها .

وقال بعض الفضلاء ان لفظ « فدية » « مبهم » لانه يكون طعاما وغير طعام ، وطعام المسكين يكون فدية

وغير فدية ، فحينئذ تكون اضافة فدية الى طعام كاضافة خاتم لحديد فى قولهم « خاتم حديد » واضافة ثوب لخز فى قولهم « ثوب خز » .

وسبق بيان وجه مساكين بالجمع فى القراءة الثانية .

وقد يقال : كان الظاهر أن تجمع فدية حتى تلائم جمع مساكين ، وأجاب عن هذا العلامة الالوسى بقوله : « ولم تجمع فدية لانها مصدر ، والتاء فيها للتأنيث لا للمرة ، ولانها لما أضيفت الى مضاف الى الجمع فهم منها الجمع انتهى .

وقد دلت الاية الكريمة ـ بجميع قراءاتها ـ على أن كل من يطيق الصيام فانه يجوز له أن يفطر ، ويطعم عن كل يوم يفطر فيه مسكينا ، وهذا كان فى صدر الاسلام ، كانوا مخيرين بين الصوم ، وبين الفطر مع الاطعام ، ثم نسخت الاية بقوله تعالى « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » فكان الصوم لزاما على كل من يقدر عليه ، ولا يباح له الفطر الا بعذر من سفر أو غيره .

« فمن تطوع خيرا فهو خير له » فى لفظ « تطوع » قراءتان ، الاولى بفتح التاء والطاء والعين مع تخفيف الطاء ، والثانية بياء مثناة تحتية مفتوحة مع فتح الطاء وتشديدها وجزم العين وجه القراءة الاولى أن تطوع بوزن تفعل فعل ماض مبنى على الفتح » .

وكلمة « من » على هذه القراءة يحتمل أن تكون شرطية ، وموضع الفعل جزم بها لان أداة الشرط تنقل الفعل الماضى من معناه الى الاستقبال ويحتمل أن تكون موصولة فى موضع رفع على الابتداء ، وجملة « تطوع » صلتها فلا محل لها من الاعراب ، وجملة « فهو خير له » فى محل رفع خبر المبتدأ ، وقرئت بالفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط فى العموم .

ووجه القراءة الثانية : ان الاصل « يتطوع » بصيغة المستقبل وماضيه تطوع فأبدلت التاء طاء ثم سكنت وأدغمت فى الطاء بعدها و « من » على هذه القراءة يتعين أن تكون شرطية ، والفعل مجزوم بها .

قال الامام ابن جرير الطبرى .. وكلتا القراءتين معروفة صحيحة متفق معنياهما غير مختلفين . لان الماضى من الافعال مع حروف الجزاء بمعنى المستقبل فبأى القراءتين قرأ القارىء فمصيب . انتهى .

« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » فى لفظى اليسر والعسر قراءتان سكون السين وضمها ، والسكون لغة تميم وأسد وعامة قيس ، والضم لغة الحجازيين .

« ولتكملوا العدة » فيه قراءتان « الاولى بسكون الكاف وتخفيف الميم ، الثانية بفتح الكاف وتشديد الميم .

والتخفيف والتشديد لغتان بمعنى واحد مثل ينزل ، بالتخفيف والتشديد ، فأمتعه قليلا .. بالوجهين ومثل : « فمهل الكافرين أمهلهم رويدا » والتخفيف مضارع أكمل ، والتشديد مضارع كمل . ومن التخفيف قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم » قال الامام ابن خالويه فى الحجة : فالحجة لمن شدد تكرير فعل الصيام فى الشهر الى اتمام عدته ، والحجة لمن خفف أنه جعل عقد شهر رمضان عقدا واحدا ، ودليله : « اليوم أكملت لكم دينكم » انتهى .

« وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها » .

وقع لفظ « بيوت » فى القرآن منكرا منصوبا نحو « فاذا دخلتم بيوتا ، ومجرورا نحو « فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه » ووقع معرفا باللام كالاية المذكورة ، وبالاضافة نحو « لا تدخلوا بيوت النبى ، من بيوتكم أو بيوت آبائكم . وهو فى جميع مواقعه واستعمالاته فيه قراءتان ، ضم الباء وكسرها . وهما لغتان فى اللسان العربى بمعنى واحد .

قال العلماء الاصل هو الضم لان بيوت جمع بيت على زنة فعل وفعل فى لغة العرب يجمع على فعول مثل فلس بفتح الفاء وسكون اللام . وفلوس ، وكعب وكعوب . وصدر وصدور ، وقلب وقلوب . وفرج وفروج .

ووجه قراءة كسر الباء مجانسه الياء بعدها لان الكسره اشد ملاءمة للياء بعدها من الضمة لها وبذلك يكون ثم تلاؤم بين الحركه والحرف الذى بعدها [illegible] الامام ابن خالويه : والحجة لمن كسر انه لما كان ثانى الكلمه ياء كرهوا الخروج من ضم الى ياء فكسروا أول الاسم لمجاورة الياء . ولم يجمعوا بين ضمتين احداهما على ياء ، انتهى .

ونقلوا على أبى على الفارسى انه قال : مما يدل على جواز الكسر انك تقول فى تحقير عين ، وبيت : عيينه وبييت ، بكسر العين والباء لاجل التقريب من الياء أى تقريب الحركة من الحرف الذى بعدها وأن لم يكن هذا الوزن من أبنية التحقير ، انتهى .

« ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم » .

فى كل من الالفاظ الثلاثة : تقاتلوهم ، يقاتلوكم قاتلوكم « قراءتان الاولى بضم التاء وفتح القاف وألف بعدها مع كسر التاء فى تقاتلوهم ، وبضم الياء وفتح القاف وألف بعدها مع كسر التاء فى يقاتلوكم ، وباثبات الالف بعد القاف فى فان قاتلوكم .

الثانية بفتح التاء وسكون القاف وضم التاء فى تقاتلوهم ، وبفتح الياء وسكون القاف وضم التاء فى يقاتلوكم ، وبحذف الالف بعد القاف فى قاتلوكم .

والقراءة الاولى من المقاتلة أو القتال ، ويعضدها قوله تعالى « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » .

قال العلامة السمين : فى هذه الاية على هذه القراءة نهى عن مقدمات القتل ، فدلالتها على النهى عن القتل بطريق الاولى يعنى اذا نهى عن القتال الذى هو سبب القتل فان ذلك يكون دليلا بينا على النهى عن القتل .

وأما القراءة الثانية وهى من القتل ففيها تأويلان أحدهما ان يكون المجاز فى الفعل أى ولا تأخذوا فى قتلهم حتى يأخذوا فى قتلكم ، ففيه مجاز مرسل من اطلاق اسم المسبب وارادة السبب .

الثانى أن يكون المجاز فى المفعول أى ولا تقتلوا بعضهم حتى يقتلوا بعضكم ففيه مجاز مرسل من اطلاق الكل وارادة البعض . ومنه قوله تعالى « وكاين من نبى قاتل معه ربيون كثير » ثم قتل فما وهنوا اى فما وهن من بقى منهم . انتهى السمين .

قال الامام ابن جرير : فى معنى القراءة الاولى : ولا تبتدئوا أيها المؤمنون المشركين بالقتال عند المسجد الحرام حتى يبدءوكم به فان بدءوكم به هنالك عند المسجد الحرام فاقتلوهم . ثم وجه القراءة الثانية بقوله : ولا تبدؤوهم بقتل حتى يبدءوكم به انتهى وعلى كلام هذا الامام يكون فى الاية مجاز فى الفعل على كلتا القراءتين .

قال بعض المحققين قد يرد على قراءة حمزة وغيره أن المقتول كيف يصح أن يقتل قاتله ؟ ثم اجاب عن ذلك بقوله : ان المعنى حتي يقتلوا بعضكم فان قتلوا بعضكم فاقتلوهم ، بناء على ان العرب كما يسندون الفعل الصادر من واحد الى الجماعة فيقولون : بنو فلان قتلوا زيدا وانما القاتل واحد منهم لكنهم لما رضوا عن فعل القاتل اعتبروا قاتلين كذلك يوقعون الفعل الواقع على بعض واقعا على الجميع فيقولون قتلنا بنو فلان اذا قتلوا بعضا منهم ، يروى أن الاعمش قال لحمزة : أرايتك قراءتك اذا صار الرجل مقتولا كيف يصير قاتلا لغيره ؟ فقال حمزة ان العرب اذا قتل منهم رجل قالوا قتلنا ، واذا ضرب منهم واحد قالوا ضربنا انتهى .

وقراءة حمزة وغيره تناسب قوله تعالى « والفتنة أشد من القتل « وتناسب » فاقتلوهم » .

وانما اجمع القراء على قراءة « فاقتلوهم » بسكون القاف وضم التاء لان جزاء البداءة بالقتال أو القتل — لا يكون الا القتل وأجمعوا كذلك على قراءة « وقاتلوهم » بفتح القاف وألف بعدها مع كسر التاء لان المقصود منع الفتنة والعمل على قتلها فى مهدها حتى لا يتفاقم شرها ، ولا يعظم خطرها فمن أجل ذلك أمر المسلمون بالبدء فى قتال المشركين .

وقراءة حمزة ومن معه توافق رسم المصاحف تحقيقا . وقراءة غيرهم توافقه تقديرا . والله تعالى أعلم .

[بقية مقال] سورة البقرة

الذرة كون كامل :

وها هى ذى الايام تثبت لنا أن ما كان يعتقد الى وقت قريب انه نهاية المادة ، وهو الذرة ، وانها — لصغرها — لا تنقسم فها هو الحق يظهر لنا انها لا تنقسم فحسب ، بل ويخرج عند انقسامها طاقة لا قبل للانسان بها ، ويقولون لنا انها تمثل فى تركيبها ، والنسب بين مختلف أجزائها ، ما بين الشمس وكواكبها من نسب بين كتلها وأبعادها .

وقد بقى ان نعرف ان الخلية الحية أكثر تعقيدا من الذرة ، وان كل جزء من أجزاء البعوضة يتألف من الوف الخلايا ، فهل فهمت كيف ان القرآن هو كلام الله حقا وصدقا ، كلام خلق البعوضة وخلق الانسان ، وفى كليهما آية قدرته .

وأما الذين كفروا — أى بالله وانه الخالق القدير — فلا يفهمون هذا المعنى ، بل لا يقفون لمجرد التأمل فى خلق البعوضة .

« فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا » : ومن هنا فهم عمى عن الحكمة ، فيسخرون مما قيل .

« يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا » : وهكذا يتحول المثل الذى أريد به الهداية والارشاد ، الى عكس المقصود منه ، فيصبح سبيلا للضلال ، والاصل اللغوى لمعنى الضلال ، انه الهلاك ، ولكنه هنا يعنى الخذلان ، ويسارع الله عز وجل ليهدىء من مخاوفنا فيقول لنا انه لا يضل الا من اختار الضلال لنفسه : « وما يضل به الا الفاسقين » .

ولا يدعنا الله برحمته حيارى فى معرفة من هو الفاسق فى هذا الموطن الذى استحق ان يضله الله ، فيعرفه لنا بأنه أو بالاحرى بأنهم :

« الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه » .
« ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل » .
« ويفسدون فى الأرض » .

وينزل الله عز وجل حكمه على مرتكبى هذه الاعمال فيقول وقوله الحق :

« أولئك هم الخاسرون » .

[يتبع]

التقوى تحدد كل حقيقة فى عالم الغيب وعالم الشهادة

الأستاذ محمد العفيفى

من أخطر ما يقدمه القرآن العظيم فى قضية القيم ، أن القيم واحدة . وثابتة ، فى ذاتها ، أو فى اتصالها بحركة المادة أو حركة المجتمعات الانسانية .

ولا يبقى بعد ذلك الا مجال واحد للتغير هو مجال الارتباط بالقيم فى الفعل الانسانى ، أو مجال التحلل من القيم والعمل على هدمها والتورط فى السباحة ضد اتجاه تيارها .

وذلك أن القيم كما يقدمها لنا القرآن العظيم : هى قيم كبرى تحكم المادة بالمعنى والهدف ، وتتخذ من اختلاف المادة فيما بينها بحكم كونها مادة ، سببا رئيسيا لاتفاق الهدف من حركة المادة ، ومن انتاجها فى الفكر والعمل .

قد يختلف عمل المادة ، ولكن الضرورة الكونية المرتبطة بفطرة الله فى خلقه ، تحكم هذا الاختلاف ، بعلم شامل عظيم ، هو العلم الالهى السابق لوجود المادة ، والذى نفهمه ونستوضحه تماما اذا قلنا لا اله الا الله .

ان وحدانية الله تعالى أعظم الضرورات الكونية . لذلك فالوحدانية التى تحكم حركة الكون المادى كله ، بما فى هذه الحركة من اختلاف المادة شكلا ولونا وطعما ورائحة ، وما شاء الله من أشكال الاختلاف المادى ، الذى يؤدى دوره فى ثراء الحياة وسعة آفاقها .

ويتصل بذلك أن أهم أنماط الاختلاف المادى ، ما نراه بوضوح شديد ، من اختلاف الفعل الانسانى ، على النحو الذى يشكل بعدا كبيرا ، من أبعاد التغيرات الكبرى ، فى الحياة على هذه الارض التى نحيا فوقها .

وهناك كثير من ألوان الفكر الالحادى ، يقع فى ورطة فكرية ضخمة حين يناقش حرية الاختيار وحرية الفعل ، فى الحياة الانسانية ، بعيدا عن الضوابط التى يقدمها لنا القرآن ، للحد من الغلواء فى تفسير حرية الاختيار الانسانى .

ومن أبرز أشكال هذا التورط فى الفكر الالحادى ، ما مؤداه أن الكون فيه ضرورة ، وأن الانسان باعتباره مادة من المادة ، لا يعترف له هذا الفكر الالحادى أو ذاك ، بأكثر من كونه كتلة من اللحم والدم والعظم ، وأن هذا الانسان ، فيه جانب من جوانب الضرورة الكونية التى سبق ذكرها .

ثم يقع الفكر الالحادى فى هاوية الخطأ فيواصل دعواه قائلا ، ان الضرورة الكونية فى مادة الكون وحدة الانسان ، زائلة لا محالة يوم يبلغ الانسان أقصى درجات صراعه مع الطبيعة ، فيغير الكون

ويسيطر على قوانينه ، ويبدله الى الكون الذى يريد ، وتنعقد له ألوية النصر المؤزر ، وقد خضع الكون لارادته !

هنا نتساءل فى عجب شديد

اذا كان الانسان مادة من المادة ، وكان هبة الطبيعة لا أكثر ولا أقل

فهل كان فى انتاج الطبيعة للانسان بقوانينهـــا السابقة له والباقية حتى الان ، خير أم شر ؟!

لا شك فى أن أحدا لن يقول ان فى وجود الانسان وفى تمتعه بالحياة أى اثارة للشر »

اذن ، فوجود الانسان خير ، لا يختلف فيه أحد !

وهنا نعود للسؤال

فما الحاجة لتغيير الطبيعة ، ما دامت على حالتها الراهنة فاعلة للخير !!

ثم ان الاعتراف السابق ، بان الضرورة الكونية تحكم ، مادة الكون ، ومادة الجسد الانسانى جميعا ، هذا الاعتراف ، ما هو غير شرك يقع فيه ، من يدعى بعد ذلك أن الانسان ، مستطيع أن يغير الطبيعة ، ويصارعها حتى يخضعها ، ويخرجها من الضرورة التى تحكمها !!

وذلك لامر غاية فى الوضوح والدقة ، هو أن الضرورة الكونية ـ كما يزعمون ـ هى التى أنتجت الانسان ، وهذه الضرورة عامل فكرى سابق ، للوجود المادى وهذا متناقض مع أى فكر الحادى ، ولما كان الزعم بأن الضرورة الكونية هى التى انتجت الانسان ، من مقتضاه أن تكون ، هذه الضرورة الكونية سابقة للوجود الانسانى ، وحاكمة له فى وجوده الحالى ، وهذا أمر واقع بالفعل ، فان نتيجة ذلك أن يظل الانسان خاضعا لقوانين الطبيعة ، وضرورتها بصفة دائمة ، ويستمد من قيمها المادية ، عونا له على ما يبدع من أعمال ، تتغير ما تتغير ، ولكنها تظل أبدا خاضعة لقدرتين .

احداهما : ضرورة مادة الجسد الانسانى نفسه .

وثانيتهما : الضرورة الكونية التى لم يستطع الانسان أبدا أن يغيرها .

فكيف يمكن والامر كذلك ، أن يصارع الانسان الطبيعة ليقهرها ، ويغير قوانينهـــا ، وخضوعها للضرورة الكونية !

ان الانسان هنا اما أن يكون سعيه فى الحياة لتغيير بعض المعالم الكونية القليلة القابلة للتغير كما سمحت بذلك الضرورة ، فهو محكوم بالضرورة أيضا فى هذه التغييرات الجزئية !

واما أن يكون الانسان ، محاولا بلا جدوى ، وبتناقض عظيم فى الفكر والعمل جميعا ، أن يغير ما لا يمكن أن يتغير !!

هكذا يتضح التناقض فى دعوى الفكر الالحادى من أساسها .

ثم ان لكل مفكر بعد ذلك وقبل ذلك أن يتساءل .

ولم هذا العناء فى طلب التغيير المذكور والخير كله فى أن نفهم التطابق الهائل ، بين الضرورة الكونية ، والضرورة التى تحكم مادة الجسد الانسانى ، والقدر المحدود من حرية الاختيار فى الانسان ، والبعد المعنوى الذى يكمل أبعاد كل كتلة من كتل المادة ، حيث انتشر بين ألوان الفكر الالحادى ، أن هذا البعد المعنوى ، موجودبالفعل ، ولكنه شىءمن عطاء المادة ، بينما ذاع بعد ظهور النسبية ، فى مستهل هذا القرن ، أن الزمن هو البعد الذى يكمل الابعاد الثلاثة فى الكتلة ، وهى الطول والعرض والارتفاع ، وأن الكتلة المادية بأبعادها الثلاثة السابقة ، هى البعد الرابع ، الذى اكتشفتهنظرية النسبية،أى «الزمن،شىء واحد»

القرآن العظيم يعلمنا أشياء عظيمة ، متصلة بالقيم القرآنية من جهة ، ومتصلة بحكم هذه القيم للمادة والفكر والعمل جميعا من جهة أخرى ، عن طريق الفصل الحاسم بين كل حقيقة وحقيقة ، فى الفكر وكل شخصية مادية ، وشخصية أخرى فى المادة ، وكل عمل وعمل آخر فى العمل ، مع تصنيف معجز لكل شىء ، من ذلك كله ، وتمييز للبعد الرابع الذى أخطأ الفكر الالحادى خطأ فادحا ، حين جعله تابعا للمادة ومسبوقها ، على غير حق ولا هدى ولا كتاب منير ، وأخطأت النسبية نفسها ، خطأ يسيرا ، وبحسن نية حين ظنت أن الزمن وهو المعنى فى المادة ، هو وهى سواء ، وأنهما شىء واحد !!

ان التغير كما يبينه القرآن العظيم ، تغير فى المادة بحكم المعنى لها ، وسبقه اياها .

وهذا تغير ثابت لا شك فيه ، لانه داخل فى باب الضرورة الكونية التى نطبق عليها بدورنا اكتشافات العلم الحديث نفسها .

وتوحيد الله سبحانه وتعالى جمع لاختلاف المادة وشتاتها بعلم الله ورحمته ، حيث يقول لنا القرآن عن هذه الحقيقة فى سورة طه : « **انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شىء علما** » .

ويقول فى سورة غافر :

« الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم

ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم

وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم .

ان الله سبحانه قد وسع كل شىء رحمة وعلما ، أى جمع بين شتات المادة ، بما بث فيها من عوامل الاجتماع والتواصل . كما علم بحقائقها جميعا .

فمن آمن بالله تعالى فقد اتصل ، بأقوى سبب من أسباب الاتصال برحمة الله تعالى .

لان الايمان انما هو اتصال بالغيب ، اى بما لا يبصر من المادة المتفرقة المتناقضة ، وانما بما يسمع

من حقيقة الغيب الموحدة للفكر الانسانى ، والجامعة له فى آفاق الحقيقة .

ومن يتصل بهذا السبب القوى ، فقد استحق أن يتفضل الله عليه بالرحمة والمغفرة .

ولقد قرأنا فى الاية الاخيرة قوله تعالى (وقهم السيئات) .

والسيئات هنا ليست الاعمال السيئة نفسها وانما هى نتائجها وما يتصل بها من الحرمان والخسران .

وهكذا يتبين لنا أن التقوى باعتبارها قيمة قرآنية ، هى شمول فى الفكر والمادة والعمل والجزاء ، حيث لا يترك هذا الشمول حقا الا فصله عن الباطل ، ليحق الله الحق ويبطل الباطل .

وهنا نعود الى ما بدأنا به معا من أمور التغير ، فنلمح لمحة جديدة من لمحات التغير ، هى التغير الناتج من العمل .

وذلك لان حرية الانسان ، من شأنها أن تجعل الاعمال مختلفة ، على أساس أن الانسان مختلف فى مادة جسده ، اختلافا نسبيا فيما بينه وبين نفسه ، وفيما بينه وبين سائر أفراد جنسه ، حتى اذا فكر وقدر اختلفت درجات الارتباط بالقيم ، التى يقوم عليها التوحيد الفكرى ، بين شخص وآخر ، وكان الاختلاف فى العمل ضرورة لابد منها .

ويقول لنا القرآن العظيم ، مصورا لنا هذه الحقيقة فى سورة كاملة من قصار السور هى سورة الليل :

« **والليل اذا يغشى ، والنهار اذا تجلى ، وما خلق الذكر والانثى ، ان سعيكم لشتى . فأما من أعطى واتقى : وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى ، وما يغنى عنه ماله اذا تردى ، ان علينا للهدى ، وان لنا للاخرة والاولى فأنذرتكم نارا تلظى ، لا يصلاها الا الاشقى ، الذى كذب وتولى ، وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى ، وما لاحد عنده من نعمة تجزى ، الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى** » .

ان هذه السورة المعجزة ترسم مسارا معجزا للشمول فى القيم القرآنية .

ففى هذه السورة اختلاف المادة واتفاق الفكر .

وفيها الربط بين التجربة الواقعية العملية ، والتجربة الجمالية التى تربط أيضا بين التصديق بالحسنى ، وبين سائر العمل الصالح ، فاذا التصديق بالحسنى ، هو الايمان بالغيب ، وهو فى الوقت نفسه الاستخلاص الذكى ، للحقيقة من ظواهر الحياة جميعا ، وكلها بالغ حدا معجزا فى الكمال والجلال .

ثم ان المادة مختلفة ، فى مظاهرها ، ولكنها محكومة بقيم ثابتة ، جامعة للكون كله فى حقيقة — عبوديته لله الحق

وعلى القيم يقوم الفكر

ولان أسمى الفكر وأقومه ، هو ما اتحد مع حقيقة — وحدانية الله ، فان العمل الانسانى على اختلافه ، محكوم بقيمة التقوى ، اذا اتقى الانسان خالقه سبحانه ، فاتفق بذلك مع كل حقيقة فى الحياة ، أو خالف عن أمر ربه ، فأحاطت به فطرة الله فى الخلق ، وجعلت مخالفته قليلة — القيمة هينة — الخطر فى التأثير فى نظام الحياة كما أرادها الله تعالى ، ثم فتحت على الانسان بعصيانه أبواب الشقاء فى الدنيا والاخرة .

(فأما من أعطى واتقى)

هنا يقترن العمل الانسانى بالتقوى ، من أوسع أبوابها وهى كافة — فى الضرورة الكونية ، وفى جسد الانسان ، وفى السمو الانسانى الى مستوى الارتباط بالحقيقة ، عن رضى واختيار

أما الذين يتناقضون فى فكرهم أو عملهم ، مع حركة — الكون الصحيح التى برأها الله ، بحكمته ، فاذا كل جزء من أجزاء المادة يبقى أن يكون غيره ، ويأبى أن يغير موقعه الذى أراده الله تعالى ، هؤلاء المتناقضون مع الحق فى أجلى آياته ، وأوضح مرائية .هم الفجرة الذين أبوا أن يكونوا من المتقين ،

(**فأنذرتكم نارا تلظى ، لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى ، وسيجنبها الاتقى ، الذى يؤتى ماله يتزكى**) .

ان التكذيب ، وهو ضد الايمان ، هو أعظم انقطاع عن الحقيقة .

والذى ينقطع عن الحقيقة يتقى الصواب كله ، حيث يجب عليه أن يتقى الخطأ كله .

انه يدعى أن الشمس غير مشرقة وهى تعشى عينيه .

ويدعى أنها مشرقة ، وهو غارق فى لجة الوهم حتى أذنيه ، والليل يهيل فوقه ظلمات بعضهافوق بعض .

والقرآن العظيم يؤكد لنا أن الصدق والتقوى وجهان لعملة واحدة .

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)

وان الايمان هو ما وقر فى القلب وصدقة العمل

والصدق فى أوضح صورة هو العمل الذى يصدق الايمان ، ويحوله من فكر واعتقاد الى سلوك وعمل .

ولهذه الحقيقة نفسها قرأنا معا منذ قليل أن « الاتقى » الذى يجنب العذاب بالنار ، هو الذى يؤتى ماله يتزكى أى يتطهر ، من دنس الاثرة والانانية — ، وانقطاع النفس البشرية ، عن التواصل بالبر والتقوى ، مع غيرها ممن أوجب الله عليها برهم .

ولان القيم هى حقائق الاشياء وهى البعد المعنوى لها ، فقد يسر الله لنا رؤية آثارها ، فى فعل المادة ، ويسر لنا استخلاصها فى أخلاقنا وسلوكنا اذا أحسنا الفعل ، وأحسنا استخلاص المثل والاخلاق .

يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة الشمس(**ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها**)

ففجور النفس اذن ، وهو فى حقيقته انقطاعها الى

[البقية ص ١٣١]

أضواء من كتاب الله

فضيلة الشيخ حسن صالح

[وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون . ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين] .

يقول الحق تبارك وتعالى الذى خلق الموت والحياه : ليبلوكم ايكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور .

فالموت سنة الله فى خلقه كالحياة تبدأ ثم تنتهى بالموت وعمر الانسان ما بين مولده ومماته يسجل عليه ما قدم فيه من عمل لا تفرط ملائكة الله فى مثقال ذرة وكله فى كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ثم يجزاه الجزاء الاوفى فاذا جاءه الموت طويت صحائفه وانتهى من الحياة أمره . الا ماترك من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوله وهكذا يتحدد عمره بالفترة التى عاشها حتى جاءه الموت وقد يطول أو يقصر بسببه وقد يوجد السبب وتتدخل ارادة المولى جل شأنه فتمنع الموت كنار ابراهيم وسكين اسماعيل وكما يحدث فى الانهيارات أو سقوط القنابل وكثير من أحداث الطرق والصواعق فيصاب بها البعض دون غيره فيطول باجتناب الموبقات والمحافظة على مقومات الحياة والتطيب والروح وقد يقصر برغبة الانسان فى انهاء حياته وعدم الافراط حتى فى المباح أو التفريط فى حقوق المادة تقربا الى ربه ومسارعة بلقاء أعداء الله فى ساحة الجهاد . او الانتحار والاسراف فى متاع الدنيا وشهواتها وتناول ما يهد الكيان المادى ويضعف سلطان الروح عليه وربما كان ذلك لاسباب خفى على العقل ادراكها فى النظرة التى لا عمق فيها [وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب] يسجل فيه ما كان منه فى حياته ليجازى يوم الدين ودونك بعض ما يحضر القلم والفكر من أحداث جرت . فرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عصمه الله من الناس حتى بلغ رسالته وأتم الله به نعمته على البشرية وأكمل لها دينها انتهى أمر حياته صلى الله عليه وسلم بأكلة خيبر حيث كانت تعاوده وأضرمت الحمى فى كيانه الشريف ثم قضى الى الرفيق الاعلى وأبو بكر كذلك فى أغلب الظن فقد كان يتساقط شعره من تأثير ما يظن أنه دس له وعمر قضى بمؤامرة الهرمزان وجفنة وابن سبأ ونفذها أبو لؤلؤة المجوسى وعثمان بالطعنة اليهودية المتلصصة ، فى جنح ليل (وقد نسبت زورا الى غير اليهودية المستخفية] وعلى بالمؤامرة التى كانت بايحاء الفكر السبىء وان لم يستعلن ونفذها المرادى فكيف نسقط الاسباب من اعتبار الفكر الاسلامى ويقال ما يخالف الواقع فى حياة الناس ونطاق الايات المحكمة وانما الاجل المسمى عند الله هو يوم الوقت المعلوم [ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين . قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون] [ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون [واذا الرسل أقتت لاى يوم أجلت . ليوم الفصل . وما ادراك ما يوم الفصل . ويل يومئذ للمكذبين (— يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) — (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين] فاليوم الموعود اذن ينتظر كل أمة تحاسب فيه كما يحاسب أفرادها على ما فرطت أوفرط فى جنب الله وقد يجتمع الامران عقاب الدنيا والاخرة أو ثوابهما (**وكأين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا . فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة امرها خسرا**] . [**فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة**) . (وذلك كعاد وثمود وقوم نوح وقوم لوط والاحزاب من بعدهم كذبوا رسلهم و[**ردوا أيديهم فى افواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب**] فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر

[ولعذاب **الاخرة أخزى وهم لا ينصرون**] [**يوم يقوم الناس لرب العالمين**] . [**وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون**] . وبعد فهذا ياأخى صريح القرآن والمشاهد الواقع فماذا بعدهما من حق وماذا بعد الحق الا الضلال ؟ فانى يصرف الناس الى شبهات تعطل العقل وتخمد العزيمة وتفتح على الناس الرضا بالذل والواقع المهين وكيف ينسب الفكر الاسلامى المشرق بنور الله وآياته المؤمن بالغيب وماأنزل الله من كتاب ذلك الى الارادة والتقدير والقضاء وما كتب على الناس فى الازل ولماذا اذن يجزى الناس بما قدموا مما ليس فيه لهم اختيار ؟ انها حجة المشركين للتخلص من المسئولية [**لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا**

حرمنا من شيء] . [واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون !] ولا يحتج حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أراد أن يبسط له فى رزقه وان ينسأله فى أثره فليصل رحمه . بعد هذا البيان الصريح الى تأويل أو حمله على البركة فيهما فكل منهما يزيد وينقص بالاسباب والممارسة والسعى وذلك دين الحق وواقع الحياة وكيف يسلم الفكر الاسلامى بغيرهما والاية الكريمة [لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) واردة فى الرسالات

فالايات قبلها تتحدث عنها [وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم ما لك من الله من ولى ولا واق . ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله] فلكل وقت رسالة ولكل أمة رسول وان من أمة الا خلا فيها نذير حتى تلك الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام لم يعف أهلها من الرسالة واتباع من جاء مصداقا لما بين يديه من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعده اسمه أحمد وكان الحق منها فى صدور وكتب المؤمنين ممن نجوا من حرب الابادة فلم يذهب بذهاب أهل الكهف أو بأصحاب الاخدود الذين استشهدوا على يد ذى نواس واسما بقيت وكان طلابها يخرجون الى الصوامع والبيع يتلقونها عمن انقطعوا لها ونواردا عن اليهودية المجوسية فيها واستخفوا عن أعينهما ولعلك تذكر زيد ابن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة وبحيرى الراهب راهب بصرى وغيرهم ممن دعاهم التاريخ وتذكر كذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ببضع سنين كان يتعبد على ملة ابراهيم فى رمضان من كل سنة فى غار حراء وكان ذلك لعلمه بها اما الهاما (وحيا) أو استفاضة وكان يصلى فى بدء البعثة فى بيته بخديجة وعلى بنفس الاسلوب والركوع والسجود وكذلك حول الكعبة قبل الاسراء حيث كانوا يرمون عليه وهو ساجد الفرث وما يضيق به صدره فيأتى أبو بكر يدافع عنه ، أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله فيؤذونه هو كذلك حتى ليكاد يلفظ أنفاسه وبقيت أعمال الحج كما كانت منذ الخليقة وفعل ابراهيم وبيان مناسكها (وليطوفوا بالبيت العتيق) حتى جاء رسول الهدى فكشف الله به شيئا فشيئا ما كان من رسالات سبقت وأحكام أزلية فتدرج بهم أسلوبا فى التربية وتمكينا للشرائع فى سلوكهم وطبعهم عليها (كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) فدين عيسى وموسى ومن قبلهما من رسل الله ممتد طول الزمن الى دين محمد وهو الاسلام الذى دانوا به جميعا وأدان الله به البشرية منهجا فى السلوك

وتوحيدا فى العقيدة منزها نقيا وليس يخفى أنه قد أظل البشرية حينا ظلام رهيب خيم عليها وحيرة وسذاجة فاستسلمت للخرافة وألهت الاحجار وما ينحت لها صانعو الضلال واختلط تفكيرها فى ذات الخالق فتصوروه فى خيالهم وأوهامهم صورا شتى مجسمة على مثال ما وقر من قديم فى أعماق الطفولة البشرية فانتزع كل فريق صورة منتزعة مما وقر ومن ترهات الفكر اليهودى كملك له صولجان وعرش وهيكل يتحدث من خلاله الى أتباعه وانحاز كل الى اله خاص به له كهنته وسدنة بيته والقائمون فى أمر الرعية بسلطانه واستخلافه اياهم ثم أوقروا المحيط الاسلامى بعد دخول من دخل منهم فى الاسلام برواسب القرون والصور المنتزعة من الخيال والاوهام ثم أصبحت بمرور الوقت وعدم التمحيص وكثرة الترداد ونقل الاجيال من صلب التفكير العام والعقائد المسلم بها وانما يتبين الغث منها بعرضه على كتاب الوجود وصريح ما جاء فيه من محكم لا يقبل تأويلا ولا يحتمل جدلا وأمر الله واضح فى وجوب السعى وجوب الافاق طلبا للرزق (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ((فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله) نعم ان الله قد ضمن للحياة ما يلزمها (وقدر فيها أقواتها) الى حين انتهائها (وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها) ويعلم مستقرها ومستودعها فجعل فى باطن الارض انماطا من الكنوز والمعادن وفى الجبال كثيرا من احتياجات الحياة وعلى وجهها ما يصلح للزروع والثمار وغراس النخيل والاعناب وفواكه شتى مما يختلف فى طعومه وفوائده ويسقى بماء واحد ويفضل الله بعضه على بعض فى الاكل فسبحان القوى القادر والحكيم العليم المدبر المهيمن على كل شيء القاهر فوق عباده وهو اللطيف الخبير .

ثم أن الاجل الوقت وانما العمر مدة الحياة للكائن (ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها بمجيء الموت وانتهاء العمر حين يطلب المقصر ومن ضل سعيه فى الحياة فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين] أو تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين . أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين . أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فاكون من المحسنين) (حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون) فكيف وقد كان فى عمره سعة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون ، فلا ينفعه ندم ولا يجاب الى رجاء ولا تتحقق بعض أمانيه (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) وبعد

[البقية ص ١٣١]

ورحمتي وسعت كل شيء

الأستاذ عبد السلام الشاذلي القوصي

ما أحوج ابن آدم الى دين يحجزه (والدين الاسلامى فيه الكفاية) والى حياء يكفه ، (وكمال الايمان فيه بلوغ الغاية) ، والى تجربة طويلة) والصبر أحسن تجربة) ، وعبر محفوظة ، (والموت من أكبر العبر) ، وأخلاق تسهل الامور ، (وفى الاقتداء بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم خير سبيل) ، وجليس رقيق ، (وليس ارق من الجلوس الى الصالحين من عباد الله) ، واتجاه سليم تنال به المراتب (وخير اتجاه هو الى الله ورسوله) ومن لم يعرف تقلب الايام ، لم يحترز من سطوتها ولم يتحفظ من آفاتها ولم يتعاظمه ذنب وان عظم ، ومن أعرض عن الحذر والاحتراس ، وبنى أمره على غير أساس ، زال عنه العز واستولى عليه العجز (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم انفسهم) ·

قد نادت الدنيا على نفسها
لو كان فى العالم من يسمع
كم واثق بالعمر واريته
وجامع فرقت ما يجمع

الدنيا فانية ، وكل ما فيها ومن فيها يفنى ، ولابد لكل مخلوق من بداية وله نهاية ، كما لابد من الحساب فى الاخرة ، ولابد من الجزاء ، للمحسن الجزاء الحسن بأنواعه ، وللمسىء الجزاء السىء بأنواعه · فعلامة المحسن ودليله هناك ، أخذ كتابه بيمينه : قال تعالى : **(فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه · انى ظننت انى ملاق حسابيه · فهو فى عيشة راضية فى جنة عاليه · قطوفها دانيه · كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية)** ودليل المسىء هناك ايضا ، الاية التى سطرت فى صدر هذا المقال · وهناك ساعتئذ يشعر المحسن بمآله ، ويحس المسىء بنوعية جزائه · قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه ، ثلاث من كن فيه كن عليه : البغى ، والنكث ، والمكر · لان الله تعالى يقول **(انما بغيكم على انفسكم)** (فمن نكث فانما ينكث على نفسه) **(ولا يحيق المكر السىء الا بأهله)** ·

الله أكرم من أن تستعد له
بعدة أو ترجى دونه سببا
اذا أصطفات لامر هيأتك له
يد العناية حتى تبلغ الاربا

لا فرح الا بالحسنات ولا حزن الا على السيئات ، لا تتعبن جسدك الا فى كد على عيال أو عبادة لذى الجلال والاكرام ، واتباع لرسول الله فى جميع الاعمال والاقوال · وفى الكتب السماوية أربع كلمات من أربع كتب ، من التوراة : من قنع شبع ، ومن الزبور : من سكت سلم ، ومن الانجيل : من اعتزل نجا · ومن القرآن العظيم : ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » ·

والعافية عشرة أجزاء : تسعة منها فى الصمت الا عن ذكر الله تعالى ، وواحدة فى ترك مجالسة السفهاء ، ومن تزين بمعاصى الله فى المجالس أورثه الله ذلا ، ومن طلب العلم علم ، ومن طلب التوبة رزق ، ومن أصر على المعصية هلك ·· فالى أولئك الذين أصروا على المعصية نسوق لهم ما ورد فى الاية الكريمة موضوع هذا المقال، فاليستعد للاخرة ليأخذ كتابه بشماله ، ثم هناك يظهر عليه الندم ولات ساعة مندم · يندم على أخذه كتابه بشماله ، ثم هناك وقد ظن ان هذا برغبته واختياره ، وسيدنا على كرم الله وجهه يقول **(كل نعيم دون الجنة حقير · وكل بلاء دون النار عافية)** **(وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا)** **(وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا)**

لعمرك ما الانسان الا ابن دينه
فلا تترك التقوى اتكالا على النسب
فقد رفع الاسلام سلمان فارس
وقد وضع الكفر النسيب أبا لهب

·· لقد نسى هذا العاصى : يوم القيامة وهو فى الدنيا ، فلم يدر ما هو الحساب فى الاخرة ، وهناك تذكر ان مال الدنيا الذى كان يملكه لا يغنى عند الله فى هذا الوقت شيئا ، وان الحسب والنسب لا يمنعان عبد الله سوء المنقلب ، وان منصبه فى الدنيا وان علا ، عبرة به له فى الاخرة ، ·· اذا فلينتظر أمر الله القوى القهار لملائكته (الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) : (خذوه فغلوه) فتاخذه الملائكه عنفا من المحشر فتغله ، ثم يصدر الامر الالهى الثانى للملائكته (ثم الجحيم صلوه) فتورده الملائكة جهنم وتغمره فيها · ويصدر الامر الثالث الالهى للملائكته (ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) فيدخلون هذه السلسلة من مقعده حتى تخرج من فمه ·· وتتلى الاسباب أسباب هذا الحكم · ممن لا يظلم أحدا · تعالى شأنه ومن قال عن نفسه : جل جلاله : (وما الله بظلام للعبيد) فما هى هذه الاسباب ؟ وما أسباب غضب ربه عليه ؟ (انه

كان لا يؤمن بالله العظيم) أنكر هذا العاصي وجود ربه ، وأنكر ملاقاته والوقوف بين يديه للحساب ، بل انكر الحياة بعد الموت والبلى ، بل ظن ان الجاه والمال هما كل شيء وهما القربى ان كان هناك حسابا أو ان كانت هناك حياة اخرى . ثم جاء السبب الثانى من الحاكم العادل جل جلاله (**ولا يحض على طعام المسكين**) اى لم يامر بالمعروف ليحث الناس على اطعام المسكين ، تكبرا منه وبخلا ثم بين لنا القادر جل شانه حال هذا العاصى عند ربه فقال . (**فليس له اليوم ها هنا حميم**) ليس له صديق ، (وصديقه عمله ولم يات بحصيلة مقبولة منه الى ربه) ولا شفيع (وشفيعه ماقدمت يداه) ولم تقدم غير السـوء والانكار والجحود بالذى خلق فسوى ، فلما رآى العاصى ذلك ، أظلم وجهه واسود ، وارتعد جسده واربد ، وأصابه الجوع وأنهكه الخوف فارتعد ، وتقدمت له مائدة ليطعم منها وليشبع جوعه ، وليأكل منها غضبا .فليس أمامه سواها (**ولا طعام الا من غسلين**) والغسلين هو ما انغسل من لحوم أهل النار ودمائهم ، أيها العاصى : أين مائدة الدنيا وقد أكثرت عليها من الطعام مختلفا أشكاله وعليها ما تشتهى نفسك من لحوم شتى . ثم خلطت هذا الطعام حلاله بحرامه . ولم تتصدق حتى ببقايا هذه المائدة لان هذا الفقير لا يستحق ان يهدى اليه ما ابقيت ، ولا حتى من مالك او ما ملكت ، ولم تع ان الله تعالى أمر باطعام المسكين والفقير وابن السبيل ، وفرض عليك زكاة فى مالك وطعامك حقا مكتسبا له عندك .

فاليوم ها هنا ، أطعم نفسك من هذه المـائدة (عندنا) فلا تستحق سواها . وعليها لحما مشويا من لحوم أهل النار ، ودما نازفا مستمدا من نار جهنم يغلى كالماء تفوح منه رائحة الشواء ، سماه الحكم العدل (غسلين) . فهل قرأ الاغنياء هذه الاية ، وخافوا لقاء ربهم ، ان يطعموا من هذا الطعام ، جزاء عدم تدبرهم ما ورد فى كتاب الله الكريم ، .. قرآوها .. ، ولم يتدبروها ، لانهم اغنياء بالمال ، وأغنياء بالصحة ، وأغنياء بالقوة ، واغنياء بالحسب والنسب ، واغنياء بالمناصب والجاه . وهل قرأوا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فعملوا بما أوصى به .. الجواب لا ..

اذا المرء عوفى فى جسمه
وأعطاه مولاه قلبا قنوعا
وأعرض عن كل ما لا يليق
فذاك المليك ولو مات جوعا

العجب ممن خاف العقاب وعلمه ولم ينته ، ورجا الثواب ولم يعمل له ، الفكر نور ، والغفلة ظلمة ، والجهالة ضلالة ، والسعيد من وعظ بغيره ، وطاعة الله ورسوله خير ميراث ، وحسن الخلق خير قرين ، وطريق الله هو الطريق المستقيم ، والعافية للمتقين .

لقد حدد مولانا جل شأنه الاكلين من هذا الطعام فقال : (**لا يأكله الا الخاطئون**) والخاطئون هم أولئك الذين يرتكبون الذنوب الصغيرة والكبيرة وأصروا عليها وأسلموا انفسهم الى هواها ، فضلوا وأضلوا . ونظروا الى الاخرة بما فيها نظرة سخرية وارتياب ، وكذبوا الحساب والجزاء ، ثم لم يتوبوا ولم يستغفروا ، ولم ينفع فيهم نصيحة ناصح ، ولا قول الله فى كتابه الكريم ، ولم يستحيوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم (**فلا اقسم بما تبصرون**) مقسما بما يشاهدونه من آيات الله فى مخلوقاته الداله على كمال الله فى أسمائه وصفاته ، وما ترونه من عظمة هذا الوجود بأعينكم ان كان لكم بصرا يميزون به بين الحق والباطل ، أو بقلوبكم وقد ران عليها كثرة ذنوبكم وخروجكم عن حد الادب والطاعه لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم (وما لا تبصرون) ولا اقسم بما لا تبصرون وقد خفى عليكم لجهلكم ، وغشيتكم غشاوة سوداء فلم تروا الطريق المستقيم للوصول الى ربكم (**وهو معكم اينما كنتم**) ولم تحسوا بوجوده جل جلاله ، ولم تفهموا اى معنى من معانى كلامه ، ولم تصلوا الى مغزاه ، ولم تعرفوا مرماه ، ولم تقفوا على أصوله من حيث نزوله وأثباته (**انه لقول رسول كريم**) صفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فهو المرسل بكلام الله الذى نزل عليه من رب العالمين . وكلام الله أصلا صادر من رب العزة جل شأنه والقائل والمبلغ له هو رسول الله الكريم ، وكنتم قد ظننتم أنه قول شاعر ، وليس للرسول دراية بالشعر . وانه رواه بفصاحته وذكائه وهو الامى (**وما هو بقول شاعر**) وقد بلغ بكم الحنق والكذب والافتراء فلم تؤمنوا (**قليلا ما تؤمنون**) ورميتم رسول الله بالكهانة فأجاب العلى القدير السميع البصير ، ليخرس السنتكم ويبطل حجتكم . (**ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون** (. ومن ضاع ذكره وقل عقله قل ان يتذكر قولا او يحسن عملا ، ولكن هذا القول منكم والذى زعمتم به ما زعمتم يؤكد لكم أنه قول باطل منكم وان هذا الكلام الذى نزل على رسول الله (**تنزيل من رب العالمين**) انه هو القرآن الكريم .

والان باب التوبة مفتوح فى كل وقت وأن لنا أن نتوب لنلقى الله بقلب سليم (**نبىء عبادى انى انا الغفور الرحيم . وان عذابى هو العذاب الاليم**) . وسبب نزول هذه الاية ان رسول الله خرج على أصحابه وهم يضحكون فقال : أتضحكون وبين أيديكم النار ؟ فجاء جبريل عليه السلام فقال يا محمد ، يقول لك ربك : نبىء عبادى انى أنا الغفور الرحيم الخ اى لا تقنط عبادى من رحمتى التى وسعت كل شيء . ويقول الله تعالى (**قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا**) ويقول رسول الله (**يا أيها الناس توبوا الى الله فانى أتوب اليه فى اليوم مائة مرة**) مع عظمة شأن رسول الله وعصمته ، اذا وجبت التوبة والطاعة . قال الله تعالى (**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا**) اللهم ارزقنا التوبة وحسن الختام يارب العالمين .

التشريع الإسلامى

من أحكام الشريعة الإسلامية وآدابها

كان فيما بيناه فى حديثنا السابق بعض وجوه الاختلاف والتباين بين فرقة الطلاق وفرقة الفسخ وما بينهما من اختلاف فى الاحكام - وسنتناول فى حديثنا هذا بيان أنواع الفرق التى تتوقف على القضاء سواء أكانت الفرقة طلاقا أم فسخا والفرق التى لا تتوقف على القضاء - كما سنبين أنواع الطلاق وأقسامه وأحكامه واليك البيان :

فضيلة الشيخ محمد خاطر

لقد قرر الفقهاء ، أن بعض انواع الفرق تتوقف على القضاء بها لوجود خفاء فى سببها او اشتراط شروط فيها لا بد من التحقق من توافرها — وهناك بعض أنواع الفرق لا تتوقف على القضاء بها لابتنائها على أسباب جلية يمكن التحقق من ثبوتها بسهولة ويسر والذى يتوقف على القضاء من فرق الطلاق هو ما يأتى :

١ — التفريق بسبب عيب فى الزوج . لاحتياج الامر فى ذلك الى التحقق من وجود العيب وانه من العيوب الوجبة للتفريق .

٢ — التفريق بسبب اللعان ، عند أبى حنيفة ومحمد خلافا لابى يوسف .

٣ — التفريق بسبب اباء الزوج الاسلام بعد عرض الاسلام عليه عرضا معتبرا وامتناعه عن الاسلام .

والتفريق فى هذه الحالة · هو طلاق عند الطرفين وهو فسخ عند أبى يوسف والذى يتوقف على القضاء به من فرق الفسخ ما يلى :

١ — التفريق بسبب عدم كفاءة الزوج لان موضوع الكفاءة يحتاج الى بحث وتحقيق

٢ — التفريق بسبب الغبن فى المهر وهو يحتاج الى القضاء كذلك للتحقق من مقدار مهر المثل ونقص المسمى عنه ·

٣ — التفريق بسبب خيار البلوغ وهو يحتاج الى القضاء به للتحقق من توافر شروطه أما ما لا يتوقف من الفرق على القضاء به بل تتم الفرقة بمجرد تحقق سببها عند فقهاء الحنفية فهو ما يلى :

تطليق الزوج زوجته وخلعه اياها · وردة الزوج عند الامام محمد · اذ هو يرى ان التفريق بسبب اباء الزوج الاسلام أو ردتهطلاق — وأن أبايوسف يرىأن التفريق بسبب اباء الزوج او ردته فسخ - وان ابا حنيفة يراه طلاقا اذا كان بسبب ابائه الاسلام · وفسخا اذا كان بسبب ردته ·

* كذلك من فرق الفسخ التى لا تتوقف على القضاء الفرقة بسبب فساد العقد او بسبب يستوجب حرمة المصاهرة ·

هذا وينقسم الطلاق عدة اقسام باعتبارات مختلفة · فينقسم اولا من جهة دلالة اللفظ على معناه واحتياجه الى النية او عدم احتياجه - **الى صريح وكناية** كما ينقسم بالنظر الى حكم الطلاق الواقع بالصيغة وامكان الرجعة بعده من غير عقد جديد وعدم امكانها **الى رجعى وبائن** ·

كما ينقسم أيضا بالنظر الى الصيغة واشتمالها على التعليق على أمر مستقبل ، او الاضافة الى زمن مستقبل وعدم اشتمالها على شىء من ذلك **الى طلاق منجز وطلاق معلق وطلاق مضاف** ·

أما بالنسبة للقسم الاول : وهو التقسيم بحسب دلالة اللفظ على معناه فهو أما صريح او كناية :

وصريح الطلاق هو ما يكون بلفظ لا يستعمل غالبا الا فى معنى الطلاق فينصرف اليه من غير حاجة الى نية او قرينة لانه قد وضع شرعا لذلك المعنى أو لان العرف يفهم من ذلك المعنى فكل لفظ من مادة الطلاق ومشتقاته ، وكل لفظ استعمله الناس للدلالة على الطلاق بأية لغة من اللغات يكون صريحا · مثل ان يقول الرجل لامرأته انت طالق او أنت مطلقة أو طلقتك . او يقول امراتى مطلقة او طلقت زوجتى .

واذا قال لها انت محرمة . أو أنت على حرام . او

قال : على الحرام . فان كان عرف الناس جاريا على أنهم يستعملون هذه الالفاظ التى ليست من مادة الطلاق للدلالة على ايقاع الطلاق تكون هذه الالفاظ من الالفاظ الصريحة فى الطلاق حينئذ عند فقهاء الحنفية واذا لم يجر عرفهم بذلك تكون هذه الالفاظ من قبيل الكنايات .

وقد افتى المتأخرون من فقهاء المذهب الحنفى بأنه يقع بقول الرجل لامرأته انت محرمة او أنت على حرام او حرمتك على نفسى - يقع بهذه الالفاظ طلقة واحدة بائنة بدون حاجة الى نية الطلاق لانهم يعتبرونها من صريح الطلاق العرف حيث لا يقصد فى متعارف الناس عند اطلاق هذه الالفاظ الا الطلاق . ويقع الطلاق باللفظ الصريح بدون حاجة الى نية الطلاق لان معنى الطلاق متعين من اللفظ اما لغة واما عرفا .

وانما وقع بهذه الالفاظ (**انت محرمة أو أنت على حرام . أو حرمتك على نفسى**) الطلاق البائن مع أن الناس فى عرفهم يستعملون هذه الالفاظ فى الطلاق ولا يميزون بين الطلاق الرجعى والطلاق البائن - لكون الطلاق البائن مقتضى لفظ الحرام وموجبه وكذا مشتقاته ولان الطلاق الرجعى لا يحرم الزوجة مادامت فى العدة . والطلاق الذى يفيد تحريمها وعدم جواز استمتاع المطلق بها هو الطلاق البائن . لذا كانت هذه الالفاظ مع أنها كالصريح عرفا يقع بها الطلاق البائن عند فقهاء الحنفية لما أوضحناه - وسنبين بعد ما جاء به القانون ٢٥ لسنة ١٩٢٩ بشأن وصف الطلاق فى هذه الحالة وما استند اليه من أقوال الفقهاء واذا لم يتعارف الناس استعمال هذه الالفاظ فى الطلاق فلا يقع بها الطلاق الا بالنية لانها فى هذه الحالة تكون من كنايات الطلاق لا من صريحه لكونها تحتمل الطلاق وغيره فالعرف هو المرجع فى وقوع الطلاق بهذه الالفاظ وامثالها بدون حاجة الى نية الطلاق أو بشرط نيته - واذا ما تغير العرف اقتضى ذلك تغير الحكم . وفى ذلك يقول القرافى فى فروقه فى الجزء الاول ص ١٧٦ وما بعدها ما نصه « الاحكام المترتبة على العوائد (العادات) تدور معها كيفما دارت وتبطل معها اذا بطلت . وعلى هذه القاعدة تتخرج ايمان الطلاق وصيغ الصرائح والكنايات . فقد يصير الصريح كناية يفتقر الى النية وقد تصير الكناية صريحا مستغنية عن النية » .

والفاظ كنايات الطلاق كثيرة منها قول الرجل لزوجته أنت حرة فهذا القول يحتمل الطلاق وغيره . اذ يحتمل ان يكون المعنى المراد أنها أصبحت حرة غير مقيدة بقيد الزواج ، او أنها حرة فى تصرفاتها - ومن الفاظ الكنايات أيضا . ان يقول الرجل لزوجته اعتدى وذلك يحتمل أنه يأمرها أن تتعرف عدتها الشرعية لانه طلقها ، كما يحتمل أنه يطلب اليها الاعتداد بما هى فيه من خير ونعمة فى كنف زوجها ، ومنها الحقى باهلك ، وغير ذلك من الفاظ الكنايات الكثيرة الذى تحتمل معنى الطلاق وغيره . والمرجع فى بيان ذلك هو نية الزوج ولذلك لا يقع الطلاق بها الا بالنية وان كان فقهاء الحنفية قد استثنوا بعض هذه الالفاظ والحقوها بالصريح وسنبين ذلك بعد :

يجرى العمل بمحاكم الاحوال الشخصية بجمهورية مصر على عدم وقوع الطلاق بالالفاظ التى من قبيل الكناية الا بنية الطلاق طبقا للمادة الرابعة من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ونصها « كنايات الطلاق وهى ما تحتمل الطلاق وغيره لا يقع بها الطلاق الا بالنية » . وقد أخذ القانون فى هذه المادة بمذهب المالكية والشافعية . وهو أن الطلاق بألفاظ الكناية لا يقع بها الطلاق الا بالنية - ولا تعتبر عندهم دلالة الحال على الطلاق . وقد عدل القانون فى ذلك عن مذهب الحنفية الذى كان يجرى عليه العمل قبل صدور هذا القانون . اذ يقرر فقهاء الحنفية ان الطلاق بالفاظ الكناية يقع اذا دلت الحال والقرينة على ارادة الطلاق منها من غير حاجة الى النية - وان لم تدل الحال على ارادة الطلاق فلابد لوقوع الطلاق بها من النية على نحو ما هو مفصل بكتب المذهب .

وقد نص القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ أيضا فى مادته الخامسة على الاتى « كل طلاق يقع رجعيا الا المكمل للثلاث والطلاق قبل الدخول والطلاق على مال وما نص على كونه بائنا فى هذا القانون والقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٠ » .

هذا - والمنصوص على أنه بائن فى القانونين رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٠ ورقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ هو الطلاق للعيب . والطلاق للسجن والطلاق للتضرر بسبب الغيبة ، والهجر والطلاق للضرور بسبب الاذى بالقول او الفعل بما لا يليق بأمثالهما .

وقد أوضحت المذكرة التفسيرية للقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ بأن ما جاء بالمادة الخامسة به من أحكام على نحو ما أوضحنا قد أخذت من مذهب الشافعى ومالك . كما أشارت المذكرة الى أن الطلاق بسبب اللعان أو العيوب التناسلية وهى العنة والجب والخصاء او اباء الزوج الاسلام عند اسلام زوجته يبقى الحكم فيه على مذهب أبى حنيفة .

وعند الكلام على أحكام الطلاق الرجعى والبائن سنوضح المسائل التى خالفت فيها المادة الخامسة المذكورة مذهب الحنفية . كما سنبين فى مقالنا التالى ان شاء الله احكام الطلاق المنجز والمعلق والمضاف وما جاء به قانون الاحوال الشخصية فى ذلك أخذا من المذاهب الفقهية .

الكيل والميزان

الأستاذ عبد المنعم مغربي

حرص القرآن الكريم أن يقدم للناس الاسس والدعائم التى تكفل قيام مجتمع سليم اذ يقوم على هذه الاسس صلاح الدين والدنيا وفيها توجيه للانسانية أن تنهض الى مستواها المثالى لو أن الناس حرصوا على هذه التوجيهات وأخذوا بها ٠

ومن هذه الاسس ما يتعلق بنظام الكيل والميزان ، فهما فى التعامل الشائع وسيلة الوفاء فى الحقوق المتبادلة كيلا أو وزنا ٠

ويقول الله سبحانه وتعالى « وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها ٠٠٠ »

وتعلق الناس بالاموال وحرصهم عليها ورغبتهم فى الاكثار منها خصائص طبع عليها البشر فهى نزعات تلازمهم فى كل حال ولا تكاد الطبيعة البشرية تتخلى عن حب المزيد من المال ولو كان فى ملك الغير ولا تتخلى كذلك عن الضن بالمال والامساك عليه لو كان حقا ثابتا للغير ٠

وقد استبدت هذه النزعات بأمم سابقة حتى أوردتها موارد الهلاك وأصبحت مثلا سيئا فى الاولين والاخرين وهذه « مدين » أمة شعيب عليه السلام طاوعت نزعتها وأمضت فى بخس الكيل والميزان وفى تطفيفهما لتشبع من الاموال رغبتها وعصوا رسول الله شعيبا فيما بلغهم عن ربه وفيما نصحهم به من العدل فى الكيل والميزان وسخروا من شعيب حتى عاجلهم الله فى دنياهم بصيحة سماوية غشيتهم بصواعقها فتركت أجسادهم كاكوام من تراب محترق بل تركتهم أكواما حقا وتركت ديارهم أنقاضا خاوية على عروشها كأن لم تكن بالامس آهلة بسكانها ولم تكن مغانيهم حافلة بهم يطربون ويمرحون ٠

والقرآن يحذرنا من متابعة « مدين » فى نهمها وجشعها والافتتان بالمال ونهبه من الغير ببخس الكيل والميزان اذا أعطينا أو بتطفيفهما اذا أخذنا

ولا يحسبن امرؤ أن التلاعب فى الكيل والميزان أمر هين يمكن التسامح فيه أو أنه أمر يمكن دائما درؤه بسلطة القانون وفرض العقوبات فان القوانين لا تخلق فى الناس ضمائر تراقبهم ولا تنتزع من نفوسهم غرائز تتحكم فيهم فان لم يكن من جانب الله ردع زاجر فى الدنيا كما صنع بمدين وكما يبتلى غيرهم بالفقر والحرمان ريثما يقتص منهم بأمور أخرى فى دنياهم وبعذاب أشد فى أخراهم ، نقول : ان لم يكن من جانب الله ردع لظلت الاموال فى تيار جارف من شهوات الجامحين ٠

ولا ريب فى أن مدار التعامل بين الناس على الكيل والميزان فى أكثر ما يتبادلون ٠

وبقدر ما يهتز أحدهما عن مستواه الوسط العدل يكون الجور فى التعامل ويقع الظلم على أحد الجانبين ويهتز تبعا لذلك نظام المجتمع من ناحية خطيرة هى ناحية التعامل أو هى الجانب الاقتصادى وهو الجانب الحساس فى تكافل المجتمع وهو جانب لا يقبل الهوادة ٠

اذ تكون النتيجة الحتمية لهذه الهوادة أن تنعدم الثقة أو تضعف بين كل متعاملين فتتعثر الحياة الاقتصادية عن نشاطها المرغوب فيه وتكون المعاملة مقرونة دائما أو غالبا بالتشكك وبالحذر أكثر مما ينبغى ٠٠ وهذا بعيد عن مقاصد الاسلام فيما يريده لامته من نهوض ٠

لذلك التعليل الذى قد يغيب عن كثيرين لم ينظر الاسلام الى مسألة الكيل والميزان على أنها مجرد مسألة روحية بل نظر اليها على أنها دعامة وركيزة فى نظام الاقتصاد وميدانه وأنها ركن أصيل فى بناء قاعدة من قواعد التعامل فى المجتمع ٠

ومادام الاسلام فى تشريعه لنظم الحياة يحض على العمل المنتج ويحث على الاخذ بأسباب القوة من علم وابتكار وكسب واستثمار فهو يعتبر التلاعب فى الكيل والميزان مساسا بمقياس العدالة واهدارا للثقة التى

يجب توافرها وصدا للناس عما يتطلع اليه الدين الاسلامى فى أهله من نشاط فى دنياهم وأن يقنعوا بما يسر الله لهم من حلاله عن حرامه .

فلا غرو أن يسخط الله على من تعدى حدوده وأن يمنع البركة عن عبده ولو تراكم المال عنده حتى ينتهى الحرام على كثرته الى ضآلة ثم الى زوال .

ونحن نشهد بأبصارنا فى واقع الحياة بين الناس ما يؤيد هذا فى غير شبهة فكم من متاجر أغلقت وكم من مصانع تعطلت وكم من ثروات ذهبت وذلك بسبب ما تسرب الى جميعها من بخس وتطفيف فى الكيل أو الميزان .

ولو تتبعنا آيات الكتاب الكريم فى شأن الكيل والميزان لوجدناها كثرة كاثرة ووجدناها مبثوثة فى عدة سور حتى نجد ذكر الميزان أربع مرات فى آية واحدة من سورة الرحمن .

(والسماء رفعها ووضع الميزان ، ألا تطغوا فى الميزان ، واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان)

ومع هذه العناية بشأن الكيل والميزان والحض على القسطاط فيهما وهو تمام العدل ــ فقد خفف الله عنا مالا نستطيعه من الضبط حين العجز عن التحكم فيه على وجه التساوى بالدقة فقال . تعالى عقب ذلك **« لا نكلف نفسا الا وسعها »** .

وبيان هذا أن فى صفقات البيع ما يثقل أو يخف عن المساواة نوعا ما فيهتز الكيل أو الميزان صعودا أو هبوطا دون قدره على تمام التحرى وهنا يكون الحرج بين الاخذ بالقسطاط وبين التسامح فيما زاد أو نقص وهو فى ذاته يسير

فكان من فضل الله على عباده أن تجاوز لنا عما لا يمكن ضبطه وعما يشق التحرز منه زيادة أو نقصا .

وهكذا يوجهنا الاسلام الى الدعائم السليمة لبناء المجتمع ولو أحسن المسلمون فهمها وتطبيقها لكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس .

وقد أتى على الناس حين من الدهر تمسكوا فيه بقواعد التعامل كما يقرها الاسلام فساء بينهم العدل وعمت الثقة وشملهم الرخاء فكان الخير يجرى بينهم أنهارا وما ذلك الا بفضل الحرص على الالتزام بتوجيهات الاسلام بشأن قواعد المعاملات السليمة .

واليوم تباهى المجتمعات الاجنبية بما يسودها من الثقة فى التعامل وتجعل ذلك ركيزة لنمو اقتصادها .

وما أحرانا نحن أمة الاسلام بهذه القواعد والالتزام بها لا امتثالا لتوجيهات الدين الحنيف فحسب وانما عن قناعة بأن فى هذا الالتزام صلاح الدنيا والدين .

فاللهم نسألك الهداية الى الطريق المستقيم .

«بقية مقال : فلسفة القيم »

مادتها المفرقة المشتتة المحيرة ، هو الشئ المناقض لتقواها أى لاجتماعها على الحق ، والحق جامع ، موحد ، لانه هو المعنى فى كل شئ ،

والمعنى هو نفسه « الزمن » الذى ظنته نسبية ، القرن العشرين ، هو والمادة شيئا واحدا ، بينما القرآن العظيم ، يعلمنا أن هناك ماهو « عالم الغيب » .

وهناك ما هو عالم للشهادة ، وهو يعلمنا فى الوقت نفسه أن الغيب ليس هو الميتافيزيقا وحدها كما يظن الفكر البشرى ، بل انه مجموعة كبيرة من الغيوب يفصدها القرآن العظيم تفصيلا

وعالم الشهادة هو المادة التى نرى وعالم الغيب هو المعنى الذى لا سبيل الى معرفته الا بالايمان ، وبتوحيد الله

فاذا خالف الانسان عن أمر ربه فقد تناقض مع نفسه ومع الحياة تناقضا مريرا

أما اذا أطاع الانسان خالقه سبحانه وتعالى ، فقد بلغ ذروة التوافق مع الحياة ، وهذه هى التقوى .

ان الذى يؤثر التقوى على الفجور ، انما هو الذى يعرف كل حق بحقه ، وكل شىء بحقيقته ، ويواجه كلا منهما بالعمل الذى يصلح ولا يفسد ، ويجمع ولا يفرق

وماأعظم أمر التقوى كما يقدمها لنا القرآن العظيم ، ضمن قيم ومفاهيم ، اذا استخلصناها كاملة من المحتوى القرآنى ، وبذلنا فى ذلك ما يجدر بنا أن نبذل من الجهد والصبر .

« بقية مقال : أضواء من كتاب الله »

فليس للفكر الاسلامى مناص من كشف الرغبة المدبوبة الملحة عند أعداء الاسلام طلبا لتثبيط عزائم المسلمين واستسلامهم وبعدهم عن دعوة الحق والحياة والعمل ببث الخور والاتكال على القدر والارادة والمكتوب وشل ارادتهم وتعطيل ملكاتهم وقدرهم العقلية والمادية ثم الهجوم فى غفلتهم وخدرهم بما دسوا لهم وقدموه للعامة ولكثير من الخواص فى أصول عقائدهم الحية النقية الدافعة الدافقة على ما فى أيديهم وفى حوزتهم من كنوز وثروات لم يحاولوا البحث عنها حتى جاءوا هم يبحثون وينقبون وبهرتهم أوطان العروبة والاسلام بما ذخرت فكانت لقمة سائغة سهلة المنال بعد أن أخمدوا جذوة العقيدة وشتتوا المجتمع الواحد وباعدوا بين الاخوة بالنعرات والقبلية والمذهبية والاقليمية وما نحن الا أمة واحدة هى أمة العروبة والايمان بعناصرها وفئاتها وطوائفها ومذاهبها تظللها وحدة التاريخ واللغة والاصل والتراث وما مر بها من أحداث عبر القرون ولها شخصيتها الفذة فى العادات والتقاليد وصبغة الله .

صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون) .

المواضع التي يكون فيها خبر الواحد حجة

الدكتور محمد سعاد جلال

... وأما الموضع الرابع فيما يقع فيه خبر الواحد حجة ـ وهو ما قلنا آنفا ـ انه ما كان من حقوق العباد غير ملزم ـ فذلك كائن في المعاملات مثل الخبر الناقل لثبوت الوكالات والمضاربات والرسالات في الهدايا واشباهها من الودائع والامانات . فشرط قبوله تحقق « التمييز » فقط في المخبر . ولا تشترط فيه العدالة .

ولهذا قبل فيه خبر الصبي المميز والمعتوه والكافر ، وقبل فيه خبر الفاسق .

قال الامام « البزدوى » « ولهذا قلنا في الفاسق اذا اخبر رجلا أن فلانا وكلك بكذا فوقع في قلبه صدقه حل له العمل بقوله » .

وهي عبارة سنعود اليها بعد قليل .

والسبب الداعي لذلك أمران :

أحدهما : عموم الضرورة القاضية بقبول خبر الواحد بما لا يزيد على اتصافه بالتمييز في هذا الصنف من المعاملات الذي لا ينفك عن ارادة رفع الحرج وطلب التيسير ، فلو اشترطنا فيه العدالة لدخل على الناس باشتراط هذا الشرط حرج عظيم وتعطلت لهم مصالح ظاهرة ، فليس يتاح للانسان كلما أرسل رسولا لاخر بهدية ، أو رسولا يخبره بتوكيله بشراء أو بيع ، أو عمل ، أن يجد لذلك وفي كل وقت رجلا عدلا مقبول الشهادة ، فان ذلك في مجرى العادة أمر مستصعب .

والعدول من الناس يكونون عادة من أصحاب المنازل الاجتماعية التي تحول دون اشتغالهم رسلا ومخبرين بالامور المذكورة ، لان الاشتغال بهذه الامور من مهن الناس العاديين الذين لا يستنكفون عن الاشتغال بها .

وهذا بخلاف رواية الحديث ، حيث اشترطنا في قبول الخبر المروى تحقق العدالة في الرواى ، لانعدام الضرورة القاضية بالتنازل عن هذا الشرط ، لان في العدول الذين تلقوا الاخبار عن الرسول كثرة وفيهم غنية .

وعند افتراض عدم وجود العدل لرواية الخبر المطلوب في النازلة المبحوث عنها لدى المجتهد يمكن

استفادة الحكم بالرجوع الى دليل شرعي آخر كالقياس ، فتنتفى بذلك الضرورة .

وأما حالة المعاملات المذكورة فاننا - اذا رفضنا الاخذ فيها بخبر غير العدل، مثل الكافر والفاسق والصبي المميز ، فلا نجد وسيلة أخرى لانجاز المصلحة المطلوبة .

وقد كان النبي - عليه السلام - يشترى من الكافر وغيره ، ويقبل هدية الطعام من البر التقى وغيره ، ولم تزل المعاملات جارية بين الناس من لدن عهد النبي ، والصحابة من بعده وفي كل العصور ممن بعدهم - وهم يقبلون فيها خبر الواحد المميز من غير أن يفتشوا عن عدالته .

وثانيهما : هو أن هذا الخبر لا يتضمن الزام المخبر به ، العمل به ، فان العبد اذا جاءه رسول السيد بالاذن له فى التجارة . أو الوكيل - اذا جاءه من يخبره بتوكيل انسان له فى عمل ، فليس فى أحد هذين الخبرين ما يلزم العبد أو الوكيل بشىء ، فانهما لم يزالا على اختيارهما ، ان شاءا عملا بهذا الخبر وان شاءا لم يعملا به .

فمن ثم لم يظهر الداعى لاشتراط العدالة فيمن يقوم بهذا الخبر ، لان اشتراط العدالة فى الناطق بالخبر فى الموضع المقتضى لذلك مقصود من أجل حصول العلم برجحان جانب الصدق على جانب الكذب ، فى خبره ، وذلك مقصود من أجل الزام من تعلق الخبربه بالحق الذى دلت عليه صيغة الخبر .

ثم اننا أضفنا الى شرط العدالة شرط العدد ولفظ الشهادة لمزيد تأكيدا لترجيح جانب الصدق على جانب الكذب فى خصوص الخبر الذى تحققت فيه خصومة ومنازعة ، فلا وجه اذن لاشتراط شىء من ذلك عند المسالمة وعدم الالزام .

وذلك بخلاف الاخبار بأمور الدين كالاخبار بنجاسة الماء وطهارته والاخبار بحل الذبيحة ، أو عدم حلها ، فانه لا يقبل فيها خبر الصبي والمعتوه والكافر أصلا ، وانما يقبل فيها خبر الفاسق بشرط التحرى وانضمام أكبر الرأى الى خبره ، وذلك لان الضرورة المقتضية للعمل بخبره فى هذا الموضع غير لازمة لان العمل بالاصل ممكن ، فاذا أخبر الفاسق انسانا مريدا للوضوء بأن الماء الذى بين يديه نجس فقد قال فى المبسوط فى جوابه : ان كان المخبر فاسقا فله أن يتوضأ بذلك الماء لعدم ترجح الصدق فى خبره فان اعتبار دينه وان دل على صدقه فى خبره ، فاعتبار تعاطيه وارتكاب ما يعتقد الحرمة فيه دليل على كذبه فى خبره ، فيتحقق المعارضة بينهما ولهذا وجب التثبت فى خبره . والاصل فى الماء هو الطهارة فيتمسك به ، ويتوضأ . وهذابخلاف المعاملات فانه يجوز الاخذ فيها بخبر الفاسق لتحقق الضرورة ، وعدم دليل يتمسك به سوى الخبر .

ويتلخص من هذه العبارة أن خبر الفاسق المنفرد عن التحرى وضميمة أكبر الرأى اليه يمتنع العمل به فى أمور الدين كالخبر بنجاسة الماء ، ويلجأ المبتلى الى العمل بالاصل ، اما عند التحرى وضميمة أكبر الرأى من المبتلى فيجوز العمل به .

ويكون الفرق بين قبول خبر الفاسق فى المعاملات ، قبول خبره فى الامور الدينية ، هو اشتراط التحرى وضميمة أكبر الرأى فى المسألة الثانية دون الاولى .

وهذا ما جرى عليه صدر الشريعة .

ولكن الامام « البزدوى » جرى على غير ذلك ، فهو يرى أن خبر الفاسق فى الديانات مردود أصلا سواء مع التحرى أو بغير التحرى ، وانما شرط قبول الخبر فيها تحقق عدالة الراوى كما قال شارحه : ان شرط العدالة فيها - أى أمور الديانات - لم يسقط ، لان فيها معنى الالزام من وجه ، باعتبار أن السامع يلزمه الطهارة بالماء ، اذا أخبر بطهارته ، ويلزمه التحرز اذا أخبر بنجاسته ، وليس فيها معنى الالزام من وجه باعتبار أنه لا يجبر عليه بل يفوض الى اختياره ، بخلاف حقوق العباد ، وكذا الحل والحرمة واذا كان كذلك لابد من اعتبار أحد شرطى الشهادة ليكون ملزما من وجه ، وقد سقط اعتبار العدد بالاتفاق ، فتعين اعتبار العدالة .

نعود الى ذكر عبارة « البزدوى » التى أسلفنا الاشارة اليها - مرة ثانية : قال « البزدوى » : « ولذلك قلنا فى الفاسق اذا أخبر رجلا أن فلانا وكلك بكذا فوقع فى قلبه صدقه حل له العمل بقوله » .

قد علمنا من الكلام السابق أن المعاملات لا يشترط فى قبول الخبر من المخبر بحصولها كالوكالات والمضاربات غير شرط « التمييز » دون العدالة وغيرها ولذلك قبل خبر الصبي المميز والكافر فى موضوعاتها ، وفى كلام « البزدوى » فى قبول خبر الفاسق بالوكالة اشتراط عدم العمل به لدى المخبر ، الا اذا وقع فى قلبه صدقه ، فما وجه هذا الاختلاف ثم ما هو جانب الصحة فى طرفى هذا الاختلاف .

أما وجه هذا الاختلاف ، فهو اختلاف الرواية عن محمد فى نمط من المسائل تقرر حكم خبر الفاسق فيها :

فقد ذكر محمد فى كراهية الجامع الصغير فى الرجل رأى جارية الغير فى يد آخر يبيعها وأخبره البائع أن فلانا وكله ببيعها وسعه أن يبتاعها ويطأها ، ولم يذكر تحكيم الرأى .

وذكر فى كتاب الاستحسان ، فى هذه المسألة وأمثالها : « فان كان أكبر رأيه انه كاذب لم يسع له أن يشتريها منه » .

فنحن الان أمام روايتين من كلام محمد فى حكم المسألة .

رواية باب الكراهية فى الجامع الصغير : وهى تطلق النص بقبول خبر الفاسق عن اشتراط انضمام رأى المبتلى للاخذ به ، فهذه الرواية متساوقة مع القاعدة التى بيناها .

ورواية كتاب « الاستحسان » - وهى تشترط لقبول

خبره أن ينضم له أكبر رأيه ؟ قالوا : لان انضمام أكبر الرأى فما لا يوقف فيه على اليقين يؤدى الى حكم اليقين . وهذه الرواية الثانية ضد القاعدة المثبتة .

وبازاء هذا الاختلاف الذى يتراءى تناقضا ، حاول الامام أبو جعفر من شيوخ الحنفية ، أن يستدفع هذا التناقض بطرق .

أحدهما : أن نحمل النص المطلق على المقيد ، أى انه يقيد الاطلاق فى رواية كتاب الكراهية التى لا تشترط انضماما كبر الرأى الى خبر الفاسق لقبوله يقيدها برواية كتاب « الاستحسان » التى تشترط هذا الشرط ، فكأن صوغ عبارة كتاب الكراهية « وأخبره البائع أن فلانا وكله ببيعها وسعه أن يبتاعها ويطأها - اذا كان أكبر رأيه أنه صادق فى خبره .

وينبنى على هذا الوجه من دفع التناقض : أن قبول خبر الفاسق مشروط بانضمام أكبر رأى المبتلى اليه فى المعاملات . وهو على خلاف ما أجملنا .

وثانيهما أن تكون رواية كتاب الكراهية محمولة على الرخصة ورواية كتاب « الاستحسان » محمولة على الاستحباب .

قال : لانه - أى محمد - قال فى كتاب الكراهية عن الجارية المبتاعة بطريق الوكالة « وسعه أن يبتاعها » وقال فى رواية كتاب « الاستحسان » : « لم يسع له أن يشتريها » بدل أن يقول : « لم يسعه أن يشتريها » . فاستنبط من الفرق بين ألفاظ الروايتين أن الاولى محمولة على الرخصة ، والثانية محمولة على الاستحباب .

وثالثها : ان فى حكم المسألة روايتين : رواية مطلقة عن التقييد باستعمال أكبر الرأى فى قبول خبر الفاسق ، ورواية أخرى تفيد تقييد قبول خبر الفاسق به .

أما جانب الصحة فى طرفى هذا الخلاف ، فالذى نرجحه هو القول باطلاق قبول خبر الواحد من قيد انضمام أكبر الرأى اليه - عملا بالقاعدة المستتبة السابقة ، وان ذلك هو الاصل . وأن اللجوء لضميمة أكبر الرأى اليه قد يطلب من باب الاستحباب والورع ، كما نظر الى ذلك أبو جعفر فى أحد نظريه .

وقد ثبت الان أن الخبر الذى لا يتضمن الالزام لا تشترط فيه شرائط الشهادة ما عدا « التمييز » ، وان ما كان فيه الزام محض . اشترطت له شرائط الشهادة من العدالة ، والعدد ، مع بقية الشروط .

وقد ساق الحنفية على هاتين القاعدتين بعض المسائل التطبيقية التى كانت محل نزاع بينهم أو بينهم وبين غيرهم من أصحاب المذاهب ، ونحن سنكتفى هنا بذكر مسألة واحدة لكل منهما باعتبارها مثالا لكل منهما دون استقصاء بقية ما عرضوا من صنف هذه المسائل .

المسألة الاولى : مسألة الشهادة بهلال رمضان .

لا خلاف أن هلال رمضان يثبت بشهادة الواحد ، كما روى عكرمة عن ابن عباس - رضى الله عنه - أن الناس أصبحوا يوم الشك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابى الى رسول الله فشهد بهلال رمضان . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتشهد أن لا اله الا الله ، وانى رسول الله ، فقال : نعم . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : الله أكبر يكفى المسلمين أحدهم . ولا خلاف أيضا فى أنه يشترط له الاسلام والبلوغ دون الحرية والذكورة . واما العدالة فقد اختلفوا فى اشتراط ثبوتها . ففى ظاهر الرواية هى شرط .

وذهب الامام الطحاوى الى القول بأن العدالة فى الشهادة بهلال رمضان ليست بشرط ، وعلة ذلك عنده أن الشاهد يلزمه الصوم بشهادته هذه فتنفى عنه تهمة الكذب فى خبره .

وذهب « السرخسى » الى القول باشتراط العدالة فى هذه الشهادة ، لان هذا خبر دينى كرواية أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فلابد فيه من شرط العدالة ولذلك اشترط فيه البلوغ والاسلام .

ومال الامام « البزدوى » الى القول بعدم اشتراط العدالة - كما قال الطحاوى ، ولكن بوجهة نظر أخرى غير وجهة نظر الطحاوى وهى : ان خبر الواحد هنا غير ملزم ، لانه وان كان شهد بهلال رمضان بما يقتضى لزوم الصوم على المسلمين ، لكن لزوم الصوم عليهم - لم ينشأ من شهادته - وانما نشأ من نص الشارع الموجب للصوم على المسلمين بقوله : « **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** » .

والحق ما فى ظاهر الرواية ، وما ذهب اليه السرخسى من اشتراط العدالة فى هذا الخبر ، دون ما ذهب اليه الطحاوى ، وصاحبه « البزدوى » .

المسألة الثانية : الشهادة بالرضاع .

قال الحنفية : لا تتم الشهادة بالرضاع الا بشهادة رجلين أو رجل وامرأتين . وقال مالك تتم الشهادة بالرضاع اذا شهدت به امرأة ثقة وكذلك روى عن عثمان - رضى الله عنه - وذلك لما روى ابن أبى مليكة أن عقبة بن الحارث تزوج بنت أبى أهاب فجاءت امرأة سوداء فأخبرت انها أرضعتهما . فذكر ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأعرض عنه ، ثم ذكر ثانيا فأعرض عنه ثم ذكر ثالثا ، فقال له فارقها اذن ، فقال يا رسول الله ، انها سوداء ، فقال عليه السلام : « كيف وقد قيل » . وفى بعض الروايات : « ففرق رسول الله بينهما » .

ووجهة نظر الحنفية تنبنى على العمل بحديث عمر - رضى الله عنه - « لا نقبل فى الرضاع الا شهادة رجلين أو رجل وامرأتين » .

وأما حديث عقبة بن الحارث فلا تتم به الحجة . لان النبى أعرض عنه أولا ، وثانيا ، مما يفيد عدم الحكم بالتحريم ، فلما رآه كرر القول ثالثا - أحس بطمأنينة قلب عقبة لقولها ، فأشار عليه بفراقها من

[البقية ص ١٣٨]

• من الفقه المقارن •

الأذان والإقامة

الاذان شعار الاسلام ومقدمة الى الصلاة قال تعالى : (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا) وقال تعالى : (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا) والمؤذن داع الى الله له فضل كما ورد فى الحديث : (انه لا يسمع مدى صوت المؤذن انس أو جن الا شهد له)

والاذان هو الوظيفة الثانية بعد وظيفة الامامة التى كان يتولاها رسول الله صلى الله عليه وسلم النبى الحر القرشى .

• الدكتور محمد عبد المنعم القيعي •

أما وظيفة الاذان فللعبد الحبشى الذى طالما عذب فى الله فجوزى بأن يصدع بكلمة الحق ممن فوق المسجد يعلن سقوط كل شىء وابقاء المبدأ الذى فيه يستند الكبرياء والانفراد بالالوهية لله وحده .

ولقد ظل المسلمون فترة من غير أذان وهم يبحثون عن شعار يجمعهم الى أن نضج مراد الله على قلب رجلين من المسلمين وهما عبد الله بن زيد ، وعمربن الخطاب اللذان ، رأى فى المنام أن يسمعهما كلمات الاذان وأيدهما الوحى فى ذلك ، وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بلالا أن يعلن كلمات الاذان بعد أن سمعها من جبريل .

ولم يكن أمر باعلانهما الا بعد رؤيا الصحابيين ، فكان الاذان ثابتا بوحى السماء ، أمر الله بتبليغه بعد رؤيا الاصفياء من المؤمنين (والمؤمن يرى بنور الله)

صفة الاذان :

واختلف العلماء فى صفة الاذان هل يربع التكبير الاول أولا ؟ أو يثنى وتربع الشهادتين أو يثلث ، ويختلف الترتيب فيقول المؤذن أشهد أن لااله الا الله ، أشهد ان محمدا رسول الله . حى على الصلاة حى على الفلاح ، ويعيد على هذا النحو أشهد أن لا اله الا الله الى حى على الفلاح ثلاث مرات .

وسبب الاختلاف فى صفة الاذان اختلاف الاثار فى ذلك فلاهل المدينة صفة للاذان يختلف عن الصفة التى نقلها أهل مكة ، وهؤلاء يختلفون مع مانقله أهل الكوفة والبصرة ، مع الاتفاق على أن كلمات الاذان محددة تبدأ من الله أكبر ، وتنتهى بلا اله الا الله .

فأما تثنية التكبير فى أوله على مذهب أهل الحجاز فروى من طرق صحاح عن أبى محذورة وعبد الله بن زيد الانصارى .

وأما تربيع التكبير فى أوله فمروى أيضا عن أبى محذورة من طريق آخر . والزيادة من الثقة مقبولة .

وأما من يربع التكبير ويثنى باقى الكلمات ، فيستشهد له بحديث أبى ليلى وفيه أن عبد الله بن زيد رأى فى المنام رجلا قام على خرم حائط ، وعليه بردان اخضران ، فاذن مثنى واقام مثنى وانه أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام فأذن مثنى ، واقام مثنى بعد أن كبر فى الاول أربعا .

والذى نستنبطه من اختلاف صفة الاذان ، واختلاف الاثار فى ذلك هو أن الاذان على التخيير ، وأن للمؤذن أن يختار من الصفات الواردة أيتها شاء .

واختلف العلماء فى قول المؤذن لصلاة الصبح : الصلاة خير من النوم

هل يقولها أو لا يقولها ؟

وسبب هذا الخلاف اختلافهم فى ورودها زمان النبى ، أو أنها لم ترد الا فى زمان عمر بن الخطاب وأيا ما كان فان ورودها فى زمان عمر يبرر مشروعيتها حيث لا نكير .

ولقد كان المؤذن يضيف بعض الكلمات الى الاذان لظروف ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يأمره بذلك كما ورد حين نزول المطر أن المؤذن كان يقول : بدل من قوله : حى على الصلاة يقول : صلوا أيها الناس فى رحالكم أو فى بيوتكم .

واختلف العلماء فى حكم الاذان هل هو واجب أو سنه مؤكدة ؟

وان كان واجبا فهل هو من فروض الاعيان أو من

فروض الكفاية ؟ وسبب الخلاف فى ذلك تعارض الاثار واختلاف الافهام فيها فمثلا روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمالك بن الحويرث ولصاحبه (اذا كنتما فى سفر فأذنا وأقيما وليؤمكما أكبر كما)

وكذلك يروى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يدع الاذان للصلاة فى الجماعة وأنه كان اذا سمعه كف عن الغزو لانه شعار المسلمين .

فمن فهم من هذا الوجوب مطلقا قال : انه فرض على الاعيان ، أو على الجماعة .

ومن فهم منه الدعاء للجماعة فى الصلاة قال : انه سنه مؤكدة وقت الاذان .

وأما وقت الاذان فاتفق الجميع على أنه لا يؤذن للصلاة قبل وقتها ماعدا الصبح ، فانهم يختلفون فيها .

فمن مجوز ، ومن مانع ، ومن قائل بالاذان بعد الفجر ان أذن قبل الفجر والسبب فى اختلافهم أنه ورد فى ذلك حديثان متعارضان أحدهما الحديث المشهور الثابت وهو قوله عليه الصلاة والسلام . ان بلالا ينادى بليل ، فكلوا واشربوا حتى ينادى ابن أم مكتوم ، وكان ابن أم مكتوم رجلا أعمى لا ينادى حتى يقال له أصبحت أصبحت)

والحديث الثانى **ما روى عن ابن عمر أن بلالا أذن قبل طلوع الفجر فأمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يرجع فينادى)**

فمن الناس من ذهب مذهب الترجيح فرجح الحديث الاول ، ومنهم من ذهب مذهب الجمع وقال : ان بلالا كان يؤذن عند الشك فى طلوع الفجر ، أما ابن أم مكتوم فكان يؤذن عند التيقن بطلوعه ، فمتى ثبت أن الاذان كان عند تيقن الفجر فلا اعادة . والاولى الا يؤذن المؤذن الا عند دخول الوقت ، فان أراد تنبيه الناس قال كلمات أخرى حتى يميز الناس بينها فيدركون أن الوقت لم يأت بعد الا اذا استمعوا الى الاذان من المؤذن وحينئذ يتأكدون من دخول الوقت .

الشروط المتعلقة بالمؤذن والاذان :

اختلف العلماء فى المسائل الاتية :

١ ــ هل من شروط من أذن أن يكون هو الذى يقيم أولا ؟

٢ ــ هل من شروط الاذان أن لا يتكلم فى أثنائه أولا ؟

٣ ــ هل من شروط الاذان أن يكون المؤذن على طهارة أولا ؟

٤ ــ هل من شروط الاذان أن يتجه المؤذن الى القبلة أولا ؟

٥ ــ هل من شرطه أن يكون المؤذن قائما أولا ؟

٦ ــ هل يكره أذان الراكب أولا ؟

٧ ــ هل من شرط المؤذن البلوغ أولا ؟

٨ ــ هل الاجر على الاذان مشروع أولا ؟

والمختار فى هذه المسائل أنه لا يشترط أن يكون المؤذن هو الذى يقيم لما روى أن بلالا أذن ، وأن عبد الله بن زيد هو الذى أقام الصلاة .

وأما **ما روى من أن من أذن أقام ، ففى سنده من لا يحتج به .والافضل الا يتكلم المؤذن أثناء الاذان .**

وان يكون على طهارة

وأن يتجه الى القبلة

وأن يكون قائما

غير راكب .

وأن يكون بالغا عاقلا معروفا بالصلاح اذ الناس يعتمدون عليه فى افطارهم وصيامهم وقيامهم بالعبادة لربهم .

أما أخذ الاجر على الاذان فلا بأس به خصوصا وأنه أصبح مصدر رزق لطائفة من الناس يرتبطون به كعمل يقومون به ، وكل من أوقف نفسه على عمل جاز أن يأخذ الاجر عليه كالاجر على الامامة وتعليم الناس العلم والقرآن ، **وفى الحديث (أن أحق ما أخذتم عليه أجر ا كتاب الله)** وعلى المستمع أن يقول مثل ما يقول المؤذن لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (**اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول ، ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا)**

وقيل يقول لا حول ولا قوة الا بالله عند قول المؤذن حى على الصلاة حى على الفلاح ، وأن ذلك مروى من حديث عمر بن الخطاب ومعاوية .

الاقامة :

واختلفوا بالنسبة لها فى حكمها فقيل هى سنة آكد من الاذان وقيل بل هى فرض مستقل ، وقيل بل هى فرض من فرائض الصلاة من تركها بطلت صلاته وسبب هذا الاختلاف هل هى من الافعال التى وردت بيانا لمجمل الامر بالصلاة فيحمل على الوجوب لقوله عليه **الصلاة والسلام (صلوا كما رأيتمونى أصلى)** أم هى من الافعال التى تحمل على الندب ؟

وظاهر حديث مالك بن الحويرث يوجب كونها فرضا اما فى الجماعة واما على المنفرد .

صفتها :

واختلفوا فى صفتها كما اختلفوا فى صفة الاذان ، والاثبت أن يربع فيها التكبير الاول ، وأن يثنى ماعدا ذلك الا لا اله الا الله فمرة واحدة ، وهناك صفات أخرى لها نقلت عن النبى صلى الله عليه وسلم نقلا صحيحا مما يدل على أنها محمولة على تخير الوارد من صفتها .

والاذان والاقامة هما الدعوة التامة . وقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : **(اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة ، والفضيلة ، وأبعثه مقاما محمودا الذى وعدته] وصلى الله على معلم الناس الخير.**

دفع ظن السوء

فضيلة الشيخ محمود أحمد هاشم

قال الامام مسلم رحمه الله تعالى :

وحدثنا اسحاق بن ابراهيم وعبد بن حميد « وتقاربا فى اللفظ » قالا : أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن الزهرى عن على بن الحسين عن صفية بنت حيى ، قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم معتكفا فأتيته أزوره ليلا ، فحدثته ثم قمت لانقلب ، فقام معى ليقلبنى ، وكان مسكنها فى دار أسامة بن زيد ، فمر رجلان من الانصار ، فلما رأيا النبى صلى الله عليه وسلم أسرعا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : على رسلكما انها صفية بنت حيى ، فقالا : سبحان الله يا رسول الله !! قال : ان الشيطان يجرى من الانسان مجرى الدم ، وانى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شرا ، أو قال شيئا • وحدثنيه عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى أخبرنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب عن الزهرى ، أخبرنا على بن حسين أن صفية زوج النبى صلى الله عليه وسلم أخبرته أنها جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم تزوره فى اعتكافه فى المسجد فى العشر الاواخر من رمضان ، فتحدثت عنده ساعة « ثم قامت تنقلب وقام النبى صلى الله عليه وسلم يقلبها ، ثم ذكر بمعنى حديث معمر غير أنه قال : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ان الشيطان يبلغ من الانسان مبلغ الدم ، ولم يقل يجرى •

فى هذا الحديث الشريف ، بيان لبعض آداب هامة حرص عليها الاسلام مع أتباعه ، وحرص الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، على أن يبينها للمسلمين قولا وعملا ، وتطبيقا معه شخصيا •

فالسيدة صفية أم المؤمنين رضوان الله تعالى عليها ، عندما زارت النبى عليه الصلاة والسلام وهو معتكف ، وجاءته عشاء ، رأى النبى عليه الصلاة والسلام رجلين من الانصار ، وكانت السيدة الكريمة بعد أن أنهت زيارتها قامت لتنقلب أى لترجع الى منزلها ، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليردها ، فلما مر الرجلان ، ورأيا النبى صلى الله عليه وسلم أسرعا ، فأراد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن يدفع عنهما ظن السوء ، فقد خاف صلوات الله وسلامه عليه ، أن يلقى الشيطان فى قلوبهما فيهلكا ، فان ظن السوء بالانبياء كفر بالاجماع ، والكبائر غير جائزة عليهم ، ولذا دفع الرسول صلى الله عليه وسلم عن الرجلين سوء ظنهما ، فقال : على رسلكما ، أى على هينكما فى المشى فليس هنا شىء تكرهانه ، وبين لهم تلك الشخصية التى كانت معه ، وأنها ليست امرأة أجنبية ، وانما هى زوجه صفية بنت حيى ، أرأيتم الى شفقته صلى الله عليه وسلم ورحمته بأمته ، وخشيته أن يقع واحد منهم فى سوء عمله ، بسبب سوء ظنه ؟ انه اذا لرؤوف رحيم •

وصدق الله العظيم اذ يقول فى حقه :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » •

ثم أجاب الرجلان قائلين : سبحان الله يارسول الله ، وفى هذا جواز التسبيح تعظيما لشىء ، وتعجبا منه ، وقد ورد كثير من هذا التعبير فى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، قال الله تعالى :

« ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك ! •

فقال صلى الله عليه وسلم : « ان الشيطان يجرى من الانسان مجرى الدم » قال القاضى عياض وغيره : قيل : هو على ظاهره ، وأن الله تعالى جعل له قوة وقدرة على الجرى فى باطن الانسان مجارى دمه •

وقيل : هو على الاستفادة لكثرة أغوائه

ووسوسته ، فكأنه لا يفارق الانسان كما لا يفارقه دمه ٠

وقيل : يلقى وسوسته في مسام لطيفة من البدن فتصل الوسوسة الى القلب ٠

وقد استنبط الامام النووى ، بعض نتائج هامة فى هذا الحديث منها :

كمال شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته ، ومراعاته لمصالحهم ، وصيانة قلوبهم وجوارحهم ٠

وفيه أن من ظن شيئا من نحو هذا بالنبى صلى الله عليه وسلم كفر ٠

وفيه جواز زيارة المرأة لزوجها المعتكف فى ليل أو نهار ٠ وأنه لا يضر اعتكافه لكن يكره الاكثار من مجالستها والاستلذاذ بحديثها ، لئلا يكون ذريعة الى الوقاع أو الى القبلة أو نحوها مما يفسد الاعتكاف وفيه استحباب التحرز من التعرض لسوء ظن الناس فى الانسان ، وطلب السلامة والاعتذار بالاعذار الصحيحة ، وأنه متى فعل ما قد ينكر ظاهره مما هو حق وقد يخفى أن يبين حاله ليدفع ظن السوء .

وفيه الاستعداد للتحفظ من مكايد الشيطان فانه يجرى من الانسان مجرى الدم ، فيتأهب الانسان للاحتراز من وساوسه وشره ، والله أعلم ا هـ .

واذا كان المسلم مطالبا بأن يدفع عن نفسه ظن السوء ، فانه أيضا مطالب بألا يظن ظن السوء .

قال الله تعالى : « ياأيها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم » .

وهكذا نرى أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه يدفع عن نفسه ظن السوء وهو من هو ؟ رسول الله وخاتم النبيين غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ومكانته عند ربه عظيمة لا تصل لها مكانة ما ٠

ومع ذلك فانه يربأ بنفسه أن تكون مظنة سوء الظن من أحد من الناس ، فيقع فيه بالظن فتكون عاقبة من ظن عذاب جهنم وبئس المصير .

وهو بهذا أيضا ، يوضح لنا بعمله ، وتطبيقه للخلق الحسن كيف نقتدى به فى سلوكنا ، وفى اتقائنا للشبهات ، ولمواطن الريبة ٠ وصدق الله : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا » ٠

بقية مقال « فى أصول الفقه »

قبيل الاحتياط والنفرة . لا من قبيل اثبات حكم الحرمة بينهما . وأما الزيادة المروية فغير ثابتة .

ومن الجانب الفقهى المنوط بالقواعد – وهو الجانب المستدعي للمسألة – فذلك أن الشهادة على الرضاع شهادة تقوم لابطال الملك ، وما كان كذلك فلا يقبل فيه الا شهادة رجلين ، أو رجل وامرأتين . وذلك لان الحرمة فى باب النكاح لا تنفصل عن زوال الملك . فكانت الشهادة بالرضاع مزيلة للملك كالشهادة على الطلاق والعتق لا تتم الا برجلين أو رجل وامرأتين .

وتوضيحه : أن الحل والحرمة فى باب النكاح لا تثبت كل منهما مقصودة لنفسها بل تثبت تبعا وحكما لملك النكاح وجودا وزوالا . وأما فى حل الطعام ، والشراب من الامور الدينية فيثبت الحل والحرمة فيهما مقصودا لنفسهما لا تبعا لغيرهما .

بيان الاول : لو أن رجلا أذن لاخر أن يطأ جاريته أو امرأة أذنت لرجل أن يطأها لما حل لهما ذلك لانعدام سبق ملك النكاح بينهما ، وان الحل والحرمة فى النكاح مستلزمان لثبوت الملك ، لا ينفصلان بانفسهما عنه .

وبيان الثاني : لو أن رجلا قال لاخر توضأ بمائى أو اشربه لحل له ذلك . مع كون الماء باقيا على ملك صاحبه ، لان اذنه بذلك اباحة لا تمليك للغير . ولو كان يملك عصيرا فتخمر لحرم عليه استعماله مع بقائه على ملكه . وكذلك لو اشترى ذبيحة فاخبره مسلم عدل أنها ذبيحة مجوسى حرم عليه أكله ، ولم يخرج بذلك عن ملكه . فههنا نرى أن حل الطعام والشراب انفصل عن كونه مستلزما للملك ، بعكس ذلك فى النكاح – أى اصابة البضع .

واذا كان الامر كذلك فان الشهادة على ثبوت الرضاع عند الزواج تقتضى ثبوت الحرمة بينهما ومن حيث أن الحرمة حكم الملك ولازمة ، فان ثبوتها يقتضى ابطال الملك وزواله على صاحبه ، فهى اذن خبر يتضمن الالزام المحض وكل خبر هو كذلك ، فلا يقبل الا أن يكون فى صورة شهادة رجلين ، أو رجل وامرأتين .

أما الخبر بحل الطعام والشراب فانه خبر بامر دينى يكتفى فى قبوله بخبر الواحد العدل ، اذ ليس فيه الزام على أحد .ه

من تعاليم
الإسلام
العامة

الإسلام لم ينتشر باستعمال القوة

سماحة الأستاذ
مبشر الطرازي الحسيني

من الحقائق الثابتة فى التاريخ الانسانى ، التي لا يسوغ انكارها أن الاسلام لم ينتشر باستعمال القوة والسلاح من السيف وغيره ، ذلك لان رسول الاسلام محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام لم يستعمل القوة المادية فى سبيل نشر دينه المبين : وانما قام بتأدية رسالته وواجب نبوته عن طريق الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ومجادلة الخصوم بالتى هى أحسن : وانما ذلك امتثالا بأمر ربه سبحانه الذى قال :

« أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » النحل .

وقد صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم [صبر أولى العزم من الرسل] على أذى قومه من المشركين وطائفة المستهزئين بكل شجاعة وثبات هو ومن آمن به من أهل بيته وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين .

وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٣ سنة من نبوته على هذه الحالة الى أن أخرج من وطنه مكة هو وأصحابه [بعد أن قضى بعضهم مدة بعد أخرى من الهجرة الى الحبشة] ، وكان ذلك بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله .

هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وانتظر أمرربه سبحانه الى أن أذن بالقتال حيث قال :

« **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة واتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور** » .

والنص يدل بكل صراحة على أن الاذن بالقتال انما كان بسبب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم قد ظلموا [**وكأنهم قوتلوا**] من قبل مشركى قريش ، وأخرجوا من ديارهم بغير حق ، وانما كان ذنبهم [فى نظر المشركين] أنهم قالوا ربنا الله .

وكان هذا هو علة تشريع الحرب ضد كفار قريش . فكانت الحرب فى بادىء الامر مختصة ضد قريش كما هو المفهوم من نص الاية ، ولهذا فان رسول الاسلام – عليه الصلاة والسلام لم يعترض على أية قبيلة أخرى من قبائل العرب المشركين ولكن القبائل حينما اتحدوا مع كفار قريش على الحرب ضد نبى الاسلام وأصحابه أمرهم الله سبحانه بمقاتلة عامة المشركين حيث قال « **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة** » – التوبة .

وهذا كان سبب تعميم الحرب ضد جميع القبائل المشركين .

أما الحرب ضد اليهود

فقد كان سببها ما يلى : لما قامت قبائل قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة [وهم يهود المدينة] ضد رسول الله صلى اللهعليه وسلم وأصحابه ، وأبدوا عداوتهم وجاهروا بالحسد والمخالفة ، مستندين فى ذلك على مساعدة المنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن أبى بن سلول [وهو كبير أهل المدينة فى السابق] التزم رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبر ، ولم يقدم ضدهم بأى اقدام حربى ، وأنما اكتفى بأخذ معاهدة عند التعرض على المسلمين ، وعدم التعاون مع المشركين والمنافقين ضد الاسلام ، ولكن يهود المدينة خانوا ونقضوا عهدهم ، ولهذا فقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالحرب ضد اليهود حيث قال : « **واما تخلفن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ، ان الله لا يحب الخائنين** » الانفال ، وهذا كان سبب الحرب ضد اليهود .

أما الحرب ضد الروم وفارس

فان سببها كان ناتجا من موقفهما العدائى أيضا : كانت كل من دولة الروم وفارس دولة عظيمة تجاور الامة العربية فى حدود جزيرة العرب ، وكانت تزعم أنها تستحق أن تحكم الدنيا بأسرها ، وانما ذلك استنادا على قوتها الجبارة قبل الاسلام وحضارتها القديمة .

وكانت تريد خاصة ان تستولى على جزيرة العرب ، تعيش تحت حمايتها بتأدية الرسوم والخراج . ولهذا فان الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ يكتب الى قيصر الروم والى امبراطور فارس ويدعوهما الى قبول الاسلام .

فقد كتب فى أواخر سنة ٦ هـ كتابا الى قيصر الروم ، وأرسله على يد دحية الكلبى لكى يوصله عن طريق والى بصرى الى القيصر ، وكان الكتاب انما يتضمن دعوة القيصر وبواسطته دعوة الروميين الى دين الاسلام .

ولما وصل الكتاب النبوى الى القيصر ، أمر باحضار أبى سفيان بن حرب ونفر من رجال العرب [وكانوا حضروا الشام بتجارة بعد صلح الحديبية] وتفاهم مع أبى سفيان بطريق سؤال بعد سؤال عن محمد بن عبد الله نبى الاسلام [كما هو المذكور فى حديث هرقل المروى فى كتب الصحاح] ثم أبدى تصديقه بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال : « **فعلمت أنه نبى ، وقد علمت أنه مبعوث ولم أظن انه منكم : وان كان ما كلمتنى به حقا فسيملك موضع قدمى هاتين ، ولو اعلم أنى أخلص اليه لتكلفت ذلك** » اى لسافرت اليه واسلمت بين يديه .

ولما عرض القيصر الكتاب النبوى بترجمته على البطارقة وعظماء دولته فى مجلس جامع ، ودعاهم الى مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أنكروه وحاولوا الخروج من المجلس ، ولكن أبوابه كانت مغلقة بأمر القيصر . وهنا قال القيصر : انى قلت مقالتى أختبر بها شدتكم على دينكم » فسكتوا ورضوا عنه .

والمفهوم من نص الحديث : أن القيصر غلبه حب ملكه على قبول الاسلام فذهب بأثمة واثم رعيته ، ولكنه رد دحية الكلبى ردا جميلا .

وقد حدث بعد ذلك أن عظماء الروم ولا سيما البطارقة قاموا ببث الكراهية للدعوة وتركيز عداوة محمد نبى الاسلام ، عليه افضل الصلاة والسلام فى قلوب الروميين ، حتى ان شرحبيل بن عمرو الغسانى قتل حارث بن عمير الازدى حامل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريقه الى أمير بصرى ، وكان ذلك سنة ٨ هـ فى موضع مؤتة .

ولهذا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جهز جيشا من ثلاثة آلاف مجاهد وأرسله الى مؤته وكان ذلك للقصاص عن قاتل حارث بن عمير الازدى رضى الله عنه ، ولما وصل جيش المسلمين الى مؤتة ، علموا أن دولة الروم قد جمعت وجهزت جيشا عظيما من الروميين والعرب المتنصرين وعددهم مائة وخمسون ألفا ، وانما كان ذلك لقتال المسلمين والقضاء على دعوة الاسلام والحيلولة دون انتشار الدين المبين .

ولو لم يجهز جيش المسلمين ولم يخرجوا لفاجأهم الروميون بالهجوم ، نتيجة لذلك الاثارة التى قام بها عظماء الروم ومن معهم من البطارقة بين الروميين ضد دعوة نبى الاسلام عليه أفضل الصلاة والسلام .

هذا . وفى تلك السنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا الى كسرى امبراطور فارس على يد عبد الله بن حذافة السهمى ، يدعو به الامبراطور ومجوس فارس الى قبول دين الاسلام المبين .

ولكن كسرى (الامبراطور) مزق الكتاب النبوى استكبارا بعد الاطلاع عليه وألقاه على الارض . ولما أن كسرى كان امبراطورا [أى ملك الملوك فى ذلك الوقت] لم يقتنع بهذا الاعتداء بل أصدر أمره [بحماقة] الى عامله باليمن حتى يحضر محمدا على يدى رجلين جلدين . ولكن الله سبحانه عاجله بقيام ابنه شيرويه عليه وقتله اياه ثم ان شيرويه أرسل أمرا على عامله باليمن ينهاه عما أمر به أبوه كسرى .

ومما يذكر هنا : أنه لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مافعله كسرى بالكتاب النبوى دعا عليه قائلا : « **مزق الله ملكه كل ممزق ، وقد فعل ، فقد كان ملكه اقرب الممالك سقوطا تحت اقدام الجيش الاسلامى**

ثم لما رأى أهل فارس أن روح الصلح وايثاره على الحرب فى الدين الاسلامى والاتجاه نحو السلم والامن وراحة الشعوب [هذا المبدأ الذى اتخذه المسلمون] قد أثر فى مستعمراتهم تأثيرا لخسرانهم ، ورأوا أن المستعمرات تنضم الى المملكة الاسلامية (وتزيد انضماما) بدون حرب أى قتال ، خافوا على مستقبل يهددهم ومصير امبراطوريتهم مع ماظنوا من ظن أن انتصار المسلمين على الروميين ليس لضعف جيش الروم .

ولهذا فقد اشتد حقدهم وعدوانهم على المسلمين وبدأوا بالغارة والاعتداء على قبائل العرب الذين يعيشون فى الحدود المجاورة لهم . كما أثاروا ملوك الحيرة [الذين كانوا تحت سلطتهم] ضد المسلمين ، حتى أخذوا عدتهم للاعتداء على الاسلام وعلى من اعتنقه من العرب .

وكان هذا وذلك سبب القتال مع دولة الروم وفارس . وانها حقيقة تثبت فى سجل التاريخ ، ومن النصر الطبيعى ان واقعات التاريخ لا يسوغ انكارها ، ولهذا فان أبابكر وعمر [خليفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده] رضى الله عنهما ، فقد دام كل منهما فى عهده يقاتل الروم وفارس ، وقد سجل التاريخ فتوحاتهما التى لا تغيب عن اذهان العالم البشرى ، مما أدت الى تخليص كتلتين عظيمتين من الاستبداد والحاكمية المستبدة الظالمة .

محمد

صلى الله عليه وسلم

والدعوة إلى الإسلام

• الدكتور محمود السقا •

حينما تبلورت الفكرة فى عقيدة النبى بأن يأخذ بناحية الدعوة صوب آفاق جديدة تحنو على الدعوة وتباركها ، وتكون أرضها صالحة تنمو بذور الدعوة ، ومن هنا تلاقت آمال النبى فى تحقيق انتصار أكيد للدعوة مع تخطيط فذ وحكيم اتسم به الفكر المحمدى فى كل خطوة من خطوات نشر الدعوة وأيضا فى كل مرحلة من مراحلها .

لقد اختار النبى ، وفى اختياره هذا ترجمة صادقة نم عنها عقل عظيم ومنطق سديد ، فكانت وجهته صوب يثرب .

لقد رأينا من قبل كيف أن النبى فى مرحلة الاعداد للتوجه بدعوته صوب يثرب عرف عنها كل صغيرة وكبيرة ، عرف طبيعة المدينة بكل أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والعقائدية ، ووقف على شتى ألوان الصراع الداخلى بها ، وجاءته التقارير تباعا من مبعوثيه الى المدينة ، وعلى رأسهم مصعب بن عمير ، الذى تربى فى مدرسة النبى وحمل دور الداعية ، وكان طرازا فريدا فى القيام بمهمته ، وقد جاءت تقاريره كاملة تماما تكاد تتفق مع أبلغ التقارير الدبلوماسية المعاصرة ، كما يقرر بصدق الباحثون الذين تناولوا هذا الجانب الايجابى فى الدعوة عند مصعب بن عمير (انظر وليم وات : محمد نبى ورجل دولة ، ص ٧٥ وما بعدها) .

ثم جاءت المعرفة عن طريق مصدر آخر تمثل فى لقاءات النبى بوفود أهل المدينة ، استمع اليهم واستمعوا اليه فى حكمة وهدوء واستعراض صريح لكافة وجهات النظر ، وهذا لون فذ فى مجال الحوار الحر الصريح الذى كان بحق عنصرا هاما من عناصر الدعوة الاسلامية ، ولقد تمخض هذا الحوار عن مزيد من المعرفة لطبائع أهل المدينة ، ووقوفا من النبى أكثر على ألوان تفكيرهم ، وان كان اقتناع تلك الوفود جاء سهلا يسيرا أمام شتى الحجج التى عرضها النبى أمامهم عن الاسلام ، الامر الذى دفعهم الى الايمان بالدعوة وبصاحبها ، الا أن قضية النبى مع دعوته كانت أبعد غورا من مجرد الايمان السريع بالدعوة ، فانه وان كانت تلك الوفود ، كما يقرر الباحثون ، جاءت ممثلة لكافة قبائل المدينة ، وألوان فكرهم ، الا أن النبى كان يضع أمامهم العديد من التساؤلات وينتظر الاجابة عنها ، ومن هنا كانت تذهب الوفود وتعود حاملة كل ما يطمئن قلب النبى وعقله وطموحه ، حتى وضحت أمامه الرؤيا كاملة وثابتة ، الامر الذى انتهى به الى أن يبرم مع ممثلى تلك الوفود أول معاهدة فى الاسلام ، وفيها احتواء كامل لكافة عناصر المعاهدات ، من تحديد الشروط وصيغة الالزام . ولقد اقترنت تلك المعاهدات بمواثق وعهود من جانب هؤلاء القوم والتى اصطلح على تسميتها بالبيعة ، والبيعة من جانب هؤلاء كانت نموذجا

احتوى على عناصر الاسلام الجوهرية ، الامر الذى يدعونا الى القول بأن مثل تلك البيعات كونت فى الفكر السياسى الاسلامى عنصر القبول من جانب أهل المدينة ، وتصديقا لذلك ما جاء على لسانهم وتم تسجيله فى نص بيعة العقبة الاولى (على ألا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وارجلنا ، ولا نعصيه فى معروف) .

فى تلك البيعة كما هو واضح يتجلى العنصر الاول فى الدعوة الاسلامية ، وهو « وحدانية الاله » ثم ايضاح للجانب الاخلاقى السامى فى الدعوة والذى بموجبه تحركت الدعوة الاسلامية منذ أول يوم فى تحركها ، جاءت لتقضى على تلك العادات الكئيبة السوداء التى تغلغلت فى ضمير الجماعات القبلية وأضحت مع الزمن أعرافا راسخة بينهم مثل : السرقة ، الزنا ، قتل الاولاد .. الخ .

وعلى ضوء هذه الفكرة الاخيرة تعهدت وفود المدينة أمام النبى على محاربة الكفر بكافة أبعاده والوقوف معه فى القضاء على تلك العادات الموروثة التى لا تتفق على الاطلاق مع نور العقل البشرى ولا يستسيغها المنطق السليم والادراك الواعى .

ويضيف الينا الباحثون عنصرا جديدا أخذ هو الاخر مكان الصدارة فى تلك المعاهدات ، وهو أن وفود المدينة لم تكتف بما أبرمته مع النبى من مواثق وعهود أكدت المنشور الدينى والاخلاقى فى سجل الدعوة الاسلامية والايمان بدعوة الاسلام وبالاسلام دينا جديدا كاملا فى بهائه ، واضحا فى مبادئه ، وانما أعلنوا بجانب ذلك ايمانهم « بنبوة النبى محمد » وقد نبع ايمانهم هذا اثر الوقوف - فى مرحلة الحوار - على كثير من جنبات شخصية النبى ، وفكره ، وفلسفته ، ونوع الحوار الذى كان يناقشهم فى قضاياه . ومن هنا يحق لنا أن نصدر نفس الحكم الذى أجمع عليه الباحثون والذى يتلخص فى أن « الدعوة الاسلامية ارتبطت سواء فى مرحلتها الاولى وأيضا فى كافة مراحلها برابطة لا انفصام لها بشخصية النبى محمد » .

ثم يأتى العنصر الجوهرى الاخير فى معاهدات النبى مع أهل المدينة ، والذى تضمنته كافة المعاهدات ، وهو عنصر « الحماية » ، فالامر الذى فطن اليه النبى ان دعوته سوف تهز معتقدات وعادات بالية راسخة بين أهل المدينة وشتى قبائلها ، والتى حكمت - كما سنرى ذلك تفصيليا فيما بعد - باستعار الحروب الدامية بين قبائلها المختلفة ، من هنا ، وقد وضح ذلك - فى بيعة العقبة الثانية أن وقف وفد المدينة أمام النبى يعلنون ويسجلون حمايته « كأعز وأغلى من يفدى » وقد جاء ذلك بوضوح على لسان « البراء بن معرور » حينما أمسك بيد النبى وقال موجها خطابه اليه « والذى بعثك بالحق ، لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا ، فبايعنا يارسول الله ، فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر » .

لقد تلاقت عناصر المعرفة فى بوتقة من التخطيط المحمدى المتين ، ليلتقى النبى بأهل المدينة ، الذين حرقهم الشوق الى لقائه ، وهناك بين ارضها وناسها وتحت سماء الله يقول كلمة الاسلام ويعلن السلام ، وما قدمناه يمثل جانبا تحليليا فى فلسفة الدعوة الاسلامية فى مرحلة الاعداد لرحلة النبى صوب المدينة ، تلك المرحلة التى اتسمت ، كما قررنا من قبل باعتبارها « مرحلة تهيئة » بالنضال والجهاد ، بالحجة والمنطق ، فى هدوئه وروعته ووضوحه .

هل بعد ذلك كله ، يمكن للادراك الانسانى فى مجال التحليل المنطقى ، أن يصغى السمع الى ما ردده الحاقدون ، من ذوى الفكر المريض الاصفر ، والذين يقررون بأن « مجىء محمد الى المدينة جاء ضمن خطة استيلاء المكيين على المدينة » وان كان القول المسموم هذا ، العارى من كل لازمة تاريخية ، والذى تناسى فى حماه صدى تلك المعاهدات وحقائق تلك المواثيق ، فاننا سوف نواجه هذا الادعاء بالتصدى الى اعلان حقيقة الحياة من كافة زواياها على أرض يثرب قبل أن يذهب اليها النبى ، بناء على رضاء كامل واقتناع أكيد من جانب كافة الوفود التى قررنا بأنها « كانت تمثل كافة الوجهات الفكرية والعقائدية لعرب المدينة » (انظر ، وليم وات : محمد : نبى ورجل دولة ، ص ٧٥) . ثم انه بجانب ما عرضناه من حجج ، وما سنلقى عليه أضواء المعرفة التاريخية والفكرية حينما نتعرض لتحليل الجانب المادى والبشرى فى ماديته وروحانيته عند قبائل وسكان المدينة ، فانه يكفينا هنا أن نقول ما جاء على لسان الباحثين ، وهو ترجمة لاجماع من جانب المؤرخين وعلماء السيرة ، وذكره « وليموات » فى مؤلفه المشار اليه ، حينما تعرض الى القضية التى طرحناها من أنه « لم يكن مجيىء محمد الى المدينة ، كما يدعى البعض ، وهم حاقدون على الاسلام ونبيه ، لا ريب فى ذلك ، ضمن خطة استيلاء المكيين على المدينة .

(ان محمدا عاش فى حرب مع مكة ، وفى الوقت الذى أذن له فيه بالهجرة ، كان المكيون يبحثون عنه فى كل الدروب ابتغاء التخلص منه ومن دعوته) .

وعلى ضوء تلك الحقائق المنطقية والتاريخية ، مازلنا نصطحب علميا أشعة الدعوة المحمدية فى حزمة نور نحو دروب المدينة .

التصوّف والفلسفة الإسلامية

الصوفية فى الهامهم

الحب العارم

الاستاذ حسن كامل الملطاوي

الحب العارم

حب من أهوى بلحمى ودمى أملى فى الوصل يشفى الملى
ليتنى أفنى على أعتـــابه وأرانى فيه ضمن الخـــدم
ان دمـــعى كاد أن يغرقنى بينما قـــلبى ثوى فى ضرم
ان قـــلبى يادجى فى وله ذائع الاشـــجان بل لم ينم
ليس فى الحب منـام لفتى ذاق أقسى وجـــده فى كرم
انما الوجـــد حنين قاتل ومذاق الوجـــد فوق الكلم

تلك أبيات من غراميات سيدى وشيخى الشيخ على عقل ـ طيب الله ثراه ـ التى تدفق بها الهامه الفورى الذى أفاض الله به عليه ونقلناها عنه وهو ينشدها على مجلس الذكر وهى تشرح حال السادة الصوفية الذين أحبهم الله وأحبـوه وآثرهم وآثروه ، فلم يتلهوا عنه بدنيا فانية كما تلهى غيرهم ، فكانوا بحق أولى الالباب كما وصفهم سبحانه فى كتابه الكريم ، ولاشك أن من الرشد التعلق بالباقى الذى لايزول لان حبه تعالى يبـقى ببقائه ويدخر الله جزاءه لصاحبه يوم لقائه ، يوم تبيض وجوه المحبين الذين تتلقاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون . وعندئذ يقول المفرط الذى غفل بدنياه عن ربه :

فارقنى الرشــــد وفارقته لـــــا تعلقت بشىء يمـوت

وقد ولع رسول الله صلى الله عليه وسلم بربه فى نشأته الباكرة فكان يخلو فى غار حراء شهرا كل عام قبـــل أن تأتيه الرسالة ، وعجب قومه منه لانفراده بسلوك يغـــاير سلوكهم وقالوا لقد عشق محمد ربه ، وما دروا ان مسلكه فى عشق ربه هو المسلك الاقوم ،وأن الله تعالى هيأه لان يكون داعيا برسالته الى توحيد الله ومحبته فكانت رسالته رحمة للعالمين وهـــدى للمتقين وضياء للمحبين ، وقد علمنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما علمنا فقال : المرء مع من أحب ، واذا كان المرء مع من أحب فان أشرف معية أن يكون المؤمن محبا لربه فليس له بعـــد الله غاية ، ومحبته تعالى ىأسمى الغايات ونهاية السعادات ولذلك هام السادة الصوفية فى تلك المحبة ، وربوا ناشئتهم عليها ، ومن تعاليمهم : ليس الا الحب ثم الوصل والقرب ثم الشهود ثم البقاء . وقد أنشدوا فى ذلك :

فجـــدوا فان الامـــر جـــد وشـــمروا
بفضـــل ارتيـــاض أو باصـــلاح أخـــلاق
ودســـوا لهـــا المنى رويدا وأيقظـــوا
بصـــيرتها من بعـــد نـــوم وأغـــراق
فان ســـكرت واستشرفت عنـــد سكرها
لـــا هية السـقيا ومعـــرفة الســـاقى
أطيـــاروا على روض الجمـــال خطورها
الى أن يقـــوم الحب فيها على ســـاق
وغـــلوا لهيب الشـــوق يطوى بهـــا الفـــلا
الى الوجـــد فى مسرى رمـــوز وأذواق
فمـــا هـــو الا أن تحـــط رحالهـــا
بمثـــوى التجـــلى والشـــهود باطـــلاق
وتفنى اذا ما شـــاهدت من شـــهودها
وقد فنى الفـــانى وقـــد بقى البـــاقى
هنـــالك تلقى العيش تصـــفوا ظـــلاله
وتنعـــم من عـــين الحيـــاة برقـــراق
ومـــا قســـم الارزاق الا عجيبـــة
فـــلا تطـــرد الســـؤال ياخير رزاق

ويبين لنا سيدى وشيخى الشيخ على عقل ـ نور الله مرقده ـ فى الهامه المرتجل كيف تدرج به شـــيوخه حتى أحب ربه حب الخواص فيقول :

ولم أدر طعـــم الحب من بـــدء نشـــأتى
ولكنهـــم بالـــذكر قـــد شـــغفونى
وكنت خليـــا لست أعـــرف ما الجـــوى
ولكنهـــم بالحق قـــد شـــغلونى
هـــلا حبـــه فهما ووجـــدا ورغبـــة
لـــذلك كـــل الخـــلق قـــد رغبونى
فـــكان حنـــانا أن نشـــاهد ربنـــا
وكانت حيـــاتى بعـــد لو قتـــلونى
لقـــاؤك ايمـــانى وذكـــوك حجـــتى
وحبـــك روحى واليقـــين وتينـــى
وقـــد طاب لى بالـــذكر ما أنا قاصـــد
وفى عـــزة التقـــوى جمعت شـــؤونى
بحـــزم علمت الحب بالعـــلم خفـــة
ففى شـــدتى ألقى نـــداك ولـــينى

ويقول السادة الصوفية ان شوق المؤمن لربه كامن فى فطرته التى فطره الله عليها كمون النار فى الحجر ، فان قدحت الحجر أورى ناره وان تركته توارى فلم يظهر الشرر . كما يقولون ان المحب لا يسكن حنينة وأنينة حتى يسكن مع محبوبه ، ومن أبيات شيخنا المتقدمة يؤخذ أن ذكر الله تعالى ذكرا كثيرا يثير نار المحبة الكامنة فتبدو معالم الحب على الذاكر ، والذكر الكثير علامة من علامات المحبة ، وقد جبلت النفوس على حب من أحسن اليها ، والمحبـــة داعبة الى الاكثار من ذكر الحبيب ، ولا محسن غير الله ، وليس أحق بالمحبة منه سبحانه ، فهو وحده المنعم الجدير بالذكر والمحبة ، وان جاءت النعم على يد خلقه ، فهو الذى يســـوقها لانه خالق الاسباب ومسببها [وما بكم من نعمة فمن الله] .

وكل مؤمن محب لربه على قدر علمه به ومعرفته له ، ولذلك يقول سيدى الشيخ على عقل فى الهامه رضى الله عنه :

الحب ان مـــلك النفـــوس أعـــزها
والعاشـــقون بربهـــم علمـــاء
فاذا عشقت اللـــه عشـــقا صـــادقا
كن بعـــد ذلك صـــاح كيف تشـــاء
فالحب يمنـــع أن تزيـــغ عن الهـــدى
الـــحب ســـتر للفتى وغطـــاء
ان الهـــوى صـــدق الوداد وصـــونه
والعهـــد ان تحفظ فـــذاك شـــفاء
من يصـــدقوا فازوا ومن ســـهروا علوا
ولهم أضـــاءت فى الـــدجى الزهـــراء
ان المـــريد اذا صـــفت أخـــلاقه
لـــم يبـــق فيـــه من الصـــفاء ريـــاء
واذا هـــو اتخـــذ المهيمن جاهـــه
فمقامـــه بين الرجـــال ســـماء

ومن ذلك ندرك أنه على قدر المعرفة يكون الحب وعلى قـــدر الحب يكون القرب ، وهو قرب مكانة وكرامة وليس قرب مسافة ومكان لانه ليس بينك وبين الله مسافة . ويقول [وهو معكم أينما كنتم] ويقول سيدى على وفا رضى الله عنه ـ كما جاء عنه فى رسالة الدكتور ضياء الدين نجم الدين الكردى زاده الله فضلا :

فعل « أحب » يأتى لازما بمعنى اتصف بالمحبة ، ومتعديا بمعنى حمل على الاتصاف بالمحبة ، وبالجملة المحبوب صفة محبه ، كما أن المعلوم صفة عالمه ، والمعروف صفة عارفه ، هذه المحبة تغير الطباع وتنقل من معدن الى معدن . فالحب تجول فيه أوصاف الحب محققة أغراض حبيبه : فالمحبة جالت بأوصاف الحق فى الخلق ، فصقلت معادنهم لما تعلقت به ، فغيرت البخيل كريما لمحبوبه ، والعاصى مطيعا لمحبوبه ، والعجول حليما لمحبوبه ، والضعيف قويا لمحبوبه ، والجبان نصيرا لمحبوبه .

كما يقول سيدى على وفا رضى الله عنه :

واعلم أن المحبوب لا يقبل الشركة ، الا ترى الى قوله تعالى [وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى] ولقوله تعالى [واصطنعتك لنفسى] فالمحبة دائر معها التوحيد والاستخلاص ، فمن أحب شيئا لا يريد أن يكون له فيه شريك ، حتى الرجل يحب امرأة فلا يريد له فيها شريكا ، وكذلك المرأة تحب الرجل فلا تريد لها فيه شريكا ، وقس على هذا ، وانتهى رضى الله عنه الى قوله :

فما أحب الله عبدا الا ملاه بالله ، ولا كره الله عبدا الا ملاه بسواه . فاذا أحب العبد ربه حقا أحرق الحب جسده حتى لم تبق له لذة جسدية يلذ بها اذ الحب الروحانى نار الله الموقدة تذيب كثافة النفس حتى تشق فتطلع على الافئدة ... فالحب الالهى اذن لا يقع كسبا انما جذبا ، فمن جذبه المحبوب فلا عائق لمجذوب ، ومن دعاه داعى الغيوب ، فما على القلوب دروب ، ومن شغل عن المطلوب فآه ثم واه على المحبوب ، متى تنكشف الكروب والنفس غارقة فى الذنوب ، أين من يتفانى ويؤوب لرب يفرح بعبد يتوب ، متى فرح بك المحبوب أنا لك منه فوق المرغوب.

وقد تكلم سيدى على وفا بكلامه السابق عن تجربة ومذاق ، فارتقى به حبه الى أن قال رضى الله عنه :

ورأينا من مسلكه صدق ما نقلناه عنه من الهامه المرتجل :

كملت بى خـلافة الاشراق ... وبدت شمسى بسـائر الافاق
ولهذا الجمال والاخـلاق ... رفعت رايتى على العشـاق
واذا ماادعيتفىالحبدعوى ... شـهد العالمـون باستحقاقى

ولا تستبعد على المحبين ما باحوا به من رشحات حبهم ، فانه الحب الاقدسى الذى لا يتدنس ، فانهم ما أحبوا ربهم الا بعـد أن أحبهم ،وما هاموا فيه الا بعد أن هيمهم ، وما اشتاقوا اليه الا بعد أن شوقهم ، ومن جذبه الحق ، كانت محبته عن صدق نائه ما أراد حتى أريد ، وما جاهد حتى أعين ، وصدق سيدى ابن عطاء السكندرى رضى الله عنه فى قوله : اذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق فيك ونسب اليك ، وصدق سبحانه اذ يقول [والله خلقكم وما تعملون] .

وقد رأينا من سيدىالشيخ على عقل رضىالله عنه همة خارقة، فقد سهر الليل كله قرابة أربعين سنة حيث بدأ سهره حين جذبته العناية الربانية الى ساحة المحبة وهو فى السـابعة عشرة من عمره واختاره الله لجواره وهو فى الرابعةوالخمسين من عمره، ورأينا فى مسلكه صدق ما نقلناه عنه فى الهامه .

اذا سهرت فما أسهرت عن مـلل
لـكنه الحب يدعونى وأشـهده
ومـذ تغـزلت فى ربى وما ألفت
روحى سواه تجافى الجفن مرقـده

وهو رضى الله عنه لم ينكر جهاده فى محبته ، كما لم ينكر فضل الله فى تقريب البعيد وتذليل الصعب حتى وصل الى غايته حيث يقول فى الهامه الفورى :

حسبت الهوى سـهلا فخضت عبابه
فطورا به أطفو وطـورا به غطسى
الى أن أتتنى من لـدنه عنـاية
وصلت بهـا بر السـلامة والانس

لذلك لا تعجب أن رأيته يدعو المحبين الى الاخذ عنه ، وذلك فى قوله :

شراب الحب يعـرف بالمـذاق
وما كل السـقاة له بسـاق
دعـاة الحب أكثـر ما تلاقى
وقـل الصـادقون فما تـلاقى

الا يا ساقى العشـاق مهلا
تعال امـلا كؤوسك من حقاقى
تركت جميـع خـلق الله دونى
شغلت عن الخلائق باشـتياقى
اذا مـا عشـت لا أنسى الهى
به أسمو من الاخـرى المراقى
وكيف أحب غيـر الله يومـا
وليس سـواه فى الاكوان باق
يعـز على ترك الحب عنـدى
ولو بلغت بى الـروح التراقى
ومن عـرف المحبـة عن يقين
محـال أن يميل الى فـراق

والمحبة عند شيخنا سيدى الشيخ على عقل رضى الله عنه ليس لها حدود لان المحبوب جل جلاله لا يتناهى فمحبته كذلك أبدا فيقول طيب الله ثراه فى الهامه :

كل شىء يحـد غير هـواه ... لم تحطه من القلوب حـدود
اتركوا غيكم وكونوا جنـودا ... للذى فى حماه عز الجنـود

أيهـا الراغبون فى الله لا يقعد بكم وهن أو تمل عهـود

كما يقول :

والنار تطفئها الميـاه وانما ... نار المحبة جذوة لا تنطفى

ومن آثار محبة المؤمن لربه ان يرى نفسه بمذاقه فى ملك الله وفى قبضة عزمه تعالى لان العبد وما ملكت يداه لسيده ، وقد قال تعالى لمولانا رسول الله صلىالله عليه وسلم [قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وانا أول المسلمين] . ويقول سيدى على وفا رضى الله عنه : رد النسب الى الحق شهودا كما هى له وجودا ، فكما تقول : صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، فقل : وأكلى وشربى ونومى ويقظتى ولبسى وتجردى وركوبى ومشيى وجميع أمورى ، فان نية القربات تصير العادات عبادات ، فما أريد به الحق من المباحات فهو بذلك القصد حسنة من الحسنات [ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا] .

ويفاضل السادة الصوفية بين المؤمنين بدرجة محبتهم لله تعالى التى تكشف عن تقواهم الحقة سيدى الشيخ على عقل الهاما رضى الله عنـه :

ليس التصوف بالـكلام وانما ... صدق الفعال قرارة المتصوف
فاذا أردت بان توازن بينهـم ... فزنالرجال بحب ربك واصطف

كما يقول طيب الله ثراه :

ان حدثوا عنى فانى مغـرم ... متمسك بالواحـد الديـان
أسمو بروحى فى حماه وأنتمى ... فالعشق تاجى واليقين بيانى
من يطلب الرحمن جل جـلاله ... لم يخش بعد لعاذل أو شانى
فبحبـه وبسره وبنـوره ... روح اليقين أظلنى وكسـانى
ان كان حب الله ذنبى عندهم ... هذا لعمرك بالمقـام كفانى

ويحكى سيدى ذو النون المصرى فيقول انه عطش فى احدى سياحاته ، فاذا شيخقائم يصلى فلما فرغ من صلاته سلمت عليه فقال : وعليك السلام ياذا النون ، فقلت : من أين عرفت اسمى ؟ فقال : أطلع شعاعأسرار المعرفة من قلبى على ضياء أنوار المحبة من قلبك ، فعرفت روحى روحك بحقائق الاسرار ، قلت : أراك وحيدا ، قال : الانس بغير الله وحشة ، والتوكل على غيره ذل، ثم ذكر ما فى نفسى من العطش ، ودلنى على ماء قريب ، فمضيت وشربت وعدت وهو يبكى بشهيق وأنين ، فقلت وما يبكيك ؟ قال : ان لله عبادا اذا سقاهم بكأس محبته شربة اذهبت عنهم الفة الكرى ، قلت : وما علامة المحبة ؟ قال : المحب لله غريق فى بحر الحرق الى قرار التجريد ، قلت ، فما علامة المعرفة ؟ فقال : العارف من لم يطلب فى معرفته جنة ولا نارا ولم يعظم سواه معه [أى يطلب الله لذاته لا طمعا فى ثواب ولا خوفا من عقـاب] .

ويقول سيدى الشيخ على عقل رضى الله عنـه فى شراب المحبين وأثره فيما نقلته عنه من الهامه :

ووردت عن أدب بغار جماله
فصدرت عن علم وعن عرفان
وشربت لم أشرق وقمت ولم أنم
والنوم من بعد الوصال جفانى

فاعجب لتوارد خواطرهم واتفاقهم فى مشاربهم وان تناءت بهم الاوطان والازمان ـ على أن المحبين قد يتفقون فى المشرب ويختلفون فى الحال ، وهاهو ذا سيدى عمر بن الفارض سلطان العاشقين يقول فى احدى غرامياته :

زدنى بفرط الحب فيك تحيرا
وارحم حشى بلظى هواك تسعرا
واذا سألتك أن أراك حقيقة
فاسمح ولا تجعل جوابى لن ترى
يا قلب أنت وعدتنى فى حبهم
صبرا فحاذر أن تضيق وتضجرا
ان الغرام هو الحياة فمت به
حيا فحقك أن تموت وتعذرا
ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا
سر أرق من النسيم اذا سرى
فدهشت بين جماله وجلاله
وغدا لسان الحال عنى مخبرا

وبينما دهش سيدى سلطان العاشقين بين الجمال والجلال نرى شيخنا سيدى الشيخ على عقل ثبت بين الجمال والجلال حيث يقول الهاما فيما نقلناه عنه وهو يرتجل :

فتشت كل الخلق عن علم فلم
أر لى سوى رب السما من وال
فتركت كل العالمين وجنته
وجعلت ذكرى ذاته منوالى
يارب قلبى قد غسلت من السورى
اذ ليس غيرك ما حييت ببالى
فاجعل هداك شريعتى وذريعتى
واجعل شهودك لى مسرة حالى
هيجتنى بالحب ثم ملاتنى
بالنور والتقوى وفيض كمال
روض المحبة قد شهدت جماله
وجلاله فثبت فى أحوالى

فهل كان سيدى الشيخ على عقل فى ثباته بين الجمال والجلال محمدى القدم بينما كان سيدى ابن الفارض فى دهشته موسوى القدم فقد خر سيدنا موسى عليه السلام صعقا عندما تجلى ربه للجبل فلما آفاق قال [سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين] . وحين قال عليه السلام لربه [رب أرنى أنظر اليك] قال الحق سبحانه [لن ترانى ولكن أنظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا] وانما كان طلبه الرؤية عن هيام وأوام اشتدا به عليه السلام حين شرفه ربه بالكلام [ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر اليك ...] ولم يقع عليه من ربه فى طلبه هذا أى ملام بل علق سبحانه الرؤيا على استقرار الجبل وكان من الممكن أن يستقر لو أقره الله وانى والله معجب بسيدنا موسى فى طلبه الذى دل على شدة حبه وصدق سيدى أبو مدين التلمسانى رضى الله عنه فى قوله :

أتلزمها بالصبر وهى مشوقة
وهل يستطيع الصبر من شاهد المعنى

وقد روى ابن عباس رضى الله عنهما أن مولانا رسول الله صلى عليه وسلم رأى ربه ليلة المعراج بعينى رأسه [بلا كيف او احاطة] حين دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى [قرب مكانه وتشريف لا قرب مسافة ودنو ، بل كان العبد فى المكان والرب فى اللامكان] وقد ثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا المقام الفريد وأثنى الله عليه فى كمال أدبه ورفيع مسلكه وقوة حاله [ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى] .

ولعلك تلحظ الفرق بين المقامين من مقارنة الموقفين 7 موقف المريد وموقف المراد أو موقف المحب وموقف المحبوب أو الضيف والمستضاف وسبحان الفعال لما يشاء . لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع .

ولعلنا نتبين من طلب الرؤية التى طلبها سيدنا موسى عليه السلام أن عين اليقين أعلى من علم اليقين ولذلك قال العارفون :

ولكن للعيان لطيف معنى   لذا سأل المعاينة الكليم

والمسلمون كلهم بحمد الله يوحدون الله ولا يشركون به شيئا ، ولكن السادة الصوفية يذوقون بمحبتهم من توحيد الله ما لا يذوقه العدام ، ويقول فى ذلك سيدى الشيخ الاكبر محيى الدين بن عربى رضى الله عنه :

بين الصوفى والاشعرى [امام أهل السنة المقتدى به فى علم التوحيد رضى الله عنه] فى التوحيد ما بين « علمت » و « عاينت » وهو المعنى اللطيف الذى يفضل به الشاهد الغائب ، ودليلى على ذلك أن أهل السنة وان كان التوحيد اعتقادهم فانهم يتغيرون عندما تجرى أمور الله تعالى عليهم على غير مرادهم مخالفة لاغراضهم ، فكيف عند حلول البلايا العظيمة ، وهذا لعدم مشاهدة المعذب فى العذاب أو المنعم فى النعمة ،
وبهذا فضلت الصوفية غيرهم وقد شوركوا فىالعلم .والمعاينة هنا يقصد بها المذاق باليقين وهو مقام الشهود .
وهذا الذى يقول به سيدى محيى الدين يذكرنى بقول سيدى الشيخ على عقل فيما نقلناه عنه من الهامه الفورى :

أأحبه وأخاف سطوة غيره
هذا وحقك لا تميه خصالى
ان مر بى عصف الزمان وقصفه
والله لست بما شهدت أبالى
ان الذى فهم المحبة قلبه
لم يتجه يوما لال زوال
سلم لربك أمره واترك له
أقداره واحذر من الاقوال
وذر العباد وشأنهم وفعالهم
ان كنت مرتادا بلوغ كمال

ويقول سيدى محيى الدين رضى الله عنه : كن فقيرا من الله كما أنت فقيرا اليه مثل قوله عليه السلام : أعوذ بك منك ، ويشرح كلامه فيقول رضى الله عنه : ومعنى فقرك من الله الا تشم منك روائح الربوبية بل العبودية ويستحيل ذلك عليه ، فهو رب محض فكن أنت عبدا محضا ، ويقول كذلك رضى الله عنه : وعامل من تصحبه أو يصحبك بما تعطيه رتبته ، فعامل الله بالوفاء لما عاهدته عليه من الاقرار بالربوبية ، وعامل الرسل بالاقتداء ، والملائكة بالطهارة . ويقول أيضا رضى الله عنه : ولا تعرف الخير والشر الا بتعريف الشرع فتعين عليك طلب علم الشريعة لاقامة حدود الله تعالى . ولعلك بعد كلامه هذا التصحيح والصريح تحسن ظنك بالشيخ الاكبر سيدى محيى الدين ولا تسمع لاعدائه وأعداء التصوف الذين يرمونه ظلما وزورا بالحلول والاتحاد منهما برىء براءة الذئب من دم سيدنا يوسف عليه السلام .

وترى من كلام سيدى الشيخ الاكبر رضى الله عنه أن العبد مهما هام فى حب ربه فهو عبد مهما علت مراقيه وارتفعت درجاته ، وقد وصف الله تعالى أحب أحبابه فى أشرف المواطن بالعبودية فقال تعالى [سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى] وقال [تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا] .

وينصحنا سيدى الشيخ الاكبر فيقول : وعليك بمراقبة الله فيما أخذ منك وفيما أعطاك ، فانه ما أخذ منك الا لتصبر فيحبك فانه يحب الصابرين . واذا أحبك عاملك معاملة المحب محبوبه ،

[البقية ص ١٥٢]

الشريعة والحقيقة

١ ـ اصطلاح الحقيقة من الاصطلاحات الشائعة عند صوفية الاسلام ، وقد اسيء فهمه من جانب خصوم الصوفية قديما وحديثا ، فظنوا انه يدل على علم للصوفية لم يعرف عند سلف الامة ، ولم يقم عليه دليل ، على حين ان هذا الاصطلاح لايشير عند الصوفية الى أكثر من تزكية قلب العبد ، وتصحيح علاقته بالله تعالى من أجل الوصول الى الكمال الخلقى الذى دعا اليه الاسلام .

الدكتور أبو الوفا الغنيمي التفتازاني

والحقيقة عند الصوفية ثمرة الشريعة ، فلا خلاف بينهما ، وقد شبهوا الشريعة باللبن والحقيقة بالزبد ، وكما أنه لا يكون زبد ما لم يكن لبن ، فكذلك لا تكون حقيقة ما لم تكن هناك شريعة .

٢ ـ ومن المعروف ان عناية الصوفية متجهة أساسا الى الاخلاق والسلوك ، ولذلك جاء علمهم مكملا لعلمى الكلام والفقه ، اذ الشريعة بمعناها العام تشتمل على العقائد وأحكام الفروع والاخلاقيات ، وهذا هو الذى دعا ابن خلدون فى المقدمة الى وصف علم التصوف بأنه « من العلوم الشرعية الحادثة فى الاسلام » ، ويرد طريقته الى مصدر اسلامى قائلا : ان طريقة الصوفية « لم تزل عند سلف الامة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية » .

وقد عرف الصوفية أنفسهم علمهم بأنه علم الاخلاق الدينية ، فيقول ابن القيم فى « مدارج السالكين » : « واجتمعت كلمة الناطقين فى هذا العلم على أن التصوف هو الخلق » . ويقول الكتانى : « التصوف هو الخلق ، فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى الصفاء (يعنى فى التصوف) » .

٣ ـ ومنذ القرن الثالث للهجرة نجد الصوفية وقد عنوا بالكلام فى دقائق أحوال النفس والسلوك ، وغلب عليهم الطابع الاخلاقى فى علمهم وعملهم ، فصار التصوف علما للاخلاق الدينية ، وكانت مباحثهم الاخلاقية تدفعهم الى التعمق فى دراسة النفس الانسانية ، ودقائق أحوال سلوكها ، وكانت تقودهم احيانا الى الكلام فى المعرفة وأدواتها ومناهجها ، والى الكلام عن الذات الالهية من حيث صلتها بالانسان ، وصلة الانسان بها ، فكان من هذا كله علم للصوفية يتميز بموضوعه ومنهجه وغايته . وقد ظهر هذا العلم بعد ظهور التدوين كما يشير اليه ابن خلدون قائلا : « فلما كتبت العلوم ودونت ، وألف الفقهاء فى الفقه وأصوله ، والكلام ، والتفسير ، وغير ذلك ، كتب رجال من أهل هذه الطريقة (أى الصوفية) فى طريقهم ، فمنهم من كتب فى الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء فى الاخذ والترك ، كما فعله القشيرى فى كتاب « الرسالة » ، والسهروردى (البغدادى) فى « عوارف المعارف » .. وصار علم التصوف فى الملة علما مدونا بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط » .

٤ ـ وهنا ظهرت لعلم التصوف تسميات خاصة ، منها علم الحقيقة وعلم الوراثة وعلم الباطن وعلم الدراية وما شابه ذلك من التسميات التى تشير الى علم الاخلاق الدينية أو تصحيح سلوك الانسان .

ولعل الصوفية قد استندوا فى تسمية علمهم بالحقيقة الى حديث حارثة ، فقد سأل الرسول صلى الله عليه وسلم حارثة « كيف أصبحت يا حارثة » ، قال : أصبحت مؤمنا حقا ، فقال صلى الله عليه وسلم : لكل حق حقيقة ، فما حقيقة ايمانك ؟ قال : عزفت نفسى عن

الدنيا ، فاستوى عندي ذهبها ومدرها ، وكأني أنظر الى أهل الجنة فى الجنة يتنعمون ، والى أهل النار فى النار يعذبون ، وكأنى أرى عرش ربى بارزا ، من أجل ذلك أسهرت ليلى وأظمأت نهارى . فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : ياحارثة عرفت فالزم » .

ويقول ابن عطاء الله السكندرى فى « لطائف المنن » معلقا على هذا الحديث : « يفهم من هذا الحديث انقسام الايمان الى قسمين : ايمان حقيقى ، وايمان رسمى شكلى) ، فلذلك أخبر الصحابى بقوله : « أصبحت مؤمنا حقا » والحديث يشهد له أيضا ما رواه البخارى فى صحيحه ، يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا ، وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا » .

فالايمان الحقيقى عند الصوفية هو ما كان عن شهود وعيان ، وهو ما يشير اليه أيضا مقام الاحسان الذى عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « ان تعبد الله كأنك تراه »

وكذلك حين يسمى الصوفية علمهم بعلم الوراثة ، فانهم يستندون الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « العلماء ورثة الانبياء » ، وليست الوراثة الحقيقية للانبياء الاتصاف بتحصيل علوم الدين النظرية ، وانما هى الى جانب ذلك التحقق بحقائق الايمان والتقوى والاخلاص وغير ذلك من المقامات المحمودة ، وحين يسمون علمهم بعلم الباطن فانهم يعنون بذلك علم اصلاح باطن العبد بتخليته عن مذموم الاخلاق ، وتحليته بمحمودها ، وحين يطلقون على علمهم اسم علم الدراية ، فانهم يقصدون بذلك العلم الذى يقوم على فهم الدين وحقائقه . وهكذا ليس فى تسميات الصوفية علمهم بتسميات مختلفة ما يخالف الشريعة .

٥ – وقد وضح لنا الصوفية أنفسهم العلاقة بين الظاهر والباطن ، أو الشريعة والحقيقة فى دقة منهجية :

فيقول السراج الطوسى فى كتابه « اللمع » : « ان علم الشريعة علم واحد ، وهو اسم واحد يجمع معنيين : الرواية والدراية ، فاذا جمعتهما فهو علم الشريعة الداعية الى الاعمال الظاهرة والباطنة .

« والاعمال الظاهرة كأعمال الجوارح الظاهرة ، وهى العبادات والاحكام مثل الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد ، وغير ذلك ، فهذه العبادات .

وأما الاحكام فالحدود والطلاق والعتاق والبيوع والفرائض والقصاص وغيرها .

« فهذا كله على الجوارح الظاهرة ..

« وأما الاعمال الباطنة فكأعمال القلوب ، وهى المقامات والاحوال ، مثل التصديق والايمان واليقين والصدق والاخلاص والمعرفة والمحبة والرضا والذكر والشكر

« فاذا قلنا : علم الباطن ، أردنا بذلك علم أعمال الباطن التى هى على الجارحة الباطنة وهى القلب . كما أننا اذا قلنا : علم الظاهر ، أشرنا الى علم الاعمال الظاهرة ، التى هى على الجوارح الظاهرة »

ويصور القشيرى فى رسالته أيضا العلاقة بين الشريعة والحقيقة تصويرا رائعا ، فيقول : « الشريعة أمر بالتزام العبودية ، والحقيقة مشاهدة الربوبية ، فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول ، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول . الشريعة جاءت بتكليف الخلق ، والحقيقة انباء عن تصريف الحق . فالشريعة أن تعبده ، والحقيقة أن تشهده ، والشريعة قيام بما أمر ، والحقيقة شهود لما قضى وقدر ، وأخفى وأظهر » .

ويقول الصوفية فى قوله تعالى : « **اياك نعبد واياك نستعين** » ، « اياك نعبد » شريعة ، « **واياك نستعين** » حقيقة ، وكذلك الشأن فى قوله تعالى : « **فاعبده وتوكل عليه** »

فعلم الباطن عند الصوفية اذن مستمد من الشريعة ، فلا خلاف بينهما ، غاية ما فى الامر أن علم الباطن علم ذوقى تنطوى عليه الشريعة ، ومتى تحقق العبد بالعمل بأحكام الشريعة ، واتجه بقلبه نحو الله ، وسلك طريق الذوق فى التجربة الدينية ، فقد حصل على ذلك العلم ، والى ذلك يشير الشعرانى فى « الطبقات » بقوله : « هو (أى علم الباطن) علم انقدح فى قلوب الاولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة .. والتصوف انما هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة »

٦ – ولما كان علم التصوف يهدف أساسا الى تهذيب الاخلاق ، وهذا لا يتم الا بمعرفة النفس وأمراضها كالحقد والحسد والكبر والرياء وما اليها ، وكيفية علاجها ، فان المنهج الذى يصلح لذلك هو الذوق لا العقل ، وكذلك يرى الصوفية أن معرفة الله لا تكون بمنهج العقل ، وانما بمنهج الكشف ، وهذا كله يعنى أن الصوفية أصحاب تجربة حية ومعاناة ، وليسوا أرباب رسوم أو شكليات .

ويصور فريد الدين العطار – وهو من كبار شعراء الصوفية من الفرس – عجز العقل عن معرفة الله تصويرا بالغ الروعة فيقول :

« ذهبنا وراء عالم العقل والفهم ، العقل لا يجدى عليك ، انما يأتى اليك بما يأتى به غربال من بئر . انما يحاول العقل أن يدرك فى هذا العالم . ولكن هذا العقل الذى يفقد نفسه بجرعة من الخمر لا يقوى على المعرفة الالهية ، العقل أجبن من أن يرفع الحجاب ويسير قدما الى الحبيب » .

ويسوق الغزالى فى كتابه « احياء علوم الدين » مثالا محسوسا يبين فيه كيف يكون القلب الصوفى أداة المعرفة الذوقية ، فيقول : « لوفرضنا حوضا محفورا

البقيـــة ص ١٥٦

فلسفة الاستشهاد

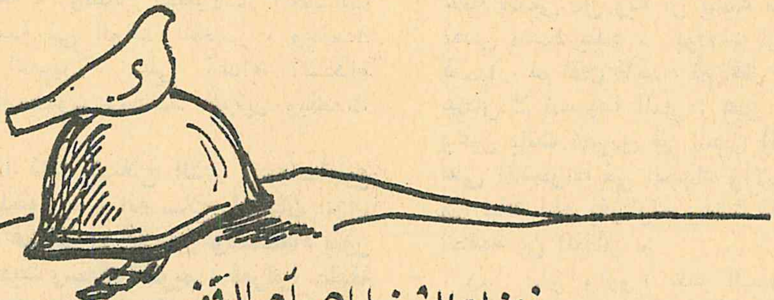

فضيلة الشيخ ابراهيم أحمد الوقفي

منذ سنوات تسع كنت جالسا مع أحد كبار تجار مدينة (بو سعادة) بجنوب الصحراء الجزائرية أستمع الى حديثه وهو يصف أحدى المواقع بين الفدائيين الجزائريين الابطال والجيش الفرنسى ، استشهد فيها ابنه بقنبلة مزقت جسده الطاهر ، وكيف أنه بعد المعركة ذهب ليجمع أشلاءه المبعثرة فى زكيبة ، ليدفنها فى مقابر الشهداء فى المدينة ، ولا تجد مدينة او قرية فى الجزائر الا وفيها مقبرة خاصة بالشهداء ونصب تذكارى فى أكبر ميادينها محفور عليه اسماء هؤلاء الابطال الذين جادوا بأرواحهم ودمائهم وقدموا مليونا ونصفا من شبابهم فى حرب التحرير ، تطهيرا لارضهم من رجس المستعمرين واستغلالهم وايمانا منهم بحقهم فى الحياة الحرة الكريمة .

وكنت فى غاية الاعجاب بحديث هذا الشيخ ذى اللحية الطويلة البيضاء ، ولم تفارقه الابتسامة ، ولم يبد عليه حزن ولا ألم لاستشهاد ابنه الاكبر ، بل كان وجهه يطفح بالبهجة والفخر والاعتزاز ، لقيامه بواجبه فى معركة التحرير والشرف ، بما قدم لهامن أموال طائلة ، ودم عزيز عليه فى شيخوخته ولم يكد يفرغ التاجر من حديثه حتى دخل علينا فى متجر جندى بالجيش الجزائرى فاستقبله بحفاوة بالغة وقال : هذا هو زميل ابنى الشهيد فى المعركة وهو الذى دلنا على مكانها وعلى جسد ابنى الممزق على رمالها ، وبعد أن استراح الجندى أخذ يقص علينا بعض المعارك التى خاضها وما عاناه فيها من مخاطر ، وختم حديثه بقوله : لكننى رغم ما بذلت من تضحيات فاننى اعتقد اننى رجل شقى ، فقلت له : كيف تعتقد ذلك ؟ فقال : لاننى لم أرزق الشهادة ،

فقلت له : انك قد بذلت أقصى ما فى استطاعتك فى القتال ولكن أجلك باق ، وقد كتب الله لك ثواب الشهداء ، فقال : على كل حال اذا فاتتنى الشهادة فى الجزائر فانى ادعو الله تعالى أن يرزقنى اياها فى فلسطين ولكن سرعان مازالت دهشتى حينما تذكرت جهاد الرسول صلوات الله وسلامه عليه وأصحابه وأسلافنا السابقين ، وما بذلوه من تضحيات وما سجله لهم التاريخ من بطولات نادرة وايمان راسخ ، زلزل أمامهم الجبال الشامخة ، ومن عزائم فولاذية أذابت لهم أصلب العقبات ، وحقق الانتصارات الساحقة على اعدائهم ، رغم ما كانوا عليه من قلة وسلاح يسير ورغم ما لدى الاعداء من وفرة السلاح ومن جيوش ضخمة وحصون منيعة

وما يزال هذا الايمان بحقنا فى الحياة الحرة الكريمة ، وفى السيادة على كل شبر من أرضنا وأوطاننا يقدم لنا صورا وضاءة عبر التاريخ الاسلامى الطويل يسجلها بمداد من نور على صفحاته الخالدة ، ويسير على هديها الابناء ، ويقتدون بأسلافهم فى البذل والتضحية والفداء ، والحرص على الموت والاستشهاد فى سبيل اعلاء كلمة الله ، ورفعة شأن مقدساتهم ، وتطهير أرضهم من رجس الصهاينة ومواليهم من المستعمرين الحاقدين المستغلين ، وما حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ م الا امتداد لهذه البطولات الخالدة وهذه المثل العليا فى الشجاعة والاقدام واقتحام الموانع الطبيعية والخطوط المنيعة التى انهارت أمامهم فى ساعات معدودة وتهاوت تحت نعالهم ، يقتلون ويأسرون ويخربون حصونهم ومستعمراتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ، ويحطمون صياصى البغى والباطل هاتفين بأعلى أصواتهم

بهتافات أجدادهم : الله أكبر ، الله أكبر ، هذا الهتاف الالهي المقدس الذى ما يكاد اعداء الله يسمعونه حتى تمتلىء قلوبهم بالرعب ، ويفرون من مواقعهم كالفئران المذعورة ، رغم ما لديهم من أحدث الاسلحة وأشدها فتكا ، تاركين لها طعمة للنيران أو غنيمة لجند الحق والسلام .

وقدتملك الدهشة بعض الذين لا يعرفون مفتاح الشخصية الاسلامية ، ويتساءلون عن السر فى هذه الفتوحات الشاسعة ، وهذه البطولات الخيالية والانتصارات الرائعة فى الوقت القصير ، وبالعدد القليل ، والعدة اليسيرة ، على أعداء أشداء يتحصنون بأمنع الحصون وبالعدد الوفير وبأحدث الاسلحة المدمرة .

ان السر فى هذا ذلك السلاح الذى لايستطيع اعداء الله أن يتسلحوا به ، انه سلاح الايمان الذى صنعه الله وغرسه فى قلوب المؤمنين وسقاه بنور كتابه العزيز وبأحاديث رسوله الكريم ، فعرفوا حقيقة أنفسهم، واهداف وجودهم فى هذه الحياة ، وعرفوا به ان هذه الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر فى الاموال والاولاد ومتاع قليل ، وأن الاخرة هى الحياة الحقيقية التى لا يلحقها زوال ولا فناء ، بل هى مستمرة أبد الاباد ، فاستجابوا لله وللرسول لما يحييهم ، ولبوا نداء الحرب التى رأوا فيها العزة بعد الذل ، والقوة بعد الضعف ، والمنعة بعد القهر ..

عرفوا حقيقة الموت وأنه أمر طبيعى لا غرابة فيه ، وانه نهاية كل حى لا يسلم منه انسان حتى انبياء الله ورسله ، وما هو الانتقال من حياة حقيرة زائفة ، الى حياة سعيدة باقية ، لا تمنعه حصون مشيدة ولا أعماق البحار ولا بروج السماء (**أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة**) (**قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم**) عرفوا ان ما أصابهم لم يكن ليخطئهم وان ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم (**قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا**) وصار الموت فى سبيل الله أعلى امنية عند المسلمين وأسمى مطلب لهم ، وحينما كانوا يقابلون نبيهم لا يطلبون منه الا أن يدعو الله لهم بالشهادة حيث يكونون عند ربهم أحياء يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله وحيث تكون أرواحهم فى حواصل طيور خضر تسرح فى أنهار الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى الى قناديل تحت العرش ، وحيث يفوزون بجنة عرضها السموات والارض ، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فيها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمرلذة للشاربين ، وأنهار منعسل مصفى ، فيها حور مقصورات فى الخيام ، وولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ، يطوفون بآنية من فضة وأكواب ، ويسقون كأسا مزاجها كافورا .

وكيف يخاف المسلمون الموت فى سبيل الله أو يهابونه ، بعدما رأوا فيه ما رأوا من عزة وسعادة أبدية ، ورأوا فيه الخلاص من سجن الدنيا ومعبرا الى السعادة الابدية فأحبوه وتزاحموا عليه ؟ وانتزعت منقلوبهم غريزة الخوف منه ،وأصبحوا لا يعرفون الخوف الا من الله وحده ، فباعوا له انفسهم واموالهم ، يقاتلون لاعلاء كلمته ونصرة دينه ، وسجل الله لهم هذه العقيدة فى كتبه السماوية : التوراة والانجيل والقرآن ، وبشرهم بالفوز العظيم فى هذا البيع ، ومن أوفى بعهده من الله ؟ كيف يخاف المسلمون الموت وقائدهم الاعلى صلوات الله وسلامه عليه يتمنى من ربه أن يميته شهيدا ويقول : والذى نفس محمد بيده ، لوددت أن اقتل فى سبيل الله فأحيا ، ثم أقتل فأحيا، ثم أقتل ، ويسمعه أيضا يقول: عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله ، ويحث كل مؤمن على الاشتراك فى الجهاد والاستعداد للغزو فيقول : من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق .

وما أبلغ وأروع تلك الصورة التى صور فيها القرآن الكريم الجبناء الهاربين من الحرب الحريصين على الحياة ، اى حياة ولو كانت حياة المذلة والهوان، فقد صور النار أمام الاعداء فى صورة من يعطى لعدوه ظهره ويسلم اليه دبره وعرضه ، يفعل فيه ما يوجب الخزى والعار والفضيحة ، وليت الامر اقتصر على هذه المهانة بل ان الفار من الحرب يبوء بغضب من الله ومصيره جهنم (**يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأويه جهنم وبئس المصير**) .

هذه العقيدة هى التى جعلت المسلمين لا ينظرون الى الموت نظرة الهلع والجزع ولا يرون فى القتال الا احدى الحسنيين : اما الظفر بالشهادة واما النصر والتمكين لهم فى الارض (**قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون**) .

وجعلتهم لا يهابون عدوا ولا يبالون بموت يقع عليهم أو يقعون عليه ولا يخشون سلاحا ولا قوة ولا حصونا تحول بينهم وبين النصر ، وما أصدق شاعرهم العربى حين يقول مخاطبا لنفسه :

أقول لها وقد طارت شعاعا
من الابطال ويحك لن تراعى
فانك لو سألت بقاء يوم
عن الاجل الذى لك لن تطاعى
فصبرا فى مجال الموت صبرا
فما نيل الخلود بمستطاع

والشاعر الذى لا يقبل مذلة ويحرص على حياة العزة والكرامة فيقول :

لا تسقنى ماء الحياة بذلة
بل فاسقنى بالعز كأس الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم
وجهنم بالعز أطيب منزل

وبهذه الروح المؤمنة السامية ، وبهذه العقيدة الراسخة المطمئنة ملك المسلمون سلاحا قاهرا لا يملكه أعداؤهم ، وقوة ضخمة لا تغلب ولا تقف أمامها الاعاصير ، وسجلوا نماذج ممتازة فى البطـولة والشجاعة ، فهم لم يذوقوا طعم الهزيمة فى غزواتهم مع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وانما انتصروا فى كل معركة تلاقى فيها جند الله مع جند الشيطان حتى فى غزوة أحد حيث أراد الله تعالى أن يلقنهم درسا قاسيا ، وأن يربيهم على طاعة القائد وتنفيذ خططه الحربية وعدم عصيانه والخروج على تعليماته فكان انتصارا ولكنه فى ثوب هزيمة ،ولو أنه لم يصبهم فيها ما أصابهم لانفتح أمامهم باب المعصية للقائد ومخالفة أوامره وايثار ما يفنى على ما يبقى .

وكذا الامر فى غزوة حنين حينما خرج المسلمون الى الطائف فى جيش ضخم لم يسبق لهم مثله وظنوا أن النصر بكثرة العدد وقالوا : لن نغلب اليوم عن قلة ، فأراد سبحانه أن يفهمهم أن النصر ليس بالكثرة وحدها وانما النصر من الله وحده ، فكتب عليهم الهزيمة أولا فولوا الادبار ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام وقف صامدا لم يتزعزع ويقول : انا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب ، ونادى عمه العباس بصوته الجهورى المسلمين فرجعوا الى ميدان القتال وحاربوا أعداء الله حتى هزموهم شر هزيمة وغنموا منهم الغنائم الطائلة .

ونذكر هنا بعض النماذج الخالدة فى البطـولة والاقدام ، فها هو أبو دجانة الانصارى يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمد يده بسيفه فى غزوة أحد ويقول : من يأخذ هذا السيف بحقه ،ويرى رجالا يتقدمون اليه ليأخذوه ، منهم عمر والزبير فيمنعه عنهم ، فيتقدم أبو دجانة ويقول : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به العدو حتى ينحنى . فيقول أبو دجانة : أنا آخذه بحقه يا رسول الله ، فأعطاه اياه ، وكان لابى دجانة عصابة حمراء اذا تعصب بها علم أنها سيقاتل حقا ، فتعصب بعصابته وأخذ يتبختر بسيف رسول الله بين الصفوف وهو يرتجز ويقول :

أنا الذى عاهدنى خليلى
ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر فى الكيول
أضرب بسيف الله والرسول

فينظر اليه الرسول مبتسما ويقول : انها لمشية يبغضها الله الا فى مثل هذا الموطن .

وكان عمرو بن الجموح أعرج وكان له أربعة أبناء شباب يجاهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كانت غزوة أحد أراد أن يخرج اليها . فقال له بنوه ،لقد جعل الله لك رخصة وأعفاك عن الجهاد ، فلو قعدت ونحن نكفيك ، فشكا الى رسول الله وقال : ان هؤلاء يمنعوننى أن أجاهد معك ، والله انى لارجو ان استشهد فأطأ بعرجتى هذه فى الجنة ، فقال الرسول لبنيه : وما عليكم أن تدعوه ، لعل الله عز وجل أن يرزقه الشهادة . فخرج وقتل يوم أحد شهيدا .

وتقول نسيبة بنت كعب المازنية فى غزوة أحد : خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعى سقاء فيه ماء ، فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح الى جسمى وأصبت بثلاثة عشر جرحـــا وشددت عليها الثياب فما استطاعت من نزف الدم .

وقصة الخنساء الشاعرة مشهورة، فقدمات أخوها صخر قبل اسلامها فحزنت عليه وبكته وندبته وملأت الدنيا عويلا على فقده فتقول :

ولولا كثرة الباكين حولى
على اخوانهم لقتلت نفسى
وما يبكين مثل أخى ولكن
أسلى النفس عنه بالتأسى

وتمجده بأبيات خلدت ذكراه وذهبت مذهب الامثال حين تقول :

وان صخرا لكافينا وسيدنا
وان صخرا اذا نشتو لنحار
وان صخرا لتأتم الهداة به
كأنه علم فى رأسه نار

ثم يهدى الله قلبها الى الاسلام ويخرج لها بنونها أربعة الى الجهادفى سبيل الله ويأتى اليها خبر استشهادهم جميعا فى موقعة واحدة فلا تجزع ولا تدمع لها عين ، بل تبتهج وتحمدالله على استشهادهم وتقول : الحمد لله الذى أكرمنى بشهادتهم ، وأدعو الله أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته .

ولم تقتصر البطولة وحب الاستشهاد على الكبار من المسلمين بل شمل صبيانهم فتراهم يتزاحمون على الموت ويتنافسون على القتال ، فقد وقف الصبى رافع ابن خديج على أطراف أصابع قدميه حينما خرج مع الجيش فى غزوة أحد ولم يبلغ الحلم ، وذلك حتى لا يخرجه الرسول من الصف فنظر اليه عليه الصلاة والسلام مبتسما معجبا بشجاعته وأبقاه فى الصف ، وحينئذ يسمع صرخة من صبى آخر يدعى سمرة بن جندب كان الرسول قد أخرجه من الصف لصغر سنه ، يصرخ سمرة ويقول محتجا :

كيف تجيز رافعا ولا تجيزنى ، ولو صارعنى لصرعته ، فأبقاه الرسول وأجازه .

ولما حضرت الوفاة نزيل حمص وسيف الله المسلول خالد بن الوليد وهو فى بيته على فراشه تحسر وتألم على حرمانه من الموت فى ميادين القتل ، وقال قولته

المشهورة : لقد شهدت مائة موقعة وموقعة وما فى جسدى موضع شبر الا وفيه ضربة سيف ، أو طعنة رمح وها أنذا أموت على فراشى كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء .

وهذه البطولات الخالدة لجهاد الرسول وأتباعه قد أعادها الى أذهاننا اليوم أبطال العروبة والاسلام فى حربنا المقدسة الدائرة بيننا وبين أشد الناس عداوة لنا ، والذين عاشوا يكيدون للاسلام ويتآمرون عليه منذ البعثة المحمدية ، ولا يزالون يتآمرون وسيحبط الله سبحانه كيدهم ويرد مكرهم الى نحورهم ، ما دام فينا هؤلاء الابطال المغاوير ، الذين يتمنطقون بأشرطة الديناميت ويقتحمون أمنع الحصون لينسفوها بأجسادهم الطاهرة ، ويحرقون للاعداء فى لحظات مئات من الملايين من الدولارات التى أنفقوها فى تشييد هذه الحصون ، ويعبرون أعمق الموانع المائية بلا مبالاة بالموت ، وينقضون كالصواعق خلف خطوط جنود البغى ، ويسدون بأجسادهم فوهات المدافع ، ليحرروا الارض السليبة ، وينصروا دين الله ، وينقذوا الانسانية المعذبة من ألد أعدائها ، ومن تجار الحروب ومثيرى الفتن ، ويعيش الناس فى أمن وطمأنينة وسلام .

وسينصرنا الله على أعدائه الصهاينة نصرا عزيزا ، وسيخرجهم من الارض المقدسة الى الاوطان التى هاجروا منها يتيهون فى الارض ، أو يلقى بهم فى قاع البحر كما أخرج أجدادهم بنى النضير من ديارهم فى مدينة الرسول ، بعد أن كان المسلمون يظنون أنهم لن يخرجوا منها أبدا وظن بنوا النضير أن حصونهم تحميهم من الهزيمة وهجر ديارهم ولكن الله جلت قدرته أتاهم من حيث لم يحتسبوا ، وقذف فى قلوبهم الرعب والهلع من جند الحق ، فأخذوا يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين .

ان التاريخ سيعيد نفسه على أيدى أبطال الامة العربية التى كان العالم يظن بها التفرقة والعجز عن قتال اسرائيل واليأس من اخراجها من الارض المحتلة وظن الصهاينة أن العوائق المائية والحصون العالية المنيعة والدشم والقرى التى أقاموها فى أرض العروبة مثبتة لاقدامهم فيها الى الابد ، ومانعة من وصول سيوف الحق الى رقابهم ، ولكن — والحمد لله — بدت تباشير النصر واضحة أمام الابصار ، وانهارت آمالهم كما انهارت حصونهم وقلاعهم **واعترفوا — مجبرين — ببسالة الجندى العربى ، وشراسته فى القتال ، وتصميمه على استخلاص أرضه وتطهيرها من أقذارهم مهما تحمل من تضحيات وبذل . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .**

بقية مقال « الحب العارم »

وما من شىء يزول عنك الا وله عوض سوى الله :

لكل شىء اذا فارقته عوض
وليس لله ان فارقت من عوض

ويستطرد رضى الله عنه قائلا : وكذلك اذا أعطاك فقد وجب عليك الشكر فانه يحب الشاكرين ، وقال موسى عليه السلام : يارب ماحق الشكر ، قال : اذا رأيت النعمة منى فذلك حق الشكر ، وعليك بأداء الاوجب من حق الله وهو الا تشرك به شيئا من الشرك الخفى الذى هو الاعتماد على الاسباب الموضوعة والمركون اليها بالقلب فان ذلك من أعظم رزية دينية فى المؤمن وهو المراد بقوله تعالى[وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون] وقال عليه الصلاة والسلام : « أتدرون ما حق الله على العباد ؟ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، فدخل فيه الشرك الخفى والجلى الذى هو قطع الاسلام ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : اتدرون ما حقهم على الله اذا فعلوا ذلك ؟ ألا يعذبهم ، أى فلا يتوجهون الا الى الله دون اعتماد على الاسباب لانها معرضة للفقد ، ففى حال وجودها يعذبهم بتوهم فقدها ، وبعد فقدها يعذبهم بفقدها فهم معذبون دائما ، واذا لم يشركوا استراحوا ولم ينالوا بفقدها ألما .

ويذكرنى قوله رضى اله عنه بقول سيدى الشيخ على عقل رضى الله عنه :

يا نفس انى لا آمالىء غيره
قومى الى حوض الكريم تعالى
الله قربنى اليه بفضله
لم يرض لى فى الحب أى تعال
ان الذى فهم المحبة قلبه
فى القدر من بين البرية عال
أنا عند ظنى فيك أنك مكرمى
مع ذلتى ولجاجتى وجدالى
مد اليدين اليك أفضل شرعة
ولغير وجهك لا يصح سؤالى

ويقول السادة الصوفيية ان الله تعالى أوحى الى عيسى عليه السلام : اذا اطلعت على سر عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والاخرة ملاته من حبى وتوليته بحفظى . وهم يقولون : اذا تمكن الحب استحال السلو وتعلقت يد المحبة بتلابيب القلب فلا يمكنه التخلص من المحبة وأنشدوا :

وحرمة وجدى ما سلوت هواكم
ولا رمت منه لافكاكا ولا عتقا

ويقول سيدى الشيخ على عقل فى الثبات على المحبة :

أتحسبنى أنساه فى العمر لحظة
وكيف وقلبى باسمه يترنم
أفاض على الحق من بحر نوره
فقلبى بغير الحق لا يتكلم
زهدت حياتى اذ فنيت بحبه
ومثلى من فى حضرة الحق يعدم
ولولا حجاب الغفلة اليوم فوقنا
تفانى على نور المشاهد مغرم

ولعل هؤلاء المحبين الصادقين قد رفعوا باقوالهم وأفعالهم وأحوالهم القناع عن قلوبنا حتى تبصر طريق الرشد فنسلكه فى مرضاه الله تعالى وقد قال تعالى ناصحا لنا [يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين] رضى الله عنهم أجمعين .

العلم والإيمان

عندما نرى الله

ألم تحدث لك حادثة واحدة فى حياتك رأيت فيها الله مرة ‥ قطعا حدثت ‥ وقعت لك ‥ وأنت ترى ظالما ينكسر بقدرة الله ‥ وأنت ترى حقا يعود الى أصحابه بقدرة الله ‥ وأنت تواجه مشكلة تخلى فيها كل الناس عنك .. بل تخلى فيها عنك حتى الرجاء والامل ‥ ثم اتجهت الى السماء وصحت من أعماقك : يا رب ‥ ليس لى غيرك ولا ناصر لى الا أنت سبحانك ‥ وربما وانت تبتهل الى الله ‥ فتحت السماء ‥ وتغير كل شىء ‥ حدثت تطورات لم تكن تتوقعها ‥ غيرت الموقف كله ‥

الأستاذ
أحمد زين

اننا نرى الله كثيرا فى حياتنا ‥ نراه فى رحمته ‥ وفى قدرته وفى عدله ‥ وفى حكمته ‥ نصيح من أعماقنا : يا سلام ‥ ربنا موجود ‥ ربنا كبير .. ربنا مايسبش حد

هذا يحدث ويحدث ‥ ويحدث ‥ ولكننا ننسى ‥ ولا نصير . . . ونرى الله يعطى للظالم ‥ فنصدم ‥ ونرى المفسد يعلو ويعلو ‥ فنحس بالضيق ‥ وفى لحظة واحدة ‥ ينهار هذا كله ‥ ويأتى قضاء الله فتقف الاكف غير قادرة على الحركة ‥ وتتوقف الحناجر غير قادرة على الكلام ‥ ونحس فى أعماقنا اننا عاجزون ‥ عاجزون ‥ ونتطلع الى السماء ‥ ونحن نرى قدرة الله وعدله ‥ ونحس بكل شىء بيننا يهتز ‥ وبشىء يملأ أعماقنا .. لا تنسوا .. لا تنسوا .. ومع ذلك تجرفنا الدنيا ‥ تأخذنا بعيدا ‥ وفى زحام الحياة ننسى وننسى ونسى ‥ وتدور الدورة من جديد ‥ وفى الحج ‥ حيث تتجلى آيات الله ‥ كنت أطوف حول الكعبة ‥ كان كل شىء حولى يندفع باسم الله ‥ الوجوه تتطلع الى الله .. القلوب تتضرع الى الله .. النفوس غارقة فى ذكر الله ‥ كنت تحس بالايمان يهزك من أعماقك ‥ وتنسى وسط هذا كله العالم بأحداثه وصوره وصراعاته ومتاعبه وكل شىء فيه ‥ هنا تحس أن شيئا جديدا يولد فيك من جوهر الحقيقة ‥ ويبعدك عن زيف الحياة .

وفى ركن بعيد كان هناك رجل راكع على ركبته يدعو وفى عينيه دموع ‥ كان منظره يوحى أنه رغم وجوده هنا ‥ وجود جسده هنا ‥ فان نفسه فى مكان بعيد جدا ‥ واقتربت منه ‥ كان الرجل يقول :

« اللهم انى انسان جاء يطلب رضاك ‥ فى كل يوم يا رب يموت الالوف وأنت تهبنى نعمة الحياة ، ومع ذلك أنا لا أشكرك ‥ وفى كل ساعة تقع مئات الحوادث وانت يا رب تنجينى منها جميعا .. ومع ذلك أنا جاحد نعمتك ‥ وفى كل لحظة يا الله يزول ثوب العافية عن عشرات من البشر وأنت يا الهى تبقى ثوب العافية على جسدى ومع ذلك فأنا أنسى فضلك ‥ وفى كل يوم تحدث كوارث لمئات الالوف من الناس .. وأنت تسترنى يا الله منها جميعا ومع ذلك أنا لا أسجد شكرا لك ‥ وعندما تأخذ الذين ظلموا أنفسهم فى هذه الدنيا بذنوبهم فانك تسع ذنوبى برحمتك .. ومع ذلك فاننى أنسى يا الله فضلك ‥ مع ان نعمتك يا الله هى الحقيقة ، فماذا لو اعطيتنى كنوز الدنيا وسلبت منى ثوب العافية ‥ واى شىء يمكن ان ينفعنى اذا ملكتنى الارض ‥ وجاء أجلك بأمرك انى يا رب أترك الحقيقة وأجرى وراء الخيال ‥ أبحث عن الامان فى جاه الدنيا ولا أمان الا فى وجهك ‥ وارتكب الذنوب والمعاصى فتفتح لى باب رحمتك .. وأنساك يا الله وقت يسرى وغناى .. وجاهى ..

فتذكرنى يا رب وقت شدتى ، وتخفف عنى محنتى ٠٠ أنا الضعيف تغرنى قوتى ٠٠ وأنت القوى لطيف بعبادك ٠٠ أنا المذنب تشدنى ذنوبى ٠٠ وأنت الحليم الغفور تمهلنى .. وتفتح لى باب المغفرة .. كم من مرة يا الله انقطع الامل منك ٠٠ وذهب الرجاء الا فى وجهك ٠٠ وتطلعت الى السماء ودعوتك ٠٠ وكان عدلا الا تجيب نفسا ملاتها الخطايا ٠٠ واستغرقتها الحياة الدنيا ٠٠ ولكنك فتحت بابك ٠٠ ومددت يدك ٠٠ ومسحت الشقاء من نفسى ، ووضعت الامل فى قلبى ٠٠ وأريتنى شعاع النور يبدد ظلام الضياع الذى أعيش فيه » ٠

واحس الرجل أننى جالس الى جواره أستمع الى مناجاته فتوقف .. كأنما كان لا يريد ان يسمعه أحد الا الله وحده ٠٠ أو كأننى قد قطعت حبل المناجاة ٠٠ فتوقف كل شىء ٠٠

وابتعدت قليلا ٠٠ وجلست بجانب أحد الاعمدة أفكر ٠٠ هل نحن حقيقة نتذكر نعم الله علينا ٠٠ أم اننا نأخذها على أساس أنها شىء مسلم به ، مفروض أن نتمتع به ؟ هل اذا استعرض كل واحد منا شريط حياته ..وتوقف لحظات عن زحام الدنيا ليستعرضه ٠٠ هل لا يستطيع أن يرى حادثة واحدة ٠٠ شيئا واحدا حدث كانت فيه رحمة الله قوية براقة ٠٠ وكانت فيه نعم الله ظاهرة بلا حاجة الى بيان ٠٠ هل لم تحدث حادثة واحدة رأى فيها كل واحد منا الله فى حياته مرة ٠٠ رآه فى قدرته ٠٠ فى رحمته ٠٠ فى قوته ٠٠ فى انتقامه ٠٠ فى مغفرته ٠٠ فى عدله ؟ ألم يحدث هذا لكل فرد فينا حينما اتجه الى السماء بقلبه ٠٠ وصاح من أعماقه : يا رب ٠٠ أن انفتحت أبواب السماء ٠٠ واحس بها ٠

أنا لا أريد أن يجيب ٠٠ ولكنى أترك لكل شخص .. لكل فرد .. ان يستعرض شريط حياته ليحصل هو بنفسه على الاجابة ٠٠ ليضع هو من داخله الجواب ٠٠ فان ما بين الله وبينك شيئا لا يستطيع أن يتدخل فيه فرد أو يؤثر فيه انسان ٠٠ ولكن الذى لا شك فيه أن كل انسان قد رأى الله فى حياته ٠٠ رآه فى حدث ما ٠٠ فى تصرف ما جعله يصيح من أعماق قلبه ٠٠ ربنا موجود ٠٠ أو ربنا كبير ٠٠ انه اذا فكر قليلا فلابد أنه سيتذكر ٠٠

منذ الدقة الاولى

واذا كان الانسان يرى الله متمثلا فى قدرته مرة أو مرتين أو ثلاث مرات فى حياته ٠٠ فان الله موجود فى قلبه منذ الدقة الاولى التى تعطيه الحياة ٠٠ منذ الصرخة الاولى التى يطلقها ٠٠ ذلك أن الطفل ولد لا يعرف الكذب ولا النفاق ولا الخداع ولا أشياء أخرى كثيرة جدا لم ترد فى قوانين الحياة التى وضعها الله وقدرها ٠ بينما يولد وفيه أشياء أخرى ربما أكبر من ذلك .. يولد وفى عقله التراث الانسانى والتقدم الانسانى مع استعداد لفهم هذه الاشياء وهضمها بسرعة عجيبة ٠ فمثلا لو أنك قلت لرجل من ألف سنة أن الانسان سيطير فى الهواء ، وسيصل الى القمر لاتهمك بالجنون ، ولو حاولت أن تقنع مجموعة من الناس بذلك لثاروا عليك وربما قتلوك ٠٠ ومنذ ألف سنة لم يكن العقل البشرى يملك فك أجزاء آلة معقدة مثلا كالقطار أو السيارة ٠٠ لم يكن الانسان يستطيع أن يقوم بهذا عقليا ٠

ولكنك الان تستطيع أن تعلم العقل البشرى وتدربه على أشياء فى غاية الصعوبة والدقة من الالات الاليكترونية الحديثة ٠٠ لماذا ؟ لان العقل البشرى يرث فطريا الحضارة الانسانية والتقدم واذا كان العقل البشرى قادرا على أن يرث هذا التراث الانسانى الضخم ويتقدم به ويطوره ٠٠ حسب قوانين محددة وموضوعة وموجودة ٠٠ فان هذا العقل الانسانى تزرع فيه الحياة الدنيا عوامل الشر ٠٠ فالمجتمع هو الذى يزرع أفراده الكذب والخداع والنفاق وكل الخصال الاخرى ٠٠ وحتى وهو يزرعها يحاول أن يجد لها مبررا ينطبق على عوامل الخير ليسكت صوت الله الذى يدور داخله ، فهو ينشىء من نفسه قاضيا يحاول أن يضع حيثيات خيره لكل سوء يرتكبه ٠٠ يحاول أن يبرر لنفسه أن ما ارتكبه حق وعدل ٠٠ لماذا ؟ لان هناك شيئا داخله يؤرقه ٠٠ حتى اللص الذى يدخل المنزل ليسرق يحاول أن يقول لنفسه أنه مظلوم ٠٠ وان هذا المجتمع ظلمه ٠٠ وانه يستخلص حقوقه ٠٠ يأخذ حقه ٠٠ حتى القاتل ٠٠ اذا ناقشته تجد أنه قد وضع فى نفسه المبررات لجريمته قبل أن يقدم عليها ٠

مقاييس الشر

الى هنا وأقف قليلا ٠٠ ما معنى هذا كله ٠٠ معناه أن الله يوجد فينا بالفطرة وأن هذه الحياة تضع فينا مقاييس الشر ٠٠ ومعناه أنه حق ونحن نضع مقاييس الشر فان شيئا ما فى داخلنا يؤرقنا وأننا نحاول أن نسكت هذا الشىء زيفا بمبررات نحاول أن نلبسها من داخل أنفسنا مقاييس نفصلها نحن ، وندعى أنها طريق الحق ٠ ومستخدمين فى ذلك أحيانا مقاييس التطور .. واحيانا اشياء أصبح المجتمع يتقبلها أو يتغاضى عنها ٠٠ لا يوجد انسان فى داخل نفسه أو عقيدته يعتقد أنه شرير ولو كان هو الشر نفسه ٠٠ انه لا يستطيع ان يتقبل هذه الفكرة ولا أن يعيش بها

ذلك أنها تتنافى مع الفطرة التى خلق عليها ٠٠ ولكنه يطور كل أفكاره بمبررات حقيقية كانت أو مزيفة ٠٠ محاولا أن يلقى ثوب الحق والعدل عليها ليخرج منها أنه على صواب فى الايذاء والسوء الذى

ارتكبه . حتى الأب حين يضرب طفله .. فانه لا يقنع نفسه بأن هذا هو عمل ايذاء .. بل يحس أنه عمل خير .. أنه يؤدبه وسواء كان هذا حقا أو باطلا ..

ونحن هكذا فى كل شيء .. نضع المقاييس لانفسنا .. محاولين حتى أن نبرر المعاصى .. أن نلبسها أحيانا ثوب القدر .. وأحيانا أخرى لغة العصر .. وفى أحيان كثيرة اسم التقدم ولكنها كنها أسماء زائفة نحاول ان نسكت بها العدو الذى فى داخلنا .. الصوت الذى يؤرقنا ..

لماذا ؟ لان هناك شيئا بداخله يسلبه مقومات الحياة ويؤرقه اذا هو لم يقنع نفسه بذلك .. ما هو الشيء ؟ أظن أننا لسنا محتاجين الى جواب .

وافقت من تأملاتى على صوت المؤذن يؤذن لصلاة العشاء .. وصوته يدوى « الله أكبر .. الله أكبر » .. كلمة كبرى من كلمات الايمان .. اننا نرددها عشرات المرات فى الاذان وفى الصلاة .. ومع ذلك فنحن نرددها دون استشعار معناها الحقيقى . أنها كلمة الله .

بقية مقال [الشريعة والحقيقة]

فى الارض احتمل أن يساق اليه الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه ، ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب الى أن يقرب من مستقر الماء الصافى ، فينفجر الماء من أسفل الحوض ، ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم ، وقد يكون أغزر وأكثر ، فذلك القلب مثل الحوض ، والعلم مثل الماء ، وتكون الحواس الخمس مثل الانهار . وقد يمكن أن تساق العلوم الى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلىء علما ، ويمكن أن تسد هذه الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ، ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر ينابيع العلم من داخله» .

٧ـ ومما سبق يتبين لنا أن الصوفية فى علم الحقيقة لا يعتمدون على ادراك الحواس الظاهرة ولا على الاستدلال العقلى بقدر ما يعتمدون على منهج الذوق ، ولذلك قالوا : « من ذاق عرف »

وأداتهم فى ذلك القلب بعد تطهيره ، والى ذلك يشير الطوسى بقوله : « وقد قال الله تعالى : « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » يعنى حاضر القلب .

وبقدر ما ينكشف عن القلب من حجب الحواس والشهوات والمعاصى تكون قدرته على المشاهدة وادراك الحقائق .

الإيمان بالله

يظن بعض الناس ، أن الانسان المتدين ، هو الذى يقضى أكثر وقته فى استغراق طويل ، وتأمل صامت فى الكون وما فيه ، وصولا الى الايمان الكامل بقيوم السموات والارض ، القائم على كل نفس بما كسبت ، ولا يتصل بالمجتمع الذى يعيش فيه الا لماما ، واذا استطاع أن يتخذ منه موقف الرفض ، فينعزل انعزالا كاملا ، كان ذلك فى نظره خيرا كثيرا .. لكن هذا المفهوم يجافى الصواب على طول الخط ، بل انه يناقض الدين وتعاليمه .. فالدين عقيدة وعمل ، عبادة وسعى وانتاج ، استثمار للارض وما فيها من خيرات ، جهاد متواصل لكل عدو يحاول النيل من كرامة المسلمين أو سلب جزء من أرضهم ، وفى جملة قصيرة الدين هو الحياة .. والاسلام كدين سماوى يتجه الى العقيدة فيغرس فى قلب المسلم عقيدة التوحيد ، وهذا يدل على أن الوحدة منشودة ، وهى الغاية الاخيرة فى الاسلام ..

وهى بدورها توحى بالوحدة فى ذات الانسان ، وتوحى كذلك بالوحدة فى علاقة الانسان بالانسان فى الاسرة والمجتمع ، وفى مجتمع اسلامى مع مجتمع آخر .. وتأتى العبادات من صلاة وزكاة وصيام وحج لتجعل الانسان مندمجا فى الحياة .. فالصلاة تعنى أن يتجه الانسان فى خشوع نحو الله ، وأن يناجى هذا الجلال بقوله : الله أكبر ، فيحصل فى ذلك

ليس دعوة إلى الإنعزال عن الحياة

فضيلة الشيخ عبد الرحمن النجار

الانسان قيمة الوجود كله ، وقيمته عندئذ أن شيئا واحدا له العظمة والجلال ، وعلى المصلى أن يقف مع اخوانه المصلين يناجون هذا الاله الواحد ، حتى اذا ما صلى الواحد منفردا لا يناجى ربه بصيغة الافراد ، فلا يقول : اياك أعبد واياك أستعين ، ولكن يجب أن يندمج فى الحياة وأن يحس احساس اخوانه ، وأن يستشعر أن معه ملايين المسلمين يقفون موقفه ويدعون دعاءه فهو يقول : اياك نعبد واياك نستعين — وبذلك تنحى الصلاة فكرة الانعزالية من نفس المؤمن .. وجاء الاسلام بالزكاة ليسعى المزكى عن طريق زكاته الى توثيق علاقته باخوانه فى مجتمعه ، فيخفى فى نفسه اتجاه الطمع والجشع ، وحب الذات والانانية ، انه يعيش مع مشاعر الناس وآلامهم .. ويعمل جاهدا على أن يزيل عن المكروب ألمه ، ويمسح بيد حانية على فؤاد المحروم الذى يعيش غير واجد ما يسد به رمقه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان المثل الاعلى فى هذا الشعور ، كان شديد الاهتمام بالناس ، حتى لقد كان يحرم نفسه وأهله ليوفر للناس بعض ماهم اليه محتاجون ، ولطالما كان ينهى ذوى اليسار أن يمسكوا فضل ما عندهم ، ويختزنوا فائض دخلهم ، وان يتقوقعوا حول أنفسهم ، بعيدين عن مشاكل اخوانهم فى المجتمع .

يقول أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه : (بينما نحن فى سفر مع النبى صلى الله عليه وسلم اذ قال لنا : من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد ، فليعد به على من لا زاد له ، ثم ذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لاحد منا فى فضل — أى فيما يزيد عن حاجته) ان هذا التوجيه يبين للصحابة قيمة المشاركة الايجابية فى حياة المسلمين ، والعمل على حل مشاكلهم والتعاون فيما بينهم ، ويسوق فى ذلك توجيها مشرقا فيقول : (ان الاشعريين اذا أرملوا فى غزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة ، جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم فى اناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم) .

ويضرب الرسول مثلا حيا للذى يبذل مما عنده من أجل اخوانه ، ولا ينعزل بفكره أو سلوكه عن مجتمعه فيقول (بينما رجل يمشى بفلاة ، اذ سمع صوتا فى سحابة ، يقول : اسق حديقة فلان ، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه فى حرة — أى أرض كلها حجارة — فاذا شرجة — أى مسيل ماء قد استوعب ذلك الماء كله ، فتتبع الماء ، فاذا رجل قائم فى حديقته يحول الماء بمسحاته ، فقال له ، يا عبد الله ما اسمك ؟ قال : فلان ، فاذا هو الاسم الذى سمعه فى السحابة ، فقال له : ولم تسألنى عن اسمى ؟ فقال : انى سمعت صوتا فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان لاسمك ، فماذا تصنع فيها ؟؟ فقال : أما اذا قلت هذا فانى أنظر الى مايخرج منها فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالى ثلثا ، وأرد فيها ثلثه) .

ان رسول الله يريد بهذه الصور المضيئة أن يخرج الناس من انعزاليتهم ، وأن يوفر للجميع الفرص التى تبعد عنهم مرارة مشاكلهم وشظف حياتهم ، حتى يعيشوا جميعا الحياة الطيبة التى يريدها لهم .. ولقد ذهب اليه بعض أصحابه يوما أسفين ، لانهم يريدون أن يشاركوا مشاركة ايجابية فى خدمة المجتمع ، وايصال الخير الى الناس . ولكنهم لا يجدون المال الذى منه ينفقون . لقد قالوا لرسول الله : (يا رسول الله من أين لنا صدقة فنتصدق بها ؟ فقال : وان أبواب الخير لكثيرة ، التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ثم قال : وتميط الاذى عن الطريق ، وتسمع الاصم ، وتهدى الاعمى ، وتدل المستدل على حاجته ، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث ، وتحمل بشدة ذراعيك مع

الضعيف . فهذا كله صدقة منك على نفسك) ان هذه التوجيهات كلها تدفع الانسان دفعا لكى يعيش فى مجتمعه عضوا نافعا ، يقدم الخير للناس ، ولا يقول : أنا وحدى ومن بعدى الطوفان ..

وجاء الاسلام بالصوم ، والصوم ليس فقط متضمنا عدم الحرص على الاستيلاء والاخذ ، لانه يقوم على الامساك والترك ، ولكنه شعور بالتضامن مع اخوانه المسلمين الذين يؤدون هذه الفريضة فى شهر محدد من العام وهو شهر رمضان ، وفى وقت محدد من اليوم ، وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، فاذا ما طلع فجر يوم رمضان كان الجميع ممسكا عن الطعام والشراب واذا ما غربت الشمس كان الجميع طاعما شاربا .وبذلك يحس المسلم أنله اخوة يسلكون سلوكه ويؤدون عبادته فيألفهم ويحبهم ،ويتجمع معهم فى معسكر رمضان ،المعسكر الذى يدرب الانسان على أن يستعلى على غرائزه ، وأن يتحكم فى سلطان الالف والعادة عنده ليكون صاحب شخصية قوية ، يفعل الواجب لانه واجب مهما كان التكليف ثقيلا - ويترفع ن فعل السوء مهما يكن مغريا ، لانه صار صاحب ارادة قوية ، ونفس زكية .

والنفس كالطفل ان تهمله شب على : حب الرضاع وان تفطمه ينفطم ..

وجاء الاسلام بالحج ، ليخرج المسلم من بيته ومن وسط أهله ليلتقى باخوة له فى الدين ، جاءوا من مختلف بلاد الارض ، لا يعرف لغتهم ولا أسماءهم ، ولكنه يحس القربى منهم ، فهم يتجمعون فى مكان واحد ، حول الكعبة المشرفة التى قال الله فيها : (**قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره**) وتراه يلبس نفس ملابسه - وهى ثياب الاحرام البسيطة - وتسمع الدعاء الصادر من قلوبهم فاذا هو دعاء واحد (**لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، أن الحمد والنعمة لك ، والملك ، لا شريك لك**) .

اذن هذه العبادات كلها حافز للمسلم ليلتقى باخوته المسلمين ، ويتعايش معهم ، يحس احساسهم ، ويشعر بشعورهم ، وصدق رسول الله وهو يقول :

والمسلمون كرجل واحد ، ان اشتكى عينه اشتكى كله ، وان اشتكى رأسه اشتكى كله) ويقول : (**المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل احداهما الاخرى** (وفى هذا أقوى حافز لكى يكون المؤمن متعاونا مع اخوانه المؤمنين . ولكى ينحى عنه صفة الانعزالية والانانية ، تحقيقا لقوله تعالى : (**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان**) .

فالايمان اذن يحقق للانسان اتجاها واحدا ، هو الاتجاه الى الله الخالق القادر مع السلوك الاجتماعى السوى ، فلا ينعزل عن مجتمعه ، ولا يتأرجح بين شيئين متقابلين ، لا يلبس اليوم وجها ، وغدا وجها آخر ، ولا يفعل اليوم هذاويفعل نقيضه غدا ، بل يكون مستقيما متزنا ، موفقا بين مطالب دينه ومطالب دنياه ، تحقيقا لقول الله تعالى (**وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما احسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الارض ، ان الله لايحب المفسدين**) فاذا سار الانسان فى سلوكه وفق هذه الاية القرآنية ، فانه لا شك يكون معتدلا متزنا مستقيما ، فهو يسعى لكى يأخذ نصيبه من الدنيا ، لا ليأخذ الدنيا كلها ، ولاليتركها ويزهد فيها ، وفى الوقت نفسه يقصد وجه الله فيما حصله من دنياه ، فيحسن الى غيره كما أحسن الله اليه ، ولم يقصد الى العبث والفساد ولم يتكاسل ولم يتواكل ، ولم يغتر بما حصله من نعم ، ومع ذلك لم يحرم من هذه النعم غيره ممن يستحق شيئا منها ، لم يحرم ذا قرابة أو جوار أو متربة أو حاجة .. فلكل واحد من هؤلاء حق فيما عنده من مال :

والمسلمون لم يتخلفوا الاحينما فهموا أن الايمان يعنى الانعزال عن المجتمع ، فعاشوا سلبيين فى حياتهم ، واحتل الاعداء أرضهم ونهبوا خيراتها ، وانتفعوا بما فيها ، وتركوا أصحابها يعصفون الجوع ويكودون الحرمان .. وترتب على انعزالهم عن الحياة ان ابتعدوا عن العلم ، فتقدم غيرهم وهم لا يزالون يمشون الهوينى فى طريق العلم والحضارة . حتى اصبح من سمات المتأخر والجهل والضعف . مع ان الاسلام دين العلم والتقدم . الدين الذى يأمر اتباعه بان ينهضوا الى التعليم فى كل فروعه . ويجعل من دعاء الرسول لربه هذا الدعاء المشرق (وقل رب زدنى علما) ويضع مقارنة بين من أوتى حظا من العلم ومن حرم نفسه منه . فيقول (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - انما يتذكر أولو الالباب) وفى مجال المقارنة يقول (وما يستوى الاعمى - وهو الجاهل - والبصير - وهو العالم . ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوى الاحياء ولا الاموات . ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من فى القبور) وبذلك يتضح ان الدينفى جوهره دعوة الى التقدم .. وان المؤمن بالله لا ينعزل عن الحياة ، ولكن يعيش واقع الحياة لان الدين هو الحياة ..

الإيمان بالله سر القوة والإنتصار

ان الايمان بالله يصنع العجائب ، ويحقق المعجزات ، ويلهب روح الكفاح والنضال فى كل معارك الحياة وضروبها ، وهو القاسم المشترك الاعظم في جميع الحوادث منذ فجر التاريخ والى يوم الناس هذا . ذلك أن الثقة فى موعود الله الذى ادخره لعباده المؤمنين تجعلهم يستعذبون الالام بل ان الالام تتحول الى آمال فى سبيل تلك الغاية الكريمة التى طمحت نفوسهم اليها ، واتجهت هممهم لما فيها من نعيم دائم فى الملا الاعلى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر . ومن ثم فان الايمان مفتاح أسرار الكائنات ، ومصباح الهدى يضىء للسارى ما أظلم من مفاوز الحياة ، وهو تلك القوة العلوية القاهرة التى ساقت نوابغ القواد الى ميادين النصر فأسموها شجاعة ، ودعت من قمة مجدها أهل الوطنية الى الصبر والجهاد فى سبيل الواجب فتأكدوا أنها التضحية ، وتنزلت الى أفئدة المخترعين والمكتشفين فقالوا : انها شرف العلم ، وظهرت لعشاق الاخلاق الكريمة فآثروا العفة والفضيل .

الدكتور عبد العزيز محمد عزام

وللأمة العربية رصيدها الضخم وذخيرتها الهائلة من الايمان الصادق المخلص فى جهادها العادل ضد قوى البغى والعدوان ، فقد أمدها الاسلام بتعاليمه ومبادئه وقيمه فأحالها قوة قاهرة تبدد ظلمات الجهل ، وتمحو الظلم وتطهر الارض من رجس الطاغوت ، وتفسح الطريق أمام الحق يرفع لواءه ، وينشر ظله ويقيم العدالة والمحبة والامن والسلام بين بنى آدم جميعا .

ولقد ضرب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أروع الامثلة : فى ذلك ، فحينما تشبعت بذور الايمان قلوبهم ، وامتزجت ثمراته بنواياهم وسرائرهم قاموا بمقتضى ذلك الايمان لنصرة نبيهم قومة صادقة زلزلت قلوب المتجبرين وهوت بعروشهم ومكن الله لهم فى الارض وجعلهم أئمة فملكوا بايمانهم نواصى الحياة وسادوا الدنيا بأسرها لانهم أسسوا بنيانهم من أول يوم على الثقة فى الله ، وما أعده للمجاهدين من كريم المثوبة فكان الايمان الخالص هو سبب ترابطهم وسر قوتهم مهما تجمع الاعداء وتكاثروا عليهم : [الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) .

ذلك لان القلب متى عمر بالايمان الصحيح تحول الى طاقة من القوة لا تصدها الجبال ولا تقهرها الابطال ولا تمنعها الاهوال . والا فما الذى جعل القلة المؤمنة فى بدر المجردة من العتاد والسلاح تهزم عشرات المئات من جحافل الشرك والجبروت . انها آية الايمان والاتصال بمدد السماء (قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار) . (ولقد نصركم الله ببدر وانتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون] .

لقد قال عبادة بن الصامت للمقوقس عظيم القبط بمصر معبرا عن شجاعة العربى وبسالة المؤمن وزهده فى الحياة الدنيا وما فيها من عرض زائل قال له ضمن ما قال أثناء الفتح العربى لمصر : « انما رغبتنا وهمتنا الجهاد فى الله ، واتباع رضوانه ، وليس غزونا عدوا فما حاربنا والله لرغبة فى الدنيا ، ولا طلبا للاستكثار منها ، الا أن الله عز وجل قد أحل ذلك لنا ، وجعل ما غنمنا من ذلك حلالا ، وما يبالى أحدنا أكان له قناطير من ذهب أم كان لا يملك الا درهما لان غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته ، ليلته ونهاره ، وشملة يلتحفها . وان كان أحدنا لا يملك الا ذلك كفاه . وان كان له قنطار من ذهب أنفقه فى طاعة الله واقتصر على هذا لان نعيم الدنيا ليس بنعيم ، ورخاءها ليس برخاء ، وانما النعيم فى الآخرة . بذلك أمرنا الله ، وأمرنا به نبينا وعهد الينا ألا تكون همة أحدنا فى الدنيا الا ما يمسك جوعته ويستر عورته ، وتكون همته وشغله فى رضا ربه ، وجهاد عدوه » .

وان عظيم الروم حينما رأى جموع المسلمين مقبلة عليه ولمح نور الايمان فى قلوبهم وآثاره بادية فى ضرباتهم وقف على نشز مرتفع من الارض وقال : « سلام عليك يا سوريا سلاما لا لقاء بعده » مع أن جيوشه كانت مدربة على الفنون الحربية الحديثة وتتمتع بكفاءة قتالية ممتازة . ويمكن أن نقتبس هنا جزءا من كتاب باهان الى قيصر الروم يصف جنود المسلمين :

« أما بعد ، فانك قد بعثتنى فيما لا يحصيه من العدد الاالله ، فقدمت على قوم فأرسلت اليهم ، وهيبتهم فلم يهابوا ، وأطمعتهم فلم يطعموا ، وخوفتهم فلم يخافوا ، وسألتهم الصلح فلم يقبلوا . وجعلت لهم الجعل على أن ينصرفوا فلم يفعلوا . وقد ذعر منهم جندك ذعرا شديدا .. » .

فكان الاخلاص لله وفى الله هو السر الذى جمع المسلمين الاولين حول قائدهم ودينهم فكتب الله لهم النصر على الاعداء . وفتح لهم البلاد (**ومن يؤمن بالله يهد قلبه**) (**ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا**] **فسبحان الله العظيم الذى خلق الانسان بقدرته ونفخ فيه من روحه ، واسجد له ملائكته ، ثم أمره أن يخلص له العبادة وأن يقصد بعمله وجه الله الكريم (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة**) .

ويسوقنا ذلك الى الحديث عن الرياء باعتبار أن الرياء يمثل الصورة المعتمة والمقابلة لوجه الاخلاص المشرق والوضاء ومن جهة أخرى فان الرياء أخطر الامراض البشرية فهو السوس الذى ينخر فى كيان الامة ويشوه بهاءها . فترى المنافق زاهدا فى الخير ، راغبا عن المعروف ، فاذا أحس بوجود الناس لبس مسوح الرهبان وتظاهر بكل الوان التقى والايمان ابتغاء الثناء والسمعة وطلب المحمدة من الناس . ولكن الله العلى القدير الذى لا تخفى عليه خافية قد فضح أمرهم وكشف مكنون سرهم فقال : (**ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا**) فاذا كان يوم الجزاء ووقف الناس جميعا للحساب وجازى الاولين والاخرين بالحق والعدل كما قال سبحانه (**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين**) فى هذا اليوم الذى يضاعف فيه الاجر والمثوبة للمخلصين لا يغنى التظاهر ولا ينفع الرياء فقد عملوا أعمالهم للناس وآخذوا جزاءهم من الناس فى الدنيا لذلك فهو سبحانه يبكتهم على سوء تصرفهم ويقول لهم لقد خلقتكم ورزقتكم وأمرتكم بالاخلاص فى العبادة والطاعة فتركتم أمرى وشغلتم بغيرى فاذهبوا لمن كنتم تراءون فى الدنيا وعملتم لهم هل تجدون عندهم جزاء وهل يستطيعون أن يجاوزكم بأعمالكم ؟ فالله تعالى طيب لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وابتغى به وجهه ، من أجل ذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم ينظر الى أمته نظر الراعى الشفيق فلا يخشى عليهم الشرك الاكبر وعبادة الاوثان والاصنام فأمره واضح معلن ليس فيه خفاء والله تعالى يقول : [**أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**) . وانما كان يخشى على أمته دبيب الشرك وألوان الرياء « قالوا : وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال : الرياء » . فالله سبحانه يقول فى الحديث القدسى « **أنا أغنى الاغنياء عن الشرك** » وروى مسلم عن أبى موسى الاشعرى قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال يا أيها الناس : اتقوا هذا الشرك ، فانه أخفى من دبيب النمل . فقال رجل وكيف نتقيه ؟ قال : قولوا اللهم انا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه » فمن دعا بهذا الدعاء كفاه الله الرياء ورزقه الاخلاص » .

ولقد أثبتت الاحداث أن الايمان بالله والاخلاص للعقيدة له أكبر الاثر فى جهاد الاعداء وتحطيم أساطير الباطل فالمسلم طاهر السريرة نقى القلب صادق الايمان وفيا لعقيدته ودينه وأمته لا يتحول عن هدفه ولا ينكص على عقبيه بل يذوق الموت راضيا محتسبا مقبلا على الاخرة مدبرا عن أعراض الدنيا ومظاهرها . قال تعالى : (**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا**] . وبهذا الايمان انتصر المسلمون الاولون وسادوا العالم ونشروا حضارة الاسلام . يا سلاح الايمان فى مصنعك أنت المعجزة الاولى التى فتح العرب بها العالم ، وأنت المعجزة التى حطمت أسطورة التفوق العسـكرى الاسرائيلى فى اسرائيل (**وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى**) اننا نستمد العون من الله ، ومن كان الله معه فهو حسبه (**ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم**) فسيروا على بركة الله وبعونه يا جنود الحق وأحفاد خالد بن الوليد لتعيدوا للدين مجده وللشعوب العربية حقها فى الحياة الحرة الكريمة . طهروا الارض من هذا الرجس والى الابد والله معكم يرعاكم ويسدد خطاكم (**كتب الله لاغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز**) .

أخي العربي

سيجارتك المفضلة

- تصنع حاليا بالفلتر المخصوص بجميع عبواتها ..
- على مستوى عال من الجودة تصنيعا ومذاقا ..
- متوافرة في جميع أنحاء الجمهورية ..

وصايا لقمان كتخطيط تربوي لتنشئة المواطن السوي

الدكتور سالم غانم

ان مفهوم التربية فى أبسط صوره يعنى رعاية المتعلم من شتى جوانبه العقلية والاجتماعية والصحية والنفسية والاخلاقية ، واذا نظرنا الى هذا المفهوم فى ضوء التربية الاسلامية المستقاه من السلوك والقول والمنتثرة فى القرآن والحديث وأفعال الائمة من السابقين وأقوالهم ، لما رأينا جديدا فى الهدف والغاية عند البصر والتأمل ، وان اختلفت المناهج فى الاسلام عنها فى التربية الحديثة • وذلك لان الاسلام يتناول الجوهر ككل ولا يعنى بالتفريعات والجزئيات ، ويذهب فيما يذهب اليه الى البواعث والدوافع ، وترتبط التربية فى الاديان بأعز ما يحرص عليه الفرد وتحرص عليه الجماعة ، وهو العقيدة ومن هنا كان التأثير ، فالتربية الصادرة عن الدين تسرى الى النفوس والتأثر بها قولا وسلوكا أقرب وسلطانها أبقى وأدوم ، وقدرتها على بعث القوة والكمال في الامة أكبر لان القيم الروحية التابعة من الاديان قادرة على هداية الانسان ومنحه طاقات لا حد لها من العمل المثمر الخلاق •

هذا ولا نجد وثيقة أجمع لمبادىء التربية السليمة من وصايا لقمان • وقبل ان نتناولها بالتحليل يجدر بنا ان نعرف بلقمان وابنه لتقع وصاياه منا موقع القبول المناسب لهالما فيها من الاصول المرتبطة بالعقيدة من ناحية والسلوك من ناحية أخرى ، ولماكان عليه صاحب هذه الوصايا من ناحية ثالثة •

فلقمان ورد ذكره فى القرآن فى السورة المسماه باسمه وفيها وردت وصاياه وهو ابن أخت أيوب عليه السلام وعاش حتى ادرك نبى الله « داود » وأخذ عنه العلم .

ولقد كان لقمان حكيما فى قومه ولم يكن نبيا لما يفيده ظاهر قول الله تعالى : **ولقد اتينا لقمان الحكمة** . والحكمة فى نظر العلماء : استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها أو بمعنى آخر أعم وأوضح : هى السداد فى القول والفعل بناء عن التأمل والمشاهدة والتجربة .

أما ابن لقمان وان كان لم يعرف اسمه من القرآن فان بعض كتب التفسير قد عرفت بـه وذكرت أنه « أعلم » أو « اكشم » او«ماثان» وانه كان صبيا فى سن التعليم .

وان اولى الناس بالانتفاع بحكمة الحكيم أبناؤه ففيهم يحب أن يرى نفسه ، لانهم امتداد لحياته ، وعاطفة الاباء نحو أبنائهم قوية مشبوبة ، غالبا ما تكون أقوى وأشد من عاطفة الابناء نحو آبائهم وبخاصة فى حالة كبر الابناء واستقلالهم بانفسهم واعتمادهم عليها ، وانشغالهم بما يعود عليهم من نفع وتحقيق اطماع .

لذلك نجد لقمان فى وصيته الاولى يقول : **يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم** » وفى هذه الوصية نقف ثلاثة مواقف : **الاول** عند قوله « يابنى » فهى توحى بالعطف والمحبة والاشفاق والحدب من الوالد على ولده الامر الذى لا نحسه اذا خلا القول منها . وهنا يتجلى مبدأ هام تتوقف عليه العملية التربوية من أساسها وهو حب المعلم لتلميذه وحدبه عليـه . واحساس التلميذ بذلك يترتب عليه تقبل القـول والاقتداء فى العمل . واذا كان لقمان قد نادى ابنه بما يستثير عاطفة المحبة يقول « يا بنى » فان المعلم له أن ينادى تلميذه بذلك فهو أب روحى كما ان له ان يناديه بما يحب أن ينادى به من اسم أو لقب فان لذلك دلالته على الاهتمام به وقربه اليه ، مما يبعث فى نفسه الرضا ، وفى قلبه الحب وفى ذهنه التوقد وفى طبعه التشبه والامتثال . واهمال التخصيص بالنداء قد يؤدى الى العكس من ذلك .

والموقف الثانى : عندقوله « **لا تشرك بالله** » فالنهى عن الشرك دعوة الى التوحيد وهى دعوة الى التفكير والتأمل واستعمال العقل فى كل ما يحيط به وفى نفسه ، فان لله فى كل شئ آية تدل على انه الواحد ، وهى بذلك تساير حاجة الطفل فى مثل هذا السن فى التعرف على خلقه وخلق آبائه واجداده وما حواليه .

كما انها نتيجة لهذا التفكير المنطقى وذاك التناول العقلى . فاذا ما وصل الطفل الى هذه النتيجة بالتدرج معه فى تفكيره كان الاطمئنان والاستقرار والهدوء النفسى وهذا من الزم اللوازم لتقوية الشخصية السوية ، الثابتة عن ثقة ، العارفة عن تفكير . وذلك فضلا عن التربية على العزة والكرامة وعدم الخنوع والخضوع عن ذلة واستكانة ، فلا عبودية الا لله ، أما عبودية الانسان للانسان فليست فى شرعة الحق .

الله فـوق الخلق فيها وحده
والنـاس تحت لـوائه اكفاء

كما انها تربية انسانية على الاحساس العميق بالمساواة بين البشر فى الادمية وبعدم التفاضل للون أو جنس .

والموقف الثالث عند قوله « ان الشرك لظلم عظيم ! من الظالم ومن المظلوم ؟ بلا شك ان المشرك يظلم نفسه ويوقعها فى اضطراب عنيف ويحكم على عقله بالفساد والاختلال ويصبح كالغريق تتقاذفه الامواج دون ملجأ قوى أو سند يستشعر فى نفسه الخلاص على يديه ، فتخور نفسه وتهن عزيمته ويتضاءل أمله وتقفل أمامه أبواب النجاة . وبما ان الانسان فرد فى مجتمع فان اضطرابه سينعكس حتما على مجتمعه الصغير والكبير . مجتمعه الصغير القائم فى أبسط صوره على الابوين اللذين هما السبب المباشر لوجوده فى هذه الحياة والتى لا هناءة فيها الا على اساس الرعاية والتكافل بين افرادها فى محيط الاسرة اولا كخلية فى بناء المجتمع .

ولما كانت العاطفة عند الابوين أقوى منها عند الابن أوصى القرآن بوجوب الرعاية والعناية من الابناء للاباء واكد بهذه الوصية قضية التوحيد والنهى عن الشرك وان لم تكن من وصايا لقمان فقال : **ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين ان اشكر لى ولوالديك الى المصير** » .

وماذلك الا لان نظر الانسان الى نفسه من مبدأ تكوينه الى صرخته باستقباله الحياة بعد ميلاده ، ورعايةأبويه لهوبخاصة الامسبيله وطريقهالىالاعتقاد بتوحيد الخالق الذىخلق من النطفة علقة ، ومن العلقة مضغة ، ومن المضغة عظاما ، وكسى العظام لحما ثم انشأها بعد ذلك خلقا آخر فيه حياة تدب فىسائر أعضائه التى كانت هامدة ، وهو الذى غرز فى الام الحنان والعطف فرعته مدة أطول وأشق من أى مخلوق آخر ، ألا يأخذ التأمل فى تلك المراحل بصاحبه الى دائرة التوحيد وشكر الخالق أن جعله بشرا سويا ، وخلقه مرفوع الرأس ووهبه العقل الذى سما

به على سائر المخلوقات وجعلها طوع ارادته ، والا يدفع به الى التأمل في البحث والتفكير في أسرار ما يرى وهو ما تهدف اليه التربية الصحيحة من حمل الطالب على التفكير بوضع المشكلة أمامه ، وتركه لمعالجتها بنفسه .

وما شكر الوالدين الذى اقترن بشكر الله الا رعايتهما والقيام على خدمتهما وطاعتهما ومنحهما الحب حتى ولو كان منهما ما لا يحبه ويرضاه ، **« وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الى ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون »** وما حب الوالدين الا وفاء لدين مستحق ، ورصيد يتصعد فى الترقى على مدارج الكمال حتى يصل الى القمة فيتسع للناس جميعا ، ومن هنا يكون التعاطف والتعاون والمحبة والسعادة والسعادة نور يضيء جوانب النفوس فيمنحها طاقة لا يدرى سرها ولا يعلم مصدرها الا بهذا الاشعاع الروحى . وما أحوجنا اذا تعقدت أمورنا وأظلمت الدنيا فى عيوننا وضاقت علينا الارض بما رحبت الى هذه العاطفة النبيلة نشفى بها أمراضنا الاجتماعية الوبيلة وننشىء بها البراعم الفتية على طهر ونظافة عسى ان تكون دنياها خيرا من دنيانا ، وهذا ما نأمله من تربيتنا .

الوصية الثانية :

الايمان بالحساب والثواب والعقاب فالله سبحانه وتعالى عنده الجزاء لكل من المحسن والمسيء عند الرجوع اليه ومهما تكن الاساءة او الاحسان بالغة ما بلغت من الدقة والخفاء فى آى مكان فى الارض أو فى السماء فانه سيحاسب عليها .

« يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات او فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير » .

والايمان بالبعث والثواب والعقاب هو السبيل الى السلوك فى طرق الرشاد ، ومسالك الصواب طمعا فى ثواب الله ، وبعدا عن عقابه وان كانت هذه المرتبة قريبة من الفطرة فانها طريق فى التسامى الى غيرها من مراتب الواصلين .

ومن زاوية التربية لبعث المواطن السوى فان الايمان بها هو المنفذ الى المراجعة والمحاسبة لضمان السير على طريق الصواب وعدم الانحراف والتخبط فى متاهات الحياة وضلالات النفس وهذا ما نعنيه من *النقد الذاتى* فى أحد اوجهه . **وإذا كان النقد الذاتى** ضرورة حتمية على طريق التقدم فانه يكون نوعا من السفسطة والنفاق اذا لم يرتكز على الوازع الدينى الذى يهبه الحياة والفاعلية والابداع .

ومن زاوية ثانية فان العمل طريق الى تحقيق الامل . وقد يعمل الانسان ما وسعه العمل ويصبح منه العزم ، والدهر يأبى ان يصالحه ، فهو يستكين ويضعف وتخور قواه وتهن عزائمه لان الحظ لم يواته ، ولان النتائج جاءت على عكس ما قدم ، لا ، باب الامل مفتوح لم يوصد ، وعند الله الثواب فمن افتقده فى الدنيا فلن يفتقده فى الاخرة **« ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا » وان تك مثقال حبة من خردل آتينا بها وكفى بنا حاسبين « يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »** .

ومن لطف الله بنا ان منحنا الحسنات مضاعفة الى سبعمائة ضعف على أعمالنا الطيبة ولم يضاعف سيئاتنا على مخالفاتنا . وهذا اغراء بالعمل وفتح لابواب الامل ، والويل لمن غلبت آحاده عشراته .

الوصية الثالثة : اقامة الصلاة

ومع أن الصلاة فريضة موقوتة وعبادة مفروضة نؤديها التزاما بما أمر الله به ولا تقوى عقولنا على اجتلاء أسرارها وكنهها ، الاأننابدافع من أعمال عقولنا على قصورها نتلمس ما فيها من رياضة بما تحويه هذه الكلمة من معان حسية وروحية ففيها الحركة النافعة والنظام الدقيق والحفاظ على المواعيد والخشوع لله والخضوع والمساواة فى عزة وكرامة والمراقبة الحقة والمحبة الخالصة .

وفوق كل ذلك تدريب عملى نستشعر منه ترابيتنا لايجاد التوازن بين الجانب المادى والروحى فينا . وذلك بوضع جباهنا على مواضع الاقدام منا ، والصاقها بأصلنا التراب، حتى لا نغلوا فى روحانيتنا ونتوهم غير حقيقيتنا كما حدث لفرعون حينما فقد هذا التوازن ،واستبد بهتصوره لروحه فى شخصه فطغى وتكبر وقال : انا ربكم الاعلى . ولهذا كانت الوصية « يابنى اقم الصلاة »

الوصية الرابعة

الامر بالمعروف والنهى عن المنكر

ولما كان الشخص عضوا فى جماعة يؤثر فيها ويتأثر بها ولا غنى له عنها بحسب النشأة لزاما عليه بعد ان يستكمل لنفسه مقومات الحياة السليمة بترويضها على الكمال وتعويدها على الامتثال فيما أوجب الحق وأحب الخلق . وذلك باقامة الصلاة **« ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر »** .

أقول : يكون لزاما عليه أن يهب غيره ما يكمل به نفسه فيوجهه الوجهة السليمة بطريقة ايجابية ولا يكفى أن يكون كاملا في نفسه . ويعيش فى معزل عن

الناس لا يأخذ بأيديهم ولا يوجههم الى ما يجب أن يكونوا عليه من عقيدة وسلوك « دينى ودنيوى » فتلك سلبية لا يقرها الدين ولا يرضى عنها التقدم الانسانى على طريق الترقى والخير للانسانية ٠

فالايجابية ان يخطو الانسان الى الامام ، لا ٠ بل يندفع فى حكمة آمرا بالمعروف ناشرا المعرفة ، مبينا طرق الوصول الى الحقيقة ، متخطيا كل العقبات مجتازا كل الصعوبات ، مدعما الحق خاذلا الباطل ، ناهيا عن الشر بأية صورة من صور هذا النهى كما رسم الحديث الشريف : **من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فلبسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان** : ولا ريب فى ان التنشئة على هذا الخلق تنشئة على الحرية العاقلة ، التى لا تخضع لبطش جبار ، وتتراجع أمام قسوة مستبد ، وتدعم الحق وتثور فى وجه الباطل ، فيعم الامن وينتشر الرخاء ، يخاف الظالم ويأمن العادل فتستقر الامور ويرتفع الانتاج ، وتتفتح الاذهان وتتدفق العبقريات بما يدفع بالحياة تقدما فى العلم ، وازدهارا فى الادب ، وارتقاء فى الفنون ، ورقة فى المعاملة وسموا فى الاخلاق ، وهذا شأن النهضات العارمة الخالدة لا تقوم الا على دعائم من الحرية والرخاء ٠ ولذا كانت الوصية : « **وامر بالمعروف وانه عن المنكر** »

الوصية الخامسة

الصبر

ان الانسان فى حياته العامة والخاصة وكفاحه من أجل نفسه ومن أجل الجماعة يكون واهما اذا ظن ان الامور طوع ارادته ورهن اشارته يأمر فيجاب ، ويشير فتلقى اشارته التنفيذ ، أو يتمنى فتحقق أمانيه ، لا ٠٠ ليست الحياة فى شتى مجالاتها بهذه السهولة ، وليس نيل المطالب بالتمنى ولكن بالعمل ، العمل الجاد المتواصل الهادف ، فالعمل طريق الامل والصبر على العمل هو الحماية له من البعثرة والحفاظ عليه من الضياع ٠ والنور الذى يهدى ، والسر الذى يدفع فى اصرار للوصول الى الغاية المرتقبة والامل المنشود ٠ واذا كان الصبر فى حياة العامة لازما فانه فى حياة الخاصة ألزم ، الخاصة الذين صنعهم القدر ليكونوا رواد فكرة وأصحاب رأى ، وقادة مجتمع ٠ ومن هنا نلمح السر القدسى فى ارتباط الصبر بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فعلى من يتصدرون للدعوة والامر والنهى ، وكلنا مطالب بذلك أن يتحلى بالصبر ، الصبر على الاستمرار فى الدعوة وفى انتظار النتائج ، والصبر على ما فات ادراكه ، من رغبة مرجوة ، وأعوز نيله من مسرة مأموله ، الصبر فيما يخشى حدوثه من رهبة يخافها أو يحذر حلوله من نكبة يخشاها ، فلا يتعجل هم ما لم يأت فان أكثر الهموم كاذبة ٠ والمبالغة فى الافتراض معوقة ومثبطة ، وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بالصبر يتوقع الفرج ، ومن يد من قرع باب يلج ٠ وقال الحسن البصرى لا تحملن على يومك هم غدك ٠٠ فحسب كل يوم همه ٠ وقال حارثة ابن زيد :

وقل للفؤاد أن تجدبك ثورة
من الروع فأفرح أكثر الهم باطله

وفى ذلك تجدد للامل مع العمل ، ونفى لليأس مع الصبر ، وانطلاقة واعية حكيمة تدفعها التجربة الرائدة ، ولا يقف فى سبيلها احتمالات المجهول ٠ وما أجمل قول عبيد بن الابرص فى ذلك :

صبر النفس عند كل ملم
ان فى الصبر حيلة المحتال
لا تضيقن فى الامور فقد تك
شف غماؤها بغير احتيال
رب ما تجزع النفوس من الام
ر له فرجة كحل العقال

وملاك الامر فى ذلك قول الله تعالى « **فان مع العسر يسرا ٠٠ ان مع العسر يسرا** ، هذا واذا خرجنا الى الدائرة العامة للصبر لوجدناه ينتظم كل شئون الحياة الناجحة ولا غنى عنه فى أى عمل من أعمال الحياة الدينية والدنيوية ، فالعبادات الاستمساك بها وليد الصبر ، والاعمال الوصول فيها الى غاياتها متوقف على الصبر ٠ وهى فى حد ذاتها مادامت بمنأى عن المعصية طاعة وعبادة ، وان كانت فى ظاهرها سعيا وعملا دنيويا ، فالصبر روح الحياة ، والحياة الشريفة وان تعددت وجوهها طاعة وعبادة ٠

الوصية السادسة

البعد عن الكبر والغرور

هذا والمتأمل فى أدب القرآن على لسان لقمان لابنه ، يرى فيه علاجا لما يعترى النفوس البشرية من استعلاء أو زهو ٠ وذلك نتيجة لاهمال التفكير فى النفس وفى الحياة وأمورها فينخدعون بما هم عليه من مظهر لادوام له ، أو بما يخلع عليهم من اطراء لا نصيب من الصحة فيه ، فيزعمون ان المظهر الخادع حقيقة ، وأن قبلة النفاق واقع صدق ، وما ذاك الا لضعف نفوسهم واختلال تكوينهم ، وضحالة تفكيرهم ، وضآلة شخصياتهم ، فيحاولون أن يخدعوا غيرهم بالتكبر والغرور وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون ٠

وهذا المرض الوبيل كثيرا ما يعترى الناس

وبخاصة من يتصدرون للزعامة والقيادة بعد انتصارهم فنراهم أصبحوا على حال غير ما ألفناه منهم . حال لا يرون الا أنفسهم يحلونها غير محلها ، وينزلونها غير منزلتها ، ولعل غيرهم من التابعين يكونون مسئولين عن هذا الانحراف بمنافقتهم وتمجيدهم ، ولكنهم هم أيضا مسئولون عن أنفسهم ، وترك استبطانها ، وعن السماح لعوامل الضعف وبذور الفساد أن تنمو وتقوى . ولما كان الاسلام حريصا كل الحرص على ايجاد روح المودة والمحبة بين المسلمين فيما بينهم كرعية ، وفيما بينهم وبين حكامهم كدولة فقد نهى عن الكبر والعجب بعد الامر باقامة الصلاة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة الى الصبر والاشعار ببعد منزلته فى الفضل . وذلك حتى لا تكون هناك هوة بين أفراد الشعب ، وبينهم وبين حاكمهم يؤدى الى فك حبل الجماعة ، وانصرام وحدتها وتفرق كلمتها ، فيضعف ريحها ويهون أمرها ، وتتبدد أشلاء ممزقة لا يعصمها عاصم من وحدة ومحبة .

ولا يحسبن أحد أن من عمى عن عيوب نفسه وتكبر وزها عمى الناس عنه وأحلوه منزلة عالية فالامر على النقيض من ذلك فان من أظهر عيب نفسه فقد زكاها ، ومن قطع أسباب الكبر ، وحسم مواد العجب اعتاض بالكبر تواضعا وبالعجب توددا ، وذلك من أوكد أسباب الكرامة . وأقوى مواد النعم . وأبلغ شافع الى القلوب يعطفها الى المحبة ويثنيها عن البغض ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول : **أحبكم الى أحسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون** » .

وحسن الخلق أن يكون سهل العريكة ، لين الجانب ، طلق الوجه ، قليل النفور ، طيب الكلمة وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاوصاف فقال « **أهل الجنة كل هين لين سهل طلق** » ولكن لكل من هذه الاوصاف حدود مقدرة ، ومواضع مستحقة ، من تجاوز بها الحد صارت ملقا ومن عدل بها عن مواضعها صارت نفاقا ، والملق ذل ، والنفاق لؤم ، وليس لمن وسم بهما ود مبرور ولا أثر مشكور » .

الوصية السابعة

القصد فى المشى وغض الصوت

وهذا يعنى الاعتدال والتوسط فى أمريهما . وما ذاك الا لان من تمام وكمال ما يسير عليه الانسان فى حياته الاعتدال فى كل شيء .. ولامانع من أن يكون المراد بالمشى هنا فى الاية الكريمة « **واقصد فى مشيك** » السير فى كل أمر من أمور الدنيا والدين . والقصد والاعتدال فيهما مطلوب ، والادلة على ذلك كثيرة .

كقوله تعالى : « **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط** » وقوله : **فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله** . وكقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى مواجهة حالة من يقوم الليل ويصوم النهار قم ونم وصم وأفطر ، وقوله خير الصيام صيام أخى داود كان يصوم يوما ويفطر يوما .

فكل هذه الادلة تحض على التوسط والاعتدال على ضوئها نرى فى الاية عموما ينتظم الحياة بما فيها ومنها المشى لان الاسراع يذهب ببهاء الماشى ووقاره ، والابطاء مضيع للوقت معطل للمصالح معوق عن التقدم .

ومنها التحدث كما يشير الامر فى الاية « **واغضض من صوتك** » فان رفع الصوت كعادة فى الحديث فيه امتهان للمتحدث وازعاج للسامع ، ونقص لاستكمال التفكير ، وسبيل الى الخطأ ، كما أن خفضه أكثر من اللازم دليل على التماوت والضعف ، وتفويت للغرض والفائدة منه ، واذ كان ظاهر القول يأمر بغض الصوت فان مفهومه يأمر بعدم الخفض الى حد التماوت والضعف . وذلك فى الغالب العادى للامور لا القليل الخاص الذى يحتاج الى ما يناسبه فيكون الحال وفق ما تقتضيه المصلحة المشروعة ، وهى على كلتا الحالتين الهدف والغاية .

وبعد فهذا أدب القرآن ساقه موعظة طيبة على لسان لقمان لابنه ليكون أدبا عاما للناس جميعا ، وسلوكا رشيدا للبشرية كلها ، وتعاملا رحيما وتعاطفا نبيلا بين الابناء والاباء ، ودستورا قويما لبناء الشخصية المتكاملة للفرد والامة ، ونورا يكشف للسائرين على طريق الرعاية والقيادة أسلم وأسلس مبادىء الزعامة الحقة وصدق الله العظيم فى قوله .

واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه : **يابنى لا تشرك** بالله ان الشرك لظلم عظيم ، ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك الى المصير وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الى ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون .

يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات ، أو فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير ، يابنى اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور ، ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير .

الفن الإسلامي

الإبداع الفنى فى الكتب الإسلامية

ان الركيزة الخالدة والصرح الشامخ والدستور القويم للعقيدة الاسلامية هو القرآن الكريم كتاب الله سبحانه وتعالى المنزل على نبيه ورسوله الكريم محمد عليه الصلاة والسلام .

ونظرا لعظم شان هذا الكتاب الكريم وجلالة قدره ورفعة منزلته فقد تسابق الفنانون وذوو القدرات الابداعية على نسخه وتجميله ليكون فى صورة تناسب ما له من مكانة جليلة ومنزلة رفيعة .

ومن هنا نشأ الفن الاسلامى او الفن المقدس وبدأت بالتدريج تزداد الصلة بين الفن والدين رسوخا فالفن الاسلامى يتصل شكلا وروحا بالكلمة الالهية المنزلة فى القرآن الكريم تلك الكلمة التى نزلت على هيئة كتاب وبذلك أعتمد الفن الاسلامى اعتمادا كبيرا على حروف الكتابةالاسلامية

ومن هنا فنحن نعتبر القرآن الكريم هو الروح التى قادت قافلة الابداع الفنى فى عالم المسلمين وامتدت يد المبدعين لتبدع بجانب المصاحف الكتب الادبية والعلمية وسائر أدوات المعيشة من منسوجات وأوان ومشكاوات ... الخ .

وبدأت عملية نسخ المصاحف وتزيينها تتخذ مكانتها فى صدر فروع الفن الاسلامى كعملية ابداع خاضعة للتطوير والتجديد والابتكار فى مجال التقنية والاسلوبوتدخل فى باب المنافسة الشخصية بين المبدعين وان ما قام المسلمون بانتاجه من مصاحف ومخطوطات ليعتبر بحق تحفا ثمينة غاية فى الروعة لم ينافسهم احد من الشعوب فى انتاج ما يماثلها .

وعملية الابداع الفنى لفن الكتاب الاسلامى عملية ابداعية تتم على مراحل ولها خصائص ومقومات وتسير وفقالتقنيات ومهارات خاصة ، تبدأ بالكتابة كمرحلة أولى من مراحل هذه العملية تليها مرحلة الرسم والتزيين فالتذهيب ثم اخيرا مرحلة التجليد .

ومن الطبيعى كما هو الحال فى جميع عمليات الابداع الفنى لابد ان يكون هناك متسع للابتكار الذى ينم عن شخصية الفنان وطبيعة بيئته وروح عصره . وقد

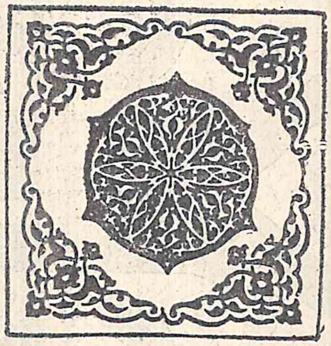

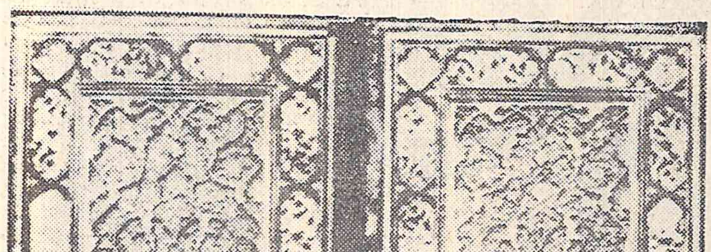

جلدة كتاب من الجلد المزخرف
بالضغط ومذهب — ايران القرن ١٦ م

الأستاذة سعاد أحمد جمعة

ظهرت هذه الخصائص فى اسلوب الكتابة وطريقة رسم الزخارف وموضوعات الكتب وطريقة التذهيب واسلوب التجليد .

وتبدأ عملية الابداع الفنى فى الكتاب الاسلامى بكتابة سور المصحف الشريف فى حالة نسخ المصاحف : او كتابةموضوع الكتاب فى حالة المخطوطات العلمية او الادبية . وعملية الكتابة أولى مراحل فن الكتاب واستعمل فى الكتب الاسلامية الخط العربى حيث انه اللغة التى أنزل بها القرآن الكريم كما انه كان اللغة السائدة فى معظم الاقاليم العربية والاسلامية .

والخط العربى يعتبر من اهم عناصر العمل الفنى فى فن الكتاب ويمثل مركز الصدارة بين فروع هذا الفن . وبذلت قدرات الفنانين الخطاطين جهودا جبارة فى الاقاليم الاسلامية لتحسين هذا الخط واتقانه مما أدى الى تنوعه وخلق شخصية مميزة للاقاليم الاسلامية فى اطارالشخصية الاسلامية العامة وذلك بفضل جهود الفنان الاسلامى الذى حمل الخط العربى فى كل قطر اسلامى شخصيته الذاتية وشخصية وطنه المحلى . فالفنان الخطاط أخذ على نفسه عهدا ان يصلبالخط العربى الىدرجة عالية من الدقة والاتقان مع التجديد والابتكار وهذا ليس بغريب على فنانى المسلمين الذين يعملون بوحى من عقيدتهم وبهدى كتابهم المقدس الذى يقول فيه سبحانه وتعالى [اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم] وقوله تعالى [ن والقلم وما يسطرون] فالقرآن الكريم أوضح قيمة الخط واهميته ودوره فى خدمة البشرية .

وسار الخط العربى خطوات واسعة فى طريق التجويد والاتقان والابتكاروالتطور فظهرت انواع مختلفة واشكال متعددة من الخط كملامات علىطريق تطور الخطالعربى نذكر منها الخط النسخ والرقعة والثلث والكوفى والتعليق والنستعليق ، بعض هذه الانواع كان محليا وبعضها عم جميع الاقطار الاسلامية . وكان لطبيعة الخط وشخصيته المميزة الماثلة فى حروفه دور كبير فى اتاحة الفرصة للخطاط ليبدع فى تشكيلها فمرونة الحروف وقيمها الزخرفية ساعدت الخطاط على تحويرها وتطويرها من الخط الكوفى البسيط الى الخطوط الفارسية المعقدة . فالحروف البدائية كانت تميل الىالسعة ، منفرطحة ثم أخذت تنكمش وتعلو فى رشاقة ابتداء من القرن الخامس الهجرى [١١ ميلادى]

وبدأ الخط الكوفى يتحور ليزداد جمالا وهو خط هندسى ينسب الى مدينة الكوفة بالعراق حيث توجد مدرسة تمارس هذا النوع من الخط فى الكتابة منذ أواخر القرن السابع الميلادى ويوحى هذا الخط بالاستقرار والثبات بجانب ما يحمله من طبيعة دينامية توحى بالحركة ذات القصد الاكيد . وجمال هذا النوع الهندسى جمال رياضى يستشعره العقل .

اما الخط المنحنى وهو خط النسخ فهو ذو طبيعة جمالية خاصة يغلب عليها الرشاقة والانسياب .

وقد عملتعدة محاولات لمزج الخطالكوفى بالخط النسخ فى عمل واحد ليأخذ من محاسن النوعين فى الحصول على تكوين زخرفى يحمل قيما تشكيلية عالية ومع بداية القرن السابع الهجرى ظهر فى ايران نوع جديد من الخط عرف باسم تعليق وهو يمتاز باستدارات تشبه الى حد كبير استدارة خط النسخ كما يتميز بزوايا قائمة تنهى بها الاستدارات ويمتاز بالارسالوالاستلقاء فى سمو ورفعة .

ومع نهاية القرن الثامن الهجرى ابتكر نوعا جديدا من الخط مستمدا من الخط النسخ والتعليق وسمى نستعليق ويتميز بالرشاقة والسهولة والليونة والرقة والسلاسة مع الاتزان والرسوخ مع اختلاف استمداداته التى قد تصل فى الرفع الى سمك الشعرة او تكون غليظة حث ترسم بصورة القلم أو زيادة كثافة الحبر فوق قطعة القلم . وتكون نهاية الاستمدادات اما ارسالا بعرض القلم او تعقيفا بانحناءة راجعة .

وبالرغم من ان خط النستعليق قداستمد اسمه من خط التعليق الا اننا نشاهد فيه خفة وانسيابا مفقودين فى خط التعليق فاستدارته تنم عن القوة والحيوية التى تقابل فى خط التعليق بالاستقامة والجفاف فى بعض اجزاء الكلمة ولهذا السبب فان خط النستعليق يعتبر من أطوع الخطوط واسلسها انصياعا للخطاط . وقد بقى هذا النوع من الخط اسلوبا قوميا للكتابة الايرانية ولا يزال حتى اليوم يتمتع بهذه المكانة .

ويرجع الفضل الى امام الكتاب « سير على التبريزى » فى ابتكار هذا النوع من الخط والى « ابن عبد الله » الذى اضاف اليه بعض التفاصيل . وقد حمل لواء هذا الاتجاه « أظهر التبريزى » « وجعفر التبريزى » الذى كان يرأس مجموعة من الخطاطين قوامها أربعين خطاطا . وبفضل « اظهر التبريزى » انتشر خط النستعليق فى هراة وكرمان ودمشق وبيت المقدس ووصل الى الشرق الادنى ومن اشهر تلاميذ « أظهر » « شاه محمود النيسابورى » [٩٥٢ هـ - ١٥٤٥ م] خطاط بلاط الشاه اسماعيل الصفوىوكاتب مخطوط المنظومات الخمسة للشاعر نظامى وهذا المخطوط من مقتنيات المتحف البريطانى .

كما يرجع الفضل الى « شاه قاسم التبريزى » فى نقل هذا الاسلوب الى القسطنطينية ويعتبر العصر التيمورى فى ايران عصرا ذهبيا لفن تحسين الخطوط وذلك بفضل رعاية تيمور للخطاطين وشمولهم بعطفه وقد ظهر فى هذا العصر ايضا نوعان من الخط هما الخط الديوانى والخط الدشتى .

وصاحب هذا التقدم والتطور فى فن الخط العربى تقدم صناعة الورق عند المسلمين فتوصلوا الى انتاج أنواع فاخرة من الحرير والكتان عنوا بصقلها وتلوينها لتناسب ما يكتب عليها .

واعتبرت مدن تبريز ودولة اباد مراكز صناعية هامة فى العالم الاسلامى لانتاج أنواع من الورق الفاخر الذى تكتب عليه أوامر الامراء وقوانين الدولة . ومنأشهر الانواع التى انتجت فى تلك المراكز النوع الذى يشبه المرمر لما يتميز به من تماريج وتموجات وعروق .

ونشأت تبعا لذلك تجارة رائجة قائمة على الرقائق المدون عليها الادعية والاثار والحكم ونشأ نوع من الهوايات يتسابق الهواة الى اقتنائه نظير مبالغ طائلة تشبه هواية التنافس على اقتناء اللوحاتالمصورة عند الغربيين .

ومن هنا يمكننا القول ان اشكال الخط العربى تحمل فى مضمونها قيما تشكيلية تقف على قدم المساواة مع القيم التشكيلية فى سائر الاعمال الفنية الاخرى من تصوير ونحت وخزف ... الخ . أحس بها الفنان الاسلامى بوازع من وجدانه المفعم بالروحانية والصوفية النابعة من عقيدته الدينية وجعلها عنصرا مهما فى عملية الابداع الفنى للكتاب فالصفحة المكتوبة من الوجهة الفنية تماثل اللوحة المرسومة .

والخطاط حين ينسخ المصحف او المخطوط يضع فى اعتباره ترك فراغات تملأ بالصور والزخارف لتتم هذه العملية بعد الانتهاء من الكتابة ، فيتسلمه المصور ليبدأ المرحلة الثانية من مراحل الابداع الفنى للكتاب فيقوم بتزيين الهوامش والفواصل والبدايات والنهايات فى فصول الكتاب وأول الصفحات وآخرها بالصور والرسوم والزخارف ، تلك المساحات التى تركها له الخطاط وهنا نرى ان المصور محدود بما يتركه له الخطاط من فراغ لا يستطيع ان يتخطاه وتبدو هنا تبعية المصور للخطاط الذى يعمل بناء على أوامره وظلت هذه التبعية قائمة الى أن ظهر « بهزاد » مصور ايران القدير فحطم تلك القاعدة وأوجد للمصور كيانه المستقل فى انتقاء المساحات التى يعمل عليها .

وكانت تزخرف هوامش المصاحف بالزخارف النباتية والهندسية اما الكتب العلمية والادبية فكانت تتضمن صورا لعناصر طبيعية توضح نصوص هذه الكتب وتشرح مضامينها فنن التصوير الاسلامى كان بمثابة نوع من المعرفة او احدى وسائل نقل المعلومات . وفى بعض الاحيان كان الرسام يشغل الفراغات المتروكة بصور تزيينية لا علاقة لها بموضوع الكتاب وبالرغم من ان صور جميع المخطوطات الاسلامية كانت صورا توضيحية ومتشابهة الى درجة كبيرة الا أنه أمكن تصنيفها الى طرز وأساليب فنية عرفت بالمدارس الفنية الاسلامية والتى منها المدرسة العربية والتيمورية والصوفية والمملوكية والمغولية . تحمل كل منها خصائص ومميزات ذاتية تنفرد بها عن غيرها من المدارس ومن المخطوطات الاسلامية الشهيرة مخطوط « مقامات الحريرى » و « والشاهنامه » و « والمنظومات الخمس » . هذا خلاف الكتب العلمية التى منها كتاب البيطرة والعقاقير ... الخ .

ومن المصورين الذين اشتهروا فى هذا النوع من الفن فن تزيين المخطوطات بالصور « كمال الدين بهزاد » مصور مخطوط « بستان سعدى و « يحيى بن محمود الواسطى » مصور مخطوط مقامات الحريرى

وللمخطاطات المصورة قيمة تاريخية هامة فهى وثائق صحيحة يمكن الرجوع اليها فى تحديد التواريخ والازمنة والشخصيات الفنية من مصورين وخطاطين ومواضيع البحوث العلمية عن طريق دراسة الخط

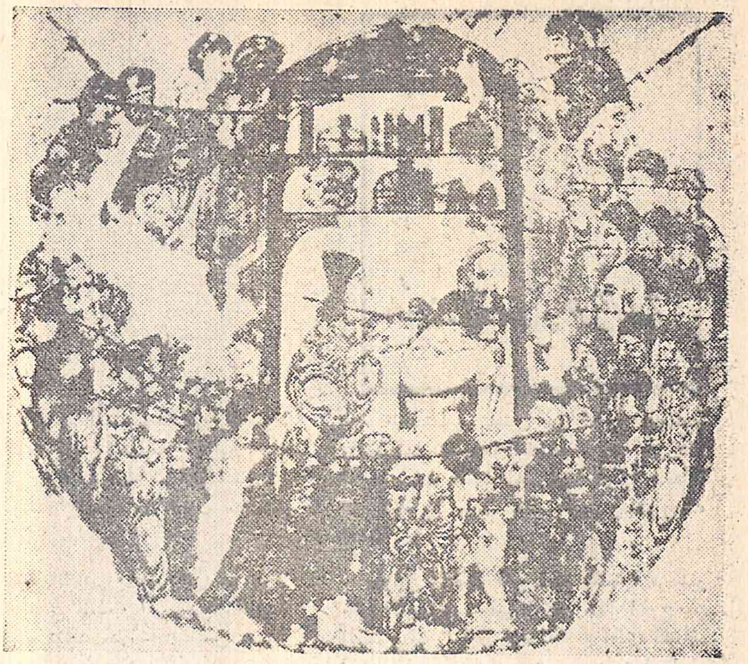

احدى صور مخطوط مقامات الحريرى من عمل ابن يحيى الواسطى

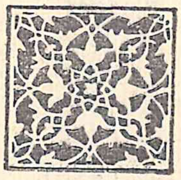

صفحة من القرآن الكريم من مصحف السلطان شعبان ١٣٦٩ م

والاسلوب الفنى المستخدم فيها . وبعد ان يتم المصور والرسام عمله فى المخطوط يتلقفه المذهب لتبدأ مرحلة ثالثة من مراحل الابداع لفن الكتاب وهى مرحلة التذهيب وهى مرحلة تلى من الاهمية مرحلة الخطاط فالمذهب يتمتع بمكانة عالية بين مجموعة فنانى الكتاب لما تحتاج اليه عملية التذهيب من تقنية خاصة ومهارات معينة . وكثيرا ما كان المصور او الخطاط يضيف الى اسمه لقب مذهب وذلك نظرا لما يتمتع به المذهب من منزلة رفيعة ومكانة مرموقة بين الفنانين

يبدأ المذهب عمله بتذهيب هوامش الصفحات ورسوم الفواصل والبدايات والنهايات وقد بلغت الرسوم الهندسية والنباتية المذهبة درجة عالية من الاتقان وخاصة من القرنين التاسع والعاشر الهجرى .

وكان لعظم منزلة القرآن الكريم أثر كبير فى العناية بتذهيب المصاحف وكتابتها بالخط الجميل • وقد روى أن الامام على ابن أبى طالب أول من قام بتذهيب مصحف وحذا حذوه بعد ذلك الامراء ورجال العلم والدين وقد أفسح هذا مجالا للمذهبين للتباهى والتفاخر بمن تلقوا على يديهم من الامراء ورجال الدين والعلم من التذهيب وكان من أشهر هؤلاء المذهبين « محمد بن على الراوندى [القرن ٧ هـ] حيث تلقى على يديه أصول هذا الفن عدد كبير من علية القوم » ١٠

وكانت فى البداية تستخدم فى الزخارف المذهبة عناصر ساسانية وبيزنطية سرعان ما استبدلت بالزخارف النجمية المسدسة والمثمنة والمراوح النخيلية والفروع النباتية المتشابكة [أرابيسك]

وابتكر السلاجقة طرقا جديدة فى التذهيب تتلخص فى احاطة سطور الكتابة بخطوط رفيعة ثم ملء الفراغات بالزخارف النباتية المتداخلة •

ولم يقتصر فن التذهيب على المصاحف وحدها بل استخدم ايضا فى المخطوطات الادبية ليثرى من قيمتها الفنية بجانب ما تحمله من قيمة أدبية •

وكانت مصاحف العصر العباسى تكتب بالحبر الاحمر أو الاسود أو الذهبى على الجلد الطبيعى أو الملون وكانت توضع عناوين السور داخل اطار مستطيل يحتوى على زخارف متشابكة مع وحدات نجمية ومراوح نخيلية •

وكان فى ايران مركز لفن التجليد فى الزخرفة فى بداية القرن ١٤ م أثر كبير فى نهضة فن التذهيب وتطويره فأصبحت الصور التوضيحية تحاط باطارات زخرفية قائمة على العناصر الهندسية والنباتية والحيوانية وفى أحيان كثيرة كانت تحدد المساحات المذهبة باللون الاسود وتداخلت الكتابة مع الزخارف ليكون الاثنان وحدة فنية متكاملة •

وابتكرت المدرسة الصفوية فى القرن

صورة من المنظومات الخمس للشاعر نظامى ــ أوائل القرن ١٧ م

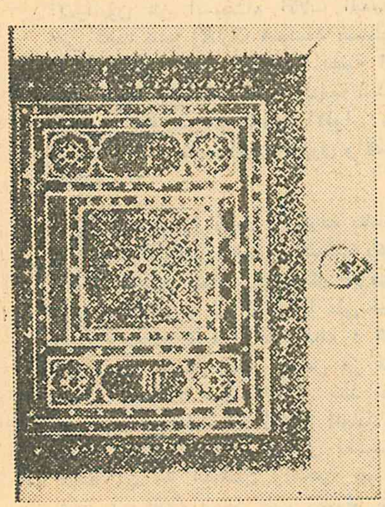

صفحة مذهبة من القرآن الكريم
مصحف السلطان برسباى ١٤٢٥ م

١٧ م أساليب جديدة فى التذهيب يظهر فيها الرسم كظل باهت أو قص الرسم ولصقه على أرضيات زاهية ٠

وبعد انتهاء الفنان المذهب من عمله تبدأ المرحلة الرابعة والاخيرة من مراحل ابداع الكتاب الاسلامى وهى عملية التجليد ويقوم بها فنان يتخصص فى هذا النوع من الفن الذى لا يقل بأى حال من الاحوال عن أى عمل فنى آخر ٠ فعملية تجليد الكتب الاسلامية عملية ابداعية خاضعة للتقنية والابتكار واشتملت على عدة طرز وأساليب تحمل قيما فنية عالية ٠

وقد استعمل الجلد فى التجليد لفترات طويلة وكان غالبا من جلد الماعز ثم أدخل الورق المضغوط المدهون باللاكيه فى هذه الصناعة ٠

وقد عرف المسلمون فن تجليد الكتب منذ القرون الاولى الهجرية وقد ذكر ابن النديم فى كتابه الفهرست أسماء بعض المجلدين « كأبى الحريش » الذى كان يعمل مجلدا فى خزائن الحكمة « للمامون » ٠

وأقدم نماذج التجليد المعروفة فى الفن الاسلامى نماذج مصرية صنعت فى العصر المملوكى ٠ ومن المعروف أن « تيمورلنك » كان قد استقدم الى بلاطه بعض المجلدين المهرة من مصر والشام فى القرن الثامن الهجرى ٠

واستخدمت فى تزيين جلود الكتب طرقا متنوعة منها طريقة الضغط للحصول على زخارف بارزة وغائرة واستعمال الوحدات الزخرفية المقصوصة على الارضيات الملونة أو تغطية جلدة الكتاب بالزخارف الهندسية الرقيقة أو زخرفتها بالجامات فى الوسط وأرباع الجامات فى الاركان مع ملئها بوحدات هندسية أو عناصر طبيعية ٠

وكان فى ايران مركز لفن التجليد فى هراة وسمرقند ووصل المجلدون هناك الى درجة عالية فى ابداع هذا الفن من حيث دقة الصناعة ودقة الرسم وذلك بعد أن تعاون المصورون مع المجلدين لانتاج رسوم دقيقة تعكس المهارة فى رسم العناصر الطبيعية ٠ كما أن تخلى الايرانيون عن استخدام الالات البسيطة التى كانت تنتج زخارف هندسية بسيطة واستعاضتهم عنها بالقوالب المعدنية التى تنتج زخارف حيوانية وآدمية ونباتية شديدة البروز دقيقة الرسم متعددة الالوان على أرضيات يغلب عليها اللون الازرق والاسود والاخضر ٠

كما استخدموا طريقة الزخرفة بالتثقيب والضغط والدهان والتلبيس بالقماش وكانوا أحيانا يقصون الجلد على شكل الوحدات الزخرفية المطلوبة ثم يلصقونها على قماش ملون ويذهبون الرسوم بعد ذلك ٠ كما استخدموا طريقة وضع طبقتين من الجلد تلصق احداهما فوق الاخرى بعد تفريغ الوحدات الزخرفية فى الطبقة العليا ومع بداية القرن العاشر الهجرى تعاون المصورون مع المجلدين وانتجوا جلودا غاية فى الدقة تعتمد على زخارف خطية دقيقة مفرغة تشبه الخيوط مكونة من طبقات متعددة ذات ألوان متنوعة موضوعة بعضها فوق بعض ٠ وفى هذا القرن أيضا أدخل مجلدو مدرسة هراة الزخرفة باللاكيه ٠

وجلود الكتب الاسلامية لها خصائص مميزة تنفرد بها عن جلود الكتب الاوروبية فكعوبها مستوية متساوية مع حجم ورق الكتاب وجانبها الايسر له امتداد يسمى اللسان ٠ ولم يكن الغرض من جلدة الكتاب صيانته وحفظه من التلف وانما كانت عملية التجليد استكمالا لعمليات التذهيب والكتابة والتزيين فعملية صنع الكتاب تدخل فيها عملية تجليده ولا تنفصل عنه وهى عملية ابداعية تتم على مراحل ليخرج الكتاب فى النهاية على شكل تحفة فنية رائعة ٠ تحفظ فى علبة من الحرير أو القطيفة وقد أثر فن التجليد الاسلامى على فنون التجليد فى تركيا والبندقية فى ايطاليا حينما وفد اليها مجموعة من المجلدين المسلمين وأدخلوا على هذا الفن هناك الكثير من أساليبهم الفنية فى هذا المجال بعد أن كانت هذه العملية قاصرة على طريقة الضغط بالمكابس المعدنية لانتاج زخارف بارزة فقط ٠

الا أنه مع بداية القرن الثامن عشر الميلادى بدأ التدهور والاضمحلال يصيب هذا النوع من الفن كنتيجة للتأثر بالاساليب الغربية التى تهدف الى السرعة دون مراعاة للقواعد الفنية أو المهارة والدقة فى التنفيذ

ان الفن الاسلامى ترك تراثا يتسم بالثراء الذى لا نظير له وهذا التراث ذا قيمة لا تقدر للعالم بأسره فيجب على المهتمين بشئون التراث والحرف الفنية دراسته واحياء قيمه الفنية التى تحمل فى ثناياها الاصالة العربية وكيان الشخصية الاسلامية الشامخة لنعيد مجدنا التالد على شكل سلعة تحمل قيما فنية أصيلة تكون سفيرا لنا فى الاسواق الخارجية ٠

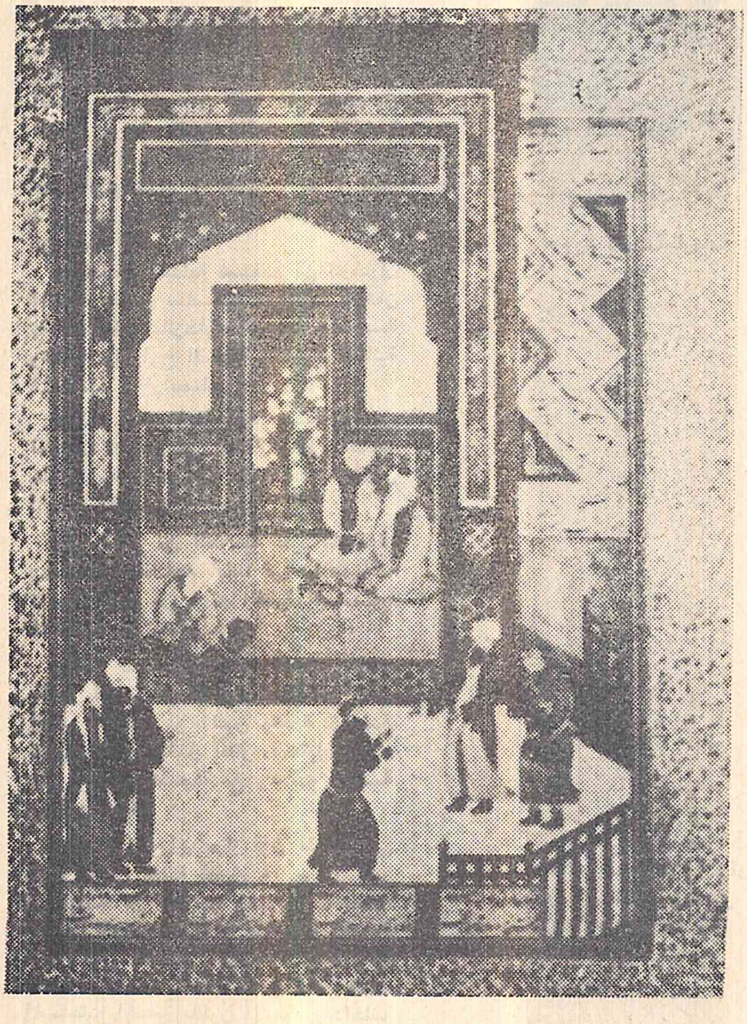

أحد أعمال بهزاد — ١٤٨٩ م

أصول روحية للعمارة الإسلامية

الزيادة بعد الراشدين

الأستاذ عبد الحميد وافي

كانت أول هذه الزيادات ، زيادة الوليد ابن عبد الملك ، أو الزيادة التى أمر الوليد ابن عبد الملك باجرائها ، ووكل بالاشراف عليها ، عمر بن عبد العزيز ، عامله فى مكة والمدينة سنة ٣٨٨ ـــ ٧٠٦ م ، حيث جاء كتاب الخليفة الوليد بذلك ، فى هذا التاريخ .

واذا لاحظنا ان عمارة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، كانت سنة تسع وعشرين هجرية « ٦٤٩ م » ، تكون عمارة عثمان قد عمرت ستين عاما ، وهو عمر مناسب للخامات التى استعملت فيها

كما أن انتقال عاصمة الخلافة ، من المدينة الى الكوفة ، أيام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ثم انتقالها الى دمشق أيام الامويين ، لم يهون ذلك كله من أهمية المسجد النبوى الشريف ، حيث ظل فى عمرانه بالعلم ودارسيه نهارا ، وعمرانه بالعباد ليلا على مر أيام السنة والذى يزيد كلما أهل شعبان ورمضان .

لذلك أرسل الوليد بن عبد الملك ، الى عمر بن عبد العزيز ـــ الذى صار خليفة اشتهر بالتقى والعدالة فيما بعد ـــ أرسل اليه بالمال ، وأمره بهدم المسجد واعادة بنائه . وأمره بزيادة المسجد من جهاته الشرقية والغربية والشمالية ، وقد اقتضت الزيادة من جهة المشرق أن تدخل فى الزيادة ، الحجرة النبوية الشريفة ، حيث دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما .

كما اقتضت هذه الزيادة أن يزال ماكان باقيا من حجرات زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والتى تسبق أن بنيت على فترات متباعدة من حياة النبى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله عندما كانت تدعو الحاجة الى ذلك ، وكانت هذه الحجرات خارج سور المسجد كما رأينا من سابق الحديث .

أما عمر بن عبد العزيز ، فقد استعمل صالح بن كيسان على هذه العمارة ، وأطلق يده فى النفقة ، والتخطيط واختيار مواد البناء ، بينما كان يتابعه بنفسه .

حيث يذكر السمهودى « لما صار عمر ابن عبد العزيز الى جدار القبلة ، دعا مشيخة من أهل المدينة من قريش والانصار والعرب والموالى ، فقال لهم : تعالوا احضروا بنيان قبلتكم لا تقولوا عمر غير قبلتنا » .

وتمت هذه العمارة بعد ثلاث سنين من بدء العمل فيها ، أى فى سنة ٩١ هـ وسنة ٧٠٩ م .

وأهم ما تضمنته هذه العمارة من ظواهر جديدة ، لم توجد فى عمارة عثمان ولا فى عمارة النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو أبى بكر وعمر رضى الله عنهما .

١ ـــ كانت عمد المسجد الجديد مسلحة صب فيها الحديد أو الرصاص ومن حولها الحجارة ، وعبارة السمهودى « وجعل عمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد أو الرصاص » .

٢ ـــ دخول الغرفة النبوية الشريفة فى بيت الصلاة .

٣ ـــ اقامة سقيفتين جانبيتين ـــ شرقا وغربا ـــ تظللان جانبى الرحبة بين مقدم المسجد ومؤخره .

٤ ـــ احاطة الرحبة بالاقواس ـــ بوائك ـــ من جهاتها الاربع .

٥ ـــ سنمت البوائك بالشرفات ، تطل على الصحن من جوانبه الاربعة .

٦ ـــ جعل للمسجد منارات أربع .

٧ ـــ أقيم فى بيت الصلاة مقصورة من خشب الساج .

وقد بدأ العمل فى هذه العمارة بهدم المسجد القديم ، وأقول هذه العمارة ، دون أن أستعمل التعبير الذى اتخذه المؤرخون أو الكاتبون ، لان ما تم فى المسجد لم يكن عملا متمما زيادة على عمل قائم ، كما حدث فى المسجد الجامع فى قرطبة ، حاضرة الاندلس ، فلقد كان هناك مسجد عتيق منذ الفتح ـــ ٩٥ هـ ـــ ٧١١ م هدمه عبد الرحمن الاول ـــ ابن معاوية ـــ المعروف بالداخل عام ١٦٩ هـ ـــ ٧٨٦ م وشرع فى بناء مسجد جديد يليق بالدولة الاموية فى الاندلس ، ثم زاد فيه عبد الرحمن الاوسط زيادتين الاولى ٢١٨ هـ ـــ ٨٣٣ م ، ثم عاد بعد مضى ستة عشر عاما ، ٢٣٤ هـ ـــ ٨٤٨ م عاد فزاد فيه من جهة جدار القبلة زيادة تعتبر مسجدا مضافا الى مسجد عبد الرحمن الاول ، ثم كانت الزيادة التى قام بها الحاكم المستنصر ابن عبد الرحمن الثالث ـــ الناصر ـــ ٣٥١ هـ ـــ ٩٦١ م والتى زاد فيها المسجد من جهة جدار المحراب ما يوازى مسجدا جديدا ايضا ، ووصل بذلك اتساع المسجد طولا حتى بلغ شاطىء النهر « الوادى الكبير » .

هذا هو أسلوب الزيادات ، وقد جاء بعد هؤلاء جميعا المنصور بن أبى عامر فبدأ عمارة جديدة اضافت مساحة مساوية لكل ما بنى سابقا تقريبا بامتداد عمارة الداخل والاوسط والحكم وكان ذلك عام ٣٧٧ هـ ـــ ٩٨٧ م ، وكان موقع هذه الزيادة شرقى المراحل الثلاث السابقة .

أما الذى تم فى المسجد النبوى الكريم فى المرات المختلفة منذ عهد عمر بن الخطاب فقد كانت عمارات جديدة ، وان تمت المحافظة على التخطيط الاصلى للمسجد الذى خطه رسول الله واشترك فى بنائه بيده صلى الله عليه وآله وسلم .

ولذلك كان استعمال عبارة « الزيادة » استعمالا مجازيا ، حيث كان الواقع عمارات جديدة دعا اليها ضيق المسجد ، وتحرى مهندسوها الخط النبوى والتزموه

وكانت القاعدة الغالبة فى كل الزيادات التى تعرضت لها المساجد الاسلامية الاولى كانت تحت ضغط زيادة الجماهير المؤمنة وتجمعها للصلاة يوم الجمعة .

فمن ذلك ما يرويه صاحب وفاء الوفى عن محمد بن اسماعيل قال : ـــ « أدركت المسجد النبوى ، كان يضيق عن الناس يوم الجمعة حتى يصلى الناس فى دار القضاء ودار النحاسين ، ودار عاتكة » .

وما ذكره المقدسى ، عن مسجد عمرو ابن العاص ، قال : سمعتهم يذكرون أنه يصلى قدام الامام يوم الجمعة نحو عشرة آلاف رجل ، فلم أصدق ، حتى خرجت مع المتسرعة الى سوق الطير ، فرأيت الامر قريبا مما قالوا ، وأبطيت يوما عن السعى الى الجمعة ، فلقيت الصفوف فى الاسواق على أكثر من ألف ذراع من الجامع ، ورأيت القياسر والمساجد والدكاكين حوله مملوءة من كل جانب من المصلين » .

وقريب من هذه الاخبار كانت أسباب عمارة عبد الرحمن الداخل فى جامع قرطبة ثم زيادات أحفاده من بعده حتى عهد وزارة المنصور بن أبى عامر .

وقد جرت العمارة الجديدة على مراحل نراها فى عمارات اليوم ، حفر الاساس وبناؤه بالحجارة ، ثم قيام الجدران من الحجارة والجص « القصة » ، فلما جاء دور العمد أو الاساطين ، جعلها صالح ابن كيسان من حجارة مجوفة ، محشوة بالحديد أو الرصاص وتلك عمليات تسليح متقدمة فى تاريخ العمارة .

ولعل ما ذكر فى القرآن الكريم ، من قصة ذى القرنين عندما دعى الى بناء السد ، لحماية القوم من بطش يأجوج ومأجوج :

« آتونى زبر الحديد ، حتى اذا ساوى بين الصدفين ، قال انفخوا ، حتى اذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا »

حيث صار الحديد المذاب والنحاس « القطر » عنصرين من عناصر البناء وتدعيمه .

بل ان ما ذكر فى القرآن الكريم ، ربما كان وحيا ألهم صالح بن كيسان بما فعل ذلك ان لم يكن صالح بن كيسان أصلا ذا دربة وخبرة معمارية ، وذلك ما لم تذكره الروايات حتى يوضع فى صفوف المهندسين .

ولعل قائلا يقول ولم لا تكون العمد حديدا أو رصاصا ، دون حجارة حولها ، لكن المظهر الخارجى للحديد والرصاص ، لا يعطى شكلا جماليا ، كما أنه لا يمكن من التأثير فى شكل السطح عندما يراد ذلك كما فعل زيد بن ثابت فى حجارة عمد المسجد فى عمارة عثمان بن عفان ، حيث نقشت عمد المسجد ، وبعض حجارة الجدران ، فأكسبته مظهرا فنيا كما قلنا .

هذا الى أن مهمة التدعيم تنسب الى الحديد والرصاص ، بينما الحمل ينسب الى الحجارة ، واذا أصاب التمدد والتقلص الحديد والرصاص ، فانه لا يصيب الحجارة

أما الحدث الثانى الذى فعله صالح بن كيسان مهندس هذه العمارة ، كان انشاء أروقة جانبية عن يمين رحبة المسجد وعن يسارها ، فارتبطت أروقة الظلة الامامية والتى اصطلح على تسميتها — بيت الصلاة — بالظلة الخلفية للمسجد والتى تمثلت فيما كانت عليه سقيفة أهل الصفة

ولكن هذا الاصطلاح غير دقيق ، لان الصلاة داخل المسجد ليست قاصرة على الظلة الامامية وحدها أو غيرها ، بل هى ممكنة فى أى ركن من أركان المسجد طالما أن الصلة موجودة بين الامام والمأموم رؤية وسماعا .

وقد قصد صالح بن كيسان بربط الظلتين بالاروقة الجانبية ، أن يكن المصلين أو بعضهم فى الرحبة عن الظل والمطر ، مع الاحتفاظ بأثر حزم الضوء الداخلة من هذه الرحبة ونسمات الهواء الساقطة من هذا الاتساع .

وليحتفظ ابن كيسان لهذه الظلل بمظهر الترابط ، جعل الرحبة الوسطى محاطة بأقواس أو عقود ، حيث لا تكون العمد الخارجية على واجهة الصحن أو الرحبة حاملة للسقف مباشرة ، كغيرها من عمد المسجد فى المقدمة والمؤخرة والمجنبات ، وانما تنتهى الاعمدة عند بداية العقود المتكئة على هذه العمد .

وليس العقد أو القوس أو الباتكة حكرا معماريا على حضارة دون أخرى ، وانما شكل العقد هو الذى ينتسب الىحضارات بعينها ، كما أن استعمال العقود فى العمارة الاسلامية منذ أول استعماله كان محكوما بارتباطه بالاروقة ، ووجود الأعمدة ككامل تنفيذى هدد وجود تلك الاروقة ، لذلك كان الاستعمال الاسلامى للعقود ، استعمالا ترنيميا ، كلحن موسيقى يربط بين ضوابط الايقاع فى رحبة المسجد وهى العمد .

ولا بد لنا من أن نعترف بأن للعقد ميزة معمارية الى جانب مهمته التشكيلية الجمالية ، لان العقود توزع ثقل الاسقف على رقاب الاعمدة ، وهى طريقة أصح معماريا من تحميل الاسقف علىالعوارض وذلك لتعرض العوارض لضغط السقف وتقبلها للانحناء تحت الضغط .

ولما كانت واجهات البوائك علىالصحن الناتجة من قيام الاقواس على الاعمدة تحد من الضوء الداخل الى الاروقة وكذلك التهوية ، فان صالح بن كيسان ، قد اقتبس « عبارة أو جملة » معمارية نفذها قبله زيد بن ثابت رضى الله عنه ، وهى الطاقات أو النوافذ ، اذ جعلهـا تتخلل المسافة بين كل عقدين .

وهكذا تكون النوافذ قد احتلت مكانها فى جدران المسجد الخارجية أصلا ، وأضافها ابن كيسان فى واجهات البوائك لتتبادل التهوية والاضاءة مع نوافذ الجدران كما زاد المهندس عنصرا تشكيليا صرفا على أعلى واجهات الصحن ، وهى الشرفات التى تنتهى بها جدران هذه الواجهات .

وللشرفات — أيا كان تشكيلها — مفهوم جمالى ، نشأ من أنها تقتل الخط القاطع الذى ينهى السطح المعمارى ويكون الحد بين نهاية البناء والفراغ فوقه ، وينتج التشكيل نوعا من الترديد بين العلو والهبوط للخط الفاصل ، كأنه تقدم ثم تراجع أمام الفضاء المحيط ، أو هى نوع من التعانق بين البناء والفراغ ، أو الارض والسماء تعانق تماثلى كامل متكامل ، صنعته قوالب الشرفات عندما تركت بين كل شرفتين فراغا مماثلا لشرفة فى وضع معكوس ، فبينما الشرفة صاعدة ، يكون الفراغ المقابل لها نازلا .

وسقف المسجد بخشب الساج كما كان السقف فى عمارة سيدنا عثمان .

وبدأت فى هذه العمارة مظاهر العناية بالشكل — الى جانب عظمة البنيان — اذ أن النقوش الحجرية التى كانت قد بدأت تظهر فى عمارة عثمان رضى الله عنه قد استمرت ، وزيد عليها نقوش السقف أو تمويهه بالذهب ، ثم كسوة الجدران بالفسيفساء والرخام .

وهنا اذ تدخل على العمارة مظاهر الفخامة والعناية بالمظهر ، يثور الجدل الفقهى فى ماهية هذه الاضافات ، على شخصية المسجد — كمسجد نبوى — من ناحية ، ثم فى مدى التأثير على خشوع المصلى بوجود هذه العناصر الجديدة .

والسبب فى ذلك مالاحظناه فى عرضنا لمراحل العمارات المختلفة للمسجد النبوى الشريف .

١ — فبينما قصد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، الى البساطة فى البناء ، ودقة التخطيط ، ونظام التنفيذ ولما عرضت له فرصة جديدة عندما احتاج المسجد الى التوسعة ، التزم بنفس الخطوات التى بدأ بها اول عمارة اسلامية

ويرى الفقهاء ان تقليد النبى صلوات الله وسلامه عليه وآله لزام على كل منشىء لمسجد ، الا انهم لا يجزمون بالتزام المواد البدائية التى استعملها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

٢ — فلما عمد عمر رضوان الله عليه الى استعمال الحجارة والقصة والاخشاب كعناصر أقدر على التحمل والاستمرار مدة أطول فى أداء وظيفتها خلال البناء ، عد الفقهاء فعله نوعا من التطبيق المتطور للسلوك النبوى الشريف .

وقد شدد عمر أمره الى العاملين بالمسجد حين قال [أكن الناس من المطر واياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس] فهو بذلك على نفس المستوى أو النمط الاول من البساطة ، وان اعتنى بالخامات على قدر امكانية الدولة ، بعد أن بدأت قواتها الداعية تفتح الافاق .

٣ — ولما عمر عثمان رضى الله تعالى عنه المسجد فى زيادته التى امر بهـا واشرف عليها — وكان مهندسها — الصحابى الجليل زيد بن ثابت [جامع القرآن] .

لم ير بأسا فى أن تنقش حجارته ، هذا الى زيادة عنايته بالخامات المستعملة من ساج وقصة .

وعلى هذا رأى المتشددون ان يلتزموا بما التزم به عمر رضى الله تعالى عنه .

بينما يروى عن مالك ، كما يروى عن البغوى فى شرح السنة ، الاباحة بشرط الاتقان ، أخذا مما فعله عثمان وزيد بن ثابت رضى الله عنهما .

وهكذا يحسم الاقتداء بعثمان رضى الله عنه ، وتنفيذ زيد بن ثابت أمر الخلاف ، حتى اذا كانت زيادة — أو عمارة — عمر بن عبد العزيز ، لم يجد المهندس صالح بن كيسان غضاضة فى أن يعود الى استعمال العناصر التشكيلية التى استعملها المهندس زيد بن ثابت — رضى الله تعالى عنه — والتى جعلهـا فى المسجد ونفذها تحت بصر عثمان رضى الله تعالى عنه ، وكلاهما صحابى جليل .

بل زاد على تلك العناصر التشكيلية عناصر اخرى — قياسا على ما وقعه زيد رضى الله عنه — وكان بقية من صحابة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ما زالوا أحياء ،دعاهم عمر بن عبد العزيز — الوالى — الى شهود بناء جدار القبلة

ولا يفوتنى ان اذكر قبل الانتقال الى الزيادات الاخرى فى وحدات المسجد ، ان اقول : ان المجنبات التى زادها مهندس عمر بن عبد العزيز ، كانت متعددة الاروقة ، حتى يكون الوصل بين ظلتى المسجد الامامية والخلفية ، وصلا أكيدا ، وذلك أن المجنبة الشرقية كانت ثلاثة أروقة ، والمجنبة الغربية كانت أربعة أروقة .

— للبحث صلة —

القصة

... وفى عصرنا صديق:

ملخص ما نشر

■ تركنا يوسف فى العدد الماضى يفسر بعض الرؤى لمن يشاركونه سجنه ..

ورأينا كيف تحقق تفسيره .. وكيف وصل خبر معرفته بتفسير الاحلام لعزيز مصرالذى رأى حلما أفزعه .. وعجز الكل عن معرفة ما ترمز أحداثه ..

فأرسل فى طلب الصديق ..

ومن قبل العدد الماضى عشنا مع يوسف محنا شتى ..

فالمحنة مرة .. مع اخوته الذين كادوا له : ودبروا مؤمرات ضده حسدا من عند أنفسهم : ليستأثروا بحب أبيهم ..!

وهى مرة ثانية .. وسط صحراء قاحلة حيث ألقوه فى قاع بئر موحش : وحيدا : فريدا : الا من رعاية ربه ..

وهى مرات أخرى .. حين يعرض كالسلعة للبيع .. وحين يواجه حكما من ظلم : وولاة حجبوا عن مليكهم ميزان العدل .. وحين يواجه أقسى ألوان الفتنة فى حب خائن من سيدة القصر : كانت نتيجة رفضه أن أودع سجنه الذى أخذ يوسف فيه يستعرض ذكريات حياته .. ومنها ننسج هذى القصة ..

وما زالت ذكريات الصديق تتوالى ..

وها نحن معه نتابع ما يجرى ..

ونرى ماذا يحدث ..

بين الصديق وملك القصر ..

إسمه يوسف!

قصة مصرية طويلة

بقلم الأستاذ عبد المنعم الصاوى

وذهل رفاق السجن ، حتى تحدث يوسف .
- أين يا ترى ينتظرنى ؟
- فى قصره .
- لكنى باق فى السجن لا أبرحه .
- كيف ؟ . هذى فرصة عمرك يا يوسف .
- لن أخرج من سجنى برداء لوثه الغدر .
- حتى بالعفو من حاكم مصر ؟ !
- الحاكم يملك ان يعفو عمن اخطأ ، هذا حقه .
- وهذا عفو عنك .
- عمن لم يخطىء !! هل هذا حقه ؟
- العفو هو العفو فى كل الاحوال .
- لايا سادة . انى أشعر ببراءة نفسى من اية فرية .
- ايا كان الامر ، فانك تخرج .
- أبدا لن أخرج ، وجرحى يلوث دمى .
- وما قصدك ؟
- يتثبت مولاى قبل الحكم ، بأنى مظلوم ، لم أعص أوامر ربى .
- يا صديق .. هذا منك تحكم .
- بل هو حقى ، لن أقبل عنه بديلا .
- وترفض أمر الحاكم ؟ !
- أمر الحاكم فى عينى ، لكنى لاأقبل ان أخرج من هذا السجن باثم ينسب الى .
- **ماذا تعنى ؟**
- **ابرأ مما نسب الى ، أو أبقى فى سجنى ادفع ثمن خطاياى .**
- **ويريدك مولاك فترفض ؟ .**
- **الحرية حق الفرد ، وهو صاحبها وحده .**
- **فان أعطاك الحاكم هذى الحرية .**
- **لا يمنح حرية انسان ، الا الخالق وحده .**
- **والحاكم سلطان الخالق فى أرضه .**
- **بالحق لا بالباطل .**
- هذا شىء لا نفهمه يايوسف .
- **قولوا للحاكم يوسف يرفض ان يخرج ، الا أن تثبت براءة نفسه امام الناس .**
- **وكيف تريده أن يثبت .**
- **بطريقته الخاصة .**
- **فاذا لم تتوفر وسيلة ذلك ؟**
- **افترضون أن يصبح سجن الناس أيسر من اثبات براءتهم ؟ .**
- **هب هذا يا يوسف**
- **ابقى فى السجن ، وارضى بنصيبى .**
- **وحاجة مولاك اليك .**
- **كحاجة يوسف للتكفير عن ذنب، افترى به عليه !**
- **ياصديق ، خروجك يلغى التهمة .**
- **لن يلغيها من قلبى .**
- **ولماذا تهتم بهذا ؟**
- **لانى ساظل فى نظر الحاكم ، قد خنت العهد .**
- **وهو مع هذا يطلب خدماتك .**
- **بروح الحاجة ؟!**
- **هذا شىء لا يزعج .**
- **بل يزعجنى .**
- **أمرك عجب يا يوسف.**
- **اكون بريئا من تهمى ، اخدم مولاى وبلدى . اما ان يقبلنى لانه لا يجد سواى فسيظل الشك يأكل نفسه ، ويقتلنى.**
- **لسنا ندرك هذا المعنى ، الا منك**
- **وهذا طلبى من مولاى .**
- **فان فعله .**
- **اخدمه بدمى ، بدموعى ، بعرقى . بكل قوى أملكها .**
- **اذن نخبره بالامر .**
- **وليتأكد مولاى من حرصى عليه ، وعلى بلدى .**

• • •

وبينا يوسف شارد عن كل الناس ، يحدث نفسه ، ويناجى ربه .

مرت لحظات السجن ، على النزلاء ، ثقيلة .. ان الاعمـار تفنى فى حجرات السـجن ، ولا يشعر النزلاء بمرور الزمن عليهم .

لكن يوسف قد أحدث معجزة فى السجن .

صـارت تلك اللحظات فى السـجن أزمانا كاملة لا ترحم .

اللحظة صارت عمرا ، بينا كان العمر يمر ، ولا يحسب !

ومع اللحظة تلو اللحظة ، كانت أنفس هذا النفر من المسـجونين ، تتطلع نحو الابـواب المغلقة ، تتوقع معجزة أخرى .

وجاءت تلك المعجزة الكبرى !

• • •

فتح الباب ، ودخل أناس عظماء يبتسمون ! هم رسل الحاكم .. هذا ما ردده السجناء ، والسجانون ، ومدير السجن .. وتردد بين الجدران الصماء ، أن الوفد يقصد يوسف .

وأخذ رفاق السجن ، يدعون ليوسـف بالتوفيق ، فهذا حشد فيه جلال ، وله سلطة ، والويل ليوسف ان هو ظل يجادل .

لكن الضحكات قد سبقت خطو الوفد الى السجن . كذلك سبقتها الصيحات المستبشرة المرحة .

ماذا ؟ .. أمعجزة أخرى ؟

وسار الوفد ، وتسلل خلفه جميع السجناء ، يسترقون السمع اليه .

كانوا مشغولين بالصديق ، يتمنون براءة ساحته ، من ذنب فرض عليه .

كانوا يدعون له بالنصر ، فيوسف صـديق ونبى ، وسيعدل ان هو نال الفرصة ، سينصف كل الناس ، ولن ينسى ــ كالساقى ــ زملاء الزمن ، حتى من أخطأ منهم . يوسف رحيم ، وهو انسان ، وادراكه يتسع للاخطاء ، فيعفو عنها . والمذنب لا يذنب طول حياته ، وليست فى الدنيا أحكام أبدية .

• • •

وظهرت حجرة يوسف صامتة ورزينة .

وما حفل الصديق بجمع السادة ، ولا هزته مظاهر زواره .

لكن حـديث القوم مع الصـديق ، قد كان ودودا ومهما .

■ قالوا :
● يا يوسف بنا . هيا معنا يا صديق .
■ قال الصديق يسأل :
● **الى أين أقصد ؟**
■ قالوا فى رقة وتجلة :
● الى مولانا الحاكم .
■ قال الصديق دون تردد :

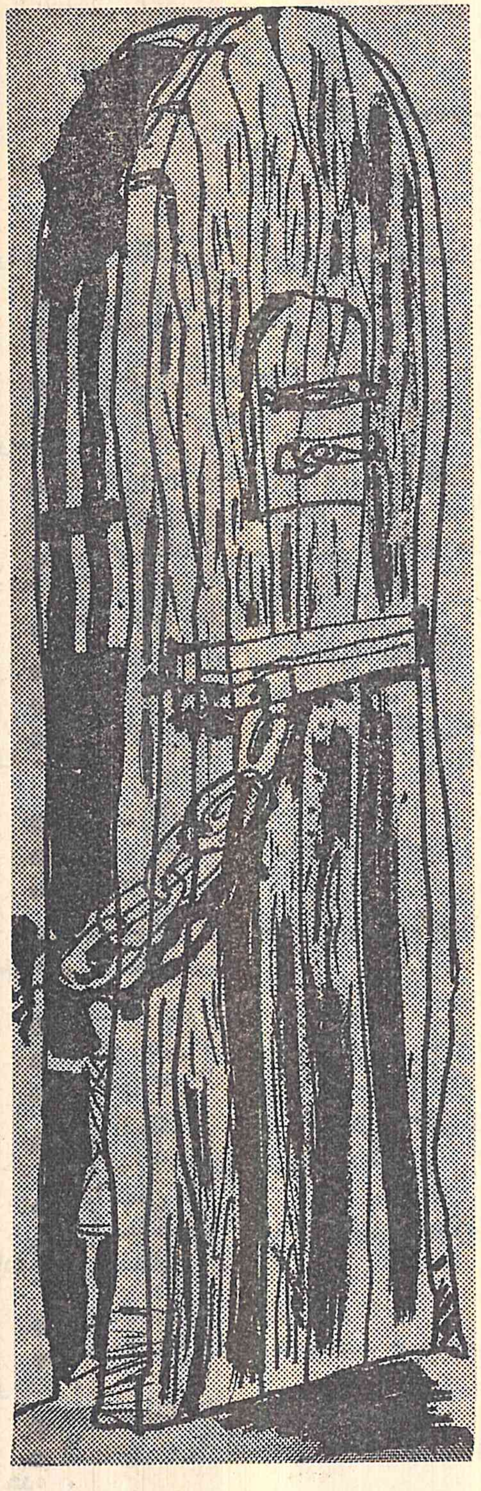

● **أقبل براءة نفسى ؟**

■ قالوا فى سرعة :

● فان تك قد نلت المطلوب ؟

■ قال :

● **بل أعرف . تحكون القصة لى لأقرر .**

■ قالوا للصديق :

● نقلنا رأيك للحاكم .

● **فماذا قال ؟**

● ولا تغضب ؟

● ولماذا أغضب ؟

● لأن الحاكم قد استكثر منه أن تشترط عليه

● **بل أشترط على نفسى ! .. انا لم أطلب غير براءة ، وهذا حقى .**

● تعرف يا صديق روح الحاكم ، وجاه السلطة .

● اذن رفض الرجل رجائى .

● كان ذلك أول ما قال .. لكننا لم نتركه يا صديق .

● اذن أسمع . قولوا ماذا تم .

● شرحنا طلبك بالتفصيل ، وبينا أنك لا تطلب غير العدل وغير الرحمة .

● وصادف ذلك ... ماذا ؟

● حبه ... ورغبته فى أن تعمل عنده ، تخدم **قومك وبلادك .**

● والذنب المنسوب الى ؟

● اهتز الرجل من اصرارك على اجلائه وبيان حقيقته .

● ولعله قد رغب فى معرفة حقيقة زوجه .

● ربما .. لا ندرى .

● المهم .. وماذا أفعل ؟ .. وماذا كان تصرفه ليدرك ما كان .

● **سأل عقيلات الكبراء .**

● **شاهدات الزور ؟**

● **نعم . لكنهن هذه المرة قلن الحق .**

● وماذا قلن ؟

● قلن لا نعرف عن يوسف سوء .. أبدا .

● ولماذا كذبن على .

● قلن لحاكم مصر ، أن التدبير قد كان لدحض التهمة .

● تهمة من ؟

● **امرأة العزيز قد كانت متهمة ،** بالرغبة فيك

● **وهذا حق .. ورفضت الرغبة .**

● وقد قررنه . عقيلات الكبراء قررنه .

● **وكيف فسرن الفرية ؟**

● **بمساندتهن لكبيرتهن ؟ لتتطهر ساحتها من تهمتها فيك .**

● ولم يتحدثن بشىء عن أنفسهن ؟

● اعترفت كل منهن بأنك كنت ساحرها .

● بل كل منهن كانت تهوى الى قاع الشهوة .

● ماذا تفعل أى منهن ، وسحرك يسبى ؟

● أهو سحرى ؟ .. أم زلة انفسهن ؟!

● **ذنب مما تعرفه أنت عن النسوة !!**

● **ويدفع يوسف ثمنه .**

● **من يدفع غير الصديق ؟**

● **ولماذا يدفع ؟**

● **لقدرته .. على أن يدفع !**

● **السجن ! .. القهر ! .. التهمة !**

● **القادر يدفع !**

● **ألست الصديق ؟ .. ألست نبيا يا يوسف ؟**

● هذه حجة !! وهذى زلة !!

● وانت كبير .. أكبر منها .

● لكنى محتاج لان أعرف شيئا آخر .

● ماذا ؟ .. اطلب .

● هل اعترفت تلك السيدة الاخرى ؟

● زوجته تعنى ؟

● نعم .. ومن سواها أعنى ؟

● واجهها العزيز بما تيقن منه .

● ورفضت أن تعترف أم ماذا ؟

● بل قالت كلمة حق دمغت كل الماضى .

● يا لله ؟ .. صحيح هذا ؟

● **صحيح يا يوسف . دفعت عنك التهمة ، واعترفت ان الرغبة كانت منها .**

● وانى كنت ضحية شهوة ؟

● **وانك قاومت فى استبسال ، حتى لم تقو .**

● وانى هربت بنفسى ، لأمنع اثم امرأة شريرة ؟

● **وانك قلت لها أن خيانة عهد الزوج ، أقبح شىء ترتكبه .**

● وانى تعرضت لأذى لم يرحم ؟

● وانها مزقت من الغل قميصك .

● وكان دليلى انها لم تلحقنى الا من خلفى ؟

● وثبت عن يقين انك مظلوم .

● **يا ربى .. وأقضى السنوات هنا ؟ .. فى هذا السجن ؟**

● **ثمن الشرف كالشرف رفيع يا يوسف .**

● **ويدفعه المظلوم لا الظالم !**

● **وتظهر الحقيقة عند الحاجة لا تخفى .**

● **وفى حالات يموت المظلوم ، وتدفن معه التهمة .**

● .. والان يا يوسف .. هيا بنا .

● وهل ذاع الخبر وشاع .
● وصارت براءة نفسك على كل لسان .
● **وأدرك قومي انى مظلوم .**
● **وأيقن كل الناس انك طاهر ومعصوم .**
● **فان عدت اليهم ، عدت شريفا ؟**

● **ونظيف الذيل ، وكريم النفس ، وعنيدا فى الحق .**

● **شكرا لله .. وشكرا لك يا رؤى ربى .**
● أو تدرى يا يوسف ؟
● ماذا ؟
● شىء من ملح تتردد بين الناس .

● لا بأس .. هاتوا منها ، فانى أعرف ان المصرى يسخر حتى من نفسه !

● شباب المدينة يسخر !
● وممَ ؟
● منك .. ومن اهدارك فرص المتعة !

● ويقولون نكاتا شتى ! .. هذا شىء ادركه ! .. لكن ماذا قالوا ؟

● قالوا انك مغلق .
● مغلق !! .. ثم ... ؟
● وجمالك هذا ظلم لك .
● لى ؟ .. أنا ؟ .. لماذا ؟
● لأنك ترفض أن تستعمله لتنال المتعة !!
● مساكين ! .. المتعة فى طاعة ربى .

● هـذا أنت ، أما هم فلهم منطق يختلف عن منطقك يا يوسف .

● ثم ماذا ؟ .. ماذا أيضا ؟

● منهم من يتمنى لو ملك جمالك وسحرك .

● ليفعل ماذا ؟

● ليسبى كل نساء الارض .. ويتمتع !
● ويخون ؟!
● تأتيه الفرصة مع أحلى من تحمل هـذى الارض ويرفض ؟!

● ان كان يريد صيانة نفسه .
● صيانة نفسه !! يا يوسف !! الفرصة تأتى مرة !

● وقتل العهد ، كقتل النفس ، يحدث مرة .
● ألم تسأل عن أقوالهم ؟

● شكرا . لكنهم مخدوعون حيارى ، تاهت منهم نعمة ذكر العهد وصيانته .
● والادهى يا يوسف ، ما يتردد داخل جدران القصر .

● ممن ؟
● من فتيات القصر .

● وماذا يتردد بين ظباء كأماء ؟ .. لا يحكمهن حياء .
● شهقت كل منهن ، وهى تذكر ما كان منك حين عرضن مفاتنهن عليك .
● واستكثرن الرفض .

● واعتبرت كل منهن انك انت الخسران !
● يا ويلى !!

● وأقسمن جميعا انك لو متعت النفس بهن ، لكتمن السر .

● أهو الاعلان أو الاخفاء ما يزعج ؟
● هذا ما قلنه .

● مسكينات لا تعرفن حلاوة حسن القصد وحسن السيرة .

● وها قد عرفت كل شىء .
● **.. وارتاحت نفسى يا سادة .**
● وتأتى معنا ؟

● **وأضع جهودى فى خدمة مولاى وبلدى .**
● **وتنقذ مصر ؟**

● **أنا ؟ .. مصر مصونة بعناية ربى .**
● **لكن الله يهيىء لكنانته فتى ينقذها .**
● **بل أن الله هو المنقذ .**
● **ونبى الله هو الصديق .**

« البقية العدد القادم »

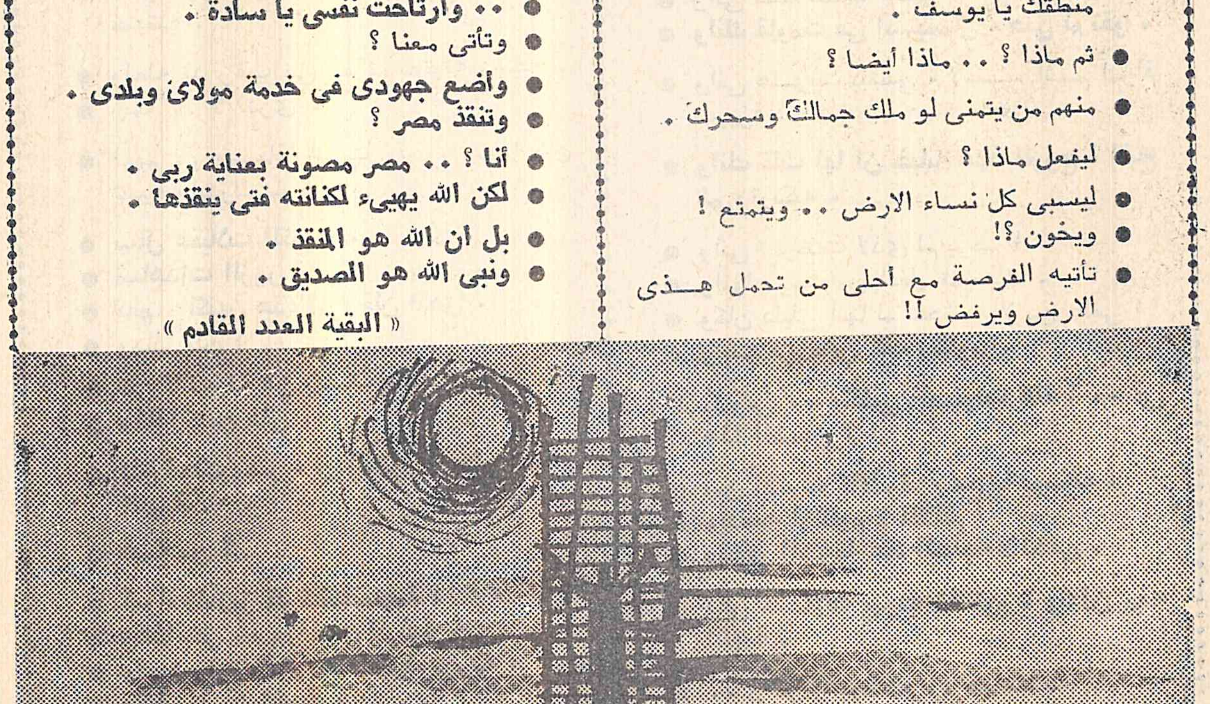

الشعر الإسلامي

الجهاد فرض

فضيلة الشيخ محمد خليل الخطيب

اجهد وجاهد فالجهاد فريضة
والقتل فيه مكفر أخطاكا
أعطاك أموالا ونفسا واشترى
بجنانه منك الذى أعطاك
فابذلهما طوعا ، وكن مستبشرا
بالبيع فالفوز العظيم أتاكا
مستبشرا بالفضل منه ونعمة
فرحا بما من فضله أولاكا
وأذا ألمت فللعداة تألم
مع أنهم لا يرتجون رجاكا
ترجو المثوبة والمغازه ههنا
وثواب من يستشهدون هناكا

•••

وحذار من بخل فما تنفق به
يخلفه سبع مئين من أنشاكا
لك ما تقدمه وما تبخ ل به
فعليك بخلك والحساب وراكا
وأعد ما تسطيعه من قوة
ترهب به أعداءه وعداكا
وتكون حيث حللت صاحب عزة
وتهاب بعد أودنا مثواكا
وأغلظ عليهم واستعنه وعونه
للمتقين يذل من ناواكا
وتعن عليه وما بصدرك من أذى
منه يزول ، ومنه ما أشفاكا

•••

لا عز للاسلام الا بالوغى
فيه فلازم ما استطعت وغاكا
واذا عجزت فجهزن مغازيا
أو فاخلفنه تكون ما أغزاكا
واذا قضيت وما غزوت وما به
حدث تنفسك كنت ما أغباكا
والقتل ليس شهادة الا اذا
أعليت كلمته وكان نواكا
وعلى حياتك فاطمئن أفى وغى
أو غيره حتى يحين مداكا
كم سالم منه وحمت سبله
وأتاك من حيث اليقين نجاكا
ومتى يحن لو كنت فى برج السما
وجنودها الحراس هم رداكا

•••

واذا نكصت تمت وأنت مذمم
واذا سبقت فعاطر ذكراكا
اصبروصابر ما استطعتورابطن
فرباط يوم دونه دنياكا
والاجر فيه على الدوام مضاعف
والرزق جار والامان لواكا

كلمات من المعركة

الشاعر العوضى الوكيل

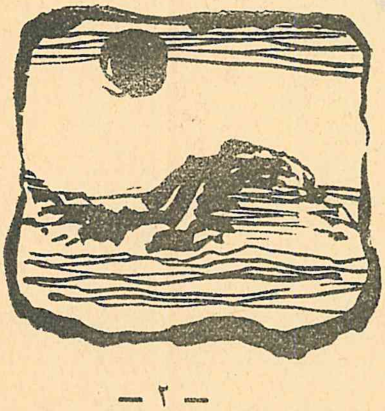

— ١ —

[فى مساء ٦ اكتوبر ١٩٧٣]

اين كنا ؟ وأين نحن الانا / لا تزدنى بمـا سمعت بيانا
ان قلبى محدثى أن نصرا / يملا الكون كله قد حانا
أرض سيناء حررت ، وتولى / عن حماها جيش العدو جبانا
لو تراها رأيت أرضا تغنى / ورمالا تشدو الهوى ألحانا
قد كساها فيض الحبور ، وكانت / فى ليالى احتلالهن حزانى
يا روابى سيناء ألف سلام / فأعيدى مع الدمى ما كانا
يا روابى سيناء ان اخلف الغـ / ـث سقيناك ــ يا روابى ــ دمانا

— ٢ —

[فى صباح ٧ أكتوبر ١٩٧٣]

تحيـة الاكبار والولاء
لمطلعى الصبح على سيناء
ومستردى الارض بالدماء
قد عانقتهم وهى فى انتشاء
مثل عناق الام للابناء

« ۰ »

تحية لذلك اللواء
لـواء مصر الحرة الشماء
مرفرفا يختال فى السماء
ترنو له الشمس على استحياء

[فى مساء ٧ أكتوبر ١٩٧٣]

— ٣ —

يا رافع العلم الحبيب على ربى سيناء
أ رفعته ؟ بل راس مصر رفعته باباء
خفقت سبائبه وعانق منزل الجوزاء

« ۰ »

النصر وافى فاسمعوا لترنم البشراء
الارض أرضى والسماء ــ كما علمت ــ سمائى
أبدا سأفديها ولو رويتها بدمائى
أبدا سأفديها ، وأدفع طامع الاعداء
لن يغصبوا أرض الخلود ولو على أشلائى
واقول يا وطنى سلمت ، سلمت للابناء
وبقيت مرفوع اللواء على ربى سيناء

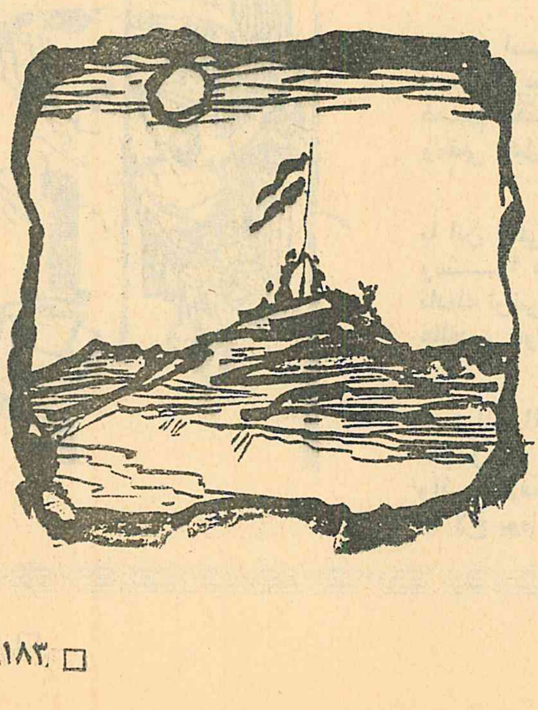

— ٤ —

والشكر لله وحده
وللفوارس بعده
أعان فى الروع جنده
فى شدة بعد شده
لئن بلغنا انتصارا
فقد عرفنا مرده

حيّ على الكفاح

الدكتور محمد محمود حليقة

قسما بربى بالدم المسفوح فوق رمال سينا
باللاجئات الباكيات وباليتامى البائسينا
قسما برأسك يا شهيد لنشهدن العالمينا
لندمرن الغادرين ومن يعين الغادرينا

• • •

أرضى وأمواهى على العادى جحيم لا يطاق
وسماؤنا شهب صواعق لا يشق لها نطاق
فلتشهد الدنيا وليد الغدر حيث غدا يساق
بل كيف يروى من غليل صدورنا دمه المراق

• • •

للثأر ثورات تضج كأنها قصف الرعود
دكت ضواريها القلاع وزلزلت أمن اليهود
لبت عروبتنا صدى التاريخ وهو يصيح : ذودى
جودى على الوطن الجريح بكل غال فيه جودى

• • •

داست أساطير القلاع عزائم الصيد الابيه
ومحا ربيب الموت عن تاريخنا ذل الدنيه
ضم القناة وشد يسراها ليمناها القويه
ومضى يكبل فى القيود السود شذاذ البريه

• • •

يا ابن الألى دانت لهم تيجان أرباب الممالك
ومشوا على التاريخ لم تهزمهمو ريح المهالك
نادتك أرض الأنبياء هناك آمالى هنالك
فالقدس أولى قبلتيك فصن بها محراب آلك

• • •

قد أذن التاريخ فى رمضان حى على الكفاح
فاجعل من الايمان فى هول الوغى أمضى سلاح
واثأر لأفواج الضحايا فوق هاتيك البطاح
قد لاح يوم النصر وابتسمت تباشير الصباح

البطل

الشاعرة روحية القليني

احضن المذياع يا ابني طول يومي كي يجيب
بدموع القلب ادعو لك بالنصر القريب
اسأل المذياع ظمأى عن بيان عاجل
يعلن الانباء عن نصر مبين لا يغيب
وعن الابطال أبنائي بساحات الوغى
لا يهابون المنايا لا يخافون الخطوب
قد سقاك النيل من صفو المعاني عزة
وحبتك الارض بالاقدام في الوادي الخصيب
عبر الماء وليدى فى اقتحام جارف
واعتلى جدران « بارليف » فحياه الكثيب
وسعى للنصر فى سيناء مزهو الخطى
يصرع الاعداء فى الحرب ولا يخشى اللهيب
أنت قد أوصيتني فى الفجر من قبل النوى
قائلا صبرا بحق الجرح فى الوادى الخصيب
تاركا لى طفلك الغالى [حبيبا من حبيب]
هو فى عيني ضياء وهو فى قلبى وجيب
أنا أم فاغتفر لى يا حبيبى لهفتى
وانشغالى وحنانى وارحم الدمع الصبيب
أنا أم وابنها الغالى صباها قد مضى
ولها قلب لهيف كاد من عطف يذوب
هو دمع الشوق والفجر تغنى باسما
ودعاء الام للابن دعاء لا يخيب
ولى الله الذى أدعوه قلبا مؤمنا
ليس لى الاه فى الكون سميع أو مجيب
أنا رغم الدمع أزهى اننى الام التى
بعثت قلبا شجاعا مستميتا فى الحروب
قدم الروح لمصر عن رضاء وفدى
بالشباب الغض بالامال بالعمر الرطيب
بالذى قد خط بالايمان فى تاريخنا
قصة النصر شموخا وجلالا للشعوب
بالذى قد رد فى سيناء ماضى عزتى
أشرقت دنياى بالآمال من بعد المغيب

معركة الثأر

الشاعر على الجمبلاطى

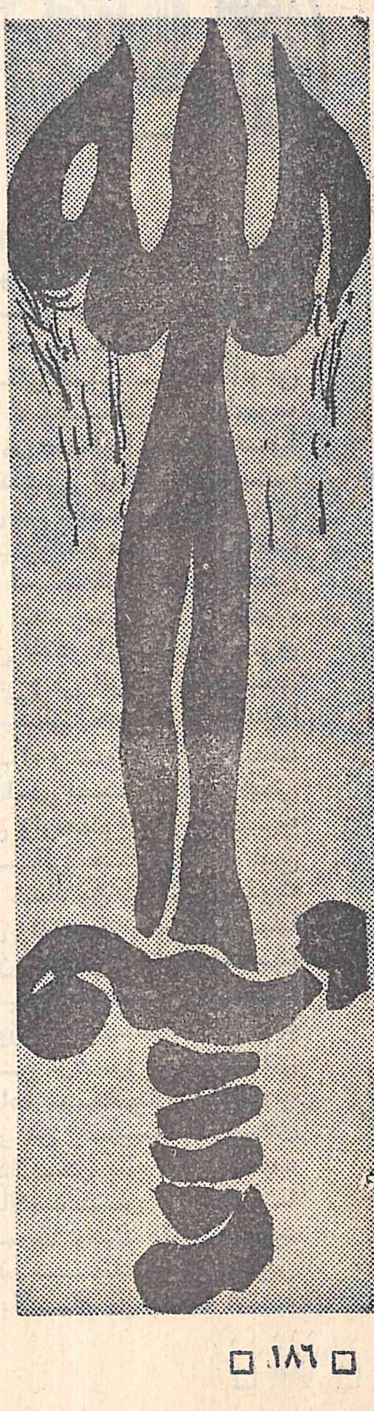

عبروا بأجنحة من الأقدار
كالسيل كالطوفان كالاعصار
يتسابقون الى الجهاد كأنهم
جن أغار بمارج من نار
رفعوا اللواء على الرمال فكبرت
وجرى بها نهر من الانوار
سنوات ست لم تذق طعم السنى
بل جللتها ظلمة الاشرار
سنوات ست غاب عن محرابها
صوت المؤذن فى دجى ونهار
يا أرض [سينا] عانقى حرية
جاءتك من أبنائك الأحرار
المارد المصرى هب مزمجرا
مستهزئا بالموت والأخطار
ما المال ما الدم ما الحياة جميعها
ان لم نعش فى عزة وفخار
كم من بيان عسكرى صوته
فى مسمعى أحلى من الأوتار
يلقى لنا بالنصر اثر النصر
فى أضرى معارك جيشنا الجبار
جيش يقوم الشعب حصنا خلفه
ويقيه بالاسماع والأبصار
ما أعظم الجيش القوى اذا غدا
وله قلوب الشعب كالأسوار

• • •

يا فتية الجولان أى بطولة
سجلتموها بالدم المدرار
ما زالت الدنيا تمجد عزمكم
زهوا بكل مقاتل مغوار
خضتم قتالا لا سبيل لوصفه
مهما نصغ من رائع الأشعار
الجو يمطر بالمنايا وابلا
والبحر يقذف باللظى الموار
والأرض فيها من جهنم لفحة
تشوى وجوه الصخر والأشجار
ماذا فعلتم بالعدو فجيشه
قد عاد موسوما بكل صغار
مزقتم الأعداء شر ممزق
فى كل ميدان وكل مطار

• • •

ديان أية قوة تزهى بها
ورجالك الأسرى مثال العار
التائهون بكل أرض أينما
حلوا تحل مباءة الأقذار
بلل بدمعك حائط المبكى وعش
فى مأتم واندب خراب الدار
لم يبق جيشك فى الورى أسطورة
بل صار رمز الذل والادبار

• • •

يـا بنت صـــهيون أفيقى وارحلى
أرض العـــروبة معقـلَ الثــوار
من يغتصــب يــوما عرين الأســد
لا يلقى ســوى فــزع له ودمـار
أرأيت كيف نصــب غضــبتنا بـلا
رفق ونلقى المــوت فى استبشـــار
ان الشـــــهادة عنــدنا أمنيــة
أشــهى لذى جــدب من الأمطــار

• • •

انا لأوس فى القتـــال وخـــزرج
وأعـــز جنـــد الله فى الأنصـــار
لـمـا لمســنا [خط بارليف] هــوى
وانـدك تحت ســلاحنا البتـار
قد كان مفخـــرة اليهود فأصــبحت
لبنــــانه مبهــوتة الأحجـــار
انا نبـارك بالصـــيام جهـادنا
فجهــادنا صـــوم بــلا افطــار
شـــهر يعــز الله فيــه جنــوده
ويمــدهم بالعـــزم والاصـــرار
كم حقق الرحمن فيــه آمانيـــــا
عليـــا لجنــد نبيــه المختـــار
شـــهداء بـــدر لم يـــزل تاريخهم
قصــصا مقدســـة من الاكبــار
وبفتــح [مكة] زال آخــر معقــل
للعـــــالم الوثنى ذى الأوزار

• • •

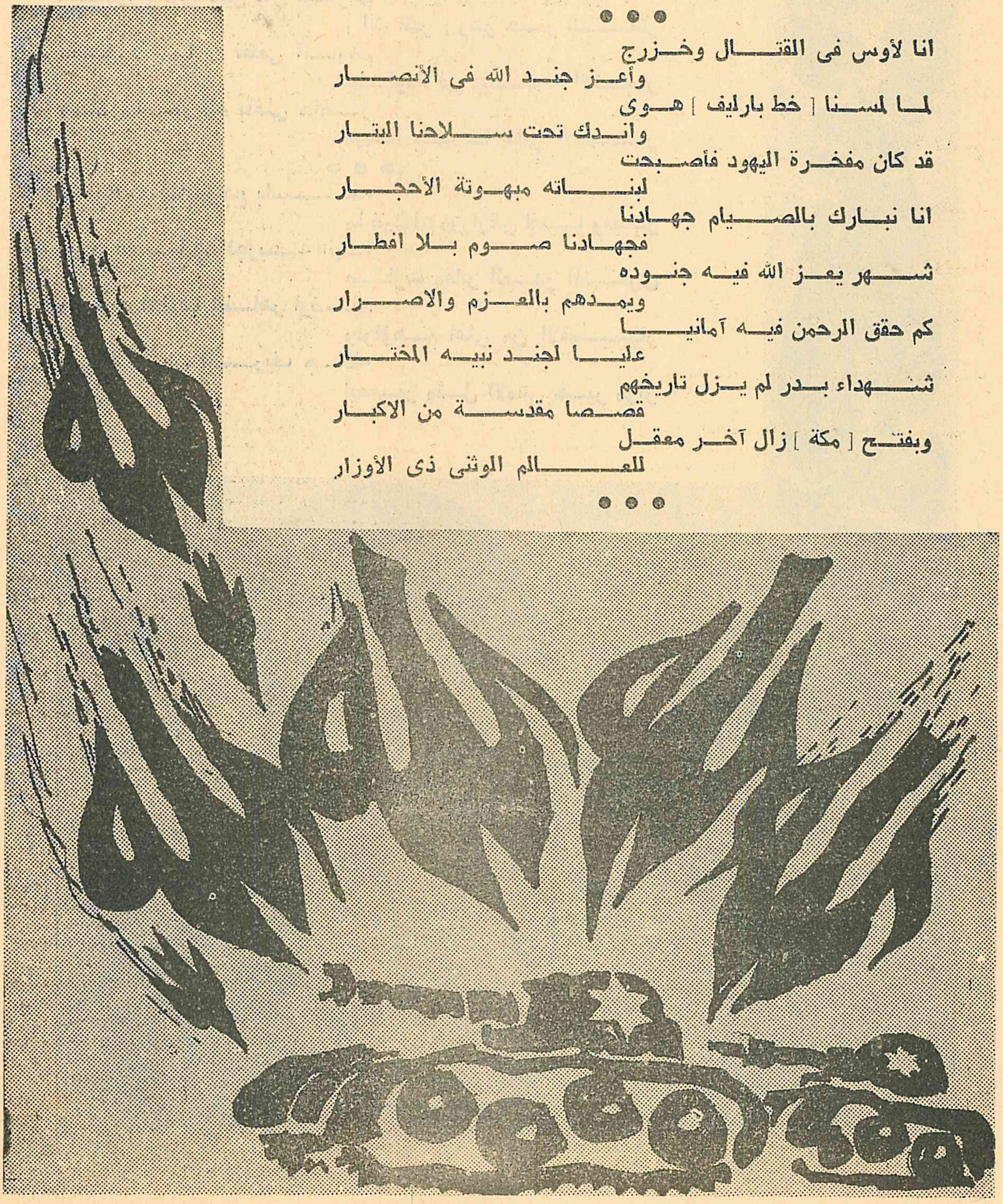

يا أمة الاســلام هبى وابعثى
ذكرى النبى وصحبه الأبرار
من كل متقد العــزيمة باسط
كفيه نحو المـوت باسـتكبار
قـد جاهدوا فى الله حق جهاده
وتسـابقوا للبذل والايثـار
فتحوا من الأمصـار كل محصـن
لله ما فتحـوا من الأمصـار
ســادوا وعزوا حين كان شعارهم
[الله أكبر] وهو خـير شـعار
أخلق بنـا أن نقتفى آثـارهم
فخـلودنا فى هـــذه الاثـار
مـاض سـنربطه بأغلى حاضـر
مهمـا بذلنـا غالى الأعمـار
• • •
الله وحـدنا لنرجع باســمه
مـا ضـاع من أرض لنـا وديـار
وترى فلسـطين الجريحـة أنهـا
صـارت مقابر للعدو الضارى
ويعـود أهلوها لطاهر أرضـهم
ولواؤهـم أعلى من الأقمـار
ونرد للقـدس الشـريف جلاله
ليصـير مثـل الأمس خـير مزار

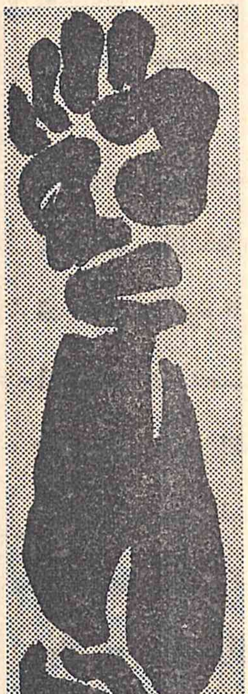

ونصون كل مقدسات جدودنا
لتظل مشرقة مدى الأدهار

• • •

يا ابن العروبة تحت رايتها انطلق
واضرب بسيف الواحد القهار

الأرض أرضك لا تدع خيراتها
نهبا لكل مخادع غدار

واستقبل الأهوال جلدا صابرا
فالخلد مثوى المؤمن الصبار

خضها مقدسة فأنت حفيد من
رفعوا لواء الله فى الأقطار

الله قد أعطاك خير قيادة
تستلهم الرحمن أى قرار

من مثل [أنور] حكمة وبسالة
من مثله فى جرأة ووقار

المؤمن المقدام من شجب العدا
ومضى يدق حصون الاستعمار

هذا [صلاح الدين] فى أثوابه
قد عاد يمحو آية الكفار

كنا نظن اليأس خيم فوقنا
فاذا بنا نصحو لأخذ الثأر

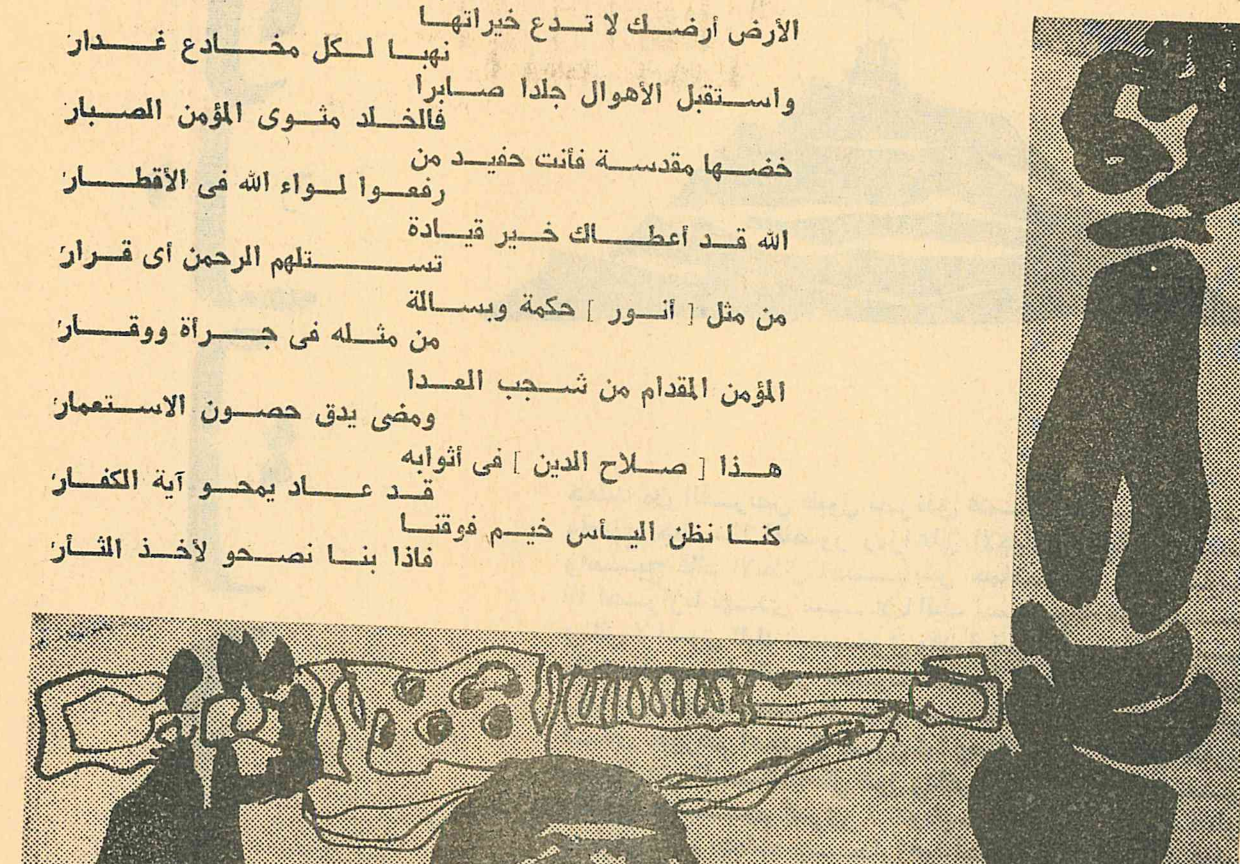

حب سيناء

الشاعر محمود جب

جعلت من القريض طبول نصر تدق فتملأ الدنيا رنين
وأصبح جيشنا المنصور رمزا على الاجيال للأمجاد فين
وأصبح قائد الابطال لحنا يثير حماسة المستبسلين
أبا أحرارنا نهدى سلاما اليك نسوقه مترنمين
ومالى لا أسوق اليك شعرى وقد ارضيتنا .. دنيا ودين
ملأت نفوسنا للنصر شوقا فطرنا للجهاد مكبرين
وقد عبر الجنود محال عصر تنادى .. ان ذلك لن يكو
فكان عبورهم اعجاز قرن كما وصفوه ... قد أعيا القرو
وجاز فتى الكنانة كل هول ودك على أعاديه الحصو
وأصبح جيشهم أسرى سينا وطيارو همو يتساقطو
ودباباتهم جعلت جدارا فما أجدى الجدار المغزعين
وباتت أمنياتهمو نجاة فجاءوا نحونا مستسلمين
سلوا « عسافهم » حين التقينا وقد نكسوا الرءوس مس
وسيناء « مخضبة » دماء دماء الغادرين المعتدين
تعالى الله جل الله ربى لقد لمسوا سراب المدلجين
جميع الرسل اذا هم يهود وهم فى الارض عاشوا مفسدين
سلوا « يعقوب » عما ذاق منهم و « يوسف » أو أخاه « بنيامينا
سلوا «موسى» سلوا «هارون» عنهم سلوا «عيسى» سلوا الهادى الامين
سلوا كتب السماء اذا أردتم تر الاجرام ما تخذوه دين
وفى فرقاننا اللعنات تترى تصب على اليهود الفاسقين
بقية بختنصر هل وعيتم دروسا تنفع المتدارسينا !!
وحلف بنى « النضير » وقينقاع « وخيبر » يا أخس المجرمينا
لقد احصرتموا وهنا حصرتم فذوقوا من أيادينا المنز
ألا أهدوا الورود صقور مصر وللاسد الالى حفظوا العرينا
وحبات القلوب تضوع حبا لمن عبروا المخاطر ظافرينا
ستصدح بالغناء لهم قيان فتملأ مسمع الدنيا لحونا
ونمشى فوق هامات الاعادى مطأطأة .. فنحن الفاتحونا
فتانا حمل اليسرى رمالا يقبلها .. ومدفعه اليمينا
وظل بنشوة يردى عداه الى أن خر فى المستشهدينا
وحين مضى يوسد فى ثراه رأوا فى كفه .. حبات « سينا »
ستبقى يا شهيد لنا مزارا نرتل فيه ذكرك ما حيينا
وحفت آية الرحمن عدتم فعدنا نهلك المتجبرينا

الطب في الإسلام

سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق

الدكتور عبد العزيز شرف

خلق الله الذكر والانثى

لقد خلق الله خلقه [انا خلقناكم من ذكر وانثى] وهيأ للكائنات البالغة من مخلوقاته قدرة لحفظ النوع والبقاء وذلك بافراز خلايا خاصة اذا ما اتحدت مع خلايا اخرى من الجنس الاخر من نفس النوع فانها تنتج مخلوقا جديدا من نوع الابوين . فحفظ النوع اذا يتوقف على هذه المقدرة التى وهبها الله فى انتاج هذه الخلايا الامر الذى يدعونا الى الاهتمام بالمحافظة على القدرة التناسلية حتى يحفظ الانسان والحيوان نوعه ويحسن نسله الذى قد يكون ذكرا وانثى [**فجعل منه الزوجين الذكر والانثى**] والذكورة والانوثة كما رأينا يمكن اعتبارهما اصطلاحين للتفرقة الظاهرية بين الذكر والانثى اذ لا ذكورة ولا انوثة كاملة حيث ان الله قد خلق الذكر والانثى بحيث يحوى جسمهما هرمونات التذكير والتأنيث ولكن بنسب تكاد تكون ثابتة .

فهذا سر من اسرار الخالق الذى جعل الهرمون الذكرى تزداد نسبته فى الذكور فتعطيها صفات التذكير واذا ما قلت تخنث الذكر وظهرت عليه اعراض تختلط بين التذكير والتأنيث . كما ان الهرمون الانثوى يزداد فى الاناث ويعطيها صفات الانوثة واذا ما قل فى الاناث ظهرت عليه بعض صفات الذكور . ومن هذا يتضح ان اجسام الحيوانات والانسان هيئت بقدرة الله تعالى ان تفرز الهرمونين ولكن بقدر معين حتى لا تضطرب الاعضاء التناسلية وتختل الصفات الجنسية التى تتوقف فى الذكورعلى الهرمون الذكرى [التستسترون] الذىتفرزه الخصية وفى الاناث على هرمون الانثى [الاستراديول] الذى تفرزه اكياس جراف بالمبيض .

ومن حكم الله فى خلقه ان هيأ بعض الاعضاء الاخرى لافراز هذين الهرمونين بجانب افرازهما من الخصية والمبيض حتى يمكن لهذه الاعضاء افراز الهرمونات الجنسية تبعا لبعض الحالات والظروف فقد دلت البحوث على ان الخصية ليست هى الغدة الوحيدة فى افراز الهرمون الذكرى ولا المبيض هو الغدة الوحيدة فى افراز الهرمون الانثوى بل هناك غدد اخرى تفرز منها هذه الهرمونات بجانب خصية الذكور ومبيض الاناث مثل الغدة فوق الكلوة [الكظرية] والمشيمة [الخلاص] وغيرهما ورغم اختلاف الذكورة والانوثة اختلافا جوهريا الا انه للحصول على نشاط جنسى متكامل فقد وطد الله علاقة الهرمونات الجنسية ببعضها وجعل بينها تعاونا وتضامنا على ان توجد بنسب خاصة حتى اذا ما اختلت هذه النسب حل تضادها بدلا من تعاونها وظهرت على الجسم العلل الجنسية والاضطرابات التناسلية . اذ ان نمو الاعضاء التناسلية الثانوية ووظائفها يعتمد كثيرا على ما بين هذين الهرمونين من تعاون حتى اذا لم يتم هذا التعاون ظهر على الاعضاء صغرا فى الحجم وعدم المقدرة على القيام بالوظائف المخصصة لها فسيولوجيا والدور الذى يلعبه كل من الذكر والانثى فى حفظ هذا النوع يختلف فى كل منهما اختلافا بينا فدور الذكر فى التناسل يتلخص فى تكوين الحيونات المنوية فى الخصية تحت تأثيرات هرمونية خاصة ثم وضع هذه الحيوانات فى الجهاز التناسلى للانثى فى وقت معين ومحدد بالنسبة لعملية التبويض الذى فيه تنطلق البويضة لتقابل الحيوانات المنوية . وقد يكون احسن وقت لهذا هو طور الشبق اى الوقت الذى تزداد فيه الرغبة الجنسية فى الاناث حتى ينجذب الذكر اليها ويتم تلاقى الخلية الذكرية [للحيوان المنوى] بالخلية الانثوية [البويضة] . ويقول **سبحانه وتعالى فى ذلك [وهو الذى انشأكم من نفس واحدة فمستقرومستودع] اى ان الله سبحانه** وتعالى جعل الذكر مستقرا للنطفة وهى الحيوانات المنوية وجعل الانثى مستودعا لها حتى يتم اندماج الخليتين وبذلك يتكامل الاخصاب والحمل . ولكى تكون الحيوانات المنوية قادرةوقوية على تلقيح البويضة فانها تفرز من الخصية وتمر بالحويصلة المنوية ليتم تكوينهاوقوتها [**فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب**] اى خلق من النطفة وما بها من حيوانات منوية التى تخرج من مكان بين الصلب اى الظهر والترائب اى الصدر فى الذكر [اى مقر الحويصلة المنوية] وبجانب افراز الحيوانات فان الله قد قدر للخصية انتفرز كذلك الهرمون الذكرى [التستسترون] الذى يعتمد عليه الرغبة الجنسية ونمو الاعضاء التناسلية وظهور الصفات الذكرية وتتحكم فى مقدرة الخصية للقيام بواجباتها هرمون يأتى من الغدة النخامية الذىيسمى الجونادوتروفين .

اما الدور الذى تلعبه الانثى فى التناسل فيتلخص فى تكوين البويضة فى اكياس جراف ثم انفجار هذه الاكياس دافعة البويضة الى قناة فالوب ثم الى الرحم بعد ان تكون قد تلاقت بالحيوانات المنوية واندمجت فيها مكونة البويضة الملقحة والتى تبقى مدة تختلف باختلاف « مدة الحمل » وبعدها يظهر الوليد الى الوجود **« هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا »**

«ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى »

ومن الاسرار التى فيها الاعجاز والغرابة انه بعد اتمام عملية تلقيح البويضة بالحيوان المنوى يغلق عنق الرحم لحماية الجنين وحتى لايتسع لمزيد من الحيوانات المنوية ان تدخل ثانية فقد يتم منها حملا آخر يضر بالجنين . وانها لقدرة الله فى حماية الجنين ان تتغير الهرمونات فتغلق عنق الرحم وتهدأ حركة الرحم لا يكون فى شدة حركتها دفعا للجنين والاجهاض ثم يظهر بعض الافرازات الثقيلة القوام على عنق الرحم مما يعوق حركة الحيوانات المنوية فيها كما تتغير درجة الحموضة للافرازات المهبلية بحيث لا يتناسب بقاء هذه الحيوانات حية بها لمدة طويلة. هذا ويفرز المبيض هرمونين الاول الاستروجين وهو الذى يثير الرغبة الجنسية فى الاناث ويخرج من اكياس جراف والهرمون الثانى وهو البروجسترون وهو هرمون الحمل الذى يعد الرحم لاستقبال البويضة الملقحة

ويحميها الى وقت الولادة . وهو يفرز من الجسم الاصفر بالمبيض والذى يتكون بعد انفجار اكياس جراف . ويتوقف افراز هرمونى المبيض الاستروجين والبروجسترون على هرمون الجوناد وتروفين الذى تفرزه الغدة النخامية التى تفرزها أيضا هرمون « البورلاكتين » الذى ينبه الغدد اللبنية لافراز اللبن وهذا بدوره يتوقف على نمو هذه الغدد بواسطة هرمونى المبيض السابق ذكرها .

العلم يوضح قدرة الله فى خلقه

ان اطوار الحياة كما اوضحها القرآن الكريم وفسرها العلم الحديث نذكرها موضحين علاقة الدين بالعلم . وكل اطوار حياة الانسان والحيوان متشابهة الا باختلافات تتوقف على النوع والبيئة وغيرها من الظروف . تبتدىء الحياة عندما يندمج الحيوان المنوى للذكر بالبويضة الانوثية ثم يستمر الحمل الى نهايته حيث يولد الصغير ويخرج للحياة الدنيا مستقبلا حلوها ومرها ومن ذلك نرى ان اطوار الحياة الاولى تتلخص فى عمليات جنسية متتابعة هى الشبق « التهيج الجنسى » والتبويض « اى خروج البويضة من مبيض الاناث لتلتقى بالحيوان المنوى » والحمل « **اى وجود الجنين فى الرحم الى وقت الولادة** » والولادة « **اى طرد الجنين الى الخارج ليستقبل الحياة** » ثم الرضاعة « وهى الفترة التى يعتمد الصغير فيها على الام فى التغذية على لبنها » وكل هذه الاطوار تمثل الحياة الجنسية وتعتمد كلية على افرازات هرمونية تسمى بالهرمونات الجنسية وهى ما تفرزها الغدد الجنسية فى الاناث « المبيض » والذكور «الخصية» وهذه تلعب اكبر دور فى الحياة اذ هى التى تدفع الرغبة فى ان يتلاقى الذكر والانثى واذا ما تم اللقاء اندمجت خلية الذكر بخلية الانثى وتبتدىء الحياة فى أرحام الامهات الى ان تتم الولادة وتبتدىء الحياة خارج الارحام . وبعد ذلك تمر الاجسام فى اطوار حيوية جديدة هى الطفولة والفتوة والشباب والشيخوخة . ومن ذلك نرى انه لاحياة بدون هذه الهرمونات التى تعمل فى الجسم عملا متزنا يقوم على التعاون المبنى على نسب خاصة دقيقة من هذه الهرمونات حتى اذا ما اختلفت هذه النسب فى الجسم تضاد عملها بدلا من تعاونها . وللغدد الصماء مقدرة على افراز نسب تكاد تكون ثابته من هذه الهرمونات لتقوم الادوار الجنسية على اسس تليمة يصح الجسم بعدها ويؤدى وظائفه على أحسن وجه . وفى تصورى ان الدقة التى تسير بها هذه الغدد وافرازاتها من الهرمونات والتفاعلات التى تتم بينها من اجل استمرار الحياة انما هو نظام مبنى على الدقة المتناهية والنظام الدقيق مما يعجز معه العقل البشرى عن ادراك طبيعته وكنهه وان هناك لقدرة الهية فى تكوين الجسم وتركيبه وخلق دوافع الحياة به ومتسبباتها ومنها الدور الذى تلعبه الهرمونات .

وخلق كل شىء فقدره تقديرا والواجب يحتم ان يعرف القارىء شيئا عن هذه الهرمونات وطبيعتها ودورها فى الحياة الجنسية التى تتوقف عليها الحياة والحيوية لنقف منها على سر الله فى خلقه وعظمته فى كونه فيزداد المؤمن ايمانا بالله وبقدرته ووحدانيته . وأن الجانب العلمى فى دراسة اطوار الحياة والهرمونات ليبرهن برهانا ساطعا على غرائب الحياة وعظمتها ودقتها بالشكل الذى ينير الطريق للقلوب المؤمنة والنفوس الصادقة الى عقيدة ثابتة وايمان راسخ بالله خالق كل شىء وهو العليم الخبير . فالعلم يزيد الايمان ويرسخه « **انما يخشى الله من عباده العلماء** » وهناك من آيات الله البينات ما يوضح هذه الاطوار التى بالعلم قد تحققت وفسرت قدرة الله فقال سبحانه وتعالى « **والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا** » « **ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين** » « **والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة** » « **هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا** » « **فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب** » « **وهو الذى انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع** » « **ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه** » « **ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى** » . وفى نقل الصفات الوراثية للاجنة يقول محمد صلى الله عليه وسلم « **تخيروا لنطفكم فان العرق دساس** » . صدق الله ورسوله فقد وضعوا اسس للعلم فى الايات البينات والاحاديث الشريفة . ولقد حقق كل ذلك واكده علوم الطب والتشريح والوراثة والفسيولوجيا والهستولوجيا والولادة وغيرها .

ان الذى يتأمل فى التكوين العضوى للانسان والحيوان يجد انه يشمل اجهزة مختلفة مهمتها المحافظة على الجسم سليما . فمنها الجهاز التنفسى مثلا يستقبل الاكسوجين فى عملية الشهيق ليستخدم فى عمليات الاحتراق فى انسجة الجسم وخلاياه ثم يطرد ثانى اكسيد الكربون وهو من نفايات الخلايا وذلك بطريق الزفير والجهاز الهضمى الذى يتولى هضم الطعام ثم تحويله الى مواد يسهل امتصاصها لتقوم بدورها الهضمى الذى يتولى هضم الطعام ثم تحويله الى مواد يسهل امتصاصها لتقوم بدورها فى تغذية الجسم ثم طرد البقايا الغذائية التى تتبقى من الغذاء وتتراكم فى الامعاء . والجهاز الدموى الذى يتكون من القلب والاوعية الدموية والدم ويقوم بتوزيع عناصر التغذية عن طريق الدم على جميع انسجة الجسم واعضائه وخلاياه كما يقوم الدم وما به من كرات بيضاء بالدفاع عن الجسم ويقاوم اى عدوان مما عسى ان يتسرب اليها من الجراثيم ومسببات الامراض . والجهاز البولى الذى يقوم بفصل سموم الدم ونفايات الجسم من الاملاح الزائدة والمواد السامة ويلقى بها فى المثانة ومنها الى الخارج مع البول . ثم هناك غير هذه الجهاز العصبى واجزاءه واعضائه مثل المخ والنخاع الشوكى والاعصاب الحسية والحركية وجهاز الحواس الخمس وهذه تختلف اختلافا بينا فى الانسان والحيوان .

وهذه الاجهزة تعمل بحركة الية صرفة لا يتدخل الادراك او الارادة فى توجيهها وهى فى الانسان والحيوان على السواء الا أن الحيوان ليس له ادراك اختيارى حر من نوع ما هو موجود فى الانسان وهو الادراك الاختيارى الحر الذى ميز الله به الانسان عن الحيوان وهو القدرة الذهنية التى جعلته يستطيع تمييز المتشابه المتضاد من الاشياء والموازنة والاستنتاج وتكييف نفسه امام مشكلات الحياة تكييفا ملائما وجعلت لذلك الانسان مسئولا عن اعماله . اما الموجود فى الحيوان فهو الادراك الغريزى الذى تعمل على اساسه جميع الاجهزة فالاجهزة العضوية قادرة لذلك على العمل تلقائيا دون تدريب أو تعلم ودون ان تتغير وظيفتها فى حين ان الادراك الاختيارى الذى يتميز به الانسان وحده دون باقى الكائنات الحية يولد معه خاليا من المعلومات ثم يملا عن طريق الحواس المعروفة تدريجيا . وعلى هذا يتميز ادراك الانسان بازدياد حصيلته من المعرفة باستمرار وباتساع الافق بمقدار ما يعيه من الوان هذه المعرفة وتفاعلها فيه وانفعاله بها .

وبجانب كل ما سبق من الاجهزة هناك جهاز الغدد الصماء وهى التى تفرز افرازات داخلية تسمى الهرمونات. وهذه الهرمونات تعتبر العامل الاساسى لاستمرار الوظائف الجسمانية من نمو وتمثيل للغذاء وحفظ النوع .. الخ . حتى اذا ما قلت هذه قلت وانعدمت فى الجسم وظائفه وصار غير قادر على الحياة . واهم هذه الغدد : **الغدة النخامية التى تسيطر على الاعضاء الجسمانية ووظائفها والغدد الجنسية وهى المبيض فى الاناث والخصية فى الذكور وهذه تقوم بالدور الهام فى حفظ النوع والغدة الدرقية وهى قوية المفعول فى التمثيل الغذائى .. الخ . من الغدد الصماء . ولكل من هذه الغدد افرازات « هرمونات » تفرزها لهدف معين تقوم به فى الجسم .**

اما الهرمونات الجنسية وهى تلعب دورها فى تحديد الجنس ومقدرته التناسلية من اجل حفظ النوع وزيادة تعداد الحيوان الذى خلقه الله وسخره للانسان فى غذائه

وكسائه ودوائه ولذلك كانت دراسة هذه الهرمونات من أهم ما عنى به الباحثون لاستجلاء تاثيرهاوخواصها ومنافعها والدور الذى تقوم به فى جسم الحيوان . ويمكن القول بأنه لا حياة بدون هذه الهرمونات حتى اذا ما اختلت هذه النسب فى الجسم تضاد عملها بدلا من تعاونها . وللغدد الصماء مقدرة على افراز نسب تكاد تكون ثابتة من هذه الهرمونات تبعا للادوار الجنسية المختلفة التى يتعرض لها الحيوان .. وفى تصورى ان الدقة المتناهية التى تسير بها هذه الغدد وافرازاتها من الهرمونات والتفاعلات التى تتم بينها من اجل استمرار الحياة انما هو نظام دقيق يعجز معه العقل البشرىعن ادراك طبيعته وكنهه وان هناك قدرة الهية فى تكوين الجسم وتركيبه وخلق دوافع الحياة ومسبباتها ومنها الدور الهام الذى تلعبه الهرمونات . الامر الذى يدعو الى معرفة هذه الهرمونات لنقف منها على سر الله فى خلقه وعظمته فى كونه فيزداد المؤمن ايمانا بالله وبقدرته وبوحدانيته . **وان الجانب العلمى فى دراسة اطوار حياة الحيوان وهرموناته ليبرهن برهانا ساطعا على غرائب الحياة وعظمتهاودقتها بالشكل الذى ينير الطريق للقلوب المؤمنة والنفوس الصادقة الى عقيدة ثابتة وايمان راسخ بالله خالق كل شىء وهو العليم الخبير .** فبدراسة الحيوان وغرائب حياته وتكوينه يزداد الايمان ويرسخ فى قلوب المؤمنين « **انما يخشى الله من عباده العلماء** » . لذلك كان حتما ان يعرفه القارىء شيئا عن هذه الهرمونات وطبيعتها ودورها فى الحياة الجنسية التى تتوقف عليها حياة الانسانوالحيوان وحيويته لان الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بالعلم وان نتفكر فى خلق الله للحيوان « **أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت** » « **والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع** » كما امرنا سبحانه وتعالى الى التفكير فى خلق الانسان ومعجزة الله فيه « **سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم** »

فهذه كلها اسرار الخالق فى خلقه اذ جعل من الجسم معملا يخرج الهرمونات التى بتعاونها ودقة فعلها توضح نظاما يدل على القدرة الالهية . ولو اضفنا الى ذلك ما وهبه الله لتلك الافرازات الهرمونية من صفات دوائية تبرىء السقم وتعالج الوهن والضعف . وصفات انتاجية لتوفر للانسان غذاءه لايقنا ان الله هو الواحد القادر بيده ملكوت كلشىء . فشكرا لله خالقنا وحمدا له رازقنا . وتقديرا له على اسراره التى حقق العلم الحديث بعض مكنوناتها لينير الطريق امام البشرية فى الافاق وفى النفوس « **سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق** » صدق الله العظيم .

الجهاد

قال عز وجل فى كتابه الحكيم : ـ « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون » [البقرة] وتفسير الاية الكريمة كما جاء فى المنتخب لتفسير القرآن ط . المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ص ٤٩ [فرض عليكم ايها المسلمون القتال لحماية دينكم والدفاع عن انفسكم وان نفوسكم بحكم جبلتها تكره القتال كرها شديدا ولكن ربما كرهتم ما فيه خيركم وأحببتم ما فيه شركم ، والله يعلم ما غاب من مصالحكم عنكم ، وانتم لا تعلمون ، فاستجيبو ا لما فرض عليكم] .

ذلك أن القتال مشروع فى الاسلام للدفاع ولتامين الحرية ، وتامين سيادة الاسلام فى مجتمعه . بذلك نجد أن قتالنا ضد العدو الصهيونى الغاصب مشروع من جهة دينننا الحنيف فهو دفاع عن الارض ودفاع عن الدين ودفاع عن الشرف .

وقد جاء مصداقا لهذا [عن سعيد بن زيد رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دوندينه فهو شهيد ، ومن قتل دونأهله فهو شهيد »] [رواه أبو داود والترمذى] كما قال أيضا عليه السلام عن الجهاد بانه : [عمود الاسلام وذروة سنامه] .

كما أن الله جل جلاله امر رسوله الكريم بأن يحث فئة المؤمنين على القتال وأن يتذرعوا بالصبر والايمان ليثبتوا فى القتال ففى قوله تعالى : « يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون » . [الانفال] .

وتفسير هذه الاية الكريمة [يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال لاعلاء كلمة الله ورغبهم فيما وراءه من خير الدنيا والاخرة لتقوى بذلك نفوسهم ، وانه ان يوجد منكم عشرون معتصمون بالايمان والصبر والطاعة ، يغلبوا مائتين من الذين كفروا . ذلك بانهم قوم لا يدركون حقائق الامور ، فليس لديهم ايمان ولا صبر ولا مطمع فى ثواب . ولعل من نعم الله تعالى على جنده المؤمنين المقاتلين ما اكد العلم من أن الله سبحانه وتعالى قد زود المقاتل والذى يدافع عن نفسه بقوة داخلية من شأنها العمل على تثبيته فى مكانه أثناء القتال فقد وجد علميا أن الجهاز العصبى السمبثاوى يزيد من نشاط الجسم البشرى ويزيد من قدرته القتالية .

فنجد زيادة سرعة ضربات القلب الذى يقوم بعمله بقوة وانتظام ويرتفع ضغط الدم كما أن سرعة سريان الدم الى الاحشاء الداخلية تقل مع زيادة معدل سريانه الى الجهاز العصبى المركزى والى القلب والى العضلات الارادية .

بين الطب والدين

الدكتورة
ابتسام عبد الحليم

ومع أن الجهاز العصبى السمبثاوى يعمل على تضييق الشرايين التى تغذى المخ ضيقا طفيفا فان معدل سريان الدم الى المخ يزيد وذلك كنتيجة لارتفاع ضغط الدم ٠

كما أن الطحال ينقبض ليفرغ مافيه من دم مخزون فيعمل على زيادة حجم الدم وزيادة قدرته على حمل الاكسجين نتيجة لزيادة عدد خلايا الدم الحمراء ٠ كما يساعد أيضا على أكسجة كرات الدم الحمراء ما يحدث فى الجهاز التنفسى من اتساع فى الممرات الهوائية بالاضافة الى زيادة نشاط الجهاز التنفسى ٠

كما أن زيادة الاكسجين الذى يستنشقه الانسان مع زيادة كمية [الجلوكوز] الناتجة عن تحليل مادة [الجليكوجين] النشا الحيوانى المخزون فى الكبد ووجودها بالدم مما يساعد عملية التمثيل الغذائى الضرورية لتغذية عضلات الجسم والجهاز العصبى وامداد الجسم بالطاقة كما أنه الجهاز السمبثاوى يؤخر من خور العضلات المنقبضة ويفرز العرق لكى يفقد الجسم جزء من ارتفاع درجة حرارته ٠

أما من ناحية تأثيره على عين الانسان فيؤدى الى اتساع حدقة العين وتتسع الفتحة التى ما بين الجفن العلوى والجفن السفلى مما يتيح للعين رؤية حقل بصرى واسع النطاق من العالم الخارجى ٠ مما سبق يتضح لنا كيف أن الله سبحانه وتعالى زود عبده بقوة لكى يقاتل بها ويدافع عن نفسه وصدق قول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقـــدامكم » [محمـــد] ٠ ذلك آن تنصروا دين الله أيهـا المؤمنين بنصركم [سبحانه وتعالى] على عدوكم ، ويوطد أمركم

ومن ناحية أخرى نجد أنه عز وجل كما فرض علينا القتال بين لنـا كيف نستعد لهؤلاء الـكفار الخونة بالعتاد والمعدات العسكرية والجيوش على اختلاف اشكالها ونوعيتها ففى قوله عز وجل : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليـــكم وانتم لا تظلمون » [الانفـــال] ٠ وتفسير الايات الـكريمة ما يلى : [وأعدوا يا معشر المسلمين لمواجهة أعدائكم ما استطعتم من قوة حربية شاملة لجميع عتاد القتال ، ومن المرابطين فى الثغور ٠ وأطراف البلاد بخيلهم ، لتخيفوا بهذا الاعداد والرباط عدو الله وعدوكم من الكفار المتربصين بكم الدوائر ، وتخيفوا آخرين لا تعلمونهم الان والله يعلمهم لانه لا يخفى عليه شىء ٠ وكل ما انفقتم من شىء فى سبيل أعداد القوة قاصدين به وجه الله ، فان الله يجزيكم عليه جزاء وافيا ، دون أن ينقصكم مثقال ذرة مما تستحقون من فضل ربكم ٠ ذلك ان الاستعداد للحرب يرهب العدو ، فيمنعه من الاعتداء ٠ فالاستعداد أنفى للاعتداء

وهذا الطريق سلكته قيادتنا الحكيمة فى استعمالها أحـدث الاسلحة الالكترونية والصواريخ مما أرهب الاعداء وبث فى نفوسهم الرعب والفزع وشتت شملهم ٠

ولكن قد يكون هناك تساؤلا عن هل الذين لم تسعفهم الفرصة للمشاركة فى مواجهة العدو مباشرة فى جبهة القتال تفوتهم فرصة الجهاد ؟

ردي على هذا السؤال بلا ٠ فهناك أنواع شتى من الجهاد تقف جنبا الى جنب مع المواجهة المباشرة من شأنها سـلامة الجبهة الداخلية : ومن أمثلتها : ـ

أولا : جهاد المال وذلك بأن يساهم المرء بجزء من ماله فى سبيل اعداد الجيوش كما قال الرسول الكريم : [من جهز غازيا فقد غزا] ٠

ثانيا : التبرع بالدم وذلك لانقاذ حياة الجرحى الذين يقاتلون من أجل حماية حياة شعب بأسره وفى سبيل اعلاء كلمة الحق واستعادة الارض ٠

ومن الجدير بالذكر أن التبرع بالدم يكسب الجسم خاصـية التعويض وأن تنشط أجهزته لتكون دما جديدا فى وقت وجيز ٠

ثالثا : مراعاة أسر المقاتلين كما قال الرسول الكريم : [من خلف غازيا فى أهله بخير فقد غزا] ٠

رابعا : زيادة الانتاج وذلك بأن يقوم العمال ببذل قصارى جهودهم فى تنمية الانتاج وزيادة ساعات العمل ٠

خامسا : رجال الفكر الذين يجاهدون بأقلامهم والفنانين الذين يكرسون جهودهم لخدمة المعركة ٠

سادسا : محاربة الشائعات : وهى الحرب النفسية التى يستخدمها العدو ضدنا مستغلا بذلك شخصية الانسان العربى التى تتميز بالروح الطيبة والعاطفة وذلك عن طريق اذاعـة اشاعات كاذبة مغرضة فيجب علينا عدم ترديدها ٠ وأن نستمع الى أجهزة الاعلام التى ببلدنا لانها تعطينا الحقيقة الكاملة ٠

سابعا : التطوع فى الدفاع المدنى والاسـعاف والتمريض وحماية الممتلكات ٠ وقد قال رسولنا الكريم : [عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله] ٠ كما قال أيضا عليه الصلاة والسلام : [حرس ليلة فى سبيل الله أفضل من ألف ليلة بقيام ليلها وصيام نهارها] رواه أحمد ٠

ثامنا : عدم استعمال التجار الجشعين [للسوق السوداء] فى التحايل لجلب أكبر قدر من المال وقد رسم لنا الله عز وجل

دستور الحرب والسلام فى قوله : « وان جنحوا للسلم فاجنح لهـــا وتوكل على الله انه هو السميع العليم » [الانفـــال] وتفسير الاية الكريمة كما جاء فى المنتخب للتفسير ط ٠ المجلس الاعلى للشئون الاسلامية وان مال الاعداء عن جانب الحرب الى جانب السلم ، فاجنح لها أيها الرسول ، فليست الحرب غرضا مقصودا لذاته عندك ، انما انت قاصد بها الدفاع ، لعدوانهم وتحديهم لدعوتك فاقبل السلم منهم ، وتوكل على الله ولا تخف كيدهم ومكرهم انه سبحانه هو السميع لما يتشاورون به العليم بمـــا يدبرون ويأتمرون فلا يخفى عنه شيء وذلـك ما انتهجه قائدنا المقدام بأن ارتضى وقف اطلاق النار وذلك اجابة للقرار [٣٣٨] الصادر عن مجلس الامن ونحن لسنا دعاة حرب ولسنا دعاة ابادة ولكن معركتنا بجانب أنها معركة عسكرية فهى معركة سياسية أيضا وقد كان هذا القرار على مسئولية القوتين الاعظم بشريطة تنفيذ القرار رقم [٢٤٢] الصادر ١٩٦٧ م والذى من ضمن بنوده انسحاب القوات المعتدية الى ما وراء خطوط ما قبل يونيو ١٩٦٧ ولم ينفذ نتيجة لصلف ومراوغة الصهيونية ٠ وما حدث من اختراقهم قرار وقف اطلاق النـــار هو ما عهدناه من هذا العدو الغادر ٠ فان أرادوا من تظاهرهم بالجنوح الى السلم خدعة ومكرا بك فان الله يكفيك أمرهم من كل وجه وقد سبق له أن أيدك بنصره حين هيأ لك من الاسباب الظاهرة والخفية ما ثبت به قلوب المؤمنين وقد جاء قوله جل شأنه : « وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين » [الانفال] ٠

كما ان الالفة التى نجدها فى الحرب الحالية بين العـــرب ووقوفهم وقفة رجل واحد باستعدادهم بكل امكانياتهم المـــادية والمعنوية وبسلاح البترول الذى استعملوه فى وجه الاعداء هى من عند الله لينصر بهم أمة العرب وأمة الاسلام مصداقا لقوله عز وجل : « وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعـــا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألفَ بينهم انه عزيز حكيم » ٠ [الانفـــال] ٠

أما من ناحية الاسرى فقد رسم الله تعالى منهجا لهم وان تبادلهم لا يتم الا بعد انتهاء المعركة ونحن كما نعلم ان هنـــاك اسرى للعدو بالالوف والعدو حريص على تبادلهم اليوم قبل غد ونحن كما نعلم ان المعركة لم تنته بعد الا اذا انسحبت اسرائيل انسحابا كاملا من الارض التى احتلتها بالعـــدوان وان تـــكفل للشعب الفلسطينى حق تقرير المصير ٠ وكما قال الله عز وجل فى سورة محمد : « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » ٠

هناك نقطة أحب أن أتحدث فيها الان وهى ماهو عدونا الذى نحاربه ؟ ما هى مطامعه ؟ ما هى شخصيته ؟ ماهى أخلاقياته ؟

أما من ناحية مطامعه فالخريطة التى رسمها اليهود لانفسهم وعلقوها على [الكنيست] فهى من الفرات شرقا الى النيل غربا وتمتد جنوبا الى المدينة المنورة ٠ ولقد تبين للعالم أخيرا أغراضهم التوسعية وبأنهم يريدون الاحتفاظ بالارض التى احتلوها عن طريق العدوان وذلك بادعائهم بأنها حدود آمنة لهم ٠ مما فرض عليها أخيرا العزلة الدولية فها نحن نرى معظم شعوب العـــالم تساندنا وتقف الى جوارنا مؤيدة حقنا الشرعى فى استرداد أراضينا كما نجد كذلك دول القارة الافريقية بدأت فى قطع علاقاتها الدبلوماسية واحدة تلو الاخرى ٠ وهذه المطامع يدعون بأنها أرض الميعاد وذلك كما يدعى [حاخاماتهم] فى التلمود الفصل الثانى ص ٥٦ [ان الارض وما فيها ومن عليها ملك لليهود وحدهم] ٠

أما عن أخلاقياته فهو غادر لا يعرف المثـــل والاخلاق وكمـــا نرى ونسمع على اختلاف الازمان والعصور مكروه لدى الناس منعزل يلجأ الى [الحارات الضيقة] كما يعمل على الاستفادة من الناس بقدر الامكان مع عدم افادتهم وعلى أن يجمع المـــال والذهب ومعاملته المالية بين الناس أساسها الاستغلال والربا الفاحش ٠

وهذا ما كشفه كتاب بروتوكلات [حكماء صهيون] الـــذى ينص على مبادئهم وكيف يعيشون فى الحياة وكيف يستغلون الناس ؟ وكيف يستفيدون من الناس ؟ كيف يسرقون ؟ كيف ينهبون ؟٠٠ ومع أنهم تنصلوا من هذا الكتاب فانه ما يزال وصمة عار فى جبينهم كما أنهم لا يتورعون فى قتل غير اليهود دون وجه حق وذلك كما جـــاء فى التلمود الفصل السادس ص [ان قتـــل غير اليهودى لا يعد جريمة بل فعلا يرضى الله] ٠ كما ان التلمود فى الفصل السابع ص ٧١ قد حرض على اغتصاب النساء والعبث بالشرف والاخلاق [ان كل امرأة ليست من بنى اسرائيل بهيمة ، ولا يخطىء اليهودى اذا انتهك عرضها ٠٠٠] ومع ادعائهم بأنهم شعب الله المختار وبأنهم من طينة أخرى غير كل البشر ٠ فهو عدو جبان لا يستطع أن يواجه جيشا يقاتله كما جاء فى قوله تعالى : « لانتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ٠ لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد » وهذا ماحدث فى الوقت الحاضر بتشييدهم خط « بارليف » وادعو بأنه مستحيل على العرب اقتحامه ٠ كما جاء أيضا : « وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس ، وباءوا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة » ٠ وهذه أخلاقياته ظهرت فى حربه الاخيرة من اعتدائه على الاهداف المدنية بعد ان فشل عسكريا وتحطم معنويا ٠ كما أستعمل الشراك الخداعية التى تستهدف الاطفال ٠ وذلك لانهم يسعون فى الارض فسادا ، والله لا يحب المفسدين ٠ هذا هو العدو غدر ومكر ونفاق وجبن ودس وكيد وقتل واغتصاب ٠ وأود أن أختتم مقالى هذا بمنزلة الشهيد عند ربه وبما وعده الله به ٠

ففى قوله جل شأنه : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضـيع أجـر المؤمنين » [سـورة آل عمـران] ٠ وقد جاء فى المنتخب من التفسير ط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية فى تفسير هذا ص ٩٨ [ولا تظنن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل هم أحياء حياة استأثر الله بعلمها يرزقون عند ربهم رزقا حسنا يعلمه هو ٠ يتـــألق السرور بالبشر فى وجوههم بما أعطاهم الله بسبب فضله من المـــزايا ويفرحون باخوانهم الذين تركوهم فى الدنيا أحياء مقيمين على منهج الايمان والجهاد وبأنه لا خوف عليهم من مكروه ، ولا هم يحزنون لفوات محبوب ٠

وتتألق وجوه الشهداء بما من الله به عليهم من نعمة الشهادة ونعيم الجنة وعظيم الكرامة ، وبانه لا يضيع أجر المؤمنين ٠ كما بين لنا نبينا الامين منزلة الشهيد عند ربه بهذه الاحاديث الشريفة ٠

قال صلى الله عليه وسلم : [ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض] « رواه البخارى » ٠

وعن انس بن مالك رضى الله عنه ان النبى صلوات الله وسلامه عليه قال : [ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا وان له ما على الارض من شيء الا الشهيد ، فانه يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل عشرات المرات لما يرى من الكرامة] وفى رواية أخرى كما يرى من فضل الشهادة] « البخارى ومسلم والترمزى » ٠

دراسات أدبية

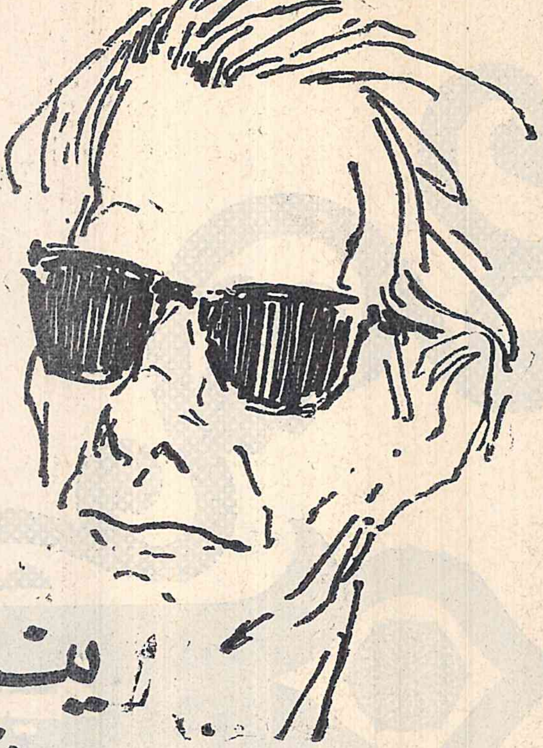

طه حسين يناجي ربه في ظل الكعبة

الأستاذ محمد كامل حتة

في خشوع المؤمن الذى تفيض أعماقه من نبع زاخر بالايمان ، ويشرق عقله بأنوار المعرفة ،وينبض قلبه بالشوق الى أرض المعجزات.. وقف الدكتور طه حسين في ظل الكعبة يناجي ربه ، وقد انفصل عن دنيا الناس الى عالم آخر حلق فيه بقلبه ولسانه ومشاعره جميعا. فكان عجبا للناس ما يرون وما يسمعون !!

الرجل الذى نشأ فى بيئة دينية، وقد فقد فى طفولته بصره ، فعوضه الله عن ذلك ارادة صلبة وبصيرة نافذة ، ثم شق طريقه فى الحياة ، وواجه أقسى التحديات ، وظفر فى رحلته العلمية من قريته الصغيرة بمغاغة الى الازهر الشريف ، الى الجامعة المصرية ، الى جامعة السربون .. بأعلى الدرجات الجامعية ، ثم ظفر بتقدير الدولة وتقدير الهيئات العلمية والادبية العالمية ، واستقر على قمة مجمع الخالدين ٢٠ عاما حتى انتقل الى مثواه الاخير ..

ولقد واجه طه حسين فى رحلته الطويلة ، مواقف فكرية أثارت عليه كثيرا من العداوات ، ولقد يخطىء طه حسين وغيره فى اجتهاداته الفكرية أو يصيب .. ولكن الذى لا يحتمل الشك فى أمره ولا الاختلاف عليه ، هو أن طه حسين كان عميق الجذور فى ثقافته الدينية والعربية ، وأنه كان مخلصا أشد الاخلاص فى دعم هذه الثقافة وتجليتها على صورتها المشرقة . ولعله كان يحرص على ذلك الحرص كله ، لانه يجد فى هذه الثقافة ما يحقق التوازن الفكرى والادبى والقومى فى تكوين شخصيته الفذة ، التى جمعت الى هذه الاصالة العربية الاسلامية روافد أخرى أمدته بها اقامته ودراسته ومصاهرته الفرنسية ، دون أن يطغى أثر هذه الروافد على مقومات شخصيته الاصيلة ، بل الحق أن هذه الروافد زادت شخصيته هذه قوة

وخصوبة فى الفكر والحياة يشرق بها وجهه العربى المبين ..

ولذلك عاش طه حسين أمينا على اللغة العربية وآدابها ، حريصا على أصالتها وتراثها العريق ، كما عاش حياته مرتبطا بفكره وقلمه بالتاريخ الاسلامى ، يعرض بفنه الممتع روائعه ومواقف رجاله : على هامش السيرة ، ودراساته وتراجمه عن صدر الاسلام ..

ورغم ذلك كله ، فان الصورة التى كان عليها طه حسين منذ نزل من الباخرة فى ميناء جدة ، وخلال اقامته القصيرة بالبلد الحرام ، كانت صورة تبهر من يعرفون طه حسين على حقيقته ، فكيف بغيرهم ممن كانوا يسيئون به الظنون ؟!

ومنذ أن أعلنت الصحف والاذاعة نبأ اعتزام الدكتور طه حسين الحضور الى المملكة العربية السعودية رئيسا للدورة التاسعة لاجتماع اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية فى يناير عام ١٩٥٥ ـ سرت فى المجتمع العربى هناك هزة عنيفة ، تختلف بواعثها ومظاهرها أشد الاختلاف ..

أما فى محيط الشباب المثقف ، فقد كانت هزة النشوة والسرور بقدوم عميد الادب العربى ورائد النهضة الفكرية والثقافية ، الى مهد العروبة والمسرح الاول لتاريخها المجيد .

وأما فى محيط رجال الدين ، فقد كانت هزة الانكار والازورار .. اذ كيف يدخل البلد الحرام رجل كانت له مذاهب وآراء سحبت عليه فى وقت ما ظلالا مريبة نكراء ؟

وأما فى محيط الشيوخ من أهل العلم والادب ، فقد كانت هزة يشوبها الاشفاق مما سيكون عليه موقف الدكتور طه حسين بين أولئك وهؤلاء ..

● ● ●

فى ذلك الوقت كنت فى مهمة صحفية بالمملكة العربية السعودية تستغرق عدة أشهر .. وحرصت على أن أختلى بالدكتور طه حسين فى فندق « الكندرة » فور وصوله الى جدة ، والقيت اليه فى صراحة مقنعة بكل هذا الذى أثاره أمر زيارته لارض الحرمين الشريفين !

وأعترف أنى كنت مخطئا فى بواعث اشفاقى ،

وكان الكثيرون مخطئين ..

ان الدكتور طه حسين وقف فى جلسة الافتتاح وبدأ كلمته قائلا :

سادتى : كان الفرنسيون فى بعض أوقاتهم يتحدثون عن انتشار ثقافتهم فى الارض فيقول قائلهم : ان لكل مثقف وطنين ، أما أولهما فوطنه الذى ولد ونشأ فيه ، وأما الاخر ففرنسا التى تثقف فيها أو تلقى الثقافة عنها » ..

وهنا ظهرت على الوجوه آثار انفعالات شتى .. بعضها ينبىء عن الترصد ، وبعضها ينبىء عن الاشفاق !

ولكن طه حسين حين استطرد فقال :

– « .. وكنا نسمع هذا الكلام ، وكنا نرى فيه شيئا من حق وكثيرا من سرف . ولكن الذى أريد أن أقوله الان هو الحق كل الحق ، لا نصيب للسرف فيه من قريب أوبعيد : ان لكل مسلم وطنين لا يستطيع أحد ان يشك فى ذلك شكا قويا أو ضعيفا ، وطنه الذى نشأ فيه ، وهذا الوطن المقدس الذى هداه الى الهدى ، والذى يسره للخير ، والذى عرفه نفسه وجعله عضوا صالحا مصلحا فى هذا العالم الذى نعيش فيه » ..

عندما قال الدكتور طه حسين هذا القول ، تبدلت آثار الانفعالات على الوجوه .. فقد تنفس المثقفون الصعداء ، ومسح المتربصون على عيونهم يتأملون هذا الواقف على المنصة يلقى هذا الكلام .. هل هو حقيقة الدكتور طه حسين ؟!

ومضى الرجل فى خطابه المتدفق الساحر حتى قال :

– **أما بعد فانى أسعد الناس وأعظمهم غبطة بأن أشعر الان بأنى أتحدث فى بلاد العرب التى عاش فيها محمد – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه ، وفى البلاد التى مر عليها وقت كان أهلها يقولون فيه : ما أشد قرب السماء الى الارض .. ثم مر عليها وقت بعد وفاة النبى كان بعضهم يبكى ، لا لان شخص محمد قد انتقل الى الرفيق الاعلى ، بل لان خبر السماء قد انقطع عن هذه البلاد ! » ..**

ودوت القاعة بالتصفيق .. تصفيق الايدى والقلوب !

وكانت هزة عنيفة ، لم تختلف بواعثها ومظاهرها هذه المرة فى جميع الاوساط ، هزة الغبطة والتقدير فى محيط الشباب المثقف ، وشيوخ العلم والادب ، ورجال الدين .. على السواء !

• • •

على أن الصورة الرائعة اشد ما تكون الروعة ، كانت حين أحرم طه حسين لاداء العمرة فى البيت الحرام !

وهناك طاف طه حسين بالكعبة ، والتقت شفتاه بالحجر الاسود فى قبلة عميقة خاشعة !

ولا شك أن طه حسين فى موقفه هذا ، وفى سعيه بين الصفا والمروة وفى زيارته للمسجد النبوى ، وفى كل خطوة كان يخطوها فى مهبط الوحى ومسارح النبوة ، وفى كل نسمة عطرة كان يملأ منها صدره ، وكل صدى علوى كان يتردد فى جنبات قلبه ..

لا شك أن طه حسين فى هذا الجو القدسى الذى يغمره كان مشدودا الى أفكار أخرى تلح على نفسه ، والى ذكريات بعيدة يراها حاضرة مجسمة بين يديه .

ولقد عبر عن ذلك بقوله :

– « **لقد سبق ان عشت بفكرى وقلبى فى هذه الاماكن المقدسة زهاء عشرين عاما ، منذ بدأت أكتب « على هامش السيرة ، حتى الان .. ولما زرت مكه والمدينه أحسست أنى أعيش بعقلى وقلبى وجسدى جميعا ، عشت بعقلى الباطن وعقلى الواعى .. استعدت كل ذكرياتى القديمة ، ومنها ما هو من صميم التاريخ ، ومنها ما هو من صميم العقيدة ، وكانت الذكريات تختلط بواقعى فيبدو حقائق حينا ورموزا حينا وكان الشعور بها يغمرنى ويملأ جوانب نفسى » ..**

ويعرض طه حسين تجربته مع المطوفين فى مكة ومع « المزورين » فى المدينة ، وهو الذى يريد أن يحلق وحده بجناحيه ، وان يخلو وحده مع ربه فى تأمله وخشوعه ومناجاته ..

يقول طه حسين :

– « .. وقد حاولت جهدى أن أتخلص من المطوفين والمزورين ، ولكن محاولاتى ذهبت هباء ، ووجدتنى بين أيديهم أردد بلا وعى ما يقولونه .. ووجدتنى فى الوقت نفسه وحدى وان كنت فى صحبتهم .. كانت شخصيتين : شخصية واعية بلا كلام ، وشخصية متكلمة بلا وعى !

« كانت الشخصية المتكلمة بلا وعى تردد كلام المطوفين والمزورين ، وكانت الشخصية الواعية بلا كلام تناجى ربها فى صدق وصمت وخشوع ! » .

أما هذه المناجاة التى كان طه حسين يتوجه بها الى الله فى صمت وخشوع ، فقد قال عنها عندما سئل عن ذلك :

– « **قلت له – سبحانه : اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والارض ، ولك الحمد أنت قيم السموات والارض ، ولك الحمد أنت رب السموات والارض ومن فيهن .. أنت الحق ، ووعدك الحق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، والساعة حق ..**

« **اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك أنبت ، وبك خاصمت ، واليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت .. أنت الهى ، لا اله الا أنت » .**

كلمات مضيئة مؤمنة واعية ، تصدر عن قلب مؤمن بالله ، عامر بحب دينه ، تستثير كوامنه هذه اللحظات التى يتنسم فيها عبير البيت الحرام ، ويتمسح بأركان الكعبة المشرفة ، ويقبل الحجر الاسود ، فيعبر عن ذلك كله بهذه المناجاة النبوية التى تربط الفرع بالاصل ، وتؤكد برهان الصدق والاخلاص على لسانه ..

رحم الله طه حسين ، واكرم مثواه ، وخلد فى الصالحين المصلحين ذكراه ..

فكرة النهضة و الحضارة عند مالك بن نبي

الأستاذ محمد دياب

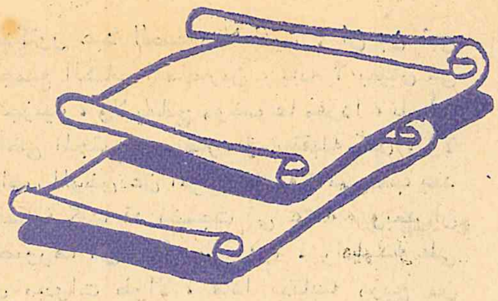

فقد العالم الاسلامى والانسانى كله فيلسوفا عظيما وعالما كبيرا وأديبا مبرزا ومفكرا اسلاميا عالميا .. هو مالك بن نبى

ولا أدعى أننى استطيع فى هذا المقال أن أقدم مالك بن نبى الفيلسوف العالم الاديب المفكر .. كما أننى لا أحاول أو أؤرخ لحياة هذا النجم الذى هوى فى تواضع وصمت .. كل ما أحاوله - ان استطعت - أن ألقى بعض الضوء على رسالته فى خدمة النهضة والحضارة والفكر والثقافة والدين والسياسة والتوجيه والاخلاق والادب جميعا فى المجتمع العربى والاسلامى الواسع .

وقد ترك لنا مالك بن نبى تراثا ضخما من فكره ونضاله تمثل فى كثير من الكتب والمؤلفات التى خلفها .. وأذكر منها - على سبيل المثال - كتابه « الظاهرة القرآنية » وكتابه « شروط النهضة ومشكلات الحضارة » وكتابه « الاسيوية الافريقية » وقصته « لبيك » .. وغيرها من الكتب والقصص التى تعتبر من أندر الذخائر فى حلبة الصراع الانسانى من أجل النهضة والحضارة والتقدم .

والواقع أن مالك بن نبى لم يكن كاتبا محترفا يتخلص من كلماته المتثائبة على الورق .. ولكنه كان مجموعة حية متفاعلة بالتجارب الخصبة التى اختلطت فيها القسوة بالمأساة بالتأمل بالفكرة بالصراع بالرأى .. ليفتح لنا من كل ذلك آفاقا واسعة للصحوة واليقظة .. لا فى بلده الجزائر فحسب .. بل فى الوطن العربى والاسلامى جميعا .

يقول الدكتور عبد الصبور شاهين : ان بن نبي يتميز عن جميع الكتاب المعاصرين ، بأنه لا يعيش في اطار فكرة جزئية ، ولا يعالج موضوعا مفردا ، بل هو يفكر في ماضي المجتمع وحاضره ومستقبله ككل ، ولا تشغله أعراض المرض عن المرض نفسه ، ثم يكتب بعد أن تكون الفكرة كلها قد نضجت في عقله ، وبعد أن يكون قد تصورها من سائر وجوهها ، وأدارها على كل احتمال سنوات طوالا ، فاذا بكتابته مزيج من التفكير العميق ، والتعبير العلمي ، والايمان الرائع .

وهكذا .. فان فكرة النهضة لم تنبعث في نفس بن نبي عن عاطفة طارئة .. أو نزوة طائشة .. أو انسياق وراء الدعايات المذهبية .. أو دعوة الى عصبية مضطربة .. ولو أنه كان كذلك لما تجاوز دعاؤه حدود بلاده الجزائر .. انما انبعثت فكرة النهضة في نفسه عن عاطفة أصيلة .. وفطرة انسانية .. وتأمل في أركان التاريخ وأحداثه وعناصر الحضارات الغابرة والمعاصرة : كيف تتكون ؟ كيف تنهض ؟ كيف تسبق ؟ كيف تكبو ... وكيف تندثر ؟ ثم كيف تتجدد أيضا ؟

ان الحضارة عند بن نبي كائن حي يجري عليه ما يجري على سائر الكائنات .. غير أنها لاتصالها بأرقى الحيوانات الارضية وهو الانسان .. لا تتخلق ولا تربو الا في حرارة المثل الاعلى وهو الدين .. أما تلك التيارات المختلفة فليست سوى أزمات داخل الحضارات .. يتيح وجودها للناس أن يقارنوا بينها وبين الحق .

على أن أهم ما يميز هذه الازمات .. أن ضحاياها يتسمون بالحيرة والقلق ازاء المشكلات الحاضرة .. وكأنهم محبوسون في اطار مغلق يشعرون داخله بالعجز والضحالة .. فاذا أرقتهم الحيرة تعاطوا من الكلمات ما يخدر الضمائر والمشاعر .. ومن هنا تكثر في لغتهم الالفاظ البراقة التي تنفلت من أيديهم معانيها . وحتى عندما تتفتق عبقرية هؤلاء الضحايا عن حلول لبعض المشكلات .. فانهم لا يجدون في هذه الحلول سوى مسكنات وقتية تزيد مشكلاتهم تعقيدا .. لان أي حل منها لا يخرج عن كونه مستوردا أو مختلفا .

هذا المفهوم لحضارة الانسان بصورتيه الخلقية والاجتماعية .. هو المادة الاساسية لمؤلفات مالك بن نبي .. وهو منطلقه الى تخطيط فكري شامل لحلول المشكلات التي يعاني منها المجتمع العربي والاسلامي الالام والويلات .

وفي كتابه « شروط النهضة ومشكلات هذه المشكلات .. وفيه طريقة جديدة لحلها في ضوء التفسير القرآني .. وفيه أيضا مناقشة خطيرة ومثمرة بين العلم والدين تعطينا أوثق النتائج التي تهدف الى تحريك النهضة .

وفي قصته « لبيك » التي اتجه فيها اتجاها أدبيا .. والتي اعتبرها البعض غريبة على منهجه كداعية اسلامي .. نجد نفس القبسة الاجتماعية التي تتجه الى وضع لبنات في بناء النهضة .

وفي كتابه « شروط النهضة ومشكلات الحضارة » .. تهز شدة المأساة مالك بن بني .. فلا ينخلع ولا يفزع .. بل يتأمل في الدواء ويحاصر المشكلة .. ويخطط لها الحل .

وقد صدر بن نبي هذا الكتاب العلمي الباذخ بأنشودة جميلة تقول :

« أي صديقي :

« لقد حانت الساعة التي ينساب فيها شعاع الفجر الشاحب بين نجوم الشرق .. وكل من سيستيقظ يتحرك وينتفض في خدر النوم وملابسه الرثة .

« ستشرق شمس المثالية على كفاحك الذي استأنفته .. هناك في السهل .. حيث تهجع المدينة التي نامت منذ أمس

« ستحمل اشعاعات الصباح الجديد ظل جهدك المبارك في السهل الذي تبذر فيه .. بعيدا عن خطواتك . وسيحمل النسيم الذي يمر الان البذور التي تنثرها يداك .. بعيدا عن ظلك

« ابذر يا أخي الزارع .. من أجل أن تذهب بذورك بعيدا عن حقلك .. في الخطوط التي تتناءى عنك

« ها هي بعض الاصوات تهتف .. الاصوات التي أيقظتها خطواتك في المدينة وانت منقلب الى كفاحك الصباحي .. وهؤلاء الذين استيقظوا بدورهم سيلتئم شملهم معك فورا

« غنى يا أخي الزارع .. لكي تهدي بصوتك الخطوات التي جاءت في عتمة الفجر .. نحو الخط الذي يأتي من بعيد

وليبدو غناؤك البهيج كما روى من قبل غناء

الانبياء •• فى فجر آخر •• فى الساعات التى ولدت فيها الحضارات

« وليملأ غناؤك أسماع الدنيا أعنف وأقوى من هذه الجوقات الصاخبة التى قامت هناك

« ها هم يصبون الان على باب المدينة التى تستيقظ .. السوق وملاهيه .. لكى يميلوا هؤلاء الذين جاءوا على اثرك •• ويلهوهم

« وها هم قد أقاموا المسارح والمنابر للمهرجين والبهلوانات •• لكى تغطى الضجة على نبرات صوتك

« وها هم قد أشعلوا المصابيح الكاذبة لكى يحجبوا ضوء النهار •• ولكى يطمسوا بالظلام شبحك •• فى السهل الذى أنت ذاهب اليه •

« وها هم قد جملوا الاصنام ليلحقوا الهوان بالفكرة

« ولكن شمس المثالية ستتابع سيرها دون تراجع •• وستعلن قريبا انتصار الفكرة •• وانهيار الاصنام •• كما حدث فى الكعبة » •

هكذا تكتشف لنا أنشودة بن نبى عن أعماقه الدقيقة الوثيقة فى فلسفة النهضة •• هذه الفلسفة التى لا تقدم حلا أو اقتراحا بحل قبل تنقية البيادر كلها من رواسب الفوضى وبقايا الانحطاط •• وقبل القاء الاضواء على الحقب الهامدة التى تحركها البطولات لتدخل مرحلة الافكار •• ثم مرحلة الصراع بين الفكرة والوثن أو الخرافة سواء كانت دينية أو سياسية •• وهى المرحلة التى استغلها الاستعمار فى تفرقة الامة العربية والاسلاميه وبعثرة قواها •

ان الاستعمار ــ فى رأيه ــ ليس مجرد عارض •• بل هو نتيجة لتخلف الشعوب التى تبتلى به •• وتلك هى المشكلة التى يبرزها بن بنى ويؤكد « اننا لكيلا نكون مستعمرين •• يجب أن نتخلص من القابلية للاستعمار » .. ثم هو يقدم ايضا التبرير التاريخى والنقدى والعقلى للاساس الربانى الذى يبلور هذه النظريه فى قول الله تعالى : « **ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** » •• وهنا ينبثق حل المشكلة كنتيجة حتمية لتلك النظرية التى تتكون بطريقة منطقية طبقا للتكوين الاساسى لكل حضارة •• حيث تتكون من الانسان والتراب والوقت والمرأة والزى والتكيف والثقافة •• وتلك الاشياء هى المشكلة الانسانية كلها •

وقد استطاع مالك بن نبى ــ كمهندس ــ أن يصور كل هذه المحاور تصويرا فنيا •• كما سمحت له ثقافته المزدوجة بأن يصل هذا التصور بأنخطة الانسانية •• انطلاقا من التجديد الاسلامى الذى يتجلى فيه قطبا النهضة « الروح والفن » .. وآملا واعدا بأن نتوافق الصحوة العربية والاسلامية مع ايقاع النغم فى الضمير العام الذى يبحث عن الطمأنينه والامن والسلام •

وفى تحليله العلمى الدقيق للحضارة •• يرى مالك بن نبى أن الاسلام لم يكن يعم البلاد كدين وانما كحضارة •• حتى لقد تعلم القسيس « هربرت » العلوم الاسلامية وارتقى عرش البابوية باسم البابا « سلسفتر الثانى » •• وأصبح المحرك الاول للحرب الصليبية الاولى .. وما كان لذلك انيحدث لولا أن الاسلام قد جاء بعهد جديد فى تاريخ العلاقات بين الشعوب •

ومن سوء حظ الانسانية ــ كما يقول بن نبى ــ أن أوربا نسيت أو تناست هذه الحقيقة •• وأصبح الواقع كما لاحظه « جوستاف لوبون » هو أن جميع الوسائل قد اتخذت لمحو الحضارة الاسلامية من سجل التاريخ .. ومن أجل ذلك زور الكتاب الغربيون التاريخ •• وأصبحت المدنية فى نظرهم هى تلك المسافه المختزلة التى تبتدىء من « الاكروبول » فى أثينا وتنتهى عند قصر « شايو » بباريس •• ولو أنهم كانوا منصفين لوجدوا هوة كبيرة تفصل حضارة ارسطو وحضارة ديكارت ... وان تلك الهوة من القرون هى الحضارة الاسلامية التى كانت همزة الوصل فى التاريخ الانسانى بين حضارة باريس وأثينا •

ويرى بن نبى ايضا ان المدنية الحاضرة تخطت الحضارة الاسلامية التى تحمل رسالته الانسانية •• لتاخذ من الحضارة الرومانية روحها الاستعمارية القيصرية •• مما يحتم على الانسانية أن تختار بين هاتين القيادتين فى مستقبلها •• فاما أن يكون مستقبلها نوما تغط فيه ولا تستطيع النهوض فتعجز عن تجديد حضارة تسوم الانسانية سوء العذاب •• واما أن تأتى بحضارة تكون للبشر جميعا •• تستخدم مواهبهم المتنوعة •• وتطور قواهم المتعددة •

يقول مالك بن نبى : ان فى هذين الاحتمالين عقدة عصرنا الحاضر •• وأن تلك العقدة بيد « الكبار » •• فهل هم يريدون حلها لصالح الانسانية ؟ مهما يكون

من أمر ٠٠ فان واجبنا نحن « غير الكبار » أن نتحدث فى الاشياء التى تخصنا ٠٠ ومنها ذلك المعامل الاستعمارى الذى يعمل فى حياة الفرد ضد مصيره وضد ضميره ٠٠ وان الواجب يقضى على كل « غير كبير » أن يشعر بما تنطوى عليه شخصيته من قيمة جوهرية .. هى تراثه الخاص الذى لا سلطات لاحد عليه ٠٠ فكما أن للاستعمار أن يتصرف فى الزمان والمكان ٠٠ فكذلك لا يستطيع أحد أن يتحكم فى عبقرية الانسان ٠٠ ومادامت القيم الجوهرية الثلاث « الانسان والتراب والوقت » فى يد شعب ٠٠ فان هذا الشعب يمسك بيده مفتاح الاقدار ٠

وما أروع هذه الانشودة الرمزية التى يصور فيها فيلسوفنا الكبير نظريته الحضارية ٠٠ فى كناية بارعة ٠٠ وجمال أدبى فذ ٠٠ والهام اجتماعى عميق ٠٠ انه يقول فى هذه الانشودة :

« فلما عصى آدم ربه وغوى ٠٠ انزله الله الى الارض منبوذا ٠٠ ولم يكن له ما يستر به جسده الا بعض أوراق من الشجر .. ولم يكن له من زاد الا الندامة التى كانت تعتصر قلبه ٠٠ وتنهش ضميره ٠

« ولما وطئت قدماه الارض ٠٠ سخرت الوحوش من ضعفه ٠٠ وهزأت القوى الطبيعية من عريه وفقره ٠٠ فاحس آدم بالجوع والبرد والخوف ٠٠ ففر هاربا وأوى الى غار مظلم

« لقد بدأ هناك يفكر فى فقره ووحدته فى بيئة كل من فيها يعاديه .. وهو لا يعرف من اسرارها شيئا

« نظر الى السماء فرأى الطير يكتسحها ٠٠ ونظر الى البحر فرأى السمك يرتع فيه ويلعب .. وتطلع الى الارض فاذا بالوحوش تصول فى الغاب وتجول

« فغبط آدم هذه الحيوانات كلها ٠٠ لما أوتيت من مأكل ومأوى ٠٠ ولما أمنت من خوف ٠٠ وازداد فى قلبه الندم حتى ملك عليه نفسه

« هنالك رفع يديه الى السماء يتضرع ٠٠ فاستجابت له السماء قائلة : اذهب أيها الرجل ٠٠ فانى أعطيتك عقلا ويدا ٠٠ وأعطيتك ترابا وزمانا ٠٠ اذهب فان لك فى الحياة ان تفعل مثل ما يفعل الطير فتحلق فى الفضاء ٠٠ وأن تغوص فى اليم مثل الحوت فتعبر المسافات الطويلة فى البحار ٠

« حينئذ ارتدت الى آدم نفسه .. وتفتحت مغاليق الحياة أمام عينيه ٠٠ واذا بشمسها تسطع على غاره المظلم ٠٠ وتضيء له السبيل الى مستقبله الساطع الخلاب » ٠

......

....

وبعد ٠٠ فهذه مجرد اشارات الى بعض الجوانب السريعة فى رسالة مالك بن نبى ونضاله الفكرى والحضارى ٠٠ تلك الرسالة الواسعة العريضة التى وهب لها ذلك المفكر الاسلامى العظيم نفسه وروحه وعمره ٠ وخليق بشباب المثقفين العرب والمسلمين – وقد هبت رياح النصر واستقام شراع السفين – أن يتحلقوا حول فكر بن نبى .. ويدرسوا منهجه المتكامل فى المجتمع والحضارة ٠٠ والدين والسياسة ٠٠ والفلسفة والثقافة ٠٠ حتى ينسجوا من كل ذلك خيوط الشمس الجديدة التى أشرقت فى الافق العربى والاسلامى ٠

وتحية الى روح مالك بن نبى ٠٠ ذلك النجم المتألق فى سمائنا أبدا ٠٠ ما بقيت فى دنيا الناس عروبة ٠٠ وما نور مسيرتها اسلام ٠

شخصيات إسلامية

السيدة نفيسة

رضي الله عنها

الأستاذ توفيق أبو علم

وأبو بكر محمد بن أحمد بن جعفر الكناني المصرى المشهور بابن الحداد وكان أماما مدققا في العلوم ، وكان كثير العبادة ، يصوم يوما ويفطر يوما ، ويختم في كل يوم وليلة جميع القران ، ويختم في يوم الجمعة في الجامع قبل الصلاة ختمة أخرى في ركعتين ، وقد أخذ الفقه عن جماعة منهم المنصور التميمي ، ومحمد بن حرب .

وحمزة بن محمد بن العباس أبو القاسم الكناني المصرى ، وكان صالحا دينا ، بصيرا بالحديث وعلله مقدما فيه ، ولم يكن في المصريين في زمانه أحفظ منه ، وعبد المنعم بن عبد الله ابن غلبون ابن المبارك أبو الطيب الحلبي نزيل مصر ، أستاذ ماهر كبير كامل ثقة خير صالح دين ، ولد بحلب في رجب سنة تسع وثلاثمائة ، وانتقل الى مصر فسكنها وألف كتابه : « الارشاد في السبع » روى القراءة عرضا وسماعا عن ابراهيم بن عبد الرازق والحسين ابن خالويه وغيرهما ، وعرض عليه ابنه وكثير من علماء القراءات ، وكان حافظا للقراءة ، ضابطا ذا عفاف ونسك وفضل وحسن تصنيف ووجد بخطه على بعض مؤلفاته :

— ١١ —

صنفت ذا العلم أبغى الفوز مجتهدا
لكى أكون مع الابرار والسعدا
في جنة في جوار الله خالقنا
في ظل عيش مقيم دائم أبدا

وعبد الغني بن سعيد الازدى ، المصرى السمرقندى ، وكان ثقة صاحب سنة حافظا علامة ، وكان الدارقطني يفخم أمره ويرفع قدره ، خرج جماعة من مصر يودعون الدار قطني ويبكون لفراقه فقال : « أتبكون وعندكم عبد الغني وفيه الخلف » وقد انتفع به خلق كثير .

ومحمد بن على بن أحمد الامام أبو بكر الادفوى المصرى وكان متمكنا من اللغة العربية بصير بالمعانى ، كما برع في علوم القرآن وكان سيد أهل عصره بمصر ، وله كتاب التفسير في مائة وعشرين مجلدا سماه الاستغناء في علوم القرآن ، وقد ألفه في اثنتى عشرة سنة .

والحوفى أبو الحسن على ابن ابراهيم بن سعيد صاحب أعراب القرآن في عشر مجلدات ، وكان اماما في العربية والنحو والادب ، وله تصانيف كثيرة ، والقضاعي القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة المصرى ، الفقيه الشافعي قاضي الديار المصرية ، وله مؤلفات عدة .

والحبال الحافظ الامام المتقن محدث مصر أبو اسحاق ابراهيم بن سعيد بن عبد الله النعماني ونصر ابن عبد العزيز أبو الحسن الفارسي الشيرازى وهو شيخ محقق امام مسند ثقة عدل ، وله كتاب الجامع في القراءات العشر ، ويحيى بن على أبو الحسن المصرى ويعرف بابن الخشاب ، وأحمد بن عبد الله بن أحمد ابن هشام أبو العباس اللخمي الفاسي ، وغير هؤلاء كثير ، وقد ذكر منهم ممن زاروها في حياتها ، وبعد وفاتها ، جمهرة من الصالحين والعلماء ، والى اليوم يوالى زيارة مقامها الكثير من العلماء والعباد الصالحين ممن لا يحصيهم الا الله تعالى .

واقعة أحمد بن طولون :

ذكر القرماني في تاريخه وصاحب الغرر وصاحب المستطرف :

انه لما ظلم أحمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة يشكونه اليها فقالت لهم : متى يركب ؟ قالوا : في غده فكتبت رقعه ووقفت في طريقه ، وقالت : (يا أحمد يابن طولون) فلما رآها عرفها فنزل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فاذا فيها : « ملكتم فأسرتم ، وقدرتم فقهرتم ، وخولتم ففسقتم وردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم أن سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب أوجعتموها ، وأكباد جوعتموها ، وأجساد عريتموها فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم ، اعملوا ما شئتم فانا صابرون ، وجوروا فانا بالله مستجيرون ، واظلموا فانا الى الله متظلمون ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » قال : فعدل لوقته .

وهذه الواقعة مردود عليها : —

أولا — أن ظهور الدولة الطولونية التي أولها أحمد ابن طولون كان في سنة أربع وخمسين ومائتين كما في

تاريخ الاسحاقى ، وسنة خمسين ومائتين على ما فى تاريخ القرمانى ، ووفاة السيدة نفيسة كانت فى رمضان سنة ثمان ومائتين باتفاق ، ويعلم ذلك بمراجعة كتب التواريخ .

ثانيا - أن السيدة نفيسة رضى الله عنها كريمة الدارين سيدة طاهرة تقية بحيث لا يتوهم غبى غافل فضلا عن فطن عاقل أنها تذهب الى أحمد بن طولون ، وتقف بالطريق تنتظره ليمر بها .

ولكن يمكن أن تغير الاسماء والظروف .. ونردها الى شكوى بعض الناس من حاكم فى عهد السيدة نفيسة .. فاستدعته الى دارها ، وأوضحت له طريق الحق والعدل ، فعاد الى السير فى الخط المحمدى ، وذلك نظرا الى أن مجلس السيدة نفيسة كان يفد عليه العلماء وراغبوا العلم . ولابد أيضا أن تثار قضايا الحياة فى المجلس النفيسى ، ولابد أن يكون لها دور فى عمل كل ما هو خير ، ومحاولة تغيير كل ما هو غير صالح .

ويوافقنى الاخ محمد شاهين حمزة على وجود اختلاف كبير فى ايراد هذه القصة كما يذكر أن ابن طولون كان يعبد الله حق عبادته حين يكون منفردا ، وحين كانت تأخذه العزة بالاثم حين يباشر سلطاته فى أمور الناس حتى ضجت الرعية مما وقع عليها من ظلم ، وتلقاء تعبده وجده بحق أشفق عليه من معبة معاملته للناس فارشد وحيا وهو فى حلم كاليقظة الى أن يعدل ، وذكر بما ورد عن ذلك فى القرآن الكريم والحديث الشريف فأصاخ الى ما أرشد اليه وأطاع ، وحكم بالعدل بعد ذلك ، ثم أغرق فى عبادة الله حتى لقى ربه وهو من المقبولين .

كريمة الدارين تحفر قبرها فى دارها :

استقرت السيدة نفيسة رضى الله عنها فى الدار التى وهبها لها أمير مصر « السرى بن الحكم » فى خلافة المأمون العباسى . وانتقلت اليها فى سنة احدى ومائتين فى ولايته الثانية ، وقد سارع الى أخذ البيعة بعد المأمون لولى عهده على بن موسى بن جعفر بن على ابن أبى طالب رضى الله عنهم ، وقد سماه المأمون بالرضا ، وقد مات السرى بالفسطاط .

ويقول العلامة الاجهورى رحمه الله :

ان السيدة نفيسة رضى الله عنها حفرت قبرها الشريف بيدها ، أى أمرت ببنائه فى حال صحتها لشدة شوقها للقاء خالقها وعدم رغبتها فى الدنيا الفانية وزينتها وكانت عليها سحائب الغفران ، تنزل فيه للتعبد والتذكر بالدار الاخرة ، وكانت تصلى فيه النوافل العديدة حتى قيل أنها قرأت فيه ستة آلاف ختمة ووهبت ثوابها لاموات المسلمين بخلاف ما كانت عليه من التعبدات .

قالت زينب بنت أخيها :

« تألمت عمتى فى أول يوم من رجب ، وكتبت الى زوجها اسحاق المؤتمن كتابا ، وكان غائبا بالمدينة ، تطلب اليه فيه المجىء اليها وموافاتها لاحساسها بدنو أجلها وفراقها لدنياها واقبالها على أخراها ، ومازالت متوعكة الى أن كان أول جمعة من شهر رمضان فزاد عليها الالم وهى صائمة ، فدخل عليها الاطباء ، فأشاروا عليها بالافطار لحفظ قوتها ولتتغلب على مرضها وضعفها ، فقالت :

« واعجباه ، ان لى ثلاثين سنة وأنا أسأل الله عز وجل أن يتوفانى وأنا صائمة أفأفطر ، معاذ الله تعالى »

ثم أنشدت تقول :

اصرفوا عنى طبيبى
ودعونى وحبيبى
زاد بى شوقى اليه
وغرامى فى لهيب
طاب هتكى فى هواه
بين واش ورقيب
لا أبالى بفوات
حيث قد صار نصيبى
ليس من لام بعذل
عنه فيه بمصيب
جسدى راض بسقمى
وجفونى بنحيبى

فانصرف الاطباء وهم معجبون بقوة يقينها وثبات دينها ، وسألوها الدعاء ، فقالت لهم خيرا ودعت لهم .

قالت زينب :

« ثم انها بقيت كذلك وقد أفترها الداء الى العشر الاواسط من شهر رمضان فاشتد بها المرض واحتضرت ، فاستفتحت بقراءة سورة الانعام ، فلازالت تقرأ الى أن وصلت الى قوله تعالى **كتب على نفسه الرحمة)** ففاضت روحها الكريمة . وقيل : انها قرأت : **(لهمدار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون)** فغشى عليها » .

قالت زينب :

« فضممتها الى صدرى ، فاذا بها تشهد شهادة الحق ، وقبضت ، واختارها الله الى جواره ، ونقلها الى دار كرامته ، وكان ذلك فى سنة ثمان ومائتين ، وذلك بعد موت الامام الشافعى بأربع سنين » رحمهم الله جميعا .

وما أحسن ما قال بعضهم فى خروج روحها رضوان الله عليها :

روح دعاها بالوصل حبيبها
فأتت اليه مطيبة ومجيبة
يا مدعى صدق المحبة هكذا
صدق المحب اذا دعاه حبيبه

وقد أوصت السيدة نفيسة رضى الله عنها أن لا يتوى أمرها غير بعلها ، وكان مسافرا ، فلما ماتت قدم فى ذلك اليوم وهيأ لها زوجها تابوتا وقال: انى لا ادفنها الا بالبقيع عند جدها المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فتعلق به أهل مصر ، وسألوه بالله عز وجل أن يدفنها عندهم فأبى .

فاجتمعوا وذهبوا الى عبيد الله بن السرى ، أمير مصر ، وتوسلوا به الى اسحاق بأن يدفنها عندهم ، وأن يرجع عن عزمه ، وخاصة أنها حفرت قبرها بيدها فى دارها .

فسأله الامير فى ذلك ، وقال له : « بالله لا تحرمنا من مشاهدة قبرها ، فانا كنا اذا نزل بنا أمر جئنا اليها فى دارها فى حياتها نسألها الدعاء ، فما تنتهى من دعائها الا وقد كشف الله عنا مانزل بنا ، فدعها لتكون فى أرضنا ، فاذا نزل بنا أمر جئنا الى قبرها فسألنا الله تعالى عنده » . فأصر على نقلها ولم يرض ما طلبه القوم وما عرضه الوالى .

فجمعوا له مالا جزيلا وسق بعيره الذى وفد عليه ، وسألوه البقاء فأبى ، فباتوا فى ألم عظيم وهم مقيم ، وقد تركوا المال عنده ، فلما أصبحوا جاءوا اليه فوجدوا منه ما لم يروه من قبل ، فانه أجابهم عن طيب خاطر الى دفنها عندهم ، ورد عليهم مالهم ، فسألوه عن ذلك ، فقال :

« رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ، وقال لى : يااسحاق ، رد على الناس أموالهموادفنها عندهم » .

ففرح القوم وأخذوا يكبرون .

ولما توفيت اجتمع الناس من القرى والبلدان ، وأوقدوا الشموع تلك الليلة وسمع البكاء عليها من كل دار بمصر وعظم الاسف والحزن عليها ، وصلى عليها بمشهد حافل ودفنت بالمكان الذى حفرته .

وكان دفنها يوما مشهودا ، ازدحم فيه الناس ازدحاما شديدا وأخذوا يزورون قبرها ويأتون اليه من بلاد متعددة يصلون ويذكرون ويدعون .

وقد كانت وفاة السيدة الصالحة كريمة الدارين فى عهد ولاية عبد الله بن السرى بن الحكم الذى بايعه الجند فى يوم ٩ شعبان سنة ستة ومائتين فى اليوم التالى لوفاة أخيه محمد بن السرى أمير مصر .

وكان السرى وبنوه الامراء يبجلون السيدة نفيسة رضى الله عنها ويعظمونها فأمر عبد الله بأن يبنى لها مقام على قبرها اعلاما لعلو شأنها وآية على رفعة قدرها واظهارا لجلالها ، وكان بناء ذلك المقام عقب وفاتها سنة ثمان ومائتين ، وفى ولاية الحافظ لدين الله أبى الميمون عبد المجيد بن الامير أبى القاسم محمد بن الخليفة المستنصر بالله الذى ولى الخلافة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ومكث فى خلافته الى سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، وقد أمر ببناء قبة على قبرها الشريف وببناء مدفن للفاطميين يجاورها من الجهة الغربية .

وقد أخذ الكثيرون فى بناء القبور لهم ولذويهم حول ضريح السيدة نفيسة رضى الله عنها تبركا بجوارها .

وكان مكتوبا على باب المقام هذان البيتان وهما من قول الامام الشافعى ، رضى الله عنه :

يا آل بيت رسول الله حبكمو
فرض من الله فى القرآن أنزله
يكفيكمو من عظيم القدر أنكمو
من لم يصل عليكم لا صلاة له

عندما تزور المقام النفيسى :

وجب على من يزور مقام كريمة الدارين السيدة نفيسة رضى الله عنها أن يبدأ بصلاة ركعتين لله تعالى تحية لمسجدها ، ثم يتجه الى ضريحها فى خشوع ، قال أبو موسى : « دخلت الى ضريحها فوضعت يدى على الضريح ، فسمعت قائلا يقول « أهكذا تدخل على بيت أهل النبوة » .

ثم يقول الزائر عند دخوله من باب الضريح : « رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ، انه - حميد مجيد ، اللهمانك قد ندبتنى الى أمر قد فهمته واعتقدته وجعلته أجرا لنبيك محمد صلى الله عليه وسلم الذى هديتنا به اليك ودللتنا به عليك فكان كما قلت : (وكان بالمؤمنين رؤوفا رحيما) حبيبا اليه ما هديتنا عزيزا عليه ما عنتنا ، وتلك الفريضة التى سألتها له وهى المودة فى القربى ، اللهم انى مؤيدها مريد النفع بها فى دينى ودنياى متوسل اليك بها يوم انقطاع الاسباب اللهم زدهم شرفا وتعظيما ، وهب لنا بزيارتهم مغفرة وأجرا عظيما .

السلام عليكم يا بنى المصطفى ، يا بنى فاطمة الزهراء السلام عليك يا نفيسة العلم ، يا كريمة الدارين وجناح الرحمة ، السلام على آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعين ، اللهم صل على محمد وآل بيت محمد وعلى أصحاب محمد وعلى أزواج محمد وعلى ذرية محمد ، وسلم تسليما ، اللهم بلغنى ماأملت وما رجوت وأعد على وعلى المسلمين من بركاتهم ونفحاتهم يارب العالمين » .

وسلام على عباده الذين اصطفى ، والحمد لله رب العالمين .

البقيـة صفحة ٢١٠

عقبة بن عامر الجهنى

جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

الأستاذ عبد المنعم حسن الأدفوى

جاء فى المنتخب من السنة النبوية الشريفة الذى يصدره المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، أن عقبة هذا هو ابن عامر بن عيسى بن عمرو الجهنى .. الصحابى المشهور ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا ، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين .. كان قارئا عالما بالفرائض والفقه .. فصيح اللسان شاعرا وهو أحد من جمع القرآن .

واذا كان النهار لا يحتاج الى دليل فان مواهب عقبة التى فطره الله عليها تؤكد أنه قد جمع المجد من أطرافه ، اذ تكفى موهبة واحدة من هذه المواهب ليحتل الانسان الصدارة فى معترك الحياة ، فما بالك وقد تجمعت فيه فضائل ومواهب عديدة ، فهو قارىء يجيد ترتيل القرآن وهذه ميزة لا تتاح الا للمحظوظين وهو عالم بأحكام الدين وفرائضه وهذه ميزة تدنيه من الخير وتدنى الخير منه : من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، وهو فصيح اللسان وهذه الميزة الاولى للانسان على سائر المخلوقات ومن بينها الانسان نفسه ، وهو شاعر والشاعرية تعنى ارهاف الحس والوجدان والمشاعر ، كما تعنى أن صاحبها مرآة تعكس الحياة وتصورها فى دقة وجمال وبهاء وخاصة اذا كان قلب صاحبها ينطوى على الخير والمثل العليا والفضائل العالية والشمائل الكريمة .

ثم هو قبل ذلك وبعده أحد الذين جمعوا القرآن وبذلك تهيأت له أسباب العزة والكرامة والسؤدد لاسيما وقد كان سلوكه فى ضوء القرآن وعلى هديه ونوره .

وعقبة بطبيعته مؤهل للاستجابة الى الاسلام ، لم تستطع مغريات الدنيا ولا مشتهياتها ولا لذائذها أن تحول بينه وبين الهدى بعد أن لاحت له أنواره ، فهو يقول : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا فى غنم لى آرعاها فتركتها - تأمل واحكم - ثم ذهبت اليه ، فقلت تبايعنى يا رسول الله .. ؟ قال : فمن أنت ؟ فأخبرته فقال أيما أحب اليك : تبايعنى بيعة أعرابية - مجرد بيعة - أو بيعة هجرة - التزام فى سبيل الله - قلت : بيعة هجرة ، فبايعنى .

وقل أن تجد انسانا يترك ماله الذى هو قوام حياته وحياة أهله فور أن يصل الى سمعه أن هناك رسولا جاء يهدى الى الحق والى صراط مستقيم جاء لتوحيد الله وتنزيهه عن الشريك وترك عبادة الاصنام وعبادة القوة والمال والجاه والسلطان والجبروت فى شخص انسان أو جماعة .

وحكى عقبة عن نفسه آنه ذهب الى المسجد الاقصى ليصلى فيه فرآه ناس فاتبعوه ، فقال لهم : مالكم ؟ قالوا آتيناك لصحبتك لرسول الله صلى الله عليه وسلم لتحدثنا بما سمعت منه .. قال : انزلوا فصلوا فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من عبد يلقى الله عز وجل لا يشرك به شيئا ولم يتند بدم حرام الا دخل من أى أبواب الجنة شاء .

وروى عقبة كثيرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يدل على أنه كان ملازما للرسول حيث تنزل عليه تعاليم السماء ومن هذا الكثير : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **تدنو الشمس من**

الارض فيعرق الناس .. فمن الناس من يبلغ عرقه عقبيه ، ومنهم من يبلغ نصف الساق . ومنهم من يبلغ الى ركبتيه ، ومنهم من يبلغ الى العجز . ومنهم من يبلغ الخاصرة ومنهم من يبلغ منكبيه ومنهم من يبلغ عنقه . ومنهم من يبلغ وسط فيه وأشار بيده الجمها فاه - رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير هكذا - ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده وأشار وأمر يده فوق رأسه من غير أن يصيب الرأس دور راحتيه يمينا وشمالا .

ومما رواه عقبة عن الرسول : ثلاث ساعات نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلى فيهن أو أن نقبر فيهن موتانا : حين تطلع الشمس بازغه حتى ترتفع وحين يقوم قائم الظهيره وحين تضيف - يعني تميل الشمس - للغروب حتى الغروب .

ومما رواه عقبة عن الرسول : الجاهر بالقران كالجاهر بالصدقة والمسر بالقران كالمسر بالصدقه ، وشرح العلماء الذين علقوا على هذا الحديث في المنتخب من السنه الشريفه .. أن من يقرأ القران ويجهر به حين يقرأ ، له فضل عظيم كالجاهر بالصدقة لان كلا منهما يقتدى به غيره ممن لم يكن يفعل ذلك .. هذا اذا كان قصده توجيه الناس الى هذا الفعل وامتثاله واذا قصد الرياء بالجهر يكون آثما .

وأشار ابن عبد البر في الاستيعاب بالتفصيل الى كنيه عقبه بن عامر فمن قائل انه أبو حماد أو ابو أسيد أو أبو عمرو ، ومن قائل انه يكنى أبا سعد أو أبا الاسود أو أبا عمار أو أبا عامر .

وأورد ابن عبد البر أنه روى عن عقبة من الصحابة جابر وابن عباس وأبو امامة ومسلمة بن مخلد ، ومن التابعين كثير قال ابن عباس سمعت يحيى بن معين يقول : عقبة بن عامر الجهنى كنيته أبو حماد وكذلك قال ابن لهيعة .

أما عز الدين بن الاثير فقد ذكر في أسد الصحابة أنه روى عن عقبة من الصحابة : ابن عباس وأبو أيوب وأبو امامة وغيرهم ، ومن التابعين أبو الخير وعلى ابن رباح وأبو قبيل وسعيد بن المسيب وغيرهم .

وروى ابن حجر في الاصابة أنه روى عن عقبة جماعه من الصحابه والتابعين منهم ابن عباس وأبو امامه وجبير بن نفير وبعجة بن عبد الله الجهنى وابو ادريس الخولانى وخلق من أهل مصر .

وقد شهد عقبة فتوح الشام . وكان هو البريد الى عمر بفتح دمشق . وكان من أحسن الناس صوتا بالقران . كما كان مع معاوية في موقعه صفين .

وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أن عقبه سكن مصر وكان واليا عليها وبنى بها دارا وتوفى في آخر خلافه معاويه .. وكان عقبة - كما جاء في أسد الغابه - من اصحاب معاويه بن أبي سفيان وولى له مصر وسكنها وتوفى بها سنة ثمان وخمسين من الهجره ، وكان يخضب بالسواد .

وفي الاصابه لابن حجر قال أبو عمر الكندى جمع له معاويه في امرة مصر بين الخراج والصلاة ، فلما أراد عزله كتب اليه أن تغزو رودس . فلما توجه سائرا استولى مسلمة فبلغ عقبه ذلك فقال أغربة وعزلا .

« بقية مقال : السيدة نفيسة »

وقال الموفق بن عثمان :

« كان بعض السلف يزور السيدة نفيسة ، رضى الله عنها ، فيقول عند ضريحها : السلام والتحية والاكرام والرضى من العلى الاعلى على السيدة نفيسة ، سلالة نبى الرحمة ، وشفيع الامة من ابوها علم العترة وهو الامام حيدرة . السلام عليك يا بنت الامام الحسن المسموم ، أخى الامام الحسين المظلوم ، السلام عليك يا بنت فاطمة الزهرا ، وسلالة خديجة الكبرى . رضى الله عنك وعن أبيك وعمك وجدك ، وحشرنا الله في زمرتهم أجمعين ، اللهم بحق ما كان بينك وبين جدها محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ، أجعل لنا من أمرنا الذى نزل بنا باب انفراج واقض حوائجى ، فان كانوا جماعة ، يقولون واقض حوائجنا في الدنيا والاخرة بمحمد وآله وصحبه أجمعين .

وكان بعضهم يدعو بدعاء آخر فيقول :

السلام والتحية والاكرام ، على أهل بيت النبوة والرسالة الكرام ، السلام والرحمة على نفيسة بنت الحسن الانور بن زيد الابلج بن الحسن السبط بن على وابن فاطمة الزهراء رضى الله عنكم أنتم غياث لكل قوم في اليقظة والنوم ، فلا يحرم فضلكم الا محروم ولا يطرد عن بابكم الا مطرود ، ولا يواليكم الا مؤمن تقى ، ولا يعاديكم الا منافق . اللهم صل على سيدنا محمد وعلى اله وأعطنى خير ما رجوت بهم وبلغنى خير ما أملت فيهم يا آل بيت المصطفى انما السرور والسلامه فيكم ، جئتكم قاصدا فبالله اقبلونى فقد حسبت عليكم . اللهم :

انى ألوذ بحب آل محمد
ارجو بذلك رحمة الرحمن
منى الدعاء بحبهلك دائما
يا دائم المعروف والغفران

وكان بعضهم يقف على ضريحها ويقول :

يا رب انى مؤمن بمحمد
وبآل بيت محمد وموالى
فبحقهم كن لى شفيعا منقذا
من فتنة الدنيا وشر مآلى

التيفاشى

تمهيـــد

ثروات مختلفة ألوانها ، اختص الله تعالى بها الشرق الاوسط والبلاد الاسلامية جميعها ، على ممر العصور والايام ، فقبيل الفتح الاسلامى كان البحر المتوسط يزخر بتلك الثروات التى تتركز فى أمهات أربع هى : العملات الذهبيـة ، والبردي ، والاقمشـة الارجوانية الفاخرة والتوابل ، التـى كانت تصل تباعا أو تصـنع فى مصر وسوريا ، ثم تصدر الى بيزنطة وأوروبا .

الدكتور
أحمد سعيد الدمرداش

وعندما أظل الاسلام هذه المناطق ، تجمع الذهب فيها مصدرا أساسيا لهذه الثروات ، من القرن التاسع حتى القرن الحادى عشر ، ذهب السودان من غرب وشرق أفريقيا ، وذهب القصور الفارسية والاديرة البيزنطية ، وذهب ما وراء النهر ، وحرم القرآن اكتناز الذهب والفضة ، حتى لا يسبب احتباسهما شللا للتجارة والمعاملات الاقتصادية ، وأمسى البحر المتوسط بحيرة اسلامية يخشى الولوج فيه أباطرة بيزنطة ، وأباطرة القوط والقبائل الجرمانية ، بل أخذ ميزان المدفوعات يميل لصالح البلاد الاسلامية جميعا ، فالبردى استمر فى التداول ، وتجارة الاقمشة الشرقية المصبوغة بالارجوان ، والموشاة بالذهب لم تنقطع فى مسيرتها من الشرق الى أوربا ، وكذلك تجارة التوابل .

ثم مال الميزان بعد ذلك لصالح الغرب ، وفقد الذهب بريقه من الشرق ، لانه أصبح عملة تتداولها الشعوب ، ولم تعد الندرة النسبية ميزة تجعله فى المقام الاسمى ، فسعى الامراء والملوك الى البحث عن بديل له ، يكتنزونه فى خزائنهم ، ثم يجدونه أمامهم اذا ما طوحت بهم طوائح الزمن ، أو اذا ما تربوا بعد الاتراب .

لذلك نراهم يتهافتون على الجواهر والاحجار الكريمة . ويتفننون فى اقتنائها ، وظهر خبراء ومؤلفون فى هذا الفن ، فها هو أبو الريحان البيرونى يؤلف كتابه « الجماهر فى معرفة الجواهر » ويصاحب ملوك غزنة فى غزواتهم للهند بلاد الجواهر واليواقيت ، ثم يتابع التأليف فى هذا المضمار « الطفرائى » الذى ولى الوزارة بمدينة «اربل» وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقى بالموصل قبل عام ٥١٣ هـ ، ثم عالمنا الكبير « التيفاشى » موضوع مقالنا .

ولنمض للتعرف به مسرعين !!

تاريخه : هو أحمد بن يوسف أحمد بن أبى بكر بن حمدون ، شرف الدين القيسى التيفاشى ١١٨٤ ــ ١٢٥٣ م عالم بالحجارة الكريمة . ومن أهل تيفاش [من قرى حفصة بافريقيا] ولد بها ، وتعلم بمصر ، وولى القضاء فى بلده ، ثم عاد الى القاهرة وتوفى بها . نبغ فى الخبرة بالاحجار الكريمة ، وبعلم الكيمياء .

مؤلفاته :

١ – أزهار الافكار فى جواهر الاحجار ، أو أزهار الافكار فى جواهر البحار (مخطوط فى جوتا وليدن وباريس) .

٢ – كتاب فى الاحجار التى توجد فى خزائن الملوك وذخائر الرؤساء من الجوهر والياقوت [مخطوط بدار الكتب المصرية) .

٣ – كتاب الباه (ميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية) .

وضعه فيما يكون من النساء من الاوصاف ، والاشكال المستحسنة ، وفى كل ما يحتجن اليه من ادويه وزينة ، ورتبه على عشرة أبواب .

ويلاحظ أن هذه الدراسات قد سبقه اليها « ابن سينا » ، اذ كتب رسالة أيضا فى هذا الموضوع ، ومحمد بن زكريا الرازى ، وقسطا بن لوقا البعلبكى ، وكل هذه الكتب لها ميكروفيلم موجود بمعهد المخطوطات المذكور .

أما كتاب التيفاشى الخاص بالاحجار ، فقد كان له أثر كبير فى عالم مصرى اسمه « بيلك القبجقى » الذى صنف فى حدود عام ١٢٨٢ م كتابه « كنز التجار فى معرفة الاحجار » ولهذا الكتاب أهمية خاصة ، اذ نجد فيه توضيحا لاستعمال الابرة الممغنطة (البوصلة) عند البحارة وطرق استعمالها .

وقد اقتصر التيفاشى فى كتابه عن الاحجار التى توجد فى خزائن الملوك والرؤساء على ذكر الاحجار الكريمة فقط ، وعددها خمسة وعشرون حجرا ، « مما لا يستغنى عن اقتنائه (أى الكتاب) ملك كبير ولا رئيس خطير ، لما اشتمل عليه من عظيم المنافع ، وعجايب الجواهر ، ولم أشرك بها ذكر شىء من الاحجار المتداولة فى ايدى العوام الغريبة الخواص » .

وهذه الاحجار هى كالاتى متوجة بذكر جوهر سرو فى أولها :

الياقوت – الزمرد – الزبرجد – البلخشى – البنفش – البجادى – الماس – عين الهر – البازهر – الفيروزج – العقيق – – الجزع – المغناطيس – السبناذج – الدهنج – اللازورد – المرجان – السبج – الجمشت – الخماهان – اليشم – البصب – البلور – الطلق .

وتكلم التيفاشى على كل واحد من هذه الاحجار من خمسة أوجه :

الاول : سبب علة تكونه فى معدنه .
الثانى : سبب معدنه الذى يتكون فيه .
الثالث : ذكر جيده ورديئه .
الرابع : ذكر خواصه ومنافعه .
الخامس : مبلغ قيمته وثمنه على أوسط الامور

أفراد احدى القبائل المتخصصة فى استخراج اللآلىء

ويلاحظ أنَ هذه الاحجار الكريمة مذكورة فى القرآن ، وفى التوراة ، فمثلا فى سفر الرؤيا يذكر ما يلى :

وقاس سورها مئة وأربعين ذراعا — ذراع انسان — أى الملاك ، وكان بناء سورها من يشب والمدينة ذهب نقى شبه زجاج نقى ، وأساسات سور المدينة مزينة بكل حجر كريم . الاساس الاول يشب ، الثانى ياقوت أزرق . الثالث عقيق أحمر . السابع زبرجد ، الثامن زمرد سلقى ، التاسع ياقوت أصفر ، العاشر عقيق أخضر ، الحادى عشر اسمانجونى ، الثانى عشر جمشت ، والاثنا عشر بابا ، اثنتا عشرة لؤلؤة كل واحد من الابواب كان من لؤلؤة واحدة ، وسوق المدينة من ذهب نقى كزجاج شفاف » .

يقول التيفاشى عن الزمرد أن معدنه يوجد بالقرب من قوص على مسيرة عشرة أيام ، وقد اشترى زمردة وزنها اثنا عشر مثقالا من نوع الزمرد الريحانى ، فقومت بدمشق بثلاثين ألف درهم .

ويلاحظ أن الزمرد هو احدى مركبات فلز البريليوم مع الالومنيوم والسليكون والاكسجين ويوجد حاليا بوادى السكرى فى الصحراء الشرقية ، وقيمة الزمرد الان ليس فى كونه احدى الجواهر الكريمة ، ولكنه يعتبر مصدرا لعنصر البريليوم الخفيف (وزنه النوعى ١ر٨٥) فهو أخف مرتين من الالومنيوم ، وقد استطاع علماء التكنولوجيا انتاج سبائك منه مع الفلزات الاخرى ، تعوم فوق الماء ، وصلدة كصلادة الفولاذ ، ومرنة كالمطاط ، وشديدة التحمل كالبلاتين .

ويقول الجيوكيمائيون بأن البريليوم هو فلز المستقبل ، اذ لولاه لما سيطر الانسان على الفضاء باستخدام سبائك هذا الفلز التى تتحمل طبقات الجو العليا ولمسافات كبيرة ، فنظرة العلم الحاضر اليه تختلف عن نظرة التيفاشى فيما مضى ، اليوم هو العنصر الاساسى لسفن الفضاء ، وفيما مضى كان حجرا كريما فى مركباته ، التى يقسمها الى أربعة رتب طبقا لالوانها كالاتى : —

١ — زمرد ذبابى اخضر اللون وهو أغلاها ثمنا .

٢ — زمرد ريحانى ولونه مثل لون ورق الريحان الشبيه بورق الآس الرطب .

٣ — الزمرد السلقى كلون ورق السلقى الطرى

٤ — الصابونى كلون الصابون . لا قيمة له ويوجد فى الحجاز ، ومن أشباه الزمرد حجر يقال له اليصب

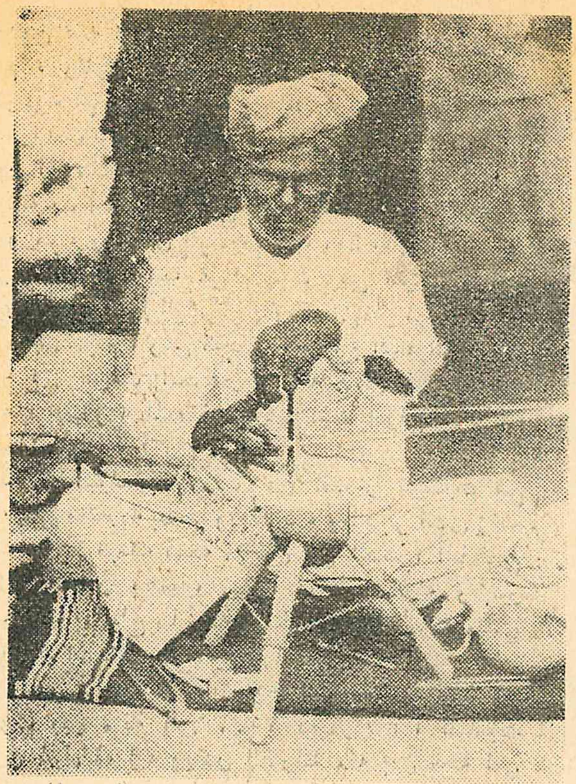

يثقب اللآلىء

واليشم الاخضر والزبرجد ، والياقوت الاخضر .

وأهم عيوب الياقوت التشعير ، وهو تشعير شقوق خفية تظهر فيه .

● ● ●

ويحدثنا التيفاشى عن الياقوت بأنه حجر ذهبى ، وجميع الاحجار غير الاجساد الذايبة انما انعقدت وابتدأت لتكون ياقوتا ، كما ابتدأت الاجساد الذايبة كلها لتكون ذهبا ، فعاقها عن الذهبية العوارض ، وكذلك الاحجار انما ابتدأت فى خلقتها لتكون ياقوتا ، فعاقها عن الياقوتية كثرة الرطوبة وقلتها . وكثرة اليبس وقلته ، فلم تكن ياقوتا وصارت حجارة حمرا أو بيضا أو خضرا أو صفرا وغير ذلك من الالوان » .

وفى الواقع نرى التيفاشى لايزال يسير فى ركاب النظام الرباعى القديم لموازين الطبائع الاربعة وهى البرودة والرطوبة والحرارة واليبوسة ، أما علم الكمياء الحديث فيرى فى الياقوت شيئا آخر اذ انه من أسرة معدن القورند وهو اكسيد الالومنيوم ، ويوجد فى وادى حفافيت بالصحراء الشرقية .

ويقول التيفاشى بأن مصدره الاصلى جزيرة خلف جزيرة سرنديب ، وفى جبل عظيم يقال له جبل الراهون تحدر منه الرياح والسيول الياقوت ، فيلتقط وهو حجر ، واذا لم تحدر السيول والرياح منه حصى الياقوت ، احتالوا لتحصيله بالحيلة ، اذ يعمد أهل ذلك الموضع الى حيوان ويسلخون جلده ، ويقطعونه قطعا كبارا ، ويتركونه فى سفح جبل الراهون ،

ويبعدون عنه ، وهم يرقبونه ، فتأتى النسور فترفع ذلك اللحم ، وتنزل به عند أوكارها ، فيعلق به حصا الياقوت ، ثم يطير فيسقط منه الياقوت لثقله ، فيلقطه جامعوا ذلك الحجر الكريم .

غير أن هناك مناطق أخرى يوجد الياقوت فيها . فمثلا توجد أحسن الانواع ولاسيما ذى اللون الدموى فى بورما ، واستغل الياقوت فيها منذ القرن الخامس عشر ، ويوجد أيضا فى بنجوك وفى سيام مختلطا باللون الاحمر ، أما الياقوت الازرق الممتاز فهو موجود فى مناجم سيام ، وفى كشمير ، ويباع الياقوت بأثمان غالية فى الوقت الحاضر ، لانه دخل فى انتاج أشعة « الليزر » المستخدمة فى أشد أنواع الاسلحة الفتاكة .

بيد أن التيفاشى يحدثنا عن أسعار الياقوت فى أيامه فهى متقاربة بمصر وببغداد ، والحجر الذى زنته نصف درهم قيمته ستة مثاقيل من الذهب الخالص ويزداد السعر بحسب زيادة لونه ومائيته وكبر حجمه ، فربما بلغ ما زنته مثقال من جيده ماية مثقال من الذهب اذا كان بهرمانيا فى الصبغ .

وفى العصر الحاضر يتراوح ثمن القيراط من الياقوت بين مائة الى ١٥٠٠ دولار ، أما الياقوت الازرق فاقل ثمنا ، ويقدر القيراط منه بين ستة الى مائتى دولار .

ويعد الياقوت من أنفس الجواهر وأجملها ، قال الله تعالى فى تشبيه الحور فى الجنة « **كأنهن الياقوت والمرجان** »

والياقوت أصلب الجواهر ، ولا يخدشه الا الماس ، وهو أشدها صلابة ، وتقدير درجة صلابته تسعة ، أما الماس فتقدر درجة صلابته بعشر درجات .

● ● ●

ويحدثنا التيفاشى عن الماس قائلا :

« الماس نوعان : الزيتى والبلورى ، والزيتى أجودها ، والبلورى أبيض شديد البياض كلون البلور ، والزيتى يخالط بياضه صفرة كلون الزيت ، وهو شبيه بلون الزجاج الفرعونى ، وأخبرنى بعض تجار الجوهريين من العجم المترددين الى بلاد الهند والصين لاقتنائه ، ان الماس من انواعه نوع له شعاع عظيم أشبه شىء بقوس قزح ، وهذا الصنف من الماس يتخذه أكابر أهل الهند حليا ، يلبسونه للتجمل به ولا يسمحون باخراجه من أيديهم البتة ، وما لم يلق الشعاع منه ، فهو الذى يستعملونه فى قطع الياقوت ، ويخرجونه الى التجار »

ثم يقول عنه أن جميعه ذو زوايا قائمة ، ستة زوايا أو ثمان زوايا او أكثر من ذلك أو أقل ، يحيط بزواياه سطوح قائمة مثلثة الشكل واذا كسر لا ينكسر الا مثلثا ومن خواصه أنه يقطع كل حجر يمر به عليه ، وهو فى نفسه مع ذلك عسر الانكسار ، حتى انه ان وضع على سندان حديد ودق بأعظم مطرقة لم ينكسر ، بل يدخل فى وجه السندان ووجه المطرقة ، ويخرقهما »

والقيمة الوسطى المتعارفة لقيمته وثمنه ان الحجر زنة قيراط يباع بدينارين وكان يباع فى بغداد بثمانين دينارا للحجر زنة مثقال »

والقيراط الانجليزى كما نعرفه اليوم ١٧ر٣ حبة ، ويعادل ٠.٥٣ر٢ جرام .

وسعر الماس فى الوقت الحاضر يختلف أشد الاختلاف عن سعره فى بغداد أيام التيفاشى ، فسعر القيراط ٥٢٠ دولار للقطعة زنة ثمن قيراط ، ويتصاعد السعر كلما ازداد وزن الحجر ، فسعر القيراط ١٠١٥ دولار للقطعة زنة نصف قيراط ، أما القطعة زنة قيراط فسعرها ١٩٠٠ دولار ، وهكذا .

● ● ●

ويفرد لنا التيفاشى بابا عن اللؤلؤ فيقول :

الجوهر اسم علم يطلق على الكبير منه والصغير ، فما كان كبيرا فهو الدر وما كان صغيرا فهو اللؤلؤ المسمى حبا ، ويسمى أيضا اللؤلؤ الدق ، ولؤلؤ النظم ، وحيوان الجوهر الذى يتكون فيه كبير وصغير ، ويعلو ذلك الحيوان صدفتان ملتزمتان بجسمه ، والذى يلى الصدفتان من لحمه أسود ، ولهذا الحيوان فم وآذان وشمم يلى الفم من داخلها الى عامد الصدفتين ، والباقى رغوة وزبد وماء .

ثم يستطرد ما يقوله يوحنى بن ماسويه فى كتابه فى الاحجار « أن الغايص لا يعد من الغاصة حتى يخرق ما بين أذنيه وحلقه ، فيبعث دما ، ثم يتمرن ويستمر فيكون تنفسه منه تنفسا ضعيفا فاذا غاص جعل على نفسه موضع نفسه ملزم عاج أو قرون لئلا يدخله الماء ، ويتنفس من موضع ، ويصبر تحت الماء مقدار نصف ساعة ، ويغوص فى اليوم ثلاث غطسات من بكرة الى انتصاف النهار وغذاؤهم السمك والتمر » .

والصورة التالية مأخوذة من كتاب حديث وفيها ثلاثة من غواصى اللؤلؤ

أما الصورة الاخرى فتوضح لنا الطريقة البدائية التى تثقب بها اللالىء فى الهند .

ويقول التيفاشى عن ثمنه ، أن العقد المتعارف عند أهل بغداد ستة وثلاثون حبة أقل العقود زنته سدس مثقال ، وهى أربعة قراريط قيمته عشرة عقود من هذا العقد ثلاثة أرباع دينار ، والعقد ربع مثقال عشرة عقود بدينار وربع .

ثم يتحدث عن عيوبه ، وعن كيفية علاج هذه العيوب وجلاء اللؤلؤ باستخدام الكافور .

وجدير بالذكر أن نثبت هنا أن مخطوطة التيفاشى هذه قد استفاد منها كثير من علماء أوروبا ، ونخص بالذكر منهم « رافيوس » الذى كتب رسالة عن الاحجار الكريمة عند العرب عام ١٧٨٤ م باترجت ، ونشر النص العربى مع ترجمة ايطالية لكتاب أزهار الافكار عام ١٨١٨ ، وطبع فى بولونيا طبعة جديدة عام ١٩٠٦ م

هذه هى احدى السلع التى كان يتاجر فيها العرب عبر الصحراء فى رحلة الشتاء والصيف .

المكتبة الإسلامية

الإسلام
خواطر وسوانح

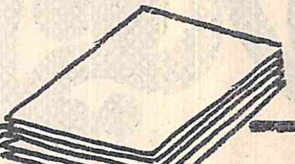

تأليف
الكونت هنرى كاسترى
ترجمة المرحوم
أحمد فتحى زغلول
عرض وتلخيص
ابراهيم الفحام

ألف الكونت (هنرى دى كاسترى) هذا الكتاب فى سنة ١٨٩٦ . وهو يعد من أكثر المستشرقين الاجانب ، انصافا للاسلام . فقد ألقى كتابه هذا الاضواء على كثير من الحقائق ، التى كان يجهلها الاوروبيون فى زمنه ، من هذا الدين العظيم . وفند فيه بعض الاباطيل التى تنسبها خصومه اليه . منذ قرون عديدة ، وتوارث بعض الناس ترديدها ، حتى استقرت فى أفهامهم ، كأنها حقائق ثابتة .

غير انه لايفوتنا ان نشير هنا – قبل ان نبدأ فى عرض هذا الكتاب وتلخيصه فى السطور التالية الى الحقيقتين التاليتين :

١ – ان المؤلف .. برغم ما أظهر من محاسن الاسلام – فقد ضمن كتابه بعض المعلومات والتصورات الخاطئة . التى رأينا استبعادها تماما ، لعدم اتساع هذا التلخيص الموجز لمناقشتها والرد عليها .

● ● ●

٢ – أن المؤلف – بحكم ولائه لوطنه – أكد فى خاتمة كتابه ، أن غاية ما يرمى اليه ، هو اطلاع مواطنيه على صورة صحيحة للاسلام ، حتى يحاطوا بأصدق المعلومات عن العقيدة التى يعتنقها بعض رعاياهم فى القارة الافريقية ، مما يسهل لهم التفاهم معهم ، والسيطرة عليهم .

مقدمة المؤلف :

بدأ المؤلف كتابه بمقدمة ، أوضح فيها الظروف التى دعته الى تأليفه .

فذات يوم – عندما كان ضابطا فى الجيش الفرنسى بالجزائر – خرج يجوب الصحراء ، فى ولاية وهران ، وخلفه ثلاثون من الفرسان العرب ، وعندما حان وقت الصلاة ، ترجلوا عن جيادهم ، واصطفوا لاداء صلاة العصر ، جماعة . وقد وصف شعوره – عندما اضطر أن يتنحى جانبا حتى يفرغوا من أداء صلاتهم – بقوله :

« كنت أود لو أن الارض انشقت فابتلعتنى . وجعلت أشاهد البرانس العريضة تنثنى وتنفرج ، بحركات المصلين ، وأسمعهم يكررون بصوت مرتفع (الله أكبر – الله أكبر) فكان لهذا الاسم الالهى أثر عجيب فى نفسى . وكنت أشعر بحرج لست أجد لفظا يعبر عنه ، بسبب الحياء والانفعال . كنت أحس بأن أولئك الفرسان الذين كانوا يتذللون أمامى ، قبل هذه اللحظة ، يشعرون فى صلاتهم ، بأنهم أرفع منى مقاما ، وأعز نفسا » .

ثم ذكر المؤلف كيف دفعته تلك الخواطر ، الى الاستزادة من التعرف على مبادىء الاسلام ، ودراستها من غير طريق المصادر المغرضة ، المحشوة بالاختلافات والاكاذيب . وكان كتابه هذا من أهم ثمرات تلك الدراسة .

انتشار الاسلام :

كان من أهم ما بدأ به المؤلف كتابه ، شرح الاسلوب الذى انتشر به الاسلام . وكيف قاومه العرب فى البداية ، ثم استجابوا له فرادى وأفواجا .

ثم تحدث عن مصير الدعوة الاسلامية بعد وفاة النبى الكريم ، وكيف حمل لواءها خلفاؤه وصحابته . واستشهد بقول الاب (بروجلى) فى وصفهم « ان الذين آمنوا بمحمد ، كانوا قوما صادقين ، ذوى دراية

وذكاء . ومنهم أبو بكر وعمر : رجلان توليا زمام دولة فسيحة الارجاء ، فأحسنا سياستها ، وكانا ذوى ثبات وعدل وقناعة وفضل ، وشدة عزيمة ، وكانا أرفع قدرا ، وأبعد مرمى ، من القياصرة والحكام ، الذين حاربوهما » .

وأشاد المؤلف بمعاملة المسلمين لاعدائهم ، وكيف التزموا بالقيم الانسانية الرفيعة - قيم الاسلام - فى حروبهم . ولم يتخذوا من السيف سبيلا لفرض دينهم على شعوب الاقطار التى فتحوها ، بل لم يشهروه الا للدفاع عن عقيدتهم ، وتأمين أوطانهم ، وحماية أبناء دينهم ، وتحرير الشعوب التى أرهقتها المظالم .

وقدم كثيرا من الادلة على ذلك . معتمدا على المقارنة بين الاحداث التاريخية ، والنصوص الدينية الاسلامية وغيرها . التى تؤكد براءة الاسلام من التهم التى نسبت زورا اليه ، وتجسم فظاعة الاساليب التى اتبعها اليهود وغيرهم فى فرض دعوتهم ، والانتقام من أعدائهم .

وكان مما استشهد به فى هذا المجال ، قول العلامة (روبنسون) : « ان شيعة محمد وحدهم ،هم الذين جمعوا بين المحاسنة ، ومحبة انتشار دينهم . وهذه المحبة هى التى دفعت العرب فى طريق الفتح . وهو سبب لا حرج فيه . فنشر القرآن جناحيه خلف جيوشه المظفرة » .

ثم قال « لم يترك المسلمون أثرا للعسف فى طريقهم ، ولا ما كان لابد منه فى كل حرب وقتال . فلم يقتلوا أمة أبت الاسلام » .

وعلل المؤلف انتشار الاسلام السريع ، فى الاقطار التى كانت خاضعة للرومان بقوله :

« ولانتشار الاسلام ،ورضوخ الامم لسلطانه سبب آخر ، فى آسيا وافريقيا ، وهو استبداد القسطنطينية ، الذى بلغ منتهى العسف ، ووصل جور الحكام الى درجة أزهقت النفوس . فلما جاء الاسلام تراموا اليه هربا من الضرائب الفادحة . واستلاب الاموال . لانه كلما أسلمت عشيرة رفعت عنها أثقال المغارم ، ورد اليها مالها المسلوب . ومن لم يقبل شريعة القرآن عومل هذه المعاملة نفسها » .

وتحدث عن معاملة المسلمين لسكان الاندلس بعد فتحها بقوله :

« ولقد زادت محاسنة المسلمين للمسيحيين فى بلاد الاندلس حتى صاروا فى حالة أهنأ من التى كانوا عليها أيام خضوعهم لحكم قدماء الجرمانيين » .

تعدد الزوجات :

ثم تعرض المؤلف لبعض التهم التى يلصقها أعداء الاسلام به ، وأهمها (اباحة تعدد الزوجات) .

فذكر ان ذلك التعدد كان موجودا قبل الاسلام ، عند مختلف الامم ، ومنهم العرب ، وأن الاسلام لم يختلقه ، وانما حصره فى أضيق الحدود ، وهو أربع زوجات ، وحث على الاكتفاء بزوجة واحدة ، وقيد التعدد بالقدرة على العدل . ففى القرآن الكريم (فان خفتم الا تعدلوا فواحدة) .

ثم شرح ضرورة اباحة التعدد فى بعض الاحوال ، مثل حالة ازدياد نسبة النساء ، وافتقار الكثيرات الى من يعولهن ، فضلا عن الضرورات الاخرى الشخصية ، التى تدعو بعض الرجال الى التزوج من أكثر من واحدة .

ثم تحدث عن الحقوق الشرعية العديدة ، التى ينفرد الاسلام بمنحها للزوجات ، والتى لم تسبقه اليه شريعة أخرى من قبل .

انتشار الاسلام بعد عصر الفتوح :

وبعد أن فند المؤلف بعض الاتهامات الاخرى التى يلصقها بعض أعداء الاسلام به ، عاد الى التحدث عن طريقة انتشار الاسلام . فذكر أن استمرار انتشاره بعد عصر الفتوح ، دليل قاطع على انه لم يعتمد فى ذلك على السيف . فقال :

« ولو كان دين محمد انتشر بالعنف والاجبار ، للزم أن يقف سيره بانقضاء فتوحات المسلمين ، مع أننا لانزال نرى القرآن يبسط جناحيه فى جميع أرجاء العالم » .

وضرب مثلا على ذلك بوجود عشرين مليون مسلم فى الصين (فى زمنه) مع أن الفتوح الاسلامية لم تبلغ تلك البلاد . كما ضرب المثل بانتشاره بين الملايين من سكان القارة الافريقية .

وتعرض لمحاسن الاسلام التى تجذب الناس اليه طواعية ، ودون اكراه ، ومنها كبح جماح الشهوات ، وتحريم الخمر ثم قال :

« وهكذا جذب الاسلام قسما عظيما من العالم بما أودع فيه من اعلاء شأن النفس » .

تعذر اخراج المسلمين عن دينهم :

ثم تحدث المؤلف عن الصعوبات العديدة ، التى تعترض سبيل المبشرين الفرنسيين فى مستعمراتهم الافريقية ، وفى مقدمتها الجزائر ، لحمل المسلمين على نبذ دينهم . وقرن ذلك بالمستحيل ، فقال :

« ان الاسلام ليحن فى أهله من يمرق منه الى غيره • وبعيد عن فكر المسلمين ، تصور هذا الامر • حتى انهم لا يجدون لفظا يعبرون به عن صفات من يأتيه • كما أنهم تحيروا فى وصف المسلمين الذين تجنسوا بالجنسية الفرنسية ، لان فيها معنى من معانى الردة ، ولذلك اضطروا الى استعمال لفظ من ألفاظ اللغة الفرنسية ، اسما عليهم ، فقالوا (متورنى) » •

وقارن المؤلف بين العجز عن حمل المسلمين على ترك دينهم ، وما يلقاه المسلمون – فى الوقت نفسه – من يسر ، فى اقناع غيرهم باعتناق دينهم •

ثم استعرض أساليب القهر والاحتيال والاستغلال ، التى لجأ اليها بعض المسئولين الفرنسيين فى الجزائر وغيرها ، فى هذا المجال ، وما لقيته من فشل ذريع • برغم ما بذل فى سبيل انجاحها من الجهود •

كما أشار الى اضطرار أولئك المسئولين أخيرا ، الى تشجيع اشاعة البدع فى عقائد المسلمين السذج ، عن طريق بعض الجهلة ، والمشعوذين ، الذين اختلقوا بعض الطرق الصوفية الدخيلة ، التى هيأت لها سلطات الاحتلال سبل الانتشار ، ولكن تلك الخطة لم يكتب لها النجاح ، بفضل حملات التوعية ، التى كان يثيرها علماء الاسلام المخلصين •

ثم تطرق الى حيلة أخرى ، كتب لها – بدورها – الفشل ، وهى نشر اللغة الفرنسية ، والتقاليد الاوروبية الحديثة ، بين الجيل الجديد ، لاثارة نفوره من دينه ، ولغته ، وتقاليد أسلافه • ولكن هذه الطريقة ، لم تزد هذا الجيل الناشىء الا تمسكا بأصالته • وكان فى مقدمة الصفوف التى حملت لواء الثورة على الاحتلال ، وكشفت ألاعيبه • حتى لقد قال المسيو (ترمان) أحد حكام الجزائر « لقد أثبتت التجارب أن أكثر الناس أعداء لنا ، هم أولئك الذين علمناهم كثيرا » •

شهادة أحد رجال الدين الفرنسيين للاسلام :

ثم اختتم المؤلف كتابه – قبل أن يرفق به بعض الملاحق الاضافية ، بعبارة للكاردينال (هرجوتر) عن المقدرة الفائقة لمسلمى افريقية ، على نشر دينهم بين الوثنيين ، لا مجرد المحافظة على عقيدتهم ، فى وجه المسئولين الفرنسيين ، اذ قال :

« لو لم يكن للاسلام من فائدة الا تحويل عبدة الاصنام من وثنيين الى موحدين ، وترقية أخلاقهم ومكانتهم ، لكفى بذلك داعيا الى معاملته بسياسة التلطف والاعتدال ، جريا على قاعدة العمل بأخف الضررين » •

فيالها من عبارة ، تحمل من المعانى ، ما يغنى عن الشرح والتعقيب •

الاسلام

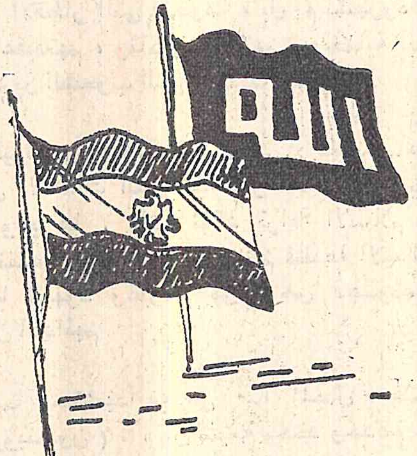

●●● ان معركة النصر التى انتصرت فيها قواتنا المسلحة فى استرداد سيناء •• وهروب قوات العدو الاسرائيلى وأسر المئات منهم ، وتكبيدهم خسائر هائلة فى الافراد والعتاد ، هى تأكيد حاسم لقدرة المقاتل المصرى ، وصمود الشعب المصرى فى مواجهة المرارة فترة من الزمن ، وما لبث أن استعاد ثقته ، وايمانه ، ودفع بأبنائه الاسود الى المعركة الذين حولوا أسطورة خط « بارليف » فى ساعات قليلة •• الى قطعة جبن هشة •• وطهروا أرض سيناء الحبيبة من جرذان البشرية عملاء الصهيونية. والمعركة التى تخوضها الامة العربية ليست قصيرة الامد لكنها معركة شاملة •• شرسة انها معركة الامبريالية العالمية ، وان ينصركم الله فلا غالب لكم •

عرض وتحليل
الأستاذ فتحى الابيارى

والمواجهة الشاملة

. . .

وهذه المعركة الشاملة .. هى فى الحقيقة موجهة أيضا الى الاسلام .. كعقيدة . ان الدراسة التى أصدرها المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بعنوان « **الاسلام والمواجهة الشاملة** » **للاستاذ محمد دياب** .. هى دراسة حية تتواءم مع الظروف التى نعيشها الان . وتمر بها الامة العربية .. انها مرحلة المصير .

ان الاساس الاول لقوتنا وعزتنا — كما أراده الله — هو التجمع ووحدة الصف .. انه يأمرنا بالوحدة ، ويحذرنا من الفرقة : « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** » .

ويجب أن نتدبر فى قرآننا ، تدبر الالتزام والاتباع قول الله تعالى : « **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون** » .

ولو نظرنا الى القواعد والشعائر الاسلامية نظرة بصيرة ومستنيرة .. لادركنا أنها ليست طقوسا مجردة للعبادة ، ولكنها أسلوب الهى فى التدريب والتنظيم ، ورفع الكفاءة النضالية قل أن يوجد له نظير ..

● ماذا يكون معنى الشهادة اذا لم يكن رفض استعباد الانسان للانسان ؟

● وماذا يكون معنى الصلاة اذا لم يكن قوة الروح وعزة الايمان وتدريب النفس على النظام والطاعة خمس مرات كل يوم ؟

● وماذا يكون معنى الزكاة اذا لم يكن هو التكافل والتعاون والبذل الذى يدعم وحدة الصف وقوة الصف ؟

● ثم ماذا يكون معنى الصوم اذا لم يكن المجاهدة والمصابرة والتضحية بشهوات النفس وصولا بها الى المثل الاعلى ؟

● والحج .. أليس هو ذلك التجمع الهائل الذى يهرع اليه المسلمون من كل فج عميق وهم يستعذبون المشاق والمتاعب .. يتجردون الا من التلاحم فى ساحه الحق واليقين تلاحم الاخوة والمصير ؟ ..

كل شعيرة من شعائر الاسلام .. انما هى فى حقيقتها أسلوب فريد فى تربية الانسان وتدريبه واعداده لافتداء الحياة والدفاع عن شرف الوجود .

ونحن اذا تأملنا فى الاسلوب الذى يطبقه العدو فى اعداد قواته التى تلاشت بفضل عزيمة قواتنا .. لان قواته عبارة عن خليط غير متجانس .. تحاول الدعاية الصهيونية أن تخفى هذه الحقيقة .. لوجدنا أن الكيان الصهيونى الاسرائيلى الذى أقامه فى أرض فلسطين ليس الا كيانا « يمثل تجمعات للمحاربين » كما وصفه بن جوريون نفسه .

فالعصابات الصهيونية ، قد مهدت لقيام هذا الكيان غير الشرعى بالعدوان وقوة السلاح . وقد تم ردع هذا العدوان بالقوة .. وقوة السلاح .. وايمان أبطالنا الشجعان . وفى المعارك الاخيرة .. حطمت قواتنا هذا الوهم الذى كانت المؤسسة العسكرية تحاول ان تغرسه فى عقول عصاباتها . فشاهدنا .. المئات من الاسرى الذين تركوا أسلحتهم ، وسلموا انفسهم بعد أن واجهوا حقيقة الجندى العربى .. المقاتل .. وانكشفت نفسيتهم المنهارة .. الخاوية ..

جبهة تحتاج الى مواجهة

عندما نقول ان معركتنا مع العدو معركة شاملة وطويلة ، فان ذلك لا يعنى مجرد القول او مجرد التهويل من شأن هذه المعركة باعتبارها معركة الحياة كلها .. والتاريخ كله . وانما يعنى هذا القول بالدرجة الاولى أن تكون لاسلحتنا فى المعركة كل عناصر الشمول والحلول ..

ان العدو لا يسعى فقط الى تهويد الاماكن .. انه لا يهدم المبانى ولا يحرق المساجد ولا يستولى على الارض ويشرد الناس فقط ، وانما يسعى كذلك الى تهويد الفكر واللغة والتراث والتاريخ والعقيدة والدين . انه ينتهج سياسة التجهيل .. يحد من انتشار التعليم بين المواطنين العرب ، يضعف جهاز التعليم ، يختصر المواد الدراسية ، يمنع الطلبة العرب من دخول كليات العلوم والكليات الفنية والتطبيقية .. يقطع الصلة بين الطالب العربى ومجتمعه ووطنه وتاريخه وثقافته ودينه .. يزور حقائق التاريخ العربى .. يبرز التاريخ العبرى بحيث يبدو وكأنه تاريخ حافل بالامجاد .

لذلك يجب أن تتصدى لهذا المخطط كل الاجهزة العربية والعالمية المهتمة بالتربية والتعليم والثقافة كحق أساسى من حقوق الانسان .

الاسرائيليات فى التفسير والحديث

هذه قضية علمية هامة مازالت تشغل المفكرين الدينيين وجماهير المسلمين بصفة عامة .. القضية هى دخول الاسرائيليات فى تفسير القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة ، والاسئلة التى تعكس الاهتمام بتلك القضية لا تخرج عن واحد من التساؤلات الثلاثة التالية .. كيف عمد اليهود الى ادخال خرافاتهم فى كتب التفسير من هذه الاباطيل والخرافات ؟ ما موقف المفكر الاسلامى من الاسرائيليات فى ضوء علوم التفسير ومصادره الاساسية ؟ ثم ما هو الاسلوب العلمى لتحرير كتب التفسير من هذه الاباطيل والخرافات .

وتناول المؤلف هذه القضية بايجاز من مختلف الزوايا .. وكيفية مقاومة هذا المخطط أيضا .

لماذا تحريف القرآن

أكثر من مرة فى هذا القرن حاولت الصهيونية تحريف القرآن الكريم . فأصدرت طبعتين من المصحف الشريف عمدت فى احداهما تغيير بعض كلمات الله وابدالها بكلمات أخرى . وعمدت فى الثانية الى الاخلال بترتيب صفحات القرآن .

ثم تعرض المؤلف أيضا الى مشكلة الاستشراق ، وتناول موضوع الحضارة الاسلامية فى مواجهة التيارات المعاصرة . باختصار شديد .. وهو موضوع هام وجدير بالقاء الاضواء عليه فى بحث مستقل .

طريق الفتح والنصر

لذلك .. فان الدرس العنيف الذى لقنته قواتنا المسلحة الى عصابات صهيون على أرض سيناء .. هى اللغة الوحيدة التى يخافها اليهود .. وما النصر الا من عند الله . والحمد لله الذى نصر جنده المؤمنين «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

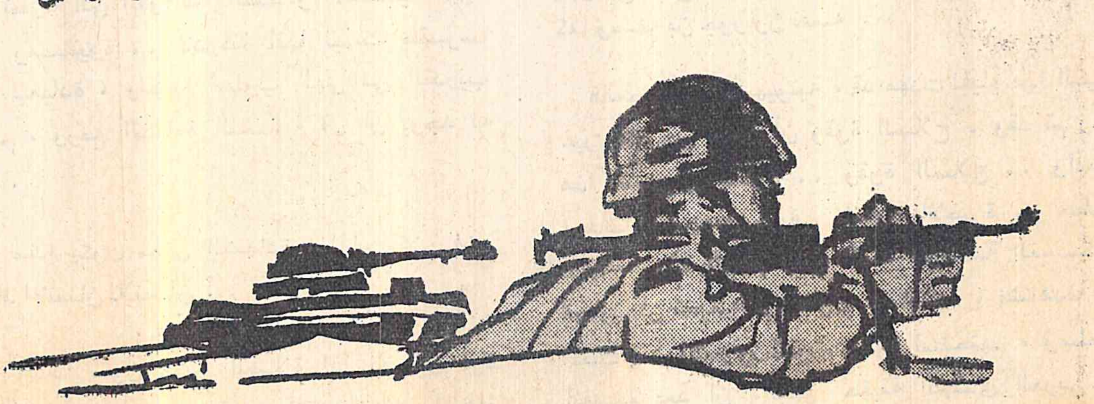

الإفتاء

أنت تسأل والمفتى يجيب

فضيلة الإمام الأكبر
الدكتور
عبد الحليم محمود
شيخ الجامع الأزهر

س ١ : من المواطن العربى ـ محمد حسين علوان

يقول : أصيبت بنت بنزيف دموى شديد واحتاجت الى نقل دم فتبرع لها أحد جيرانها بكمية كبيرة من دمه ، والان يرغب الزواج منها ـ فهل يجوز ذلك ؟

وسأل نفس السؤال أحد المواطنين المصريين وقال : ان علة التحريم فى الرضاع هى الجزئية والجزئية تحصل بالدم الذى ينقل من شخص لاخر كما تحصل باللبن ـ والحكم يدور مع العلة وجودا وعدما فهل يحصل التحريم بنقل الدم كما يحصل برضاع اللبن ؟

الجواب :

نقل الدم من انسان لاخر لا يحرم المصاهرة بينهما ، فلو أن رجلا أعطى من دمه لفتاة ـ كما هو موضوع السؤال ـ أو أعطت الفتاة من دمها لاحد الرجال حل لكل منهما الزواج بالاخر ، وبمعنى آخر لا تحرم المصاهرة بينهما ولا بين أحد من أصولهما أو فروعهما ، ما لم يكن هناك مانع آخر شرعى أو قانونى لان الجزئية المحرمة للنكاح شرعا هى ما كانت بسبب الولادة أوالرضاع فقط قال تعالى : (**حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم واخواتكم من الرضاعة**) .

وقال صلى الله عليه وسلم : (**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**) فالجزئية المحرمة للنكاح التى يدور معها الحكم وجودا وعدما هى ما كانت بسبب الولادة أو رضاع اللبن .

يقول الكمال بن الهمام : « أما فى الرضاع فحقيقة الجزئية باللبن هى المحرمة فليست مطلق الجزئية مناطا للتحريم انما مناط التحريم وعلته هى جزئية الولادة وجزئية ارضاع اللبن – والله أعلم .

س ٢ : من المواطن كمال محمد من الإسكندرية

هل المذى يبطل الصوم ؟ وهل يجب القضاء على الصائم اذا أمذى ؟

الجواب :

خروج المذى من الصائم لا يفسد الصوم عند الحنفية والشافعية

وقال المالكية : اذا تسبب الصائم فى اخراج المذى بقبلة أو نحوها – أو استدامة نظر أو فكر فسد الصوم ، وعليه القضاء فقط ، أما اذا خرج المذى لمرض فلا يفسد الصوم كما لا يفسد اذا غلبه المذى فخرج بمجرد نظر أو فكر من غير استدامة متى كان ذلك يكثر عروضه له بأن كان حصوله مساويا لعدم حصوله فى الزمن أو زائدا ، أما اذا كان عروضه أقل من زمن إرتفاعه فانه يفسد الصوم .

ويفسد الصوم عند الحنابلة اذا أمذى بيده أو بيد غيره أو بسبب تقبيل أو لمس أو مباشرة دون الفرج اذا تعمد فى كل ذلك وعليه القضاء فقط – والله أعلم .

س ٣ : من شاب لم يذكر اسمه

زين له الشيطان معصية ربه مع زوجة عمه – الا أنه – كما يقول – لم يدخل بها ثم تاب الى الله وندم على ما فعل وأقلع عن هذه المعصية وابتعد تماما عن هذه المرأة وبدأ حياة جديدة نقية – ويقول : ان لزوجة عمه هذه بنتا يحبها وتحبه حبا طاهرا شريفا وان البنت متدينة وتؤدى فرض ربها وهى مستقيمة على خلاف والدتها ويرغب الزواج من هذه البنت ويسأل ان كانت تحل له ؟

الجواب :

يقول السادة الحنفية : ان دواعى الزنا كلمس أو قبلة بشهوة كالزنا يحرم المصاهرة فمن زنا بامرأة أو ارتكب شيئا من دواعيه حرمت عليه أصولها وفروعها وحرم عليها أصوله وفروعه فيحرم على الشاب السائل الزواج ببنت تلك السيدة التى ارتكب معها ما أشار اليه فى سؤاله حتى ولو لم يدخل بها .

ويرى الامام الشافعى رضى الله عنه أن ماء الزنا هدر لا حرمة له فلا يأخذ حكم النكاح فى تحريم المصاهرة فمن زنا بامرأة أو ارتكب معها شيئا من دواعيه فلا يحرم عليه أن يتزوج ابنتها .

فيجوز للسائل – على رأى الامام الشافعى أن يتزوج بالبنت التى يرغب الزواج منها وان كنت أرى وأنصح بعدم الزواج منها – لا ترجيحا لمذهب على مذهب ولكن لان طبيعة الحياة الزوجية وظروفها المختلفة ستجمع بين الزوج وبين والدة زوجته بل قد تؤدى الى الخلوة بينهما وهى حينئذ حماته وأم زوجته ويخشى أن تكون هذه ثغرة ينفذ منها الشيطان اليهما فيوسوس لهما مجددا ما كان بينهما فينتهى الامر بالحياة الزوجية الى الانهيار أو على الاقل عدم الاستقرار .

هذا وانى لاوجه النظر الى أن الاسلام حين حرم الخلوة بالاجنبية ولو كانت زوجة العم أو زوجة الاخ أو ابنة العم أو ابنة الخال أو ما شابه ذلك انما فعل ذلك حفظا لدين الرجل وصيانة لعفاف المرأة ومحافظة على الاسرة الاسلامية ووقاية لها من أن يحدث بها ما يقوض أركانها ويودى باخلاق الرجال وكرامة النساء

فعلى المسلمين أن يراعوا تعاليم دينهم وأن يخضعوا العرف السائد بينهم لاحكام شريعتهم التى جاء بها القرآن الكريم من لدن حكيم عليم نادت بها السنة المطهرة التى سنها رسول لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى – وقد قال صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه : (**لقد تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتى**) .

س ٤ : من الطالب : حليم احمد الشيخ على بالطود مركز كوم حماده

يقول : نحن نعرف ان الخمر حرام كما جاء في القرآن الكريم ولكن كثيرا من الناس يشربون البيرة وبعض المسلمين يفطرون فى رمضان على مشروب يطلق عليه « البوظة » يشربونه فى رمضان وفى غير رمضان ، فهل البيرة والبوظة حرام أم لا ؟ وما جزاء من يشرب شيئا من ذلك اذا كان حراما ؟

الجواب :

مناط التحريم فى مثل هذه المشروبات هو الاسكار وعدمه فاذا كانت مسكرة أو مفترة كانت من الاشياء التى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

تناولها – وكان حكمها حكم الخمر فى التحريم ويحرم قليلها كما يحرم كثيرها .

روى ابو داود عن أم سلمة رضى الله عنهـا قالت : – (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر) .

وعن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : (كل مسكر خمر وكل مسكر حرام) . رواه الجماعة الا البخارى وابن ماجه .

وفى رواية (كل مسكر خمر وكل خمر حرام) وعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان من الحنطة خمرا ومن الشعير خمرا ومن الزبيب خمرا ومن التمر خمرا ومن العسل خمرا) رواه الخمسة الا النسائى زاد أحمد وأبو داود «وأنا أنهى عن كل مسكر» .

فالبيرة والبوظة وما شابههما من المسكرات والمخدرات جامدة أو مائعة حرام وهى خمر وان اتخذ الناس لها اسما آخر غير اسم الخمر وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن ذلك فيقول فيما يرويه عبادة بن الصامت قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لتستحلن طائفة من امتى الخمر باسم يسمونها اياه) رواه أحمد وابن ماجة .

وعن ابى امامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تذهب الليالي والايام حتى تشرب طائفة من أمتي الخمر ويسمونها بغير اسمها) .

والقليل فى التحريم كالكثير سواء بسواء فعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ما أسكر كثيره فقليله حرام) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل مسكر حرام وما اسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام) . وفى رواية للامام احمد بلفظ « فالاوقية منه حرام » وفى رواية « فالحسوة منه حرام » والفرق بفتح الراء ويسكونها مكيال معروف بالمدينة يسع ستة عشر رطلا .

وقيل هو بفتح الراء ستة عشر رطلا فاذا سكنت فهو مائة وعشرون رطلا وليس المراد حقيقة الفرق ولا ملء الكف أو الاوقية أو الحسوة وانما هو تمثيل للكثير والقليل قال الشوكانى فى نيل الاوطار : وذكره ملء الكف .. أو الاوقية فى الحديث على سبيل التمثيل فالحكم شامل للقطرة ونحوها .

قال ابن رسلان فى شرح السنن : اجمع المسلمو على وجوب الحد على شاربها سواء شرب قليلا كثيرا ولو قطرة واحدة .

اما جزاء من يشرب من ذلك اذا مات ولم يتب عن فقد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد روى عن جابر ان رجلا من جيشان وجيشان من اليمن سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بارضهم من الذرة يقال له المزر فقال : امسكر هو ؟ قال : نعم . فقال : (كل مسكر حرام) ان على الله عهدا لمن يشرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال . قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال (عرق أهل النار أو عصارة اهل النار) . رواه مسلم واحمد والنسائى .

وعن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (كل مخمر خمر – وكل مسكر حرام ، ومن شرب مسكرا بخست صلاته اربعين صباحا) اى ردت عليه ولم يقبلها الله أربعين يوما . فان تاب تاب الله علي فان عاد الرابعة كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال : قيل وما طينة الخبال يا رسول الله ؟ قال صديد اهل النار . ومن سقاه صغيرا لا يعرف حلاله من حرامه كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال » رواه أبو داود .

وتتميما للفائدة ننقل ما ذكره ابن القيم فى كتابه زاد المعاد الجزء الرابع فى باب ما يحرم بيعه مبينا حكم المسكرات الجامدة (كالحشيش ونحوه) قال : (ان الخمر يدخل فيها كل مسكر مائعا كان أو جامدا عصيرا أو مطبوخا فيدخل فيها لقمة الفسق والفجور يعنى (الحشيشة) قال لان هذا كله خمر بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيح الصريح الذى لا مطعن فى سنده ولا جدال فى متنه وصح عنه قوله صلى الله عليه وسلم « كل مسكر خمر » وصح عن أصحابه وهم أعلم الناس بخطابه أن الخمر ما خامر العقل على أنه لو لم يتناول لفظه صلى الله عليه وسلم كل مسكر لكان القياس الصحيح الصريح الذى استوى فيه الاصل من كل وجه حاكما بالتسوية بين أنواع المسكر فالتفريق بين نوع ونوع تفريق بين متماثلين من جميع الوجوه).

وقال الصنعانى فى سبل السلام :

(ويحرم ما أسكر من أى شىء وان لم يكن مشروبا كالحشيش ومن قال أنها لا تسكر وانما تخدر فهى مكابرة فانها تحدث ما تحدث الخمر من الطرب والنشوة – واذا سلم عدم الاسكار فهى مفترة).

وقد روى ابو داود عن أم سلمة رضى الله عنها أنه : (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر) .

س ٥ : من محمد لطفى شبل ـ من بنها الجديدة

يقول انه رأى كلبا يلحس بلسانه او يشم من طعام وسط الحشائش فلما بعد الكلب قليلا جلس فى المكان الذى لحسه بلسانه فهل ثيابه تصبح نجسه وما معنى كلمه ولغ فى الحديث وكيف يطهر ما ولغ فيه الكلب ؟

الجواب :

لعاب الحيوان يأخذ حكم لحمه لانه متولد منه ولحم الكلب نجس فلعابه نجس فاذا كانت الحشائش التى كان الكلب يلحسها مبتلة حين جلست عليها فقد تنجست ثيابك واذا كانت جافة فثيابك طاهرة .

أما الولوغ الوارد فى قوله صلى الله عليه وسلم « اذا ولغ الكلب فى اناء أحدكم فليرقه ثم ليغسله سبع مرات » فمعناه شرب بطرف لسانه فى الاناء فحركه وقيل هو ان يدخل لسانه فى الماء وغيره من كل مائع فيحركه شرب أو لم يشرب ـ فان كان غير مائع يقال لعقه والتطهير من لعاب الكلب ان كان المتنجس ثيابا ونحوه كما هو الشأن عند صاحب السؤال يكون بغسل الثوب ثلاث مرات والعصر بعد كل مرة كما هو الحال فى التطهير من المائعات النجسه وان كان المتنجس من لعاب الكلب اناء وجب تطهيره بغسله سبع مرات عند جمهور الفقهاء ويرى بعض الفقهاء ان احدى الغسلات يجب أن تكون بالتراب أخذا من قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه احمد ومسلم « طهور اناء احدكم اذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات اولاهن بالتراب» وفى روايه «اخراهن بالتراب» . ويرى الحنفيه ان الواجب هو الغسل ثلاث مرات كما هو الشان فى التطهير من باقى النجاسات والغسل سبع مرات من لعاب الكلب انما هو على سبيل الندب لا الوجوب ـ والله أعلم .

س ٦ : من نفس السائل .

يقول انه سمع من خطيب الجمعة أنه اذا وضع شىء نجس جاف على شىء طاهر جاف فلا شىء لكن اذا وضع نجس مبل على طاهر جاف او طاهر مبلل على نجس جاف أصبح الطاهر نجسا . فهل هذا صحيح ؟

الجواب :

نعم يا هذا ـ هذا صحيح لان الجاف لم يتسرب منه شىء الى جاف مثله وليس كذلك بالنسبة للمال

وترجو أن تكون هناك ثقة فيما يرشدكم اليه خطباؤكم العلماء فهم لكم الهداة المرشدون والله الموفق .

س ٧ : من عبد البديع محمد أحمد حسن ـ أولاد عطية الغربى مركز ههيا

يرجو بيان غسل أعضاء الوضوء بالترتيب وهل الادعيه عند الوضوء مكروهة ؟

الجواب :

أولا : الاعضاء التى يفترض غسلها فى الضوء فلا يصح الوضوء اذا ترك شىء منها أربعة غسل الوجه وغسل اليدين مع المرفقين ومسح ربع الراس وغسل الرجلين مع الكعبين . والكعب هو النتوء البارز بين أسفل الساق وأعلى القدم وهى مرتبة على هذا الوجه كما جاء فى الاية الكريمه « يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين .. الخ » واما الاعضاء التى يسن غسلها زيادة على هذه الاربعه فهى :

غسل اليدين الى الرسغين ابتداء والمضمضة والاستنشاق ومسح الرأس كلها ومسح الاذنين ومسح الرقبة والسنة فى الغسل ثلاث ـ فقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ فغسل مرة واحدة . وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به وتوضأ فغسل مرتين وقال هذا وضوء يضاعف الله به الاجر مرتين وتوضأ فغسل ثلاث مرات وقال هذا وضوئى ووضوء الانبياء من قبلى والسنة فى المسح أن يكون مرة واحدة ويكره التثليث فيه . حتى لا ينقل من مسح الى غسل ـ وليس الدعاء أثناء الوضوء مكروها بل ان الدعاء بالمأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم عند كل عضو مستحب .

س ٨ : من نفس السائل .

يوجد ٦ ركعات بعد صلاة المغرب . هل هى من سنن المغرب أم السنة ركعتان فقط ؟

الجواب :

سنة المغرب المؤكدة ركعتان بعده ويندب ست ركعات بعد صلاة المغرب خلاف السنة المؤكدة وهذا عند الحنفية ـ وعند الشافعية ركعتان بعد المغرب سنة مؤكدة وركعتان قبل المغرب غير مؤكدة ويسن تخفيفهما وفعلهما بعد اجابة المؤذن لحديث بين كل أذانين صلاة والمراد الاذان والاقامة ويقول المالكية أن من السنة الراتبة ست ركعات بعد صلاة المغرب وهى مندوبة ندبا أكيدا .

س ٩ : من نفس السائل .

امرأة متزوجة برجل ووهبت نفسها لرجل آخر فهل يجوز لهذا الرجل أن يعاشرها معاشرة الازواج ؟

الجواب :

المرأة المتزوجة بل المطلقة التي لم تنقض عدتها لا يحل لها أن تتزوج بزوج آخر فاذا احتالت وتزوجت كان زواجها باطلا لانها لا تحل الا لزوجها ولا يحل لها الزواج بغيره الا اذا طلقت منه أو مات عنها وانقضت عدتها . وما لم يتم ذلك فانها تحرم حرمة مغلظة على غير زوجها فما أقدمت عليه المرأة موضوع السؤال عمل لا ترضاه شريعة ولا قانون ولا تحل معاشرتها لكائن من كان خلاف زوجها وما يزعمه بعض الناس من أن هبة المرأة للرجل تحلها له زعم باطل وهو احتيال منهم للعبث بالدين والعرض والكرامة . نعم اذا كانت المرأة خالية من الازواج وعدتهم وعقد عليها رجل بلفظ الهبة مقصودا به النكاح بايجاب وقبول شرعيين وبحضور شاهدين كان عقد الزواج صحيحا عند الحنفية .

س ١٠ من ع . ف . ت مصر الجديدة

يمتلك حصة في عمارة موروثة له عن والديه وصافي ايرادها الشهري ٢٧ جنيه يأخذ من هذا المبلغ نصيبه في الميراث زائدا أتعابه مقابل ادارته واشرافه ويسأل عن نوع الزكاة المستحقة ومقدارها ويقول ان هذا الايراد يصرف كله مع مرتبه على شئون الاسرة .

الجواب :

قلنا في عدد سابق ان زكاة العمارات المؤجرة فيما تغله من الايجار فاذا بلغ ايجارها نصاب الزكاة وحال عليه الحول وكان فارغا عن الدين وعن حاجة المزكي الاصلية وجبت فيه الزكاة وهي ربع العشر أي ٢٫٥ في المائة عن الجنيه الواحد - والزكاة هنا هي زكاة المال وهي من النوع الاول في زكاة المال وهو زكاة الذهب والفضة والنصاب المقدر فيها هو عشرون مثقالا من الذهب ومائتا درهم من الفضة وهو مقدر بالعملة المصرية بأحد عشر جنيها وسبعة وثمانين قرشا ونصف قرش بالنسبة للذهب وخمسمائة وتسعة وعشرين قرشا وثلثي قرش بالنسبة للفضة .

ولما كان نصيب السائل في ايراد العمارة مضافا اليه ما يأخذه أجرا على ادارته لها لا يبقى منه شيء بل يصرفه كله مع مرتبه على شئون الاسرة فانه لا تجب عليه فيه زكاة والله أعلم .

س ١١ : من محمد حسام الدين على حسن اسماعيل من المنصورة

يقول انه سمع أن هناك صلاة تسمى صلاة الاشراق تؤدى عند شروق الشمس ويريد معرفة هذه الصلاة ؟

الجواب :

ليس هناك صلاة تسمى صلاة الاشراق والصلاة عند شروق الشمس مكروهة ان كانت نفلا وباطلة ان كانت فرضا لان وقت الشروق من الاوقات الثلاثة التي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فيها وهي من شروق الشمس حتى ترتفع قدر رمح أو رمحين ومن استوائها في كبد السماء حتى تزول أي تميل الى الغروب ومن اصفرارها حتى تغرب لان هذه الاوقات الثلاثة هي التي يتجه فيها الى الشمس أولئك الذين يسجدون للشمس من دون الله فنهينا عن الصلاة فيها .

ولكن هنالك صلاة تسمى صلاة الضحى وهي سنة ويبتدىء وقتها من ارتفاع الشمس الى زوالها وأقلها ركعتان وأكثرها ست ركعات عند الحنفية وثمان ركعات عند المالكية . والله سبحانه وتعالى أعلم ...

الأسرة المسلمة

شبابنا..

الأستاذ محمود محمد عمارة

فى غزوة احد (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من يأخذ هذا السيف بحقه ؟
فقام اليه رجال، فأمسكه عنهم، حتى قام اليه «أبو دجانة» فقال: وما حقه يارسول الله ؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينحنى. قال: أنا آخذه بحقه يارسول الله. فأعطاه اياه ..

.... وقال الزبير بن العوام بعد ذلك:

وجدت فى نفسى حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فمنعنيه .. وأعطاه أبا دجانة .. وأنا ابن صفية عمته .. ومن قريش ؟!! وقد قمت اليه فسألته اياه قبله. فأعطاه اياه وتركنى .. والله لأنظرن ما يصنع فأتبعته .. فأخرج عصابة له حمراء. فعصب بها رأسه .. فقالت الانصار:

اخرج ابو دجانة عصابة الموت!
فخرج وهو يقول:

أنا الذى عاهدنى خليلى
ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر بالكبول
أضرب بسيف الله والرسول

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبا دجانة يتبختر:

انها لمشية يبغضها الله . الا فى مثل هذا الموطن

عندما أصيب المشركون بالهزيمة النكراء فى معركة بدر .. على أيدى المسلمين المجاهدين .. مثل عبد الله بن أبى ربيعة . وعكرمة بن أبى جهل . وصفوان بن أمية فى رجال من قريش ممن فقدوا ابناءهم وآباءهم فى بدر .. تدفعهم غرائز الانتقام .. فى محاولة لاعادة الصف المبعثر .. وتسليح الجيش من جديد .. هذا الجيش الذى يتألف اليوم من قبائل العرب .. والذى يراد له أن يتصدى لقوة المسلمين الضاربة ..

وازاء هذا التنادى بالعدوان .. وفى مواجهة هذه الحملة المسعورة لجمع المال .. واعادة تسليح المشركين ينزل قول الحق سبحانه:

(ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون) .

ولم يكن المسلمون وعلى رأسهم الشباب - فى حاجة الى من يثير فيهم الحماس الى استئناف القتال ..

فاذا كان المشركون هناك فى دوامة النقاش حول ضرورة التجمع من جديد لانقاذ الكرامة الضائعة ..

واذا تبجح اليهود بدافع من الحقد وسولت لهم نفوسهم التهوين من شأن انتصار بدر .. زاعمين أن لقاءهم بالمسلمين غدا سوف يؤكد لهم ان اليهود .. وحدهم .. فرسان الحلبة اذا دقت طبول الحرب .. فان المسلمين - على الجانب الاخر - يتدفقون سراعا الى حيث يقف القائد صلى الله عليه وسلم .. فى انتظار اشارة البدء .. يتدفقون .. على صورة من الفداء يعز نظيرها .. صورة تبهر التاريخ بألوانها .. وخطوطها ..

وأبرزها ذلك الموقف الذى نحاول فهمه اليوم .. وكيف صار الموت غاية حبيبة يتنافس فيها

يتسابقون إلى الموت كما يتسابقون إلى الحياة!

المتنافسون .. وحينما يقع اختيار القائد الحكيم على رجل من اجل مهمة فدائية خاصة .. فان فرحته بهذا الاختيار .. لا تعادلها سوى هموم تعتمل فى صدر جندى آخر .. فاته ذلك الشرف العظيم!!

ان الفتى «ابو دجانة» لم يستطع ان يخفى سروره بدوره الخطير .. ففاض من قلبه البشر على جوارحه التى تختال اليوم تيها وطربا .. فى ظلال من رحمة الله بعبد يرى أعداءه من نفسه اليوم قوة ..

فاذا استبان لنا .. ان هذا الدور الخطير قد يكلف أبا دجانة حياته .. برزت امامنا روعة الفدائية التى صاغها الايمان وانحسرت صاغرة كل ادعاءات اليهود الرامية الى التهوين منها .. فى محاولة لاطفاء قرص الشمس فى كبد السماء .. هذه الشمس التى لا تنطفىء ابدا .. كيف لا .. ومن ورائها مدد من الزيت المبارك .. عصارته طاعة الجند .. ورحمة القائد .. وحكمته فى آن .

ونقترب الان من الموقف .. فماذا نرى من لمحات :

ان القائد هنا لا يفرض الدور .. لكنه يفسح مجال الاختيار أمام كل من يثق بنفسه .. وفى سؤاله صلى الله عليه وسلم :

(من يأخذ هذا السيف بحقه) ؟

استدعاء للهمم .. واستنهاض للعزائم .. أن تواجه مسئولياتها .. مادامت تجيد صناعة الموت ..

وكانت ظاهرة صحية أن تسابق المتسابقون الذين اثار فيهم السؤال كوامن الشوق الى ريح الجنة .. وفى مقدمتهم قريب القائد .. ابن عمته .. الزبير بن العوام ..

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم يمسكه عن كل هؤلاء .. ويؤثر به ابادجانة .. الذى يسأل عن حق السيف .. حتى يراجع ماذا كان فى الامكان ان يفى به صادقا ...

حتى اذا وقف على سر الدور فكأنما نشط من عقال .. وتصدى لحمله بحقه المنوط به ..

وعلى أى حال كان المقصود بالانحناء : انحناء السيف من عنف الضربات أو سقوط العدو أمام جندى يقدم ولا يحجم .. فان الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا العرض يكشف عن طبيعة الجندى المؤمن .. وبخاصة فى معركة تجىء عقيب انتصار المسلمين فى معركة قريبة .. فى بدر .. وأن الصراع فيها سوف يبلغ الذروة .. الامر الذى يتطلب الجندى الجسور . وليس الخائف الحذور ..

وكان هذا التسابق آية نصر الله والفتح .. على مدى هذا الصراع الطويل .. ودليلا وثيقا على ارتفاع الامة الى مستوى مسئوليتها فى الدفاع عن الدين والوطن .. وتلقين العدو درسا فى القتال يشجب كل ما ادعاه .. وتنادى به من كل فج .

وهذه القدرة العسكرية الخارقة .. التى زكاها الايمان وتعهدها الرسول القائد حتى أستوت على سوقها .. لا تحجب ابصارها عن هذا التحول الاجتماعى الخطير .. المستمر .. وعن دور الرسول صلى الله عليه وسلم فى تغيير كثير من المفاهيم الخاطئة حتى والمعركة دائرة ..

فابن عمته غاضب .. لان الاختيار لم يقع عليه .. ثم يحاول اقناع نفسه بأحقيته بناء على مبررات يفترضها :

١ ـ انه ابن عمته .. فهو اقرب اليه من أبى دجانة !

٢ ـ ثم هو من قريش ! .. أعظم قبيلة حينئذ ..

٣ ـ وأخيرا فقد سبق أبادجانة الى طلبه فهو أولى به منه ! فانظر كيف كان العرض النبوى فرصة تعلن فيها الطبائع عن نفسها .. وتبرز ساعتها معان .. واتجاهات لابد من علاجها .. هذا العلاج الذى كان يفوت حتما لو اقتصر الامر على تكليف محدد ...

غير مسبوق بهذه الحكمة البادية .. فى تساؤل هادف ..

ولقد أخذ أبودجانة السيف بحقه.. وصار فوزه به اجابة حاسمة يعالج الرسول بها انفسا يعدها لنضال مستمر ..

فمعانى القرابة .. والانتماء .. والاولوية .. كلها . بعيدا عن الدخول فى فلسفة كلامية جدلية ـ بمقدار ما تتطلب المعركة .. لغض النظر عن ذات المرء .. وهويته ..

فقربك الى انجاز المهمة .. وانتماؤك الى المعركة وانتسابك اليها .. هو وحده مقياس الاختيار .. وهو وحده مناط الاولوية !!

واذا كانت هناك أسماء لامعة تحاول فرض نفسها .. والاستئثار بموقف ما .. فان بين الجماهير الغفيرة جنودا بواسل .. واذا لم يكونوا قد فازوا بالشهرة .. فيكفيهم شرف أن الله سبحانه يعرفهم .. ويدخر لهم مقاعد صدق .. عند مليك مقتدر .. فالمعركة وحدها .. هى التى تبرز الكفايات .. وفى اتونها المستعر تتحدد قدرات الناس .. فمن قصر فعليه وزره .. ومن ثبت قدمه .. فهو الجدير بالقيادة .. وبالاحياة أيضا .

وهكذا يكون قلب القائد كبيرا .. أكبر من ساحة القتال كلها .. وتصدق فى حناياه فراسة المؤمن .. الذى يفهم .. ويوازن ثم يختار .. فيدفع فى شرايين الامة بالدم الجديد .. يتجدد بها شبابها .. وتنور حيويتها .. حتى لايصير الامر دولة بين مراكز للقوى .. قد لاترشحها مواهبها للنضال .. فتسد المنافذ على الاكفاء .. القادرين وحدهم على تحمل التبعة .. ودفع ثمنها .. ولو كان الروح .. والمستحقين فى الوقت ذاته لحراسة الدين والوطن .. ليستمر سير الحياة .. ثم لنتابع الرحلة فى رأس ابن العوام .. وقد فاز غيره بما تطلع اليه :

ان الشاب الذى يدخر وجوده وفكره لدينه ووطنه .. يأبى عليه دينه ووطنيه أن يضيعهما فى نقد لاذع .. وهجوم موصول !

فاذا كان هو حقا يستهدف نصر الله والفتح .. واذا كانت ثقته بكلمة القائد قائمة ثابتة .. فليفسح الطريق أمام الموهبة الواثبة .. وليراقب عن كثب ابادجانة .. وصولا الى سر اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم .. حتى اذا تحققت العظة وشاهد الدرس .. كان ذلك نقطة هامة فى حياته .. ترفعه الى أفق جديد .. يجرد فيه نفسه لمعركة الحق .. بعيدا عن شرف العائلة ! .. وصلة القربى ..

وكذلك فعل ابن العوام :

لقد غضب فى نفسه .. لانه لم يصل الى غرضه ..

ثم هو فى النهاية يرى نفسه أمام صورة فريدة للبطولة يتنادى بها الناس من حوله .. صورة يعتز بها .. من أجل نصر يتوق اليه .. وامة تاخذ مكانها اللائق فى مواجهة المشركين .. واليهود معا ..

صورة شاب يتغنى بالحرية :

ألا أقوم الدهر فى الكبول .. فى القيود

الحرية المحكومة بشرع الله عز وجل .. القائمة على هدى من الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .. والتى يسعى طلابها الى توفيرها للناس جميعا .. دون هؤلاء الادعياء الذين يحرفون معناها كما يحرفون معنى السلام .. فيحولونها الى فوضى يواجهون بها العالم بغيا وعدوا ..

وتبقى الحرية .. ويبقى السلام .. كما أرادهما الحق سبحانه وتعالى شعارا جليلا .. نموت فى سبيله .. ونحيا أيضا فى سبيله ..

وحين نبذل الحياة دفاعا عنهما .. فاننا ندخرها لحياة أخرى هى الحيوان ..

ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) انه الوجود المستمر أبدا .. والذى ينتقل به الشهيد الى صورة أخرى ابقاء لايزول.

وهاهو ذا أبو دجانة يتبختر بين يدى النزال . ويراه القائد صلى الله عليه وسلم فيبش له . ويؤكد صدق هذا الاتجاه فى مواجهة الاعداء .. وفعاليته فى التاثير بين صفوفه .. وماذا تعنى المشية المزهوة الا الاعتزاز بالحق .. والايمان بعدالة القضية ..

ومع هذا فانها تعنى أيضا الازراء بالعدو .. وقوته .. ويكفيك هذا قذيفة تفت فى عضده ..

لقد كنت أطالع مشاهد جنودنا الابطال على جبهة سيناء المباركة .. فاذكر ابادجانة ورفاقه .. وأقوله لصحبى ، انه البعث الجديد اذن .. والصفوة الممتازة من جنود مصر لاتدعى البطولة ادعاء ...

بيد أنها تستمدها من تاريخ سطره اباء لهم واجداد وضعوا اسس البطولة وتمشت فى دمائهم .. وهاهى ذى تتحدر من الاسلاف الى الاخلاف ...

سجية تلك فيهم .. غير محدثة !

ان الشجاعة فاعلم .. شرها البدع !

وبهذه الروح .. كان المسلمون تفسيرا لقول الحق سبحانه وتعالى : **ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة .. ثم يغلبون)**

لكن التفسير يجىء عمليا .. بالدم .. والسلاح .. وليس بالادعاء الكاذب الممقوت .. الذى يتفرد به اليهود أمس .. واليوم .. واذا كانت اسرائيل اليوم تحاول المراء فى هذه الحقائق بمحاولات تستهدف التضليل .. فان العالم يرى اليوم حقائق على الطبيعة .. ولم يعد يطيق الكلام !!

يرى حقيقة الامة العربية التى تخوض معركة الشرف .. مدفوعة بخصائصها الذاتية .. بينما يندفع اليهود بقوة خارجة .. تماما كالصخرة التى يسوقها السيل : تظن أنها قائدته .. بينما هى مقودة !! وصدق الله العظيم اذ يقول (**ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس**)

صفحات باهرات من جهاد المرأة في الإسلام

لا شك أن من الظواهر التاريخية الباهرة المضيئة التى تستحق الدراسة والمتابعة ، وتستوجب من كل منصف أن يكشف عنها النقاب ليجلى للناس روائعها لاسيما فى ظروفنا المعاصرة : ظاهرة حرص المرأة العربية المسلمة على أن تقوم بدورها الجليل كاملا وباهرا فى كل المعارك التى خاضها الرجال دفاعا عن العقيدة والمقدسات وحماية للاوطان والاعراض ، وتحريرا للارض وذودا عن كل ما يحرص عليه الانسان من حرمات .

فالمرأة العربية المسلمة فى ماضيها وفى حاضرها قد سجل لها التاريخ فيما سجل : أنها لم تقف قط فى يوم من الايام ولا فى مرحلة من مراحل كفاح أمتها الدامى موقف المتفرج .. كما لم تسمح لنفسها مطلقا وعلى مر العصور - كلها - أن تتخذ من نضال أمتها موقفا سلبيا لا يسهم بدور ايجابى فى دعم المعارك وصنع النصر ..

الأستاذ مصطفى عبد الحليم الجندي

وبرغم أن النصوص من الاسلام لم توجب على المرأة (الجهاد) بالمعنى المفهوم فى الاسلام من هذه الكلمة وهو (استفراغ الوسع والطاقة فى مدافعة الاعداء وقتالهم) حرصا من الاسلام على صيانة المرأة من التعرض لمواطن الفتنة ، وضنا بها أن تواجه المواقف الصعبة - الا أن نفس النصوص لم يرد فيها ما يمنع من جواز اسهامها فى المعارك وخوضها لغمرات الكفاح بما يتفق مع طبيعتها الفطرية ، وقدراتها الطبيعية ، وملكاتها وخصائصها التى زودها بها ربها جل وعلا ، والتى جعلتها شيئا خاصا بها موقوفا عليها لا ينافسها فيه أحد ، ولا يستطيع أن يحسنه سواها : كخدمة جبهات القتال والقيام على أمر جرحاها ومرضاها .. وغير ذلك من المهام الدقيقة والخطيرة فى نفس الوقت .

أما النصوص التى لم يرد فيها ما يوجب على المرأة المسلمة الجهاد بمعناه المفهوم فى الاسلام والمرادف للقتال : فمنها : حديث ابن ماجه الذى أخرجه فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها «قالت : قلت يارسول الله : على النساء جهاد ؟ قال : نعم .. جهاد لا قتال فيه .. هو : الحج والعمرة » .

٢ - ومنها ما جاء فى رواية البخارى عن عائشة رضى عنها أيضا قالت : « استأذنت النبى صلى الله عليه وسلم فى الجهاد .. فقال : جهادكن الحج » .

٣ - ومنها ما أخرجه النسائى فى صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جهاد الكبير والمرأة والضعيف . الحج » .

فقد دلت كل هذه النصوص على : أنه لا يجب على المرأة جهاد بالمعنى الاسلامى المفهوم من كلمة الجهاد ، والذى يرادف كلمة القتال .. كما دلت هذه النصوص على : أن الثواب والاجر الذى يقوم مقام ثواب الرجال فيما يتعلق بقتلهم لعدوهم : انما يتحقق ويكون عن طريق حج المرأة وعمرتها وتحملها لمشقات اقامة شعائرهما .. ذلك لان النساء مأمورات بالستر والسكون والجهاد ينافى ذلك لان فيه مخالطة الاقران ، وبمبارزة الرجال ورفع الاصوات .

أما النصوص التى أجازت اسهامها فى المعارك ومشاركتها فى الكفاح والنضال بما يتفق مع فطرتها ، وينسجم مع قدراتها وخصائصها التى لا ينافسها فيها أحد : فمنها ما جاء فى صحيح البخارى ليدل على أن جهاد النساء اذا حضرن مواقف الجلاد : سقى الماء ، ومداواة الجرحى ، ومناولة السهام » ومنها ما يأتى :

١ - فعن أنس بن مالك رضى الله عنه فيما رواه الشيخان عنه قال « لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى صلى الله عليه وسلم ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سلمة وانهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما « الخلاخل فى سوقهما » تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانها فى أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانها فى أفواه القوم .»

٢ – وعن أنس أيضا فيما رواه مسلم وأبو داود والترمذى عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يغزو بأم سليم ونسوة من الانصار معه .. فيسقين الماء ، ويداوين الجرحى ..

٥ – وعن الربيع بنت معوذ رضى الله عنها فيما رواه البخارى فى صحيحه عنها قالت « كنا نغزو مع النبى صلى الله عليه وسلم فنسقى القوم ، ونخدمهم ، ونرد القتلى والجرحى الى المدينة »

٤ – وروى مسلم عن أم عطية قالت : « غزوت مع النبى صلى الله عليه وسلم سبع غزوات : أخلفهم فى رحالهم فاصنع لهم الطعام ، وأداوى الجرحى ، وأقوم على المرضى »

وهكذا : بمقدار ما تحدد هذه النصوص دور المرأة فى الكفاح واسهامها فى المعارك .. بمقدار ما تسجل وتؤرخ لجهاد المرأة العربية المسلمة منذ عهد النبوة وأيام الرسالة

ولقد أبرزت هذه النصوص بالاضافة الى ما سبق هذه الحقائق :

ان دور المرأة الرائع وجهادها البطولى فى المعارك هو دور وجهاد يتسق مع فطرتها وينسجم مع طبيعتها . وأنه تقريبا هو نفس الدور الذى تقوم به المرأة العربية المعاصرة فى معركة التحرير والمصير .. مع شىء من التطور الذى تفرضه طبيعة العصر ، وتعدد مشكلات المجتمع ، واختلاف أنشطة الخدمة لافراده . فاذا كان دور المرأة العربية المسلمة الان وهى تساهم بجهدها وعرقها فى معركة المصير قد يتلخص فى :

١ – التطوع للتدرب على أعمال الاسعاف والتمريض والقيام على خدمة المرضى والمصابين .

٢ – وتقديم كافة الخدمات المتاحة والممكنة من أجل الترفيه عن المقاتلين والجرحى وتقديم كافة الهدايا الممكنة اليهم .

٣ – والمساهمة فى دعم المجهود الحربى واستمرار المعركة عن طريق جمع التبرعات الممكنة المالية والعينية .

٤ – ورعاية أسر المقاتلين فى الجبهة الداخلية وخدمتهم ، وتقديم كافة المعونات اليهم لتتفرغ قلوب المقاتلين على خط النار لمواجهة العدو ودحره وسحقه .. دون أن يشغلهم عن ذلك شاغل يتعلق بأسرهم .

٥ – والقيام بدور التوجيه المعنوى للابناء والبنات ، وبدور التوعية فيما يتعلق بترشيد الاستهلاك والاقتصار على الضرورى رعاية لظروف المعركة، ودعم مهمة الدفاع المدنى عن طريق الاستجابة الكاملة لتوجيهاته وارشاداته ، ومحاربة الاشاعات ، وخلق الازمات التموينية المفتعلة عن طريق التكالب على تخزين السلع أو الاسراف فى الاستهلاك .

اذا كان ذلك هو ما قد تسهم به المرأة العربية المسلمة اليوم فى ساحة الشرف ومعركة المصير .. فان من الانصاف للحقيقة التاريخية ومن الدعم لقيمتها حتى لا يضيع : ان نؤكد أن المرأة العربية المؤمنة بالامس وفى ماضيها المشرف : لم ينته بها الامر عند هذه الحدود . ولم يقف بها خط الكفاح والجهاد عند هذه الانشطة على عظيم خطرها .. بل ان دور المرأة فى ماضيها لم يختلف فى قليل ولا فى كثير عن دور الرجال المقاتلين ، ان لم تكن المرأة العربية قد فاقتهم فى ذلك، و تقدمت عليهم فيه ..

لقد حملت المرأة السلاح دفاعا عن نفسها ، بل وقاتلت المرأة عدوها بنفسها وأبلت فى ذلك بلاء حسنا ، واقتحمت الصفوف وخاضت غمار المعارك بقوة ورباطة قلب وثبات قدم لا يملك المنصف نفسه بازائه الا ينحنى تقديرا واحتراما ، واعزازا وعرفانا .

بل ان المرأة العربية المؤمنة فى ماضى جهادها وسابق كفاحها قد تحملت من المواقف الشديدة والامتحانات الصعبة الكثير ، وواجهت فى حياتها المكافحة من البلاء ما تقبلت أهواله فى ثبات وصبر وثقة ويقين ، ورضى وتسليم .. الامر الذى يؤكد انها ما كانت لتتحمل ذلك كله الا اذا كانت على طراز فذ ونمط عجيب . وتدعيما لكل ما قررناه : نسوق هذه الصفحات على سبيل المثال لا على سبيل الحصر :

١ – فقد أخرج مسلم من حديث أنس رضى الله عنه « أن أم سليم اتخذت خنجرا يوم حنين .. وقالت للنبى صلى الله عليه وسلم : اتخذته أن دنا منى أحد المشركين بقرت بطنه »

فهذا الحديث كما يتضح منه قد دل على جواز قتال المرأة دفاعا عن نفسها ، واتخاذها الاهبة لدفع العدوان عنها واتقاء مكر عدوها وغدره ، كما انه قد أرخ لحمل المرأة السلاح ومشاركتها للرجال فى القتال .

٢ – وصفية بنت عبد المطلب (عمة النبى صلى الله عليه وسلم) قد حكى التاريخ فى أوثق مصادره عنها أنها قاتلت فى غزوة بنى قريظة – حيث كان يقيم اليهود ويقطنون – لقد لمحت فى واحد من اليهود أخذ يطوف بحصن النساء والاطفال المسدمين لعله يجد ثغرة ينفذ منها الى داخل الحصن – أمارات الدناءة والخسة وعدم التورع عن قتل النساء والاطفال كما هى عادته – فنزلت من الحصن وتمكنت من قتل هذا اليهودى ثم عادت الى الحصن مرة أخرى بعد أن أحبطت مكر اليهودى وأفسدت عليه مخططاته .

٣ – وكذلك فعلت أم سنان الاسلمية التى خرجت فى غزوة خيبر ، وشاركت فى أعمال القتال ، وقال لها الرسول صلى الله عليه وسلم أن لك صواحب قد أذنت لهن ، فكونى مع أم سلمة »

٤ – ويوم أحد كانت (ام عمارة نسيبه بنت كعب بن عمرو الانصارية) واحدة من أعظم المجاهدات

المضحيات التى عرفتهن ساحات القتال وميادين المعارك ،لقد تألق بحملها يوم أحد كما لم يتألق نجم أحد من المقاتلين يومها على بطولتهم وكثرتهم ٠

تقول أم سعد بنت سعد بن الربيع فى معرض كشف بلائها الحسن فى القتال يوم أحد :

دخلت على (أم عمارة نسيبة بنت كعب الانصارية) فقلت لها : « يا خالة : أخبرينى خبرك ٠٠! فقالت أم عمارة : « خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعى سقاء فيه ماء فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه ـ والدولة والريح للمسلمين ـ (أى الغلبة والنصر لهم) فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم،فقمت أباشر القتال ،وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح الى ـ تقول أم سعد : فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور (له عمق) فقلت : من أصابك بهذا ؟ فقالت : ابن قمئة أقمأه الله ٠٠ لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول : دلونى على محمد فلا نجوت ان نجا فاعترضت له : أنا ومصعب بن عمير ، وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربنى هذه الضربة فلقد ضربته على ذلك ضربات .. ولكن عدو الله كانت عليه درعان »

لقد جرحت أم عمارة يوم أحد وهى تدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر جرحا كانت لها بمثابة أوسمة الشرف الربانية تشهد ببسالتها وصدق أقدامها فى جهادها . استحقت بسببها أن يمنحها رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رآها يومئذ تقاتل أشد القتال ـ أعظم شهادة فضل وشرف وتقدير الى يوم القيامة ٠٠ فلقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قال يومئذ « لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان » ٠

٥ ـ ومن المواقف الشديدة الصعبة ، ومن البلاء العظيم الذى قد يعجز الرجال عن مواجهته بمثل صلابة الايمان وثبات اليقين الذى تدرعت به (أم خلاد) ٠ موقف (أم خلاد) يوم أحد ٠٠

لقد شهدت غزوة أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدها معها زوجها وولدها وأخوها ٠٠ فما انتهت المعركة يوم أحد وقد أسهمت فيها بما استطاعت من جهد الا وكان قد استشهد الزوج والولد والاخ ٠

فلم يكن من هذه المرأة العظيمة الا أن حملتهم وهم صرعى على بعيرها فى متانة يقين ، وثبات قلب ، وكمال ايمان ، تريد أن تدفنهم فى المدينة فلقيتهـا عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فى الطريق ٠٠ فقالت لها : عندك الخبر ياأم خلاد ، فما وراءك ؟ قالت أم خلاد : أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فصالح وكل مصيبة بعده جلل (أى هينة) واتخذ الله من المؤمنين شهداء »

قالت عائشة رضى الله عنها مشيرة الى من حملت من الشهداء : من هؤلاء ؟ فأجابت أم خلاد : أخى عبد الله ، وابنى خلاد ، وزوجى عمرو بن الجموح ٠٠ قالت عائشة : فأين تذهبين بهم ؟ فأجابت أم خلاد : الى المدينة أقبرهم فيها ٠٠ وزجرت أم خلاد البعير ليتابع السير الى المدينة فما استطاع ٠٠ فلما وجهته جهة الميدان تحرك وأسرع حتى بلغ مكان المعركة ٠٠ وهناك دفنهم الرسول معا ٠٠ وقال لها : ياهند ٠٠ ترافقوا فى الجنة عمرو بن الجموح ، وابنك خلاد ، وأخوك عبد الله ٠ ففرحت وقالت : يارسول الله أدع الله أن يجعلنى معهم ٠٠ فدعا لها ٠٠ وكان فى ذلك وحده كل سلوها وعزائها » ٠

٦ ـ وفى يوم اليرموك تجلى جهاد المرأة العربية المسلمة كما لم يتجل من قبل : لقد أكد (ابن كثير) أن النساء قاتلن من وراء الرجال أشد القتال فقد جعل خالد بن الوليد النساء من وراء الرجال وجعل معهن السيوف وغيرها ، وأعطاهن (واجبا قتاليا) لخصه لهن فى قوله لهن « من رأيتموه موليا فاقتلنه » « يومها استقبل النساء من انهزم من سرعان الناس يضربنهم بالخشب والحجارة فيتراجع الناس الى مواقفهم ، وقتلت النساء خلقا كثيرا من عسكر الروم ، ولكن يضربن من انهزم من المسلمين ويقلن لهم أين تذهبون وتدعوننا للعلوج (جمع علج وهو الكافر) وكان ذلك كله من أسباب الغلبة والنصر (البداية والنهاية لابن كثير جـ ٧ : ص ٥ ـ ١٤]

ففى يوم اليرموك كما يظهر لنا : أسهمت المرأة بأدوار عجيبة وأنشطة جديدة جديرة بالوقوف عندها فى اجلال لقد قامت النساء بفضل الواجب القتالى الذى أعطاه لهن خالد ـ بدور الجيش المقاتل المساعد على قتال الروم ٠

٢ ـ كما قمن يومها بدور (البوليس الحربى الحديث) الذى يضبط من يتراجع عن ساحة المواجهة ويرده اليها ٠٠

٣ ـ بعد أن يقمن نحوه بوظيفة جديدة قبل اعادته الى موقعه ٠٠ هى تعبئته نفسيا ومعنويا وحفز همته الى القتال ، عن طريق الهاب حماسته،واثارة غيرته ، واستثارة نخوته ورجولته ليدافع عن عرضه ٠

وفى يوم اليرموك أيضا لم ينس التاريخ أن يسجل فى أنصع صفحاته بطولة امرأة عربية مؤمنة كان لها شرف صحبة النبى صلى الله عليه وسلم وعاشت بعدها الى أن حضرت يوم اليرموك واشتركت فى معاركه ، وأبلت فيها بلاء حسنا حتى تألق نجمها فى سماء البطولة كأعظم ماتكون البطلات المقاتلات ٠ لقد لمع يوم اليرموك نجم الصحابية العظيمة (**أسماء بنت يزيد بن السكن**) منافسا لنجوم أعظم الابطال :لقد خرجت أسماء يوم اليرموك لتكون مع أخوات لها وشقيقات من خلف المجاهدين الصابرين من أجل مناولة السلاح وتضميد الجراح ، وشد عزائم الرجال من أجل مواصلة الكفاح ٠

ولكن المهمة التى خرجت مع أخواتها لانجازها سرعان ما تغيرت : بعد اذ اشتد الموقف ، وتأزمت

الامور ، وحمى وطيس المعركة ، وتصاعدت الحرب ، وتبجح العدو . هنا نسيت أسماء رضى الله عنها أنها أنثى ولم تذكر الا أنها عربية مسلمة تستطيع أن تجاهد بكل ما فيها من عزم ، وبكل ما أوتيت من قوة ، وبكل ما فى وسعها من طاقة ، بل وبأى شىء يتاح لها وتتخذه كسلاح ٠٠ ولم تجد أمامها الا عمود خيمة ٠٠ حملته واقتحمت به الصفوف ٠٠ وانغمرت به فى ساحة المعركة واخذت تضرب به اعداء الله ذات اليمن وذات الشمال حتى قتلت به تسعة من رجال الاعداء ٠ واستحقت بذلك ان يسجل لها ابن حجر فى كتابه الاصابة أعظم شهادة تقدير عرفها التاريخ لقد قال (فى ص ٢٩٢ جـ ٤ من الاصابة) « اسماء بنت يزيد ابن السكن : شهدت اليرموك وقتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود فسطاطها وعاشت بعد ذلك دهرا »

٧ ـ ويوم القادسية العظيم سجل التاريخ فيما سجله كيف لعبت المرأة العربية المسلمة دورا حيويا جديرا بالتقدير والتسجيل كان له اثره فى كسب المعركة وهزيمة الفرس ٠ لقد بلغ عدد النساء من (بجيلة) ألفا ، ومن (النخع) سبعمائة : ساهمن جميعا فى أعمال كثيرة جليلة وخطيرة ٠ منها ١ ـ تمريض الجرحى ٢ ـ وسقى المصابين و٣ حفر القبور للشهداء ، ٤ والاجهاز على من بقى حيا من جرحى العدو ٥ ـ وحماية مؤخرة صفوف المسلمين من أى التفاف أو هجوم ٠ حتى ان ام كثير امرأة همام ابن الحارث النخعى تحكى قائلة : « أقبلت خيل المسلمين بعد احدى المعارك فحسبتها النساء غارة فتصايحن وقمن دون الصبيان بالحجارة والعمد ـ فقال الدليل : هكذا ينبغى لنساء هذا الجيش » وتحكى أم كثير امرأة همام نفسها فتقول : « انها وصواحب لها قد شددن عليهن ثيابهن ، وأخذن الهراوى (العصى الغليظة) بأيديهن ، ومضين يعالجن الجرحى ، ويجهزن على من يستطعن من المشركين» ٠

ويوم القادسية نفسه سجل التاريخ من صفحات العظمة لجهاد المرأة العربية المسلمة هذه الصورة الباهرة المضيئة الذى لن يخفت ضوءها ولن يتلاشى بريقها ما بقيت نسمة على وجه الارض : انها (التماضر بنت عمرو بن الشريد) المعروفة بالخنساء والتى اهلكت نفسها فى الجاهلية حزنا وكمدا ، وأسى ولوعة على أخيها ٠

لقد جمعت يوم القادسية أبناءها الاربعة الذين خرجوا لملاقاة الفرس ـ وذلك قبل المعركة ـ من أجل أن تحرضهم وتلهب عواطفهم وتستثير فيهم حمية الايمان والحرص على نيل الشهادة ، فكان فيما قالته لهم « يابنى انكم اسلمتم لله طائعين وهاجرتم مختارين ، ووالله الذى لا اله الا هو انكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ما هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم ، وما خنت أباكم ولا فضحت خالكم أعلموا أن الدار الاخرة هى خير من الدار الفانية ، فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقيها فيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلد والمقامة ٠ »

وما أن نعى اليها استشهاد أولادها الاربعة « الا وسجل لها التاريخ موقفا أروع من ذلك كله ٠٠ لقد تقبلت نبأ استشهادهم بالرضى والتسليم ولم تزد على قولها « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم واستشهادهم وأرجو الله أن يجمعنى بهم عنده فى مستقر رحمته ودار كرامته »

٨ ـ ولا ينسى التاريخ أن يسجل فى صحائفه اسم (سلمى بنت حفص) التى اشتركت مع زوجها المثنى بن حارثة فى معاركه ضد الردة فى شبه الجزيرة العربية ، ومعاركه ضد الفرس فى العراق ، ثم تزوجها سعد بن أبى وقاص بعد وفاة المثنى فشهدت معه معاركه وساهمت فيها مساهمة باهرة ٠

٩ ـ وكيف ينسى التاريخ جهاد هذه المرأة العربية المسلمة العظيمة التى عرفت باسم (شجرة الدر) لقد شاركت بحكمة وجدارة زوجها فى تسيير أمور الدولة ، وتدبير أمر الملك ، وتصفية الموقف مع الصليبيين واجلائهم عن أرض مصر الحبيبة ٠

لقد انتظم المسلمون الاولون كلهم على طريق الجهاد واستمر ذلك طابعا عاما ومنهجا وسلوكا فى حياتهم وحياة الاجيال من بعدهم ، فاستقام أمرهم ، وعلا شأنهم ، وضعفت أمامهم كل القوى المعادية ، بل ورجعت ذليلة مقهورة مدحورة ٠٠ وكان للمرأة المسلمة دائما على هذا الطريق نصيب كبير وحظ وفير ٠

١٠ ـ ولقد ضربت المرأة العربية المصرية المعاصرة أخيرا ٠٠ مثلا رائعا لجهاد المرأة المؤمنة المسلمة فى كل العصور : لم تستطع الصحافة المصرية بازائه الا ان تسجله بكل فخر واعزاز وتقدير والى أن تعلن فى عدد (أخبار اليوم) الصادر بتاريخ ٢ ـ ١٠ ـ ١٩٧٣ (أن آلاف المتطوعات فى طابور الانتظار) للاسهام فى نيل شرف الخدمة فى معركة التحرير والمصير ٠

والى أن يكتب محرر صفحة (أخبار الناس) فى عدد (الاخبار) بتاريخ ٢٩ ـ ١٠ ـ ١٩٧٣ كلمة الاعزاز والفخر والتحية والتقدير الاتية :

« عزيزتى المرأة المصرية :

ألف تحية لك ٠٠ فهذه أول مرة فى تاريخ الشعوب يزيد عدد المتطوعات للخدمة بالمستشفيات ـ فى حرب شرسة كالتى شهدتها منطقة الشرق الاوسط هذا الشهر ـ عن العدد المطلوب فعلا ٠٠ وهذه شهادة لك بأنك وقت الجد تنسين كل شىء الا أنك مصرية بجد ٠ »

وأحب من ناحتى أن استدرك ما فات المحرر أن يضيفه ـ واستسمحه فى ذلك ـ واقول : « وهذه شهادة لك بأنك وقت الجد تنسين كل شىء الا أنك عربية مسلمة بجد » بارك الله لامتنا فى رجالها ونسائها ، وشيبها وشبابها ، وجندها وقادتها ، وسدد على طريق النصر دائما خطاهم وجعل العزة والكرامة حظهم ، والتوفيق والرشاد حليفهم ، انه سميع مجيب ٠

المرأة المسلمة والمعركة

الدكتورة ليلى صقر

يقول الله تعالى :

«لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما » .

تحدثنا فى العدد الماضى عن العديد من البطولات النسائية فى الحروب أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ورأينا كيف كانت تقوم المرأة المسلمة بواجبها كاملا غير منقوص ، كيف ساهمت فى كل الحروب مساهمة فعالة حتى تحقق النصر ، رأينا كيف صاحبن النساء المسلمات الجيوش الى ميادين القتال وقمن باسعاف الجرحى ومداواة المرضى ودفن القتلى وتجهيز الطعام للجنود وكيف كن يسرن بين الجنود يسقين العطشى وينقلن الجرحى الى ما وراء خطوط القتال وهن فى أثناء ذلك كله يحرضن ويشجعن المجاهدين على القتال .

قال تعالى : **« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم »** .

ولا تقتصر البطولات النسائية على التضحية بالنفس والمال فقط بل تذهب الى أبعد من ذلك الى حد التضحية بكل نفيس وغال ، الى التضحية بالابن والزوج والاب والاخ الى تشجيعهم على حمل السلاح والزود عن حمى الوطن واعلاء كلمة الله « **أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** » .

وانه لجدير بالذكر فى هذا المجال قصة الشاعرة العربية الخنساء ففى قصتها لاروع مثل للدور الذى لعبه الاسلام فى حياة المرأة فنقلها من ظلمات الجهل الى نور الايمان والمعرفة فحينما قتل أخاها (صخر) وكانت لم تدخل بعد الدين الاسلامى وجدناها تحزن عليه حزنا شديدا وتنتحب وتظل سنينا تبكيه وتنظم القصائد الملتهبة فى رثائه فتقول :

اعينى جودا ولا تجمدا
ألاتبكيان لصخر الندى
الا تبكيان الجواد الاصيل
ألا تبكيان الفتى السيدا

حتى أنها نالت شهرة كبيرة كشاعرة رثاء وعويل ».

أسلمت الخنساء وآمنت بالله فأنزل الله السكينة على قلبها ورزقت بأربع أولاد فقامت على تربيتهم حتى شبوا وأصبحوا عوضا لها على الاب والاخ واذا بمناد ينادي الشباب للاشتراك فى معركة (القادسية) التى شنها القائد العربى سعد بن أبى وقاص ضد الفرس وكان الفرس وقتئذ من أقوى دول العالم اذ ان الفرس والروم كانوا أقوى دولتين فى العالم ، نجد الخنساء وقد غمر قلبها الايمان فأكسبها قوة وشجاعة قال تعالى « **ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** » . نجدها تجمع أولادها الاربعة وتجلس فيهم تعطيهم درسا فى البطولة والصبر والمثابرة من أجل حماية العقيدة والمقدسات الدينية وتقول لهم : (يا بنى انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا اله الا هو انكم لبنو رجل واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم وقد تعلمون ما عند الله من الثواب الجزيل للمسلمين فى حرب الكافرين وأعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية قال تعالى « **يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** ») . وما أن استمع الابناء الى هذه الكلمات الحماسية حتى سرت الشجاعة فى قلوبهم واندفعوا فى بسالة الى ساحة القتال وعلى لسان كل منهم قول الله تعالى : « **قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا** » .

ولما عاد المجاهدون فى سبيل الله سألت الخنساء أحدهم عن نتيجة المعركة أولا ولم تسأله كأم عن مصير أولادها الاربعة ولما أخبرها بالنصر فرحت كثيرا ثم انبأها باستشهاد أولادها الاربعة فتلقت النبأ بالحمد والتهليل لا بالنواح والعويل وهى تقول : « **الحمد لله الذى شرفنى باستشهادهم وأرجو أن يجمعنى الله بهم فى مستقر رحمته** » .

وهذا يرينا كيف غير الاسلام من الخنساء التى قالت فى موت أخيها :

ولولا كثرة الباكين حولى
على قتلاهمو لقتلت نفسى

كيف أن التى أرادت قتل نفسها بعد مقتل أخيها لولا أن عزائها كان أن أصاب كل من حولها مكروه ، كيف انها نفسها هى التى فرحت باستشهاد أولادها وقالت « الحمد لله الذى شرفنى باستشهادهم » . **هذا هو الايمان الحق فليكن هذا أسلوبنا جميعا وليكن هدفنا الكبير** اعلاء كلمة الله والزود عن حمى الوطن بالابن والزوج والاب والاخ واذا كان هذا هدفنا فلابد وأن يكون الله معنا ، وكلما قربنا من الله بقلوبنا ازداد تأييد ونصرة الله لنا قال تعالى : « **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين** » .

إسلامنا

أهم مصادر قوّتنا فى المعركة

الأستاذ ناصف سليم

• • •

قبل أن يلجأ العرب الى الحل العسكرى لنيل حقهم من العدو المغتصب ظلوا سنين عددا يطالبون بهذا الحق دون جدوى ، وعملوا عملا متصلا ومشتركا عن طريق سفاراتهم فى البلاد الاجنبية ، وعن طريق وفودهم فى الامم المتحدة وما يشاكلها ، ولم يكتب لجهودهم الدبلوماسية ما كتب للعمل العسكرى من نجاح .. ذلك لان العالم لا يحترم غير الاقوياء الذين يبذلون الدم والعرق فى سبيل الحصول على حقوقهم .. وهنا تثمر الجهود الدبلوماسية ، أو أوشكت ، لان الحق هنا تسنده القوة .

• • •

أصبح كلام العرب فى أروقة الامم المتحدة وفى كثير من الدول له صدى عميق ، وأصبح من السهل علينا أن نفرق بين العدو والصديق ، فقد استطاع الجنود البواسل أن يفكوا الاطواق الفولاذية بأيد من ايمان ثابت وعزم لا ينثنى ، وقوة لا تلين ، وكانوا فى ذلك مستجيبين بحق وصدق لدماء آبائهم الصيد الاماجد التى ما تفتأ تنادى بالثأر لها ، والتحرر من اعداء العرب .

اسرائيل ترتعد

ولعل اسرائيل قد أدركت وحدها ، ولاول مرة ، أنها وحدها لم تعد تستطيع أن تنتصر على الجيوش العربية وحدها ، وأنها لا تستطيع وهى فى المكان الذى اختارته لنفسها بقوة السلاح منذ عام ١٩٤٨ أن تحمى نفسها بنفسها ، لان سياسة العدوان لا تصلح أسلوبا للتعامل مع أمة مترامية الاطراف ، متعددة المصالح ، لها ماض مجيد ، وتاريخ حافل تحتل رقعة هامة فى الوريد لهذا العالم المتناحر .

كيسنجر .. يعترف

●● وما أن زالت الحواجز والقيود والموانع والسدود بين أمة العرب الا وأدركت اسرائيل هذا المعنى ، وكان تصريح الدكتور كيسنجر صريحا للغاية حيث أعلن وهو فى زيارته للصين الشعبية منذ أيام ، ان اتفاقية السلام التى ستعقد بين العرب واسرائيل ،

لابد أن يعقبها قرار بحماية الولايات المتحدة لاسرائيل ، لانها سوف تصبح فى موقف خطير غير آمن بعد أن تنسحب من الاراضى التى احتلتها فى ٥ يونيو عام ١٩٦٧ .

مصادر القوة

● ومما لا شك فيه أن الدكتور كيسنجر وغيره ، نحن وهو ، والاعداء والاصدقاء ، قد أدركوا مصادر القوة فى الامة العربية الان ، وهى ليست فى قرارات تؤثر على الحياة المادية فى العالم فحسب ، بل هى فى تاريخ العرب واسلامهم ووحدتهم ، ودور مصر القيادى فى هذا الاتجاه ، اذ لولا اسلام مصر الصحيح ما وقف العرب معها هذا الموقف النبيل الكريم ، ولولا اسلامها الصحيح ما باع جنودها أنفسهم لله على ضفتى القناة وفى أرض سيناء ، تحقيقا للفداء :

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ، بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن » .

شهادة المؤرخين

ولقد اتفق كل الرحالة التى زاروا مصر والمؤرخون الذين اتخذوا شعبها مادة لهم منذ عرفت أوربا ابتداء من القرن الرابع عشر ، على أن مصر فى عصورها الاسلامية كلها تتألف من شعب طيب ونشيط ، عامل وآمن ومسالم ، لا يميل الى الفوضى أو الفساد ، وما زال رأى العالم فيها أنها فى رأيهم جميعا بلد الخير والجمال ، يزينها النيل الذى لا يشبهه نهر فى العالمين . وان شعبها له تقاليد ثابتة يرعاها ، ولا يقصر فيها .

قال ذلك بيلوتى الرحالة الكريتى ، وينفاند الفرنسى وادوارد لين الانجليزى ، وسافارى وفولنى الفرنسيين ، الى آخر هذه السلسلة من رحالة الغربيين .

أخلاق .. وأصالة

وخلال تاريخنا الطويل ، لم تعبر بنا فترة من فترات الانهيار الخلقى الذى نشاهده فى رحلاتنا للخارج ، أو الفوضى الاجتماعية التى نسمع عنها والتى غرق فيها غيرنا من الامم ، لم يعرف تاريخ مصر أو تاريخ العرب عامة شيئا يشبه الفساد الشامل الذى عاشت فى ظلاله القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ، ولم تعرف مجتمعات العروبة والاسلام مفاسد مجتمعات الاغريق والرومان ، ولم يمر بنا شىء مما مر بايطاليا فى أيام آل بورجيا أو انجلترا أيام عودة الملكية ، أو فرنسا خلال القرن الثامن عشر ، لم تعرف بلادنا شيئا من ذلك ولا قريبا منه ، ولقد مرت بنا أعصر طويلة من الازمات والمصاعب ، وعرفنا سنين متعاقبة من المجاعة والمسغبة ، وسنوات متعاقبة من الظلم والقهر والعسف ! وامتحنتنا المقادير بما لم تمتحن به غيرنا من الامم ، فلم يؤثر ذلك فى مجتمعنا قليلا أو كثيرا ، وظللنا شعبا سليما صحيح البنية متصل الاعراق محافظا على قواعد العرف والاخلاق .

الشعب .. والجيش

وتلك ـ كما يقول المؤرخون المحايدون وغير المحايدين أيضا ـ ظاهرة فريدة فى بابها بين ظواهر التاريخ .

وهذه حقيقة تفرض علينا بسالة رجال القوات المسلحة ووقفة الشعب الى جانبهم ، من خلفهم ومن أمامهم . وعن يمينهم وشمالهم أن نذكرها ، كمصدر من مصادر القوة ، هذه القوة التى ادت فى أيام الى تحقيق ما كان يعده أعداؤنا من الاوهام والاحلام :

● حققت للعرب سمعة دولية وكرامة هم جديرون بها .

● حققت وحدة فى الصف واعترافا من الجميع بفضل الله والاسلام .

● حققت اعترافا من أمريكا على لسان الدكتور كيسنجر ، بأن العرب قوة ، تحتاج معها أمريكا الى مشروع لحماية اسرائيل .

الحرب .. والسلام

ولقد يجدر أن تشير ونحن على أبواب دور من أدوار تاريخ أمتنا المجيدة الى أن أمة العرب تؤمن بالسلام وبالحق وبالعدل ، لا هى دولة معتدية ولا هى ناقضة للعهود ، ولا هى ذات أطماع .. ولكن أعداءنا هم الذين اغتصبوا أرضا ليست لهم ، وتعاليمهم تؤمن بالتوسع .. واليك بعض ما جاء فى بروتوكولات حكماء آل صهيون :

١ ـ ان طغيان رأس المال الذى يوجد كله فى أيدينا سوف يكون بالنسبة لاى دولة بمثابة القشة التى تتعلق بها ، والا هوت فى الحضيض وتردت فى العدم .

٢ ـ القوة والرياء ـ يجب أن يكون شعارنا ـ جميع وسائل القوة والنفاق .

٣ ـ تشجيع الضعف والاهواء .

دأبهم الغدر

ولسنا فى حاجة الى الحديث عن نواياهم ، تلك النوايا التى تزعج كل من يتفق معهم على عهد ، لانهم يكشفون عن أطماعهم ، واليك بعض ما جاء على ألسنتهم :

١ ـ الان فقط ، وبعد سبعين عاما من كفاح الرواد ـ استطعنا أن نصل الى أول استقلالنا فى جزء من وطننا الصغير .

هذا كلام بن جوريون فى سنة ١٩٥١ . وبعد توسعوا !!

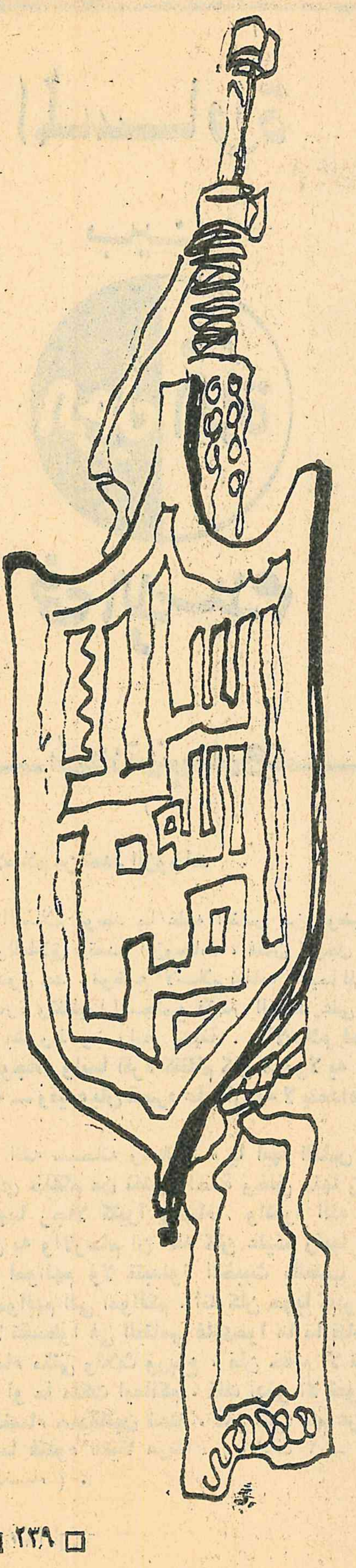

٣ – ان اسرائيل العظمى التى تمتد من العراق حتى السويس ، هى الدولة القوية التى تستطيع تأمين السلام والاستقرار فى الشرق الاوسط فى الداخل والخارج .

هذا كلام الدكتور آريه التمان فى ٣٠ – ٣ عام ١٩٥٣ .. بعدها توسعوا .. وما زالوا يحاولون لولا بسالة قواتنا المسلحة

وتطبيقا لهذه التعاليم ، كأن موقف اسرائيل ضد القضايا العادلة على طول الخط ، ومن احصائية دقيقة للدكتور حسن صبرى الخولى فى بحثه القيم فى قضية فلسطين نرى ما يؤكد انهم ملتزمون بما صنعوه من تعاليم اضفوا عليها قدسية » ؟! وأرضعوها لاطفالهم .. فهم :

- صوتوا ضد حق مراكش فى الاستقلال !
- وضد الامل فى دعوة اندونيسيا وهولندا فى حل قضية ايريان الغربية .
- وضد ادراج قضية الجزائر فى جدول اعمال الامم المتحدة .
- وضد اجراء مفاوضات مباشرة بشأن الجزائر .
- وضد مشروع قرار يخص فرنسا والجزائر على التفاوض لحل المشكلة .
- وضد رفض التصويت على مشروع قرار مقاطعة بضائع جنوب افريقيا .
- وضد قرار طلب سحب البلجيكيين من الكونغو
- وضد مشروع قرار بالاعتراف بحق تونس فى مطالبة فرنسا بالانسحاب من تونس .

هكذا كانت اسرائيل خلال ٢٥ سنة .. ضد كل حق وكل عدل ، لان العدل والحق ليسا على اى حال فى شريعتها ، الحق والعدل ضد ما جاء فى تعاليم اليهود المصنوعة من اجل تحقيق مآربهم المادية .

المرابطون على الحدود

ومن هنا يجب ان نقول لابطالنا المرابطين على الحدود لاتأمنوا لهم ، فتلك سياستهم ، وهذا اسلوبهم ، وقد ادى اليه يأسهم من الاخرة ، لذلك اقبلوا على الدنيا بحرص ونهم وفى سبيلها نقضوا كل العهود والمواثيق ، وقتلوا الانبياء بغير حق . هم عباد مادة اما انتم فقد شهد العالم كله انكم ماكنتم تستطيعون عبور اخطر حاجز مائى ، واعتى حاجز صخرى ومواجهة اعداء الشر بشجاعة وبسالة لولا انكم تملكون ما لايملكه اعداؤكم : صدوركم عامرة بالايمان . قلوبكم محصنة باليقين . نفوسكم ثابتة على العقيدة . وان الله بجانبكم لانكم طلاب حق ، وهو اقوى المؤيدين وانه وحده قادر على ان يعين المؤمنين : بل الله مولاكم وهو خير الناصرين . « **انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ، وصدق الله العظيم .**

المساواة بين الرجل المرأة في الإسلام

الأستاذ توفيق علي وهبة

(٥)

موقف الاسلام من تعدد الزوجات

جاء الاسلام فوجد ما عليه الناس من فوضى فى الزواج والطلاق وتعدد الزوجات ، فكان الرجل يعدد زوجاته دون حد ، فوضع الاسلام نظاما حكيما للحفاظ على الاسرة وتنظيما للمجتمع فقصر التعدد على أربع زوجات بشروط وضوابط معينة . **فالاسلام لم يبح تعدد الزوجات وانما أقره كنظام كان معمولا به — فى الجاهلية — وقيده بأن قصره على اربعة لا يتعداها ..**

يقول الله سبحانه وتعالى: « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم ، انه كان حوبا كبيرا وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت ايمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا . وآتوا النساء صدقاتهن نحله ، فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ، (الايات ١ — ٦ من سورة النساء) .

ويقول تعالت كلماته : « ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط ، وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما . وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير ، واحضرت الانفس الشح ، وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا . ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما . وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ، وكان الله واسعا حكيما » .

قلنا أن تعدد الزوجات كان منتشرا فى الجاهلية قبل الاسلام بدون أى حدود حتى جاء الاسلام فقصر التعدد على أربع كما ذكر فى الايات السابقة ، ومما يؤيد ذلك من السنة النبوية ما يلى :

روى محمد بن الحسن صاحب الامام أبى حنيفة عن الامام مالك عن ابن شهاب قال : « **بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من ثقيف ، وكان عنده عشر نسوة — حين أسلم الثقفى — فقال له امسك منهن أربعا وفارق سائرهن** » .

قال محمد : وبهذا نأخذ يختار منهن اربعا : ايتهن شاء ، ويفارق ما بقى . وأما أبو حنيفة فقال : نكاح الاربع الاول جائز ونكاح من بقى منهن باطل وهو قول ابراهيم النخعى » (راجع الموطأ للامام مالك برواية محمد بن الحسن ص ١٧٨ ط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية) .

روى محمد بن الحسن أخبرنا مالك حدثنا ربيعة بن أبى عبد الرحمن أن الوليد سأل القاسم وعروه وكانت عنده أربع نسوة — فأراد أن يبت واحدة ويتزوج أخرى فقال : نعم ، فارق امرأتك ثلاثة وتزوج وقال القاسم فى مجالس مختلفة » .

قال محمد : لا يعجبنا أن يتزوج الخامسة وان بت طلاق احداهن حتى تنقضى عدتها لا يعجبنا أن يكون ماؤه فى رحم خمس نسوة حرائر وهو قول أبى حنيفة والعامة من فقهائنا » (نفس المرجع السابق) .

ويفرض الاسلام العدل بين النساء ، فاذا كان الرجل لا يستطيع العدل بينهن فلا يجوز له أن يعدد زوجاته ، فعلى الرجل أن يعدل بينهن فى المأكل والملبس والمسكن والقسم فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم حين بنى بأم سلمة قال لها حين أصبحت عنده :

ليس بك على أهلك هوان ان شئت سبعت عندك وسبعت عندهن ، وأن شئت ثلثت عندك ودرت عندهن قالت ثلث .

قال محمد بن الحسن : وبهذا نأخذ ينبغى أن سبع عندها أن يسبع عندهن ، لا يزيد لها عليهن شيئا ، وان ثلث عندها أن يثلث عندهن . وهو قول أبى حنيفة والعامة من فقهائنا » (راجع الموطأ ص ١٧٦) .

يقول القرطبى فى تفسير قوله تعالى : « **وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا** » .

قوله تعالى : (**وان خفتم**) **شرط وجوابه (فانكحوا**) أى أن خفتم ألا تعدلوا فى مهورهن وفى النفقة عليهن (**فانكحوا ما طاب لكم**) أى غيرهن . وروى الائمه واللفظ لمسلم عن عروة بن الزبير عن عائشة فى قوله تعالى : « **وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع** » قالت : يابن أختى هى اليتيمة تكون فى حجر وليها تشاركه فى ماله فيعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها من غير أن يقسط فى صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا أن ينكحوهن الا أن يقسطوا لهن ويبلغوا بهن أعلى سنتهن من الصداق وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن ..

ثم يقول : وقال الضحاك والحسن وغيرهما : ان الاية ناسخة لما كان فى الجاهلية وفى أول الاسلام من أن للرجل أن يتزوج من الحرائر ما شاء . فقصرتهن الاية على أربع . وقال ابن عباس وابن جبير وغيرهما . المعنى وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فكذلك خافوا فى النساء لانهم كانوا يتحرجون فى اليتامى ولا يتحرجون فى النساء .. » أ. هـ. بتصرف وقول ابن عباس هذا هو ما نراه موافقا لمراد الاية .

أما قوله سبحانه وتعالى « **فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة** » قال الضحاك وغيره فى الميل والمحبة والجماع والعشرة والقسم بين الزوجات الاربع والثلاث والاثنين فواحدة فمنع من الزيادة التى تؤدى الى ترك العدل فى القسم وحسن العشرة وذلك دليل على وجوب ذلك .

ويقول الامام ابن كثير فى تفسير قوله تعالى « **مثنى وثلاث ورباع** » أى انكحوا ما شئتم من النساء (**سواهن اى سوى اليتيمه اذا خاف عدم القسط**) ان شاء احدكم اثنتين ، وان شاء أربعا كما قال تعالى : « **جاعل الملائكه رسلا أولى اجنحه مثنى وثلاث ورباع** » أى منهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثه ومنهم من له أربعة ، ولا ينفى ما عدا ذلك فى الملائكة لدلالة الدليل عليه . بخلاف قصر الرجال على أربع ، فمن هذه الاية كما قال ابن عباس وجمهور العلماء لان المقام مقام امتنان واباحة فلو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لذكره .

قال الشافعى : وقد دلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبينة عن الله أنه لايجوز لاحد غيررسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجمع بين أكثر من أربع نسوة .

وهذا الذى قاله الشافعى رحمه الله مجمع عليه بين العلماء الا ما حكى عن طائفة من الشيعة أنه يجوز الجمع بين أكثر من أربع الى تسع . وقال بعضهم : بلا حصر . وقد يتمسك بعضهم بفعل النبى صلى الله عليه وسلم فى جمعه بين أكثر من أربع الى تسع كما ثبت فى الصحيحين ... وهذا عند العلماء من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيره من الامة ...

وجاء فى تفسير المنار ... وعلى هذا تكون الاية مرشدة الى ابطال كل تلك الضلالات والمظالم التى كانت عليها الجاهلية فى أمر اليتامى وأمر النساء من التزوج باليتامى بدون مهر المثل والتزوج بهن طمعا فى اموالهن يأكلها الرجل بغير حق ومن عضلهن ليبقى الولى متمتعا بمالهن لا ينازعه فيه الزوج ، ومن ظلم النساء يتزوج الكثيرات منهن مع عدم العدل بينهن ، فمن لم يفهم هذا كله من هذه الاية فهمه من مجموع الايات ههنا .

ويقول الاستاذ الامام : جاء ذكر تعدد الزوجات فى سياق الكلام عن اليتامى والمنهى عن أكل أموالهن ولو بواسطة الزوجة . فقال : ان أحسستم من انفسكم الخوف من أكل مال الزوجة اليتيمة فعليكم ألا تتزوجوا بها فان الله تعالى جعل لكم مندوحة عن اليتامى بما أباحه لكم من التزوج بغيرهن الى أربع نسوة ، ولكن ان خفتم ألا تعدلوا بين الزوجات أو الزوجتين فعليكم أن تلتزموا واحدة فقط والخوف من عدم العدل يصدق بالظن والشك فيه بل يصدق بتوهمه أيضا . ولكن الشرع قد يغتفر الوهم لانه قلما يخلو منه علم بمثل هذه الامور ، فالذى يباح له أن يتزوج ثانية أو أكثرهوالذى يثق منفسه بالعدل ، بحيث لا يتردد فيه أو يظن ذلك ، ويكون التردد فيه ضعيفا ...

فمن يتأمل الايتين علم أن اباحة تعدد الزوجات فى الاسلام امر مضيق فيه أشد التضييق كأنه ضرورة من الضرورات التى تباح لمحتاجها بشرط الثقة باقامة العدل والامن من الجور » .

وللاستاذ الامام محمد عبده رحمه الله فتوى فى حكمة تعدد الزوجات نقتطف فيما يلى جزءا منها :

« **وقد يكون التعدد لمصلحة الامة كان تكثر فيها النساء كثرة فاحشة كما هو الواقع فى مثل البلاد الانجليزيه وفى كل بلاد تقع فيها حرب مجتاحه تذهب بالالوف الكثيره من الرجال فيزيد عدد النساء زيادة فاحشة تضطرهن الى الكسب والسعى فى حاج الطبيعه ولا بضاعه لاكثرهن فى الكسب سوى**

ابضاعهن ، واذا هن بذلنها فلا يخفى على الناظر ما وراء بذلها من الشقاء على المرأة التى لا كافل لها اذا اضطرت الى القيام بأود نفسها وأود ولد ليس له والد ولا سيما عقب الولادة ومدة الرضاعة بل العمر كلها ، وما قال من قال من كاتبات الانجليز بوجوب تعدد الزوجات الا بعد النظر فى حال البنات اللواتى يشتغلن فى المعامل وغيرها من الاماكن العمومية وما يعرض لهن من هتك الاعراض والوقوع فى الشقاء والبلاء ، ولكن لما كانت الاسباب التى تبيح تعدد الزوجات هى ضرورات تقدر بقدرها ، وكان الرجال انما يندفعون الى هذا الامر فى الغالب ارضاء للشهوة لا عملا بالمصلحة وكان الكمال الذى هو الاصل المطلوب عدم التعدد - جعل التعدد فى الاسلام رخصة لا واجبا ولا مندوبا لذاته وقيد بالشرط الذى نطقت به الاية الكريمة وأكدته تأكيدا مكررا فتأملها « وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت ايمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا » . أ . هـ

ومعنى ذلك أن التعدد مقيد بقيدين هما :

أولا : العدل بين الزوجات : فالرجل الذى لا يستطيع العدل بين الاربع اقتصر على ثلاث فان خاف ألا يعدل بين الثلاث اقتصر على اثنين فان خاف ألا يعدل بينهما اقتصر على واحدة والعدل المطلوب هو العدل الظاهر وهو القسم بين الزوجات والمساواة بينهن فى الانفاق والمعاملة والمأكل والملبس والمسكن ، وليس هو العدل فى المحبة الباطنية فان ذلك لا يستطيعه احد ولا يكلف الله الا ما يكون فى الوسع « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » .

ولو كانت المحبة القلبية هى المطلوبة لكان النبى صلى الله عليه وسلم غير عادل بين أزواجه وهذا غير معقول ولا مقبول .

وبهذا وفق العلماء بين العدل المطلوب فى الاية والعدل المنفى فى قوله تعالى : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة »فان العدل المنفى هناك هو العدل القلبى .ولذلك لم يطلبه سبحانه وتعالى ودل على انه لم يطلبه بقول تعالى :«ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل» فهو أجاز ألا يكون ، ولكن طلب أن يحرص ولا يفرط ، وبذلك تتلاقى الايتان ، لان العدل فى الاية التى طلبته ، غيره فى الاية التى نفته وأكدت نفيه . (راجع الاحوال الشخصية - قسم الزواج الاستاذ الشيخ محمد أبو زهرة ص ٩٤) .

ثانيا : القدرة على الانفاق على زوجاته بالاضافة الى أعبائه العائلية لقوله سبحانه « ذلك أدنى ألا تعولوا » وقد فسر الشافعى رضى الله عنه كلمة (ألا تعولوا) بألا تكثر عيالكم وحكى عن الكسائى أنه قال « العرب تقول عال يعول ، وأعال يعيل أى كثر عياله » ويؤيد هذا المعنى قراءة طلحة ألا تعيلوا « واذا كان ذلك هو المعنى فقد تبين أن اباحة التعدد مقيدة بألا يكون فيها مظنة الاكثار من العيال من غير أن يكون عنده من أسباب الرزق ما يستطيع به الانفاق عليهم والقيام بواجبهم .

يقـــول استاذنا الشـــيخ ابو زهرة لقد اتفق الفقهاء والمفسرون على أن هذين الشرطين لابد من توافرهما لكل من ينبغى أن يتزوج وعنده زوجة بل لقد اتفق الفقهاء على أن كل زواج يعتقد المتزوج عند انشائه ولو كان الزواج الاول أنه لا يعدل مع أهله أو لا يستطيع الانفاق فيه يكون حراما ولكن هل اذا تم الزواج مع عدم تحقق هذين الشرطين يكون الزواج غير صحيح ؟ لقد اتفق الفقهاء على أن هذين الشرطين ليسا من شروط الصحة . ولذلك يصح الزواج مع عدم توافر الشرطين ويكون الشخص آثما يحاسبه الله سبحانه وتعالى على الجور وعدم القيام بتكاليف الزواج (الاحوال الشخصية قسم الزواج ص ٩٥) .

ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة وقدوة فقد كان صلى الله عليه وسلم يعدل بين زوجاته فى كل شىء ما عدا الميل النفسى ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان يطاف به وهو فى حالة المرض على بيوت زوجاته محمولا على الاكتاف حفظا للعدل ، ولم يرض بالاقامة فى بيت أحداهن خاصة حتى اذن له نساؤه بالبقاء فى بيت عائشة مدة مرضه .

وهذا الواجب الذى حافظ عليه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى أوصانا به ونصحنا باتباعه فقد روى البخارى أن آخر ما أوصى به صلى الله عليه وسلم ثلاثا كان يتكلم بهن حتى لجلج لسانه وخفى كلامه « الصلاة الصلاة ، وما ملكت ايمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون ، الله الله فى النساء فانهن عوان فى أيديكم ، اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقال من كان له امرأتان فمال الى أحداهن دون الاخرى - وفى رواية أخرى ولم يعدل بينهما - جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل » .

هذا هو موقف الاسلام من تعدد الزوجات والشروط الواجب توافرها فيمن يعدد زوجاته وهو آخر ما أردنا بيانه من الاستثناءات الواردة على مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة وبه يتم البحث و « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله » .

ونختم بالذى هو خير .

« ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير »

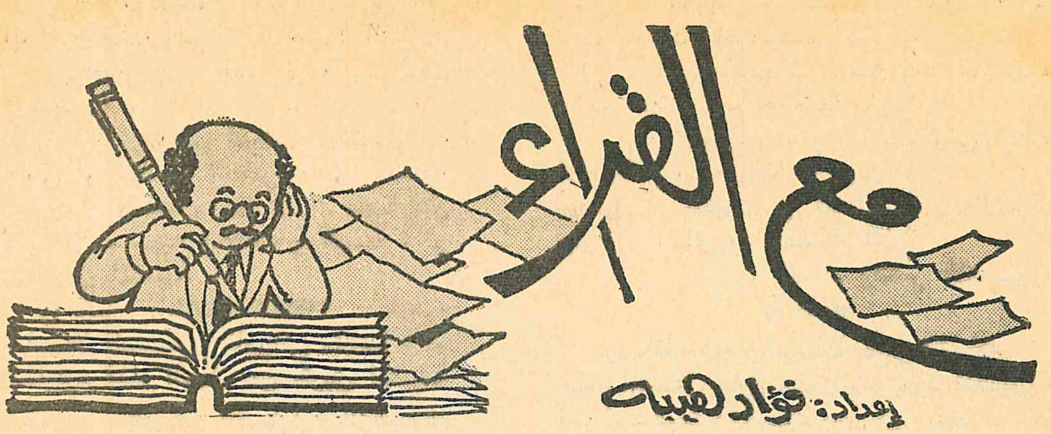

بقلوب ملؤها الامل فى مسيرة عربية رائدة قادرة على اجتياز مرحلة الانحسار الاقتصادى والعسكرى بدأت الشعوب العربية تخطط فى عزم واصرار ..

فمن خلال معارك السادس من أكتوبر انطلقت الارادة العربية بكل ما آتاها الله من عزة واعزاز وتكريم تعيد الى الاذهان ماهية المقومات العربية وقدرتها فى التأثير على عجلة الحضارة الحديثة ..

فبينما تجرى الدراسات مع أعلى المستويات العالمية فى تفسير الوقائع الحربية فى حرب [٦] أكتوبر والتى فاقت كل خيال حربى وكل تصور فكرى والذى ان دل على شىء فانما يدل على عزيمة لا تلين وصبر يفوق كل تحدى ...

وارى أن هذه الدراسات العسكرية لن تستطيع أن تصل الى نتائج ثابتة ان هى تجاهلت الشخصية العربية وما حباها الله من قدرات بشرية خاصة وما يستطيع أن يحققه المسلم من بطولات خارقة تفوق كل تطور علمى واحكام حربى ..

اننا لا ننكر بحال من الاحوال ضرورة الاخذ بكل أسباب التقدم الحربى بل اننا مطالبون بهذا أصلا فكتاب الله يأمرنا أن نعد أنفسنا لملاقاة الاعداء نفسيا وحربيا ولنا فى رسول الله الاسوة فى التجهيز والاعداد فى كل غزاوته « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ..** » ففى غزوة الاحزاب أمر الرسول بحفر الخندق حول المدينة ليحد من الزحف الجارف من الاعداء على نعيم بن مسعود أن يوقع بين يهود يثرب والكفار عندما قال له « **خذل عنا يا نعيم** » والمواقع الحربية التى خاضها السلف الصالح جميعها تؤكد كفاءة المسلمين وقدرتهم على خوض المعارك والتخطيط لها بأسلوب أخاذ هو محل الدراسة العسكرية فى أعظم الاكاديميات العسكرية .

ومع هذه الصورة التى تؤكد ضرورة الاستعداد مع الثقة بنصر الله نرى صورة أخرى تؤكد ضرورة الايمان وأن القوة والاستعداد وحده لا يكفى وهذا ما حدث يوم حنين « ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين »

ومن وحى هاتين الصورتين القرآنيتين وانطلاقا من مفاهيمها البناءة دارت معارك السادس من أكتوبر فى ظل الحشد العربى البناء والتأييد العالمى الاخاذ مما هيأ لجيشنا العظيم امكانية تحطيم الخرافة الاسرائيلية بأنها الجيش الذى لا يهزم ..

ولا أدل على هذه الهزيمة من هذه الاتهامات المتبادلة والاستقالات المتوالية من جنرالات اسرائيل .. فهزيمة اسرائيل محققة لا مجال فيها للمناورة أو المداورة ..

وفق الله رئيسنا وقادة الامة العربية وملوكها ورؤساءها سواء السبيل فهو نعم المولى ونعم النصير ..

● ● ●

تعقيب على رسالة القارىء محمد عبدالمنعم الخاقانى
الانبار — العراق

كتبت الدكتورة ابتسام عبد الحليم :

بالاشارة الى رسالة القارىء السيد / محمد عبد المنعم الخاقانى من النجف — بالعراق — بخصوص ملاحظته على تعريفى للزهرى الوراثى واعتراضه على ذلك بأنه انما هو تعريف للزهرى الولادى :

١ — أحب أن أشير بادىء ذى بدء الى أن القارىء استخدم فى اعتراضه واستدلاله مصطلحات وتقسيمات وتعريفات علماء النفس مع أن لكل فن وعلم مصطلحات وتعريفاته وتقسيماته الخاصة به والتى لا يجوز الاستدلال بها فى علم أو فن آخر لانه من المعروف أنه [لا مشاحة فى الاصطلاح] .

٢ — ان الذى اقصده فى مقالى فيما يتعلق

بالزهرى الوراثى [بغض النظر عن بعض التجاوز فى التعبير] هو CONGENITAL SYPHILIS والترجمة الحرفية لذلك باللغة العربية [الزهرى الخلقى] مع ملاحظة وجه التقارب فى كلمتى [وراثى ، وخلقى] .

وملاحظة أيضا : أن معنى المرض الخلقى : أنه هو ذلك المرض أو التشوه الخلقى الذى يكتسبه الطفل وهو جنين داخل رحم الام . مهما كان السبب سواء كان سببه وحدات وراثية ، أو ميكروب عن طريق المشيمة .

ولا يخفى أن كلمة CONGENITAL تتسع فى مفهومها لكلا السببين الوراثى منهما ، أو الميكروبى الطارىء أثناء الحمل عن طريق المشيمة

٣ ــ وبخصوص تعريف القارىء للزهرى الوراثى [بأنه الذى يحمل للجنين بواسطة وحدات الوراثة التى تنقل اليه من أبويه كثير من ملامحه وصفاته وتنقل اليه شيئا من مرضها أو الاستعداد لها] .

فهو تعريف تظهر فيه الصناعة الادبية أكثر مما تظهر فيه الدقة العلمية لانه ليس هناك نوع من الزهرى ينتقل الى الجنين عن طريق [الجينات] الوحدات الوراثية

مع تحياتى واحترامى .

سيناء وبدر

بقلم : الشاعر عبد الحليم جاد

حلمية الزيتون ــ القاهرة

الله أكبر عاودتنا روحنا
فتهيبت شيع العدو لقاء
سادات أثلجت الصدور بضربة
تركت جيوش الغدر ثم هباء
فى غرب سيناء يوم سارع جيشنا
عبر القناة يمزق الاعداء
رمضان أنشدنا روائع لحنه
وكأن « بدرا » ظللت سيناء
فالله أكبر كم قصمنا عاتيا
يا جبن اسرائيل كف عواء
ما بعد حشد العرب صفا واحدا
ووقوف «سوريا» فى الوغى شماء
الا اقتلاع بنى الخنا من وكرهم
لنطهر المعراج والاسراء
ونرد هام العرب سامقة الذرا
تضفى السلام وتنشر الاضواء

• • •

رسالة العراق ومجلة منبر الاسلام

بقلم الصديق فائق حمودى محمود الحديثى

انى أحد شباب الاسلام ومن قراء مجلتكم الغراء فى أرض العراق ، أهدى اليكم أجمل التحيات بمناسبة انتصار الامة العربية الذى جاء قرينا بشهر رمضان المعظم .

ان مجلتكم تعتبر فى رأيى من المجلات القيمة وذلك لما تحمله من مواضيع ثقافية اسلامية توجيهية الى طريق الصواب .. وكان من بين ما أقرأ فيها مواضيع تدور حول قراءة القرآن الكريم .. ونحن بحاجة ماسة الى مثل هذه الموضوعات التى تعلمنا تجويد وترتيل القرآن الكريم فأرجو منكم أن تزودونا بمثل هذه المواضيع القرآنية ولكم الشكر .

■ شكرا على تحيتك الرقيقة ، ونفيدك بأن المجلة ايمانا منها بقداسة القرآن الكريم وبكونه منبعا للنور والمعرفة .. قد أفردت له بابا تلتقى به فى أول كل عدد بعنوان « دراسات قرآنية » وفيه تجد مقالا لفضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضى تحت عنوان « من معانى القراءات وأسرارها » وفيه ما تتمنى أن تقرأه .. مع خالص تمنياتنا بالتوفيق .

تعقيب

على رسالة الباحث مصطفى كامل نصار

ورد لادارة المجلة رسالة من الصديق الباحث مصطفى كامل نصار بالاسكندرية استعرض فيها الافكار التى وردت فى مقال نشر فى عدد بعنوان [أصغر قائد فى الاسلام للشيخ منصور الرفاعى عبيد] وابدى بعض الملاحظات .. وقد عرضناها على السيد الكاتب فأفاد بالتالى :

من المعلوم أن غزوة مؤتة التى استشهد فيها زيد كانت فى جمادى الاولى من السنة الثامنة هجرية وأما ما ذكر من أن النبى صلى الله عليه وسلم زوج زيدا من بنت عمته زينب فالسبب فى تقديم اسمها فى المقالة على أم أيمن أنها نالت الشرف بزواجها بعد ذلك من النبى صلى الله عليه وسلم وأصبحت من أمهات المؤمنين وقد احتفت السماء بها وزوجتها من النبى الكريم فوجب تقديمها فى الذكر على من سواها .

والثابت أن زيدا تزوج من أم أيمن بمكة وولد أسامة بمكة .

وقد ورد اسم زينب فى المقال لنبين كانة زيد من قلب الرسول وأنه ذهب فى تكريمه الى أبعد مدى فزوجه من بنت عمته وقد لزم التنويه بذلك فى المقالة ليكون القارىء على بينة من مكانة زيد وما حباه به الرسول من عطف .

ولقد نالت زينب بنت جحش مكانا مرموقا فى التاريخ حيث أن السماء هى التى زوجتها ودخل النبى صلى الله عليه وسلم عليها بغير اذن لان عقد الزواج قد أبرم من فوق سبع سماوات ولقد كانت زينب تفتخر بذلك وتقول لقد زوجكن اباؤكن وأولياؤكن أما أنا فقد زوجنى الله نبيه من فوق سبع سماوات كما أنها كانت أول نساء النبى لحوقا به لقد كانت كريمة جوادة تتصدق على الفقراء وتعطف على اليتامى والارامل

وبهذا تتضح أن السبب فى ذكر زينب وتقديمها على أم أيمن فى المقال من باب الشرف والرفعة والمكانة التى نالتها زينب فى المجتمع الاسلامى .

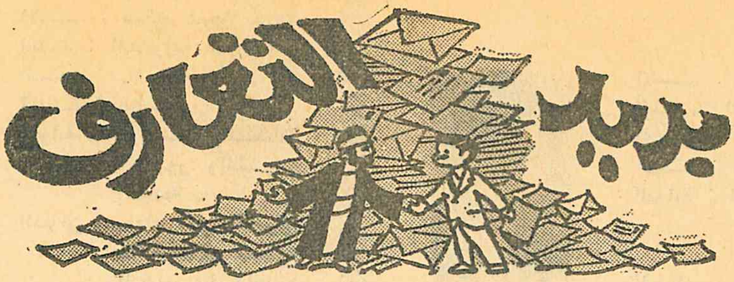

الاسم : محمـــد بن الطيب الحمامى .
البلد : الجمهورية التونسية .
السن : ٢٥ عاما .
المهنة : طالب .
الهواية : المراسلة والاطلاع الدينى .
العنوان : طريق العين الكيلو ٧ صفاقس

الاسم : عاطف مجاهد عزا .
البلد : جمهورية مصر العربية
السن : ١٧ عاما .
المهنة : طالب ثانوى .
الهواية : المراسلة وجمع الصور وتبادل الاراء
العنوان : نبروة دقهلية ميدان مسجد مجاهد

الاسم : محمد حمدى .
البلد : الجمهورية الجزائرية.
السن : ١٨ عاما .
المهنة : طالب ثانوى .
الهواية : المراسلة وتبادل الافكار الدينيةوالرسم
العنوان : ص.ب ٣٢٠ تقوت الواحات الجزائر .

الاسم : خليل محمد خليل العوادلى
البلد : جمهورية مصر العربية
السن : ١٨ عاما
المهنة : طالب .
الهواية : المراسلة وجمع الطوابع البريدية والمناظر .
العنوان : محافظة دمياط سفيط النصارى .

الاسم : عبد الاخر حمادمحمد
البلد : جمهورية مصر العربية
السن : ١٨ عاما
المهنة : طالب بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية
الهواية : مراسلة الشباب العربى والقراءة .
العنوان : الغنايم بحرى - محافظة اسيوط .

الاسم : ماهر محمدعبدالقادر شاهين .
البلد : جمهورية مصر العربية
السن : ١٩ عاما .
المهنة : طالب ثانوى .
الهواية : المراسلة وقراءة الكتب الدينية .
العنوان : ش عبد الله خليفة فوق مسجد الرسول بالمنيرة امبابة .

الاسم : صالح حسين جودى
البلد : الجمهورية العراقية .
السن : ٢٠ عاما .
المهنة : طالب .
الهواية : المراسلة وتبادل الصور والطوابع البريدية .
العنوان : بغداد الكرادةالشرقية حافظ القاضى شارع الدكتور عبد المجيد حسين لبد صالح حسين جودى .

الاسم : شقرون عبد المالك
البلد : الجمهورية الجزائرية.
السن : ١٧ عاما
المهنة : طالب .
الهواية : المراسلة ومطالعة الكتب والقصص والفن الاسلامى .
العنوان : عمارة [ب] هىحرمه الحديقات تلمسان .

الاسم : ابن السبع عبدالكريم
البلد : المملكة المغربية .
السن : ١٧ عاما .
المهنة :طالب .
الهواية : المراسلة وجمع الطوابع والرياضة
العنوان : ٨٥ شارع باريزالدار البيضاء المغرب .

الاسم : جودت احمد الدهوكى
البلد : الجمهورية العراقية .
السن : ١٩ عاما .
المهنة : طالب :
الهواية : المراسلة ومطالعة الكتب التاريخية .
العنوان : دهوك شارع النضال رقم الدار ٧٥٦ .

الاسم : محمد احمد الكشو .
البلد : الجمهورية التونسية .
السن : ١٨ عاما .
المهنة : طالب بالمعهد الثانوى
الهواية : المراسلة والمطالعة وتبادل الصور والطوابع البريدية والهدايا .
العنوان : طريق منزل شاكر الكيلو ٦ صفاقس .

م : يحيى السيد فضل .
البلد : جمهورية مصر العربية
السن : ١٨ عاما .
المهنة : طالب ثانوى .
الهواية : المراسلة والاطلاع الدينى وتبادل المناظر والهدايا
العنوان : شباس الشهداء — مركز دسوق محافظة كفر الشيخ .

الاسم : احمد بن احمدالطشى
البلد : الجمهورية العربية اليمنية .
السن : ١٧ عاما .
المهنة : طالب .
الهواية : المراسلةوتبادل الاراء والافكار والصور الطبيعية .
العنوان : تعز ص.ب ٢٩٤

الاسم : جلال محمدعبدالحميد
البلد : جمهورية مصر العربية
السن : ٢٣ عاما .
المهنة : طالب جامعى .
الهواية : المراسلة وتبادل الصور والهدايا .
العنوان : ميت غمر شارع الصعيدى خلف المدرسة الثانوية بنين .

اقرأ فى هذا العدد

الجهاد فى الاسلام :

المقربون والجهاد فى سبيل الله	فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود	٤
الرئيس محمد أنور السادات حامل لواء الامة العربية	المستشار اسماعيل الخطيب	٧
هذا ما وعدنا الله ورسوله	فضيلة الدكتور محمد حسن فايد	١١
العقيدة مصدر البطولة	فضيلة الدكتور ابراهيم محمد نجا	١٣
الحرب النفسية فى الاسلام	فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى	١٥
الجهاد قمة الايمان	فضيلة الشيخ فراج أحمد درديى	١٨
ولينصرن الله من ينصره	فضيلة الشيخ محمد مصطفى أبو العلا	٢١
صلح الحديبية ومقدرة الرسول السياسية	فضيلة الشيخ محمد هلال عبد الرسول	٢٥
الجهاد فى سبيل الله	الدكتور عبد العزيز عزام	٢٧
القتال فى الاسلام جهاد	المستشار الدكتور محمود الهمشرى	٣٠
نصر الله	فضيلة الشيخ أحمد كامل الخضرى	٣٢
القتال فى القرآن	الدكتور عبد الغنى الراجحى	٣٤
عالمية الاسلام : قانون النصر	الاستاذ أنور الجندى	٣٨
عمر بن الخطاب واهتمامه بالجند	المستشار عبد الستار آدم	٤٠
معارك خالدة : الاسلام والحرب	الاستاذ عبد الحكيم النجار	٤٢
السلام قبل الحرب فى الاسلام	الدكتور فكرى أحمد عكاز	٤٤
اليهود أولياء الشيطان فى أرض الانبياء	الاستاذ أحمد وافى	٤٦
عقيدة زائفة ومصير محتوم	الاستاذ عامر العقاد	٤٩
هل تنصت اسرائيل الى صوت التاريخ ؟	الاستاذ ابراهيم مصباح	٥٢
حصون يهود تتهاوى	فضيلة الشيخ سيد ناجى	٥٤
الايمان والمعركة	الاستاذ عبد المنعم حمادة	٥٧
صورة اليهود كما رسمها القرآن	فضيلة الشيخ أحمد عبد الحافظ	٥٩
الجهاد فى سبيل الله صبر وصمود	فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور	٦٢
التحليل النفسى والاجتماعى لهزيمة قادة اسرائيل	الاستاذ محمود غنام زياد	٦٤
سيادة الامة الاسلامية والعربية ونصرها فى قوتها وتعاطفها	فضيلة الشيخ عبد الوهاب الساكت	٦٦
الجهاد فى صدر الاسلام	الاستاذ سالم عرفات سالم	٦٩
ذو القعدة .. والقضاء على اليهود	فضيلة الشيخ السيد خليل الجراحى	٧٠
العرب أمام المستقبل بعد ٦ أكتوبر المجيد	الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف	٧٣
القتال عند المسلمين	الاستاذ صلاح عزام	٧٦
صيانة الحق بالجهاد	الاستاذ محمود السعيد الطنطاوى	٧٨
نصر من الله وفتح قريب	الاستاذ محمد المتولى النظامى	٨١
وما النصر الا من عند الله	فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع	٨٤
بين الحج والجهاد	الدكتور جمعة على الخولى	٨٦
من خصائص أهل الايمان	الاستاذ محمد شديد	٨٩
العزة القومية فى كلمة التوحيد	فضيلة الشيخ الصاوى شعلان	٩١

دراسات قرآنية :

تفسير سورة البقرة	الاستاذ أحمد حسين	٩٦
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون	فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى	١٠٣
اياك نعبد	الاستاذ فتحى رضوان	١٠٧
القرآن آية النبى ومعجزته	فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى	١١٢
ايهما الذبيح ، اسماعيل أم اسحاق ؟	الدكتور أحمد الحوفى	١١٤
من معانى القراءات وأسرارها	فضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضى	١١٧
فلسفة القيم فى القرآن الكريم	الاستاذ محمد العفيفى	١٢٠
أضواء من كتاب الله	فضيلة الشيخ حسن صالح	١٢٢
ورحمتى وسعت كل شىء	الاستاذ عبد السلام الشاذلى القوصى	١٢٥

■ التشريع الاسلامى :	من أحكام الشريعة الاسلامية وآدابها	فضيلة الشيخ محمد خاطر	١٢٨
	الكيل والميزان	الاستاذ عبد المنعم مغربى	١٣٠
	ألمواضع التى يكون فيها خبر الواحد حجة	الدكتور محمد سعاد جلال	١٣٢
	من الفقه المقارن : الاذان والاقامة	الدكتور محمد عبد المنعم القيعى	١٣٥
	دفع ظن السوء	فضيلة الشيخ محمود هاشم	١٣٧
	من تعاليم الاسلام العامة	الاستاذ مبشر الطرازى الحسينى	١٣٩
	محمد صلى الله عليه وسلم والدعوة الى الاسلام	الدكتور محمود السقا	١٤١
■ التصوف والفلسفة :	الصوفية فى الهامهم	الاستاذ حسن كامل الملطاوى	١٤٤
	الشريعة والحقيقة	الدكتور أبو الوفا الغنيمى التفتازانى	١٤٧
	فلسفة الاستشهاد	فضيلة الشيخ ابراهيم أحمد الوقفى	١٤٩
■ العلم والايمان :	عندما نرى الله	الاستاذ أحمد زين	١٥٤
	الايمان بالله ليس دعوة الى الانعزال عن الحياة	فضيلة الشيخ عبد الرحمن النجار	١٥٦
	الايمان بالله سر القوة والانتصار	الدكتور عبد العزيز محمد عزام	١٥٩
	وصايا لقمان	الدكتور سالم قانم	١٦٢
■ الفن الاسلامى :	الابداع الفنى فى الكتب الاسلامية	الاستاذه سعاد أحمد جمعه	١٦٨
	أصول روحية للعمارة الاسلامية	الاستاذ عبد المجيد وافى	١٧٣
■ القصة الاسلامية :	وفى عصرنا صديق اسمه يوسف	الاستاذ عبد المنعم الصاوى	١٧٦
■ الشعر الاسلامى :	الجهاد مرض	فضيلة الشيخ محمد خليل الخطيب	١٨٢
	كلمات من المعركة	الشاعر العوضى الوكيل	١٨٣
	هى على الكفاح	الدكتور محمد محمد خليفة	١٨٤
	أم البطل	الشاعرة روحية القلينى	١٨٥
	معركة الثأر	الشاعر على الجمبلاطى	١٨٦
	هبات سيناء	الشاعر محمود جبر	١٩٠
■ الطب فى الاسلام :	سنريهم آياتنا فى الآفاق	الدكتور عبد العزيز شرف	١٩٢
	الجهاد بين الطب والدين	الدكتورة ابتسام عبد الحليم	١٩٤
■ دراسات أدبية :	طه حسين يناجى ربه	الاستاذ محمد كامل حته	١٩٨
	النهضة والحضارة عند مالك بن نبى	الاستاذ محمد دياب	٢٠١
■ شخصيات اسلامية :	السيدة نفيسة رضى الله عنها	الاستاذ توفيق أبو علم	٢٠٦
	عقبة بن عامر الجهنى	الاستاذ عبد المنعم حسن الادفوى	٢٠٩
	أعلام الحضارة الاسلامية فى العلوم والرياضيات	الدكتور أحمد سعيد الدمرداش	٢١١
■ المكتبة الاسلامية :	الاسلام خواطر وسوانح	عرض وتلخيص : ابراهيم الفحام	٢١٦
	الاسلام والمواجهة الشاملة	عرض وتحليل : نتحى الابيارى	٢١٨
■ الافتـــاء :	أنت تسأل والمفتى يجيب	فضيلة الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر	٢٢٢
■ الاسرة المسلمة :	شبابنا يتسابقون الى الموت	الاستاذ محمود محمد عمارة	٢٢٨
	صفحات باهرات من جهاد المرأة	الاستاذ مصطفى عبد الحليم الجندى	٢٣١
	المرأة المسلمة والمعركة	الدكتورة ليلى صقر	٢٣٥
	أسلامنا .. أهم مصادر قوتنا فى المعركة	الاستاذ ناصف سليم	٢٣٧
	المساواة بين الرجل والمرأة فى الاسلام	الاستاذ توفيق على وهبة	٢٤٠
	بريد القراء	اعداد : فؤاد هيبة	٢٤٣
	التعـــارف		٢٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

يسر

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يقدم للعالم الإسلامي

المصحف المجود

"١٢٠ أسطوانة"

لأول مرة يتم تسجيل القرآن الكريم
مجودا بأصوات كبار القراء

كل جزء من القرآن الكريم على أربعة
أسطوانات طويلة المدى بتجويد القراء الأربعة بسرعة ٣٣⅓ لفة

"مع كل أسطوانة غلاف فاخر"

سعر بيع الأسطوانة الواحدة ٦٤ قرشا

البيع نقدا وبالتقسيط لموظفي
الحكومة والقطاع العام

المصحف المعلم

٧٥ أسطوانة لتعليم القراءة والنطق
الصحيح لآيات القرآن الكريم

كل جزأين على ٥ أسطوانات

الثمن للجزأين ٢,١٨٢ (ملم، ج)

البيع نقدا وبالتقسيط لموظفي
الحكومة والقطاع العام

أسطوانات القرآن المرتل

"رواية حفص عن عاصم"

	ملم	جنيه
٤٤ أسطوانة مع كتيب بالآيات القرآنية وغلاف فاخر	٨٢٦	٢٣
٤٤ أسطوانة مع غلاف عادي ...	١٥٤	١٩

رواية ورش عن نافع

	ملم	جنيه
٦٨ أسطوانة	٩٠٩	٢٩

سرعة ٣٣⅓ لفة في الدقيقة

أسطوانات تعليم الصلاة والأذان والوضوء

٧ أسطوانات داخل كتيب مشروحة بالكلمة والصورة

باللغات: العربية، الانجليزية، الفرنسية، الألمانية
واللغات الآسيوية: الأندونيسية، الأوردية
واللغات الإفريقية: السواحلية، الفولانية
ولغات أمريكا اللاتينية: الأسبانية، البرتغالية

سعر البيع للكتيب الواحد ٥٠ قرشا

مخازن البيع

القاهرة:
مخازن القرآن المرتل:
٧٦ شارع الجمهورية - الدور الثالث

الاسكندرية:
فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
٤٢ شارع سعد زغلول - الدور الرابع

مطابع الأهرام التجارية